رواية

جوانا كامبل سلان

مقتل طالبة مدرسة

الكتاب الأول
من مذكرات جين إير

ترجمة:
ندى محمد حسن

ياسمين

مقتل طالبة مدرسة

جوانا كامبل سلان

إنها "جين إير" الشخصية القوية والذكية، تعود مرة أخرى في تحديات جديدة.

في العام 1851، وبعد أن استقرت حياة جين، وتزوجت من حبيبها إدوارد، وأنجبت منه طفلاً وحيداً. سرعان ما تجد نفسها مرة أخرى وسط التهديدات والمواجهات، بعد أن تلقت رسالة من "أديل" تلميذتها السابقة، والتي تقيم في مدرسة داخلية، تخبرها أنها مُعرضة للخطر وتطلب النجدة من جين، التي تضطر أن تترك صغيرها وزوجها، كي تسافر إلى لندن وتضمن سلامة أديل.

عندما تصل، تجد نفسها أمام فاجعة موت زميلة أديل في السكن، وتبدأ الأحداث تحيك شباكها حول هذه القضية التي حدثت في ظروف مريبة للغاية، والأمر الأكثر غرابة، أن لا أحد في المدرسة يشعر بالقلق.

9 789921 712766

دار الخان للنشر والتوزيع

info@daralkhan.com

@daralkhan_kw

مقتل طالبة مدرسة

جوانا كامبل سلان

t.me/yasmeenbook

Author: Joanna Campbell Slan

Death Of A Schoolgirl

© Copyright

Translated from English by:
Nada Mohammad Hasan

Book Design:
Sarwar Murad

Book Cover Design:
Basel Barakah
Shadi Sarkis

ترجمها عن الإنجليزية:
ندى محمد حسن

الإخراج الفني:
سرور مراد

تصميم الغلاف:
باسل بركه
شادي سركيس

الطبعة الأولى | أكتوبر 2023

ISBN: 978-9921-712-76-6

رقم الإيداع بالمكتبة الوطنية – دولة الكويت:

1982-2023

Death Of A Schoolgirl
Copyright © 2012 by Joanna Campbell Slan
"Published in agreement with JABberwocky Literary Agency Inc.
through Bears Factor literary agency FZC"

حقوق هذه الترجمة ونشرها والاقتباس باللغة العربية محفوظة للناشر

© Alkhan Publishing & Distribution

+965 99462291 / +965 51088000

@DarAlkhan_kw

info@daralkhan.com

t.me/yasmeenbook

ياسمين
قصص
روايات
t.me/yasmeenbook

مقتل طالبة مدرسة

الكتاب الأول في مذكرات جين إير

جوانا كامبل سلان

ترجمة

ندى محمد حسن

2023

t.me/yasmeenbook

Author: Joanna Campbell Slan

Death Of A Schoolgirl

2023

t.me/yasmeenbook

t.me/yasmeenbook

إهداء إلى أختي،

جين رانسوم كامبل

t.me/yasmeenbook

t.me/yasmeenbook

"وسيجيب الملك ويقول لهم: الحق أقول لكم، ما دمتم تفعلون هذا لأحد إخوتي الصغار، فإنكم قد فعلتم ذلك لي".

مقولة من أحد كتب الحكمة

"تشعر النساء تمامًا كما يشعر الرجال... ولذا فإنه أمر غير معقول أن ندينهن أو نسخر منهن، إذا سعين للقيام بالمزيد، أو التعلم أكثر مما حدده العرف لجنسهن".

جين إير: سيرة ذاتية

t.me/yasmeenbook

عندما كتبت جين إير سيرتها الذاتية لأول مرة، كان الهدف منها أن تكون عملًا متعدد الأجزاء؛ حيث إنها عاشت حياة غنية ومتنوعة على الرغم من بدايتها القاسية. ولكن بعد نشر الجزء الأول الذي يروي حياتها المبكرة، من ولادتها وحتى زواجها في عام ١٨١٩، حصل الكتاب على اهتمام كبير جدًّا -بعضه إيجابي، ولكن معظمه سلبي- حتى إنه جعلها ترفض بشدة نشر باقي القصة التي كتبتها.

هناك امرأة شابة ملمة جيدًا بتلك الحكاية الكلاسيكية الخالدة، اشترت كومة من الأوراق من أحد أسواق الأثاث العتيقة التي تقام مرتين في الشهر في سانبوري على أرض حلبة سباق كيمبتون بارك. ومن بين تلك الصفحات، اكتشفت هذه القارئة مخطوطة مكتوبة باليد. وبعد فحصها من كثب، كشفت الأوراق حكاية - إنها تكملة حكاية جين إير روتشيستر.

وهكذا، عزيزي القارئ، تستمر قصّتها...

t.me/yasmeenbook

مقدمة

منزل فيرندين، يوركشاير

١ أبريل ١٨٢٠

قارئي العزيز، لقد وضعتُ مولودًا ذكرًا.

يا له من عبء نبيل أن يكون المرء مسؤولًا عن حياة شخص آخر!

وضعت القابلة الكائن الصغير الغريب بين ذراعي، ومع بعض التعديلات، أصبحت مرتاحة. أي، أصبحنا نحن مرتاحين، السيد إدوارد ريفرز روتشيستر الصغير وأمه. استرخى طفلي بين ذراعي، وتنهدتُ من السعادة.

كل شيء في هذه اللحظة يبدو متناغمًا. إنها لحظة مُرضية بشكلٍ كبير.

قبَّل زوجي -إدوارد فيرفاكس روتشيستر- شفتيّ بلطف؛ ثم قبّل رأس طفلنا الناعم. وقال: "جين، عزيزتي. فتاتي الشجاعة. لقد رُزقنا بابن. هل نسميه نيد؟ أهلًا بك يا صغيري".

t.me/yasmeenbook

فتحتُ إحدى يدي ابننا المغلقتين بإحكام، وعددت جميع الأصابع، وطمأنت نفسي أنها خمس. وأعدتُ تفحص يده الأخرى بالطريقة نفسها. ومن ثَمَّ، انتقلتُ إلى قدميه الصغيرتين ذواتي الأصابع الملتفة المشابهة لبراعم الزهور - جديدة وزاهية باللون الوردي. كيف يمكن أن يكون بهذا الحجم الصغير؟ بهذا الضعف وهذه الهشاشة؟

هُرعت السيدة أليس فيرفاكس -خادمتنا والابنة الثانية لعمة إدوارد- وقالت: "إنه رائع. يا لها من نعمة! سأذهب لأخبر الآخرين. سيكونون في غاية السعادة". وفي فترة وجيزة، سمعتُ أصواتًا سعيدةً من الجهة الأخرى لباب غرفة النوم.

في داخلي، ضحكتُ. فإن ابني لم يتجاوز عمره خمس دقائق بعد، وأثار السعادة في نفوس جميع مَن في المنزل.

ولأنني كنت مرهقة بسبب التعب والانفعالات الناجمة عن الولادة الطويلة، ضبطت الرضيع على ذراعيّ. ونظرت إلى وجهه الأحمر المجعد وتساءلت: مَن يكون هذا؟

وبتثاؤب، نظر نيد إليّ بعينيه المحاطتين برموش طويلة بنفس لون عيني والده. في تلك اللحظة، وقعت في حب طفلي بعمق وبلا رجعة، وعرفت أنني سوف أفعل أي شيء لحماية طفلي، أي شيء! وشعرت بغصة في حلقي، واعتصر الألم صدري، وأجهشت بالبكاء.

سأل إدوارد وهو يمسد شعري: "هل أنت بخير؟"، وأشار بحركات متسارعة للقابلة، التي كانت جدة هادئة من ميلكوت، أقرب بلدة لنا. امرأة موصًى بها بسبب خبراتها الواسعة، ولكني أقدرها بسبب طريقة تعاملها اللطيفة. كانت يداها الحمراوان خشنتي الملمس، لكنها كانت لطيفة عند مساعدتي.

قالت القابلة وهي تنظر بقلق لـ إدوارد بينما ترتشف رشفةً من شايها الذي استحقته عن جدارة ويحتوي على ثلاثة مكعبات من السكر: "هذا متوقع يا سيدي، فالدموع جزء أصيل من هذه العملية. يفيض قلب الإنسان من الفرح".

يا صغيري الحبيب، قلبي يشدو فرحًا بحضورك، أنت جل أماني قلبي! أرجوك اعذرني، فأنا جديدة في هذه التجربة العظيمة بأن أصبح أمًّا. أتعهد بأن أحميك بكل ما أملك، وبكل ما أستطيع. أنت ترقد هنا بثقة، ولكن العالم كبير، وأنا ضعيفة جدًّا في الوقت الحالي.

بينما كنت أبكي من الفرح والخوف والإحباط، ضمّني زوجي؛ أنا وابننا بين ذراعيه، ووعدني قائلًا: "سيكون كل شيء على ما يرام، جين، سنكون أكْفَاء لذلك، أعِدُكِ بذلك".

ولكن حماية طفل تتطلب أكثر من مجرد وعد بذلك.

ولديَّ سبب وجيه يجب أن تعرفه.

t.me/yasmeenbook

t.me/yasmeenbook

الفصل ١

منزل فيرندين، يوركشاير

١٣ أكتوبر ١٨٢٠

في الأشهر والأيام التي تلت ولادة نيد، كانت أفكاري تعود في كثير من الأحيان إلى طفولتي اليتيمة. عندما كان عمري عامًا واحدًا عندما فقدت كلا والديّ بسبب حمى التيفوس واستضافني خالي، الذي عندما كان على فراش الموت بعد فترة وجيزة، طلب من زوجته السيدة ريد أن تعتني بي. لقد فعلت ذلك بأدنى حدٍّ من المشاعر، فإنها لم ترسلني إلى دار الأيتام مباشرة، بل ولم تمدَّ لي -أنا الرضيعة البريئة- أي مودة أو تساهل، مثلما أغدقت على صغارها الثلاثة الذين عذبوني بلا رحمة. كنت وحيدةً في هذا العالم بلا شخص يحميني أو يد توجهني أو قلب عطوف يعينني على مشقة رحلتي.

لقد ارتعدت خوفًا عندما تصورت مصيرًا كهذا يحل بابني. وبينما كنت ألفه ببطانيته، دُهشتُ لبرهة كيف أنه كان معتمدًا عليَّ اعتمادًا كليًّا في سن ستة أشهر.

t.me/yasmeenbook

في هذه الأيام، لم يكن نيد وحده من يعتمد عليّ، فوالده أيضًا كان يرى العالم من منظوري. عندما دمّر الحريق منزل عائلة روتشيستر، قصر ثورنفيلد -وهو حريق أضمرته زوجة زوجي الأولى، بيرثا ماسون، التي لقيت حتفها أثناء الحريق- لم يحرق المنزل فحسب، بل كاد يودي بحياة زوجي أيضًا. تسبب سقوط عارضة خشبية على إدوارد في سحق جزء من جسده، لكن في الوقت نفسه حمى جزءًا آخر. وتسبب الحادث في فقدان إدوارد عينه اليمنى، وتضرر يده اليسرى بشدة لدرجة أنه لجأ لإجراء عملية بتر مباشرة. وكانت العين الأخرى -تعاطفًا مع نظيرتها- تتقلب بين الالتهاب والعافية، ما حد من بصره بشدة. ومؤخرًا خشيتُ أن تزداد حالته سوءًا.

والأكثر قسوة أن إصاباته حرمته من القدرة على ركوب الخيل بمفرده، وهو النشاط الذي كان يتناسب تمامًا مع شخصيته وحبه للأماكن المفتوحة. في الوقت الحالي، يقوم زوجي بزيارة الإصطبلات كثيرًا؛ حيث يقف ووجهه ملتصق بين ألواح المكان المخصص لحصانه "مسرور"، يتواصلان معًا ويتذكران الأيام الخوالي السعيدة. وبالإضافة إلى حرمانه من قدرته على ركوب الخيل، يواجه إدوارد صعوبة في التواصل مع مستأجريه والحديث معهم بالشكل المطلوب. فالقراءة مستحيلة بالنسبة له، والكتابة تقريبًا كذلك.

قالت السيدة فيرفاكس وهي تقف في الممر: "وصل السيد كارتر لفحص السيد روتشيستر، وزوجك ينتظرك. يمكن لـ

هيستر الاعتناء بالطفل". وكان هذا توبيخًا لطيفًا؛ حيث تشعر خادمتنا بالقلق من أنني قد أفسد ابننا بسبب كثرة الاهتمام.

كنت أنوي ذلك.

كانت هيستر ماتون، مرضعة ابني، لديها الكثير من الخبرة في رعاية الأطفال، بالتأكيد أكثر من الأرملة العاقر السيدة فيرفاكس أو حتى مني أنا. بمتابعتي حركات هيستر البارعة مع نيد، أدركت كم أنا أم مبتدئة ومرتبكة ومترددة. ومع ذلك، كنت مصممة على القيام بالعديد من المهام التي عادة ما يتم توكيلها إلى مربية الأطفال. كانت هذه المهام الصغيرة تجلب لي السعادة؛ وأعترف بأنني كنت في حالة من الرهبة من ابني. ولكن هيستر كانت تحمله وتنظفه وتقدم له صدرها كما لو أن ابني طفل عادي تمامًا.

أصدرت السيدة فيرفاكس صوت طقطقة بلسانها في محاولة ضعيفة لتوبيخي، وقالت: "السيدة مؤهلة تمامًا للتعامل معه، ستفسدين الطفل".

"ولكنه ابني الوحيد، إنه طفلي الأول".

قالت السيدة فيرفاكس: "نعم، ونحن جميعًا سنقدم حياتنا من أجل سيدنا الصغير. فاطمئني بشأن ذلك، لكن والد نيد يعتمد عليك لمساعدته. السيد روتشيستر والسيد كارتر في الحديقة". وصمتت لبرهة، ثم حركت رأسها نحو النافذة

وقالت: "ربما ما زال لديكما وقت للتجول معًا في الممر. ربما تتمكنان من جمع آخر ثمار الورد قبل أن تأكلها الطيور كلها".

كان لديَّ نية قوية للخروج في نزهة بعد ظهيرة ذلك اليوم مع إدوارد، إذا استطعنا إنهاء زيارة السيد كارتر بسرعة. ولكن أفسد الطقس غير المستقر خريفنا. فقد كانت رائحة المطر والتغيير في الهواء. وتحركت العاصفة من الساحل باتجاهنا. وأومأت الأوراق الصفراء لنبات الجولق برأسها، بينما كان سعف السرخس يتمايل بهدوء في الغابة المحيطة بمنزلنا. وبدأت الأوراق بالتحول للون الأصفر، ممهدة لسقوطها وترك الأغصان عارية خلفها.

عشنا بعيدًا عن المجتمع البشري. فقد كان منزل فيرندين شبه مدفون في عمق غابة كثيفة. وكانت ميلكوت، أقرب بلدة، على مسافة ثلاثين ميلًا. وللوصول إلى الطريق الرئيس المؤدي إلى المدينة، يجب على المسافرين عبور ممر عشبي غير مستوٍ وغير مستقيم، مخصص بالتحديد لركاب العربات.

جريت بإصبعي على قمة رأس ابني ونزلت على خده الناعم، فضم شفتيه وتظاهر بالرضاعة في الهواء، وقلت: "أخبري السيد روتشيستر أنني قادمة".

"كما تريدين"، كان صوت الخطوات المتراجعة وصرير مفصل الباب، إشارة إلى أن السيدة فيرفاكس تركتني أخيرًا

وحدي. تفحصت صغيري جيدًا، وحفظت كل بوصة من جسده في ذاكرتي. إنه بالفعل ينمو بسرعة!

في الحقيقة، كنت بحاجة إلى بضع دقائق من الخصوصية لأجمع شجاعتي لمواجهة ما ينتظرني. يزور السيد كارتر منزل فيرندين بانتظام للاطمئنان على إدوارد، زوجي العزيز، الرجل القوي والعظيم، والذي أصبح بطلي الأعمى. مع كل فحص كانت ترتفع آمالنا حد السماء، لتتحطم بعدها وتنهار كما يسقط الطائر البري من السماء عندما يُصاب برصاصة قاتلة.

سألني إدوارد ليلة البارحة ونحن نجلس معًا بجوار المدفأة، نتأمل الرماد الذي يحترق: "ماذا لو أعلن أن تحسن حالتي يفوق قدراته؟"، وعقد جبينه -الذي تقطعه ندبة من الحريق- قلقًا. وسأل: "ماذا لو لم أستطع رؤية أكثر من ضباب الضوء الذي يتسرب من النافذة؟ أو لسان اللهب الأحمر المتراقص على الشمعة؟".

"إذًا سأكون عينيك. هذا النقص الصغير لا يهم، أنا هنا لأجلك. قلبي كله لك يا سيدي، دائمًا وإلى الأبد".

وتحررت من هذه اللحظة المؤثرة عندما دخلت هيستر غرفة الطفل، وأدت انحناءة روتينية ناقصة، وحافظت على عينيها تنظران أرضًا وهي تجلس مكانها المعتاد على كرسيٍّ قريب من سرير نيد. قبَّلتُ ابني قبلةً أخيرة، وبدأت السير تجاه ما نطلق عليه مجازًا "حديقتنا".

مررت بالسيدة فيرفاكس التي تكافح بشدة للحفاظ على تعابير تذمر طفيفة على وجهها. إنها تهدف إلى جعلي سيدة القصر التقليدية، وتسعى إلى تشكيل نموذجها المثالي لزوجة السيد في الريف. إنه تحدٍّ -لأنني لا أهتم كثيرًا بالمظاهر الخارجية- ولكنه تحدٍّ تقترب منه بلباقة ومثابرة.

إن أليس فيرفاكس تعرف زوجي منذ أن كان صبيًّا. فقد عملت مدبرة منزل للسيد روتشيستر لسنوات عديدة، ولكن بعد الحريق قام بتحديد راتب سنوي لها. كم كنا محظوظين عندما سمعت عن زواجنا وقرب ولادة نيد، أرسلت أليس فيرفاكس خطابًا تتساءل فيه عما إذا كانت لدينا حاجة إليها!

بدايةً، تسببت أدوارنا الجديدة في احتكاك بيننا.

كانت السيدة فيرفاكس معتادة على إدارة المنزل، ولكن الآن أنا -التي كنت قد عُينت من قبلها للعمل بمثابة معلمة لـ أديل، ابنة السيد روتشيستر- كنت سيدتها.

كانت تطلب من كوك إعداد شرائح لحم الضأن، وكنت أنا أطلب لحم البقر. وكانت كوك تستغل فوضى خلافاتنا وتقدم لنا فطيرة حمام متبقية. طالبت السيدة فيرفاكس بأن نأكل في أطباق الخزف الصيني الجيد وأن نشرب من أكواب الكريستال. كنت سأصير راضيةً بطبق متشقق قديم وكوب من الصفيح. وكانت تقترح هي علينا إجراء جرد لجميع أغطية الأسرّة لتحديد ما يحتاج إلى إصلاح، وأنا أعتقد أن ذلك يمكنه الانتظار لاحقًا.

ما الذي كنت أعرفه عن الحياة المترفة؟ فأنا، في النهاية، لم أكن سوى فتاة يتيمة متقدمة في العمر. لا يزال الانتقال من معلمة إلى سيدة منزل يشكل لي صعوبة، وكان دوري الجديد صعب التأقلم عليه. كانت السيدة فيرفاكس تذكرني كثيرًا قائلة: "لا يمكن التحدث مع الخدم على قدر المساواة. يجب أن نبقيهم على مسافة مناسبة، خوفًا من فقدان السيطرة والنفوذ".

على مدار أكثر من عشرين عامًا من حياتي على هذه الأرض، وجدت أن معظم اللطف الذي حظيت به كان من الخدم، وليس من السادة! أعتقد أنه يمكن أن أُعذر إذا تم تمييزي من بين خدمنا بصعوبة.

ولكنني كنت أعلم أن الأرملة الطيبة كانت على حق. فكنت ألجأ إليها للإرشاد في العديد من المسائل، بما في ذلك فن الترفيه، على الرغم من أن وضعنا الحالي كان معقدًا بسبب ضيق المساحة هنا في منزل فيرندين.

بُني هذا المنزل بمثابة منزل صيد لعائلة روتشيستر. وتدريجيًّا، غزت الطبيعة الممتلكات، سعيًا لاستعادة ما كانت تملكه. كان الموقع بعيدًا وغير صحي، بالإضافة إلى ذلك، فقد تم تركه فترة طويلة، ما جعل المبنى الرئيس غير صالح للسكن، باستثناء بعض الغرف التي تم تجهيزها لاستضافة والد زوجي الراحل عندما كان يزور المنزل خلال موسم الصيد. لذلك، عشنا بمساحة محدودة وحياة مقيدة، خاصةً مع تزايد عدد أفراد عائلتنا.

t.me/yasmeenbook

حتى الآن، لم يأتِ أي زائر يرغب في المبيت، ولكن ذلك قد يتغير. فلديَّ عدد قليل من أبناء الأعمام. إنهم ديانا، ماري، وسانت جون ريفرز، وهم أشخاص رائعون أستمتع بصحبتهم. وعلى جانب عائلة ريد -عائلة والدتي- لم أكن محظوظة بالقدر نفسه. وبلا شك هم يبادلونني الشعور نفسه.

أنا لست باهرة الجمال، ولا حتى جميلة بشكل عابر؛ بل أنا ذات لون باهت وقامة صغيرة تجعلني عادية للغاية. لقد سمعت نفسي تتم مقارنتي، تحديدًا، بعصفور البيت. بالتأكيد، أنا مثل هذا الطائر الشائع، أنا أميل إلى الاندماج في محيطي. وبالرغم من أن ملامح وجهي ليست عادية، فإنني أعوض ذلك بالاهتمام بهندمة مظهري الخارجي.

بالإضافة إلى ذلك، لديَّ موهبتان يمكنني بحق الادعاء بهما. أولًا، إذا أُعطيت قلمًا وورقة، فإنني أستطيع استنساخ أي شيء رأيته بدقة معقولة. وثانيًا، إذا نظر الناس إلى ما وراء واجهتي المتواضعة وبدون التحيز لأنفسهم، سيلاحظون ذهني الفطن والتحليلي، الذي يمنحني موهبة للمراقبة الهادئة.

لديَّ أيضًا ميزة أكيدة أخرى: تعاطفي مع أولئك الذين يعيشون في ظروف صعبة. فرغم كل شيء، أنا أعرف ما يشعر به المرء عندما يكون وحيدًا وليس لديه إمكانات.

بينما كنت أسير في الممر، أحسست بانقباضة في قلبي. وشعرت بوخزٍ في ذراعي. فهناك شخص ما أو شيء ما جذب انتباهي.

t.me/yasmeenbook

لففتُ جسدي بسرعة، متوقعةً أن أواجه متطفلًا أو مصدر توتري.

كنت بمفردي، لكنني اعتقدتُ أنني سمعت صوتًا يناديني.

دخلت الصالون ووجدته خاليًا، باستثناء رائحة التبغ في الهواء. تحركت إلى النافذة، مزعجةً بذلك بيلوت الكلب النيوفاوندلاند الخاص بزوجي.

لم يكن هناك أحد.

شعر بيلوت بقلقي، وقام من فراشه، ودفعني بأنفه البارد والرطب.

تتبعت اللون الرمادي في أنفه الرطب، وسألته: "هل ترى شخصًا أو شيئًا يا صديقي العزيز؟ كلا، لا أتصور ذلك".

لا يمكن أن يكون هذا سوى خيالي. في الآونة الأخيرة، كان هناك شعور غير مريح في داخلي. حاليًّا، هو شعور غامض، ولكن مُلح. هززت رأسي للتخلص من هذه الأفكار. فلم يكن هناك أي سبب للقلق. لا شيء. فقد كان نيد في سريره. وكانت هيستر هناك معه. وكانت ليا، خادمتنا المتعددة المهام، وكوك تثيران الضجيج في المطبخ. يمكنني رؤية إدوارد والسيد كارتر من خلال النافذة من حيث أقف أنا. التفت إلى الجهة الأخرى، وراقبت السيدة فيرفاكس وهي تعاني مع الباب الأمامي، الذي كان ثقيلًا في الفتح وأكثر صعوبة في الإغلاق؛ فالطقس الماطر الأخير قد أدى إلى انحراف إطار الباب.

t.me/yasmeenbook

ذهبتُ إليها... وبإضافة وزني إلى وزنها، تمكّنا من إغلاقه. فخطت جانبًا، وقالت: "أعطاني السيد كارتر هذه عندما نزل من عربته، بارك الله فيه، لتذكّرهُ ببريدنا".

قلتُ بابتسامة: "نعم، دائمًا ما يفعل ذلك".

لوحت لي الخادمة برزمة كبيرة من الرسائل التي قد جلبها الدكتور من متجر ميلكوت المعيّن كمكان تسليم البريد، وكان اسمي "جين إير روتشيستر" قد كُتب على بعض الرسائل.

انتشرت رائحة زنبق الوادي حولي عندما وضعت السيدة فيرفاكس يدها اللطيفة على ذراعي، وهي تقول: "سوف تشغلك هذه الرسائل ساعات طويلة، يمكنني التعامل معها بالنيابة عنك، أو مساعدتك في اختيار طريقة الرد المناسبة".

وضعتُ البريد بثبات تحت ذراعي، وقلت: "شكرًا لك، لكن لديك عمل آخر لتقومي به. سأهتم بهذه الرسائل. سأذهب لمراجعتها مع السيد روتشيستر. سيمنحنا ذلك مهمةً لإنجازها. والآن حان وقت مواجهة الطبيب".

منحتني السيدة فيرفاكس ابتسامتها اللطيفة، وقالت: "مهما كان تشخيص الطبيب الجيد، أنا واثقة أنك والسيد روتشيستر ستواجهانه معًا. إن العبء على عاتقه يتقلص لأنه يقاسمه معك".

"نعم". ومع ذلك، تجمدت قدماي عن الحركة. بقدر ما كنت أعلم أنني يجب أن أذهب وأرحب بالسيد كارتر، وجدت

شجاعتي تتلاشى. ومع ذلك، كان عليّ أن أسمع تشخيصه. كان عليّ أن أعرف الحالة الصحية لزوجي.

"هل يجب عليّ توجيه (ليا) لجلب الشاي حتى تقومي بالضيافة؟"؛ ذكرني اقتراح السيدة فيرفاكس بمسؤولياتي، حيث إن جميع زوارنا يسافرون طويلًا للوصول إلينا. وعليه، تنص آداب الضيافة على أن نقدم لهم المشروبات.

"نعم، بالطبع. الشاي. سيساعد إذا... إذا كانت هناك أخبار سيئة". لم أكن قلقةً على نفسي. كنت قلقة على زوجي الذي يشعر بشدة بالقيود التي يفرضها عليه مرضه.

قاطعت السيدة فيرفاكس أفكاري بقولها: "جين، استمعي إليّ. أنتِ تحبين السيد روتشيستر وهو يحبك. لا شيء مما سيقوله الطبيب يمكن أن يغير ذلك. ستجلبين له العالم إذا اقتضى الأمر يا فتاتي العزيزة".

لما رأت أنني لست مقتنعة، أمسكتني من كتفي، وقالت: "أنتِ أقوى مما كنتُ أعتقد عندما التقيتُكِ للمرّة الأولى. كنتِ حينها فتاةً صغيرةً، لم تذق طعم الحب بعد، ولم تكن واثقةً من مكانها في هذا العالم. منذ ذلك الحين، لقد نجحتِ في فتح قلب السيّد روتشيستر والفوز به. إن إدوارد فيرفاكس روتشيستر لم يعد الرجل الكئيب والسيّئ المزاج الذي عرفتُه في السابق. بصرف النظر عما سيتنبّأ به الطبيب، لقد حققتِ معجزة. لماذا تشكّين في نفسكِ الآن؟".

عانقتُ المرأة الكبيرة وردت بالتربيت على كتفي، وهي تقول: "اذهبي إلى زوجكِ. سأنضم إليكِ قريبًا".

كانت على حق. إنه الشخص الذي كان سيدّي، والآن يحبني بوصفه زوجي. أليس من المفترض أن أفرح بهذا؟ أليس من رغبة كل نفس حيّة أن تُحَب؟

لقد أحببت إدوارد بعمق. ومن ضمن تعهدات زواجنا، تعهدت بأننا سنواجه أي عقبات معًا. هذا ليس سوى تحدٍّ آخر. توقفت لجمع أفكاري. بصرف النظر عما سيحدث، سأجعل الطريق القادم أكثر سهولة لـ إدوارد. سأدير الأمور. كلا، كلانا سندير الأمور معًا.

لم أكن وحدي في رغبتي في مساعدته. يمكنني الاعتماد على السيدة فيرفاكس لمساعدتنا. هذا على الرغم من أنني لا يمكنني دائمًا الاعتماد على قدرتها على كبح لسانها. في الآونة الأخيرة، أثناء وجبة العشاء، أعلن إدوارد عن خطط لإعادة بناء قصر ثورنفيلد، على شرف نيد.

رفعت السيدة فيرفاكس يديها بذهول متسائلة: "إعادة بناء ثورنفيلد؟ المكان في حالة خراب. إنه ليس سوى حطام محترق. وتسكنه الغربان والبوم".

صحيح، ولكنها قالت ذلك بقسوة. أخذتُ أنفاسًا عميقة. في بعض الأحيان تتجاوز السيدة فيرفاكس الحدود. عندما

كنا نعيش في ثورنفيلد، كانت تتناول طعامها في غرفة الطعام الخاصة بها. ولكن في فيرندين، ندعوها لتناول العشاء على مائدتنا، وهذا يمنحنا بعض المزايا والسلبيات. في مثل هذه الأوقات، كان رأيها غير مسوَّغ وغير ضروري.

"سيتعين عليك التخلص من الحشرات وتنظيف الأنقاض والبدء من الصفر".

قال إدوارد: "أنا مصمم على ذلك"، وتابع تناول فطيرة الحمام الباردة.

قالت: "سيستغرق ذلك منك سنوات". ولم تفارق فطيرتها.

"أعتقد أنكِ على حق".

ولاحقًا، انتحت بي جانبًا، وقالت: "سيضيع ثروته على ذلك البيت".

"ربما، ولكنها ثروته ومن حقه أن يضيعها كيفما يشاء".

وعندئذ حان دورها في التنهد، وسألت: "أنت تدعمينه في هذا؟".

"أدعمه في أي شيء يجعله سعيدًا. هل لاحظتِ كيف دبت الحياة في وجهه؟ وكيف كان صوته متحمسًا؟ إذا كانت إعادة بناء ثورنفيلد ستعيد له الشعور بالسيادة، فأنا شخصيًّا سأقود العربات لنقل الأحجار من المحجر".

t.me/yasmeenbook

بعد ما سمعت هذا الكلام، ضحكت، وقالت: "أنتِ نصفه الآخر. أقسم إنني لم أر شخصين متناغمين بهذا الشكل. بارك الله لكما، ورزقكما العديد من السنوات السعيدة معًا".

كان زواجنا يشتمل على المساواة الحقيقية. فقد قدّر بعضنا آراء بعض، حتى عندما اختلفنا. كانت نقاشاتنا تمنحنا ساعات كثيرة من المتعة. في الواقع، إن مساواتنا الفكرية جزء مما دفع إدوارد لطلب الزواج مني. لقد سئم من النساء السطحيات اللائي كن يكررن آراءه، أو اللاتي لا يقترحن أي آراء خاصة بهن. وبالنسبة لرأيي في منزل ثورنفيلد، فأنا أفتقده كمكان مميز، وأدين له ببعض المشاعر العاطفية منذ أن التقيت بـ إدوارد هناك. الأهم من ذلك، أراد زوجي مشروعًا يُشعل شغفه ويمنحه هدفًا. يمكن لإعادة بناء قصر العائلة منحه ذلك، ويضمن لزوجي أن يترك لابنه إرثًا ملموسًا.

على الرغم من دعمي خطط زوجي في إعادة بناء القصر، فإنني يجب أن أعترف: أنا سعيدة هنا في فيرندين. فالعزلة تناسبني، ومزاجي أكثر بهجة من أي وقت مضى. لقد لاحظ كُلّ من السيدة فيرفاكس وإدوارد كم أنا مبتهجة. لقد غيرني الزواج والأمومة للأحسن. بالتأكيد، أصبحت أكثر جرأة. تلك الجرأة التي كانت دائمًا في داخلي تجد متنفسًا يوميًّا تقريبًا.

على الرغم من شعوري الجديد بالثقة بالنفس، لم تكن لديَّ رغبة في مغادرة هذا المكان النائي والمختبئ جزئيًّا. فانعزالنا

t.me/yasmeenbook

عن (ميلكوت) يعزلنا عن جيراننا. هذا ملائم بالنسبة لي. كان إدوارد قد أقسم إن شهر العسل الخاص بنا سيضيء حياتنا بأكملها. "طالما أننا معًا، فلسنا بحاجة لصحبة أحد".

ولكن وصول نيد غيَّر كل شيء.

بينما لم أكن مُقدرة للمجتمع من قبل، بدأت أرى قيمته مؤخرًا. سيحتاج نيد لمصاحبة أطفال آخرين كلما كبر. في بعض الأحيان، كنت أدرك أنني يمكنني أن أستفيد من التحدث مع أمهات أخريات. وعلى الرغم من أن إدوارد يدعي أن تواصله معي كافٍ تمامًا بالنسبة له، فإنني شعرت بأن إدوارد يفتقد مصاحبة الآخرين، وخاصة الرجال الآخرين الذين ينخرطون في شؤون المدينة وسياساتها.

قال إدوارد: "الاقتراب من ميلكوت يوفر العديد من المزايا يا جين، إحداها هي توفر مجموعة أكبر من الخدم للاختيار من بينهم للتوظيف".

حاليًّا، تتولى ليا مهام خدمتي الشخصية وتنظيف المنزل والمساعدة في المطبخ. كانت ماري وزوجها جون مع إدوارد منذ صغره، لكن الزمن قد أنهكهما، خاصة في الشتاء القاسي. وتأتي امرأة تسكن على بُعد مزرعتين كل يوم اثنين لغسل ملابسنا. المُربية، هيستر موتون، نشأت هنا، وعائلتها تزرع أراضي روتشيستر منذ ثلاثة أجيال. أحد إخوتها، نحميا، يعمل بدوام جزئي حارسًا لإصطبلنا. والآخر، جوزايا، الذي

أراه بشكل عابر فقط، يقال إنه من أحسن الأشخاص تقييمًا للأحصنة في دار العبادة. في بعض الأحيان، يساعد هو أيضًا في الاعتناء بالخيول.

على الرغم من أننا لم نعترف بهذا، فإنه كان هناك سبب أكبر وأكثر شؤمًا يدفعنا للعيش قرب المدينة: فموقعنا يجعل من الصعب على الطبيب السيد كارتر فحص إدوارد دون القيام بزيارة خاصة.

كان إدوارد بحاجة لفحص دوري بسبب إصاباته.

خارج النافذة، جلس زوجي بصلابة على مقعد خشبي، بينما كان السيد كارتر يمرر أصابعه بتأنٍّ على جبين مريضه، يتتبع ويفحص الندبات الواضحة بعناية. وضع الطبيب سلسلة من البطاقات وطرح على إدوارد أسئلة، وكل إجابة يقدمها إدوارد كان يصيب بها الطبيب بخيبة أمل واضحة. تسلط الضوء حولهما في لوحة مؤلمة فيها المريض المتفائل والطبيب المحبط.

رفعت عيني بسرعة لكبح دموعي، وحاولت تهدئة نفسي. لن أسمح لنفسي أن أُشعر إدوارد بقلقي الشديد عليه. بالنسبة لي، فإن فقدان بصره كان مجرد عائق، ولكن بالنسبة له، فإنه حكم بالسجن المؤبد. لا يمكن أن تكون زنزانة السجن في نيوجيت أكثر تقييدًا له من فقدان بصره. بدأت الرؤية الضعيفة لـ إدوارد تحد من أنشطته بطرق تجعله يعتمد على الآخرين.

كم أصبح زوجي مختلفًا عما كان عليه عندما التقيت به لأول مرة! فالمشكلات التي تحملناها صقلت شخصيته، تمامًا كتأثير الطبيعة على الصخر.

إن إدوارد فيرفاكس روتشيستر الذي استقبلني لأول مرة بوصفي مربية لابنته كان بدنيًّا سليمًا، ولكنه كان يحمل آثارًا غير سعيدة لرجل عانى العديد من الظلم.

لم يتحمل والده فكرة تقسيم ممتلكاته وتَرْك جزءٍ عادلٍ لـ إدوارد، الابن الأصغر بين ولديه. ومع ذلك، لم يستطع السيد روتشيستر العجوز تحمل فكرة الوريث الفقير، لذلك خدع هو وابنه الأكبر، رولاند، إدوارد للزواج من فتاة وريثة عائلة جامايكية، وهي امرأة تتصف عائلتها بالجنون. ومع مرور الوقت، عرضت بيرثا ماسون روتشيستر جميع جوانب الجنون الجسيمة؛ ما دفع إدوارد البالغ من العمر واحدًا وعشرين عامًا إلى حافة اليأس، حتى إنه فكر في إنهاء معاناته، لكن الأمل أبقى على يده، وأعاد إحياء إرادته في الحياة. بدلًا من الموت، هرب إلى أوروبا؛ حيث كان يتنقل من عاصمة إلى أخرى لمدة عشر سنوات، باحثًا عن رفيقة روح، لكنه لم يجدها أبدًا.

أكدت إحدى محبوباته، راقصة الأوبرا الفرنسية المعروفة باسم سيلين فارينز، أنه والد طفلتها. وعلى الرغم من أن الحسابات اليسيرة دحضت نسب أديل له، فإن معاناة الفتاة الصغيرة حركت إدوارد بدرجة كافية لدرجة أنه عندما تخلت عنها والدتها أحضر أديل معه إلى إنجلترا.

t.me/yasmeenbook

توفي كل من السيد روتشيستر العجوز ورولاند تاركين قصر ثورنفيلد لـ إدوارد، لذلك وضع هناك أديل الصغيرة والسيدة فيرفاكس، بالإضافة إلى خادمه المخلص جون وزوجته جون ماري. قام أيضًا بحبس بيرثا ماسون في العلية، حفاظًا على سلامتهما، واستأجر ممرضة للاعتناء بالمرأة المجنونة.

"هذا، بالطبع، كان سر ثورنفيلد، سر لا يعرفه أحد سوى إدوارد والممرضة. وكان هذا عبئًا يحمله إدوارد، وسببًا للألم الذي شعر به كل يوم في حياته".

أراد أن يفعل الأصلح لـ أديل، لذا أوصى السيدة فيرفاكس بتوظيف معلمة للفتاة.

وهكذا وصلتُ إلى قصر ثورنفيلد، ودخلتُ حياة الرجل الذي كان سيدي والآن هو رفيقي. وهو يقسم أن محبتي حوَّلت روحه من مقبرة إلى ملاذ آمن. بوجودي بجانبه، يستطيع أن يكون أكثر لطفًا مع العالم.

لقد ساعده حبي.

وصلنا إلى نهاية سعيدة لرحلتنا، ولكن دفعنا الثمن باهظًا طوال الطريق إلى هنا. لا أعتقد أن معظم الناس، حتى إن حسدونا على حظنا السعيد -ابننا المعافى، وزواجنا السعيد، وثروتنا المادية- سيختارون تحمل ما اضطررنا إلى مكابدته. ولن ينجوا من الحرمان الذي تعرضت له في بيئة المدرسة الداخلية القاسية، أو مما تعرض له إدوارد في الزواج الأول من

t.me/yasmeenbook

امرأة مجنونة. ربما حتى ينظرون إلى وضعنا الحالي -عزلتنا، المصيبة التي ألمت بنا، وإصابات إدوارد، بما في ذلك عماه الوشيك وفقدانه إحدى يديه- ولا يرون سوى مستقبل خالٍ من النور والأمل.

لكنني رأيت إمكانات رائعة، رأيت بدايةً مشرقة جعلتني ممتنةً وسعيدة عندما تأملت مستقبلنا... مستقبلًا سنجتازه معًا.

قال إدوارد عندما أمسك ابننا لأول مرة بين ذراعيه: "هذا الطفل هو نعمة الله لنا، أنتِ يا زوجتي العزيزة سبب خلاصي؛ حيث كنت سابقًا أشك، ولكن الآن أنا أومن. الكون تحكمه روح طيبة، سمِّها ما شئتِ. يا للمعجزة التي تجلت من حطام حياتي!".

نعم، ابني وزوجي كانا كالشمس والأرض، وأنا القمر السعيد المعلق بينهما.

سأل إدوارد في أثناء سيري في الممر: "جين؟ هل هذه أنت؟"، على الرغم من عدم وضوح رؤيته، كانت هناك تعويضات. لقد أصبحت حاسَّة السمع لديه حادةً للغاية.

"نعم يا سيدي".

خرجتُ من المنزل المظلم إلى الحديقة المشمسة. ورائحة الورود البرية تعُمُّ أرجاء الحديقة. والنسيم الخفيف يعبث بشعر إدوارد الداكن الأشعث. لم يكن رجلًا وسيمًا، ولكن لا يزال قلبي يذوب كلما رأيته.

t.me/yasmeenbook

"تعالي انضمي إلينا يا جين. ألست رجلًا محظوظًا يا كارتر؟ كم هي رائعة! هل هذه أشعة الشمس التي أشعر بها على وجهي أم توهج زوجتي المحبوبة؟"، ومد إدوارد يده، وأمسك بيدي بإحكام. إن إدوارد لا يهتم مَن يرى محبته لي. في الواقع، أعتقد أنه يتباهى بإظهاره للجميع أننا أخيرًا متزوجان.

أعترف أنني كُنت زوجةً محبوبة. كان إدوارد يأخذ مهامه كمعلم لي في فن الحب بجدية. لم يمكن لخدماته اللطيفة إلا أن تلهب عواطفي . "يجب أن تفلت يدي يا زوجي العزيز. أفلت يدي حتى أصب لك فنجان شاي آخر. طاب يومك سيد كارتر. هل تريد شايًا أنت أيضًا؟".

"شكرًا لك على إحضار بريدنا". وأخذت مجموعة الخطابات التي أعطتني إياها السيدة فيرفاكس.

ضحك السيد كارتر، وقال: "التوصيل للريف سيتحقق يومًا ما يا سيدة روتشيستر، وستحصلين على بريدك يوميًّا على باب منزلك. سترين ذلك!".

وضعت الرسائل جانبًا. فيمكن للرسائل أن تنتظر، لكن السيد كارتر لا يمكن أن ينتظر. كانت خدماته مطلوبة جدًّا. "كيف هو الوضع اليوم يا سيدي؟".

"كنتُ أتمنى أن يكون لديَّ أخبار أفضل لك. ولكن نظر السيد روتشيستر مستمر في التداعي". وجه الطبيب نظره مباشرة لفنجان الشاي الذي يحمله بدلًا من النظر إليّ أثناء

المحادثة. إنها لعبة يلعبها دائمًا. يحاول السيد كارتر إخفاء أسوأ الاحتمالات علي ، وأنا بدوري أعمل بجد لاستخراجها منه. إنه يعتقد أنني حساسة جدًّا وأصغر من أن أتحمل هذه المحنة. أعتقد أنه يستخف بي، في الواقع، أنا أعلم أنه يفعل ذلك. إنه خطأ شائع.

"هل أنت واثق؟ أليس هناك ما يمكنك فعله؟".

"لقد فعلت كل ما في وسعي، لكنني أنصحك بعدم الاستسلام لليأس. أقترح على السيد روتشيستر زيارة طبيب عيون في لندن. لقد وجدت واحدًا لديه نسب نجاح مذهلة".

"سنحزم أمتعتنا على الفور!".

قال إدوارد وهو يضع يده على ركبتي: "ليس الآن يا حبيبتي، يعتقد كارتر أنه يجب علينا الانتظار، وأنه إذا حصلت على قسط كافٍ من الراحة فقد تتحسن حالتي، سيكون طبيب العيون الخيار الأخير".

قاطعنا كارتر قائلًا: "بل أكثر من ذلك، إنني أوصي بوضع الضمادات الساخنة مرتين يوميًّا وعدم القيام بأي نشاط مجهد لعدة أيام على الأقل".

حاولت التحلي بابتسامة، وأن أبدو مبتهجةً. بدلًا من ذلك، سمعت نفسي أثرثر مرارًا وتكرارًا. "لذا يا زوجي يجب أن تسمح لي بأن أكرس نفسي لك ولراحتك. سأبدأ بتسخين

الشاي الخاص بك وتقديم الكعكات. وأنت سيد كارتر، هل أقدم لك المزيد من المشروبات أيضًا؟".

"سيكون ذلك من دواعي سروري، لكن لا يمكنني البقاء طويلًا. أحتاج إلى الإسراع في السير باتجاه ميلكوت. الابن الأصغر لعائلة فاروس أصيب بالتهاب الحنجرة. إنه ينتشر في الريف بسرعة ما يُصعِّب عليَّ السيطرة عليه. لقد وعدتهم بأنني سأمر عليهم في أثناء عودتي إلى المنزل". ونظر عابسًا إلى السماء وأكمل: "ربما سأضطر للمبيت الليلة معهم، يبدو أن العاصفة تقترب. عندما تغطي الغيوم القمر، تكون الطرق مظلمة جدًّا بحيث يتعذر على مسافر بمفرده السفر بأمان، خاصة مع وجود قطاع الطرق".

عندئذ انتقل ذلك الحديث من الطقس إلى السياسة. وفي نهاية المطاف، أدى ذلك إلى مناقشة محاكمة الزنى المستمرة للملكة كارولين، زوجة الملك جورج الرابع، الذي تولى العرش بعد وفاة والده في يناير الماضي.

قال السيد كارتر محركًا رأسه باستنكار: "الجماهير مؤيدة لها. فرغم كل شيء، كان ملكنا أكثر الأمراء فجورًا".

لم يعتقد الكثيرون أن الملكة كارولين بريئة، ولكن بما أن زوجها كان يمارس علاقاته غير الشرعية بصورة علنية، وجد الكثيرون صعوبة في إلقاء اللوم عليها للبحث عن الراحة في علاقات أخرى. حتى على بعد هذه المسافة من لندن، كانت

تنقلاتها اليومية إلى المحكمة تثير الشفقة بين الناس.

قال زوجي "إنه أمر مخزٍ كيف عاش الملك حياة مليئة بالمتعة والإفراط، في حين أنَ كثيرًا من مواطنيه يموتون جوعًا بسبب انخفاض أسعار الذرة. عامة الناس يتعاطفون معها وينبذونه وذلك سبب وجيه".

تغير موضوع الحديث إلى المحاصيل، وتغير مجرى الحديث. فرزت البريد واستمعت بعناية إلى السيد كارتر وهو يتحدث بحزن عن الحالة العامة للمزارعين في المنطقة؛ حيث كان الفقر شائعًا في المقاطعات ويشكل مشكلة حقيقية. يخشى أصحاب الأراضي المحليون من اندلاع ثورة تشبه تلك التي عانتها فرنسا، لذلك يجتمعون بانتظام لتبادل وجهات النظر ومحاولة إيجاد طرق للحد من البطالة والاحتقان العام.

سألني إدوارد بعد لحظة: "هل هناك رسالة من أديل؟"، وربما كان يبحث عن بعض الراحة من هذه الأخبار المحبطة.

"أنا أبحث، بالتأكيد هذه المجموعة من الرسائل ستشمل رسالة منها".

لفترة قصيرة قبل زواجنا، تعرضت لظروف غير سعيدة ما دفعني للابتعاد عن إدوارد. بسبب غيابي، تركتُ الفتاة التي كانت في ذلك الوقت تبلغ ثمانية أعوام دون معلمة خاصة بها. ونظرًا للطبيعة الدرامية المفرطة للفتاة وتربيتها الفوضوية في السابق، قرر إدوارد أن تستفيد من تعليم إنجليزي تقليدي.

وطلب توصيات من أصدقائه، فاقترحت السيدة لوسي بريتون، زوجة أعز صديق لـ إدوارد الكابتن أوغستوس بريتون، مدرسة ألدرتون هاوس للفتيات في لندن.

بعد ما اجتمعنا أنا وإدوارد، لم يكن لدينا وقت كافٍ لإحضارها من لندن قبل الزفاف الذي أجريناه على عجل أمام رجل دين وكاتب، دون إخبار جون وماري إلا بعد ما انتهى الأمر. لم يعجبني التضخيم والاهتمام الزائد؛ فقد كان يناسبني أن أتزوج بهذه الطريقة. وبعد ذلك، أرسلنا إشعارًا بزواجنا. وردتنا عدة رسائل تهنئة لطيفة من أصدقاء عمل إدوارد، ورسالة تعبير عن السعادة بسبب هذه المفاجأة السارة من ابنتي عمتي ديانا وماري ريفرز، ورسالة مليئة بالحماس من لوسي بريتون تطلب منا، كزوجين حديثي الزواج، القدوم إلى لندن لزيارتها "طوال الموسم".

اهتممنا بشكل خاص برسالتنا إلى أديل؛ حيث شرحنا لها وضعنا الجديد وأكدنا على محبتنا لها، كما خططنا لزيارتها في أقرب وقت ممكن.

كما قمنا بإرسال رسالة إلى مشرفة المدرسة، السيدة ويبستر، وردت علينا تلك الإنسانة ذات القلب الطيب معبرةً عن أمنياتها لنا بالعديد من السنوات السعيدة.

على الرغم من أننا كنا نعتزم زيارة أديل مباشرة بعد زفافنا، فإنني حملت في غضون أيام قليلة. إن تعقيدات حالتي

الصحية، بالإضافة إلى التقلبات المتكررة بسبب الحمل، جعلت السفر مستحيلًا، على الأقل في الأشهر الأولى. وقبل أن ندرك، كان الشتاء القاسي قد حل علينا. وتراكمت الثلوج العالية على الأبواب. وأصبح الطريق إلى فيرندين، الذي كان دائمًا تحديًا صعبًا، لا يمكن المرور فيه. لقد كنا محبوسين في المنزل طوال فصل الشتاء، وقضينا الأيام الطويلة والمظلمة متجمعين أمام المدفأة. وعلى ضوء الفحم الخافت، كنتُ أقرأ لـ إدوارد وأحيانًا للسيدة فيرفاكس بينما كانت إبر الحياكة تصدر صوتًا ثابتًا يصاحب صوتي. وكانت رائحة الدخان الحلوة من الحطب المحترق على الموقد تضفي أجواءً لطيفة إلى أمسيتنا، وتجعلني أتذكر رائحة البخور في دار العبادة.

هذه الفترة من العزلة القسرية كانت نعمة؛ حيث ما زال إدوارد يعاني آثار الحريق، ولكن وجوده النبيل رغم التضرر يذكرني بشجرة البلوط المهيبة في ثورنفيلد التي شُطرت تقريبًا إلى شطرين بسبب صاعقة رعدية. وعلى الرغم من الضرر، نجت الشجرة، وأزهرت بحذر فرعًا تلو آخر كأنها تختبر قوتها، حتى نجحت في النهاية في إنتاج غطاء من الأوراق الخضراء الزاهية، وهذه نتيجة مرضية تمامًا. لم تعد شجرة البلوط كما كانت، ولكن شكلها الجديد لا يزال يثير إعجابي بمثابرتها وحيويتها.

خلال ليالي الشتاء الطويلة، كبر بطني، وازدهرت روح إدوارد، محملةً بالتوقعات والترقبات. وببطء، شفيت ذراعه المشوهة، وكذلك عينه المتبقية، ولكن رؤيته لم تتعافَ تمامًا.

t.me/yasmeenbook

لحسن الحظ، ذابت آخر ثلوج الشتاء، وأصبحت الطريق قابلة للمرور في الوقت المناسب لحضور القابلة أثناء ولادتي. وُلد نيد معافًى ووردي اللون، بأطراف صغيرة ممتلئة ومثالية، ولكن الولادة كانت شاقة، وبعد ذلك، استغرقت وقتًا طويلًا لاستعادة نشاطي السابق. لا تزال الأشهر تمر ويكبر نيد ويزداد جمالًا، وعلى مدار الصيف، عادت الدموية إلى عروقي، وبدأ شعري يلمع من جديد، ولم تعد ملابسي فضفاضة عليَّ. وأعلن السيد كارتر في حضور زوجي أنني بصحة جيدة، لكن الطبيب حذرني سرًّا بأن عليَّ اكتساب بعض الوزن. فقال وهو يرفع إصبعه في وجهي: "أنتِ نحيفة جدًّا سيدتي، يجب عليكِ تناول المزيد من الطعام وتناول الوجبات بانتظام".

طوال فترة نقاهتي، أرسلت رسائل إلى أديل، موقعة باسمي، وطلبت من إدوارد التوقيع باسمه أيضًا. لكن منذ ولادة نيد، أصبحت ردودها محيرة! ولم ترسل أي تهنئة، ولم تبدُ متحمسة لمولد طفلنا.

"أخشى أن الفتاة قد أتقنت فن العبوس الفرنسي. تعلمت ذلك على يد والدتها"، كان هذا ما قاله إدوارد تلخيصًا للموقف. وعلى الرغم من أننا قمنا بالتظاهر بعكس ذلك، فإننا حزنّا لذلك.

مرت العديد من الأسابيع منذ آخر رسالة لها. كانت كل مراسلاتها مخيبة للآمال. كنا نريد أخبارًا توضح كيف تسير

حياتها، وتعكس شعورها بالبهجة والدراما. بدلًا من ذلك لم نكن نتلقى أي شيء سوى جملة أو جملتين مهترئتين، وعادة ما تكون تقريرًا عن حالة الطقس ووصفًا مملًا لما تدرسه. كانت الرسائل تفتقر لحماس أديل المعتاد. في الواقع، كانت كل الرسائل تشبه إلى حد كبير بعضها بعضًا، حتى بدأت أشك في أن الفتاة كانت تنسخ درسًا من السبورة بدلًا من كتابة رسالتها الخاصة لنا.

لحسن الحظ، كانت السيدة بريتون تزور أديل بشكل متكرر، وكانت رسائلها الممتعة تفيض بما كانت تبدو عليه الفتاة، وما هي الأغاني الجديدة التي تفضلها، وما إلى ذلك.

كل دفعة جديدة من الرسائل كانت تملؤني بالأمل بأن أديل ستهنئنا بمولد نيد، وكل مرة كانت تترك قلبي يتألم من الخيبة. لم تهمني القصيدة الجديدة التي حفظتها أو الترنيمة التي يمكنها ترديدها عن ظهر قلب. بل أردت أن أعرف المزيد عن مشاعر أديل. كنت أحب هذه الفتاة الفرنسية الصغيرة -كيف لا أفعل، وأنا أرى كيف أن وضعها يشبه إلى حد كبير وضعي في السابق- وكان الوقت الذي قضيته دون التواصل معها هو إحدى أصعب فترات حياتي.

أخذت أتفحص الأوراق بحثًا عن خطها المألوف.

"ها هي ذي!"، فتحتها بسرعة وقرأت الرسالة بصوت عالٍ، دون الاكتراث لوجود السيد كارتر:

t.me/yasmeenbook

عزيزيَّ السيد والسيدة روتشيستر،

أنا أدرس بجد. وأؤدي صلواتي كل يوم وليلة. أتعلم الرياضيات الابتدائية. لقد تحسنت لغتي اللاتينية والإيطالية. ولأن لدينا مدرسًا جديدًا للغة الألمانية؛ لذا آمل أن أتقنها.

مخلصتكم،
أديل فيران.

سأل إدوارد: "هل هذا كل شيء؟".

حدقت إلى الخط السطحي قبل أن أقلب الرسالة على جانبها. تتبعت الحروف باستخدام إصبعي كمؤشر على أمل أن أستطيع استنتاج الكلمة المكتوبة عبر الرسالة القصيرة، وهي طريقة للتواصل كنت أستخدمها بنفسي في السابق لتوفير التكاليف البريدية.

بعد فحص دقيق، تمكنت من فهم عبارة واحدة باللغة الفرنسية مكررة ثلاث مرات:

"Au secours! Au secours! Au secours!". وترجمتُها "النجدة! النجدة! النجدة! إنها تطلب النجدة!".

تحدث إدوارد ببطء قائلًا: "كانت دائمًا طفلة ذات خيال خصب".

t.me/yasmeenbook

"هذا صحيح". لكن هذا العذر يبدو غير مقنع بالنسبة لي. ومع ذلك، أردت تصديقه. "هل تتذكر كيف كانت تتظاهر بالمرض عندما كنتُ أحدد لها ترجمات لاتينية؟ إنها فتاة مشاكسة جدًّا".

قال زوجي ذلك متأملًا: "لقد أملتُ أن تجعلها هذه المدرسة تتصرف أكثر... كبريطانية. ولكن رغم ذلك، فهذا لا يشبهها".

أقر السيد كارتر قائلًا: "الرسالة تبدو يائسة للغاية".

قلتُ: "هناك المزيد". وتطايرت قطعة من ورق الألوان المائية على الأرض عندما فتحتُ رسالتها. فقلت: "ربما تمنحنا هذه تفسيرًا أكبر".

ولكن هذه القصاصة البائسة جعلت الوضع أسوأ؛ حيث كان مكتوبًا عليها: "اللعنة على روحك القذرة، ستموت! سأتيقن من ذلك! تحياتي!".

جلس ثلاثتنا في صمت وذهول، ثم التفتُّ إلى زوجي وقلت: "يجب أن نذهب إليها على الفور!".

t.me/yasmeenbook

t.me/yasmeenbook

الفصل ٢

"هل هدد شخص ما أديل؟ هذا أمر يصعب تصديقه، ولا يمكننا تجاهله. لم يعد هناك أطفال أبرياء مثل أديل على هذه الأرض". ضرب زوجي المائدة بقبضة يده. وتراقصت الأكواب وسقطت الملعقة على الأرض. وسأل: "أي طفل هذا الذي يمكن أن يكتب هذه الرسالة القذرة وهذا التهديد الخسيس؟".

تأملت لحظة وتساءلت قائلة: "سيد روتشيستر، لست واثقة من أنها كُتبت من قبل شخص آخر. نعم الخط غير مألوف، لكن الرسالة غير مُوقعة. يمكن أن تكون هذه خدعة أو ربما هي محاولة من أديل لجذب الاهتمام، فمثل هذه الخطة ليست بعيدة عن تفكير أديل".

ما لم أقتنع به هو إمكانية أن هذه الرسالة من طفل آخر، بل هي من شخص ذي سلطة. كنت أعرف بيئة المدرسة جيدًا، سواء طالبة أو مدرسة. لقد رأيت القسوة التي تلحق بالأطفال في المدارس، وكنت أعلم أنها تنبع من مصدرين رئيسين وهما الغرور والتفوق الأخلاقي غير المكتسب؛ فالأشخاص ذوو

t.me/yasmeenbook

السلطة يُسوِّغون الاقتصادات الزائفة والإجراءات التأديبية التعسفية، كل ذلك باسم "الحفاظ على الأرواح". يتصرفون كقضاة وحكام، يستبعدون قدرة الله ليتظاهروا بها هم. وتحت أيديهم، ووفقًا لأهوائهم، يمكن للأطفال الذين ليس لديهم أحد يتحدث نيابة عنهم أن يعانوا.

كنت أعلم أيضًا أن لوسي بريتون قد رشحت لـ إدوارد مدرسة ألدرتون للبنات، لذلك كنت واثقة من أنها تُدار بشكل جيد. كانت تعرف المشرفة، السيدة ويبستر، وأثنت على شخصيتها. ومع ذلك، جعلتني رسالة أديل أتساءل.

قال إدوارد: "أعتقد أنه من الممكن أن يكون كل هذا جزءًا من مؤامرة ما".

أومأ السيد كارتر برأسه بشدة وقال: "لديَّ ابنتان أيضًا. الهمس، الخلافات، التصالح هذا ما يجعلني أنا والسيدة كارتر منشغلين. ربما الفتاة وحيدة، والرسالة الثانية هي محاولة لإجبارك على إيلاء اهتمام لها".

تحرك إدوارد نحوي وهو يحاول النظر إلى الرسائل وقال: "هل هناك أي بريد آخر؟ ربما هناك رسالة من المشرفة السيدة ويبستر؟ شيء قد يفسر استغاثة أديل؟".

"ها هي رسالة من لوسي بريتون. لم نتلقَّ منها أي خطابات منذ مدة". فتحت الورقة بسرعة، وبدأت القراءة:

عزيزيَّ إدوارد وجين،

لقد عدت من مومباي الاثنين الماضي لأجد الرسالة التي كتبتها إليكما لا تزال تقبع على خزانتي! يبدو أنني نسيت إرسالها! يا إلهي، لو لم يكن رأسي ملتصقًا بجسدي لأضعته! هل من الممكن أن تكون قد مرت ستة أشهر دون أن نتبادل الرسائل؟

حسنًا، كانت الرسالة قصيرة، لذلك سألخص محتواها. أرسل لي أوغي رسالة عاجلة يطلب فيها مني الذهاب إليه في مومباي. يبدو أنه أصيب بالملاريا ويريدني للاعتناء به. (أستطيع تخيلك تضحك على هذه السخافة يا إدوارد! ومع ذلك، بما أنه نادرًا ما يطلب وجودي، شعرت بأنني ملزمة بالإسراع والوجود بجانبه) لذلك، حزمت أمتعتي سريعًا، وأخذت أول سفينة متجهة إلى الهند.

عندما وصلت، كانت حالة أوغي قد تحسنت كثيرًا، على الرغم من أن الحمى كانت تأتي وتذهب، ما جعله يشعر بالإرهاق. على الرغم من مرض أوغي (أو ربما بسببه؛ حيث كنت حرة كالحمّى آتي وأذهب كما أشاء)، لقد استمتعت بوقتي هناك. واشتريت هدية جميلة لزوجتك الجديدة!

للتعويض عن ذلك وإعادة الثقة بيننا -فأنا حقًّا كنتُ أنوي إرسال تلك الرسالة حتى تعلما أنني خارج البلاد!- قررت زيارة مدرسة ألدرتون على الفور بعد عودتي. كانت نيتي هي إرسال تقرير كامل عن أديل لكما.

t.me/yasmeenbook

ولكن لن تصدقا هذا: عندما وصلتُ هناك لم يُسمح لي بالدخول من قِبَل امرأة كبيرة الحجم بوجه شاحب مثل الحليب المتخثر. قدمت نفسها باسم مود ثورستون، المشرفة الجديدة، فعلى ما يبدو أن السيدة ويبستر قد تقاعدت!

قيل لي إن الفتيات كن في حصصهن. أجبت السيدة ثورستون بأنني واثقة أنه يمكن لـ أديل أن تُغادر درسها لبضع دقائق دون أن تتعرض لأي كارثة تذكر في تعليمها، لكن المرأة لم تحرّك ساكنًا. وفي النهاية تراجعت، وعدت مرة أخرى في اليوم التالي في وقت مختلف. قيل لي إنه لا يمكن لـ أديل رؤيتي لأنها تخضع للتأديب. مرة أخرى، جرى نقاش حاد بيني وبين هذه المرأة ذات الوجه العكر. حتى إنني ذكرت اسم السيدة كينغسلي، مؤسسة المؤسسة، ولكن دون جدوى.

تعرفني جيدًا يا إدوارد. إحدى المرات قارنني أوغي بكلب مجنون. عندما أعتزم فعل شيء ما، فلا أتركه أبدًا حتى أقوم به. انتظرت يومين ثم سافرت مرة أخرى إلى مدرسة ألدرتون.

أخبرتني السيدة ثورستون بارتياح بأن زياراتي كانت في وقت غير مناسب. فأخبرتها بأنه إذا لم تحضر لي أديل على الفور فسأذهب إلى مركز الشرطة المحلي وأشكو. يمكنك تخيل مدى غضبها بعد تهديدي!

وأخيرًا، أحضرت لي أديل.

ولكن مظهر الفتاة صعقني. دائمًا ما كانت نحيفة، ولكن

t.me/yasmeenbook

الآن برز كتفاها بزوايا حادة. ولم تكن بشرتها الشاحبة تشير إلى صحةٍ جيدة. فسألتها عن حالتها، وأجابت: "أنا بخير. أنا سعيدة هنا. أعمل بجد لأكون طالبة جيدة". وبالطبع، كانت السيدة ثورستون تحدق فينا خلال هذا الحوار.

بعد ما أدركت أنني لن أتمكن من معرفة المزيد، قررت المغادرة، لكن قبل أن أذهب، عانقتني أديل وهمست في أذني: "أنا غير سعيدة! أين صديقي العزيز؟ اطلبي منه أن يأتي لإنقاذي!".

أقترح عليكما زيارتي قريبًا قبل فوات الأوان. أحضر عروسك الجميلة، وسآخذها إلى أفضل الأماكن في لندن!

تحياتي الخالصة،

لوسي بريتون

تحول وجه إدوارد إلى قناع من الغضب وقال: "جين، بعد هذه الرسالة، أوافقك الرأي تمامًا. يجب أن نرى هذا بأنفسنا. إذا كانت أديل غير سعيدة، فنحن بحاجة إلى معرفة السبب. إذا كانت المدرسة صارمة، فإن راحتها جزء من تعليمها. وإذا كانت تتعرض للمعاملة السيئة، فلن أسمح بذلك، أتذكر كيف كان الطلاب الأكبر سنًّا يعاملوننا نحن الأولاد الجدد في إيتون".

t.me/yasmeenbook

كنت أعرف هذه الذكريات، لقد شاركها معي. كانت أيامه في المدرسة تقريبًا بائسة ومليئة بالوحدة مثلي، باستثناء الصداقة التي تكونت بينه وبين أوغستوس بريتون. كان الاثنان في ترتيب الابن الثاني لعائلاتهما، فلم يكن لديهما دعم أو توجيه وتم تركهما ليعتمدا على نفسيهما. وتحملا جميع أنواع الإهانات، وعلى رأسها العقوبات غير المسوَّغة التي كانت تهدف إلى إيذاء الروح بالإضافة إلى ترك علامات دموية على الجسم.

قلت عندما استعدت السيطرة على نفسي: "نحن نقصد زيارة أديل، ورؤية لوسي بريتون في لندن. هذا فقط يزيد من أهمية سرعة تنفيذ خططنا"، ومن ثم وضعت الرسائل في جيبي.

لا يمكن تجاهل معاناة أديل، لكن بالنسبة للتهديد، قد يكون خلافًا يسيرًا بين فتيات المدرسة تم تضخيمه إلى مدًى كبير. ربما كتبت أديل رسالة التهديد الثانية بنفسها، كوسيلة للتحقق من استجابتنا الفورية. وإذا كان الأمر كذلك، فسأحاول كشف السبب الذي دفعها إلى الوصول إلى تلك الدرجة من الدناءة. وإذا لم يكن كذلك، فيمكنني اتخاذ الإجراءات المناسبة للتثبّت من أن يلقى الكاتب الحقيقي جزاءه.

كان السيد كارتر يتناول شايه بصمت ويأخذ قضمة من قطعة بسكويت الزنجبيل الحار الذي تقوم ماري بخبزه لنا أسبوعيًّا. "اسمحا لي بأن أساعدكما، سيكون من دواعي سروري أن آخذ السيدة روتشيستر إلى منزل الفاروز هذا المساء؛ حيث يمكننا قضاء الليلة. وفي الصباح التالي، سأقود إلى ميلكوت حيث

t.me/yasmeenbook

يمكنك أن تكوني ضيفة في منزلي حتى تتمكني من الحصول على عربة مناسبة في نقطة النقل. أعتقد أن عرباتهم تغادر إلى لندن يوميًّا، ولكنني غير ملم بجدولهم". ثم تفقد ساعة جيبه وقال: "إذا غادرنا مباشرة، فسنصل إلى منزل الفاروز في وقت العشاء".

قلتُ: "سأذهب لتجهيز أمتعتنا يا إدوارد"؛ ثم قفزت مسرعة.

قال السيد كارتر: "عفوًا سيدة روتشيستر؟ ربما أخطأتِ سماعي، إن كان يجب على أحدهم السفر على الفور، فأنا أقترح أن تكوني أنتِ يا سيدة روتشيستر، أنتِ بمفردك. كما حذرت، لا يستطيع السيد روتشيستر السفر في الوقت الراهن. إذا لم ترتح عيناك على الأقل بضعة أيام، فستفقد بصرك تمامًا".

تبع ذلك صمت مقلق؛ فقد أوضح لنا السيد كارتر حقيقة وضعنا الحالي بطريقة صادمة. وأعتقد أنه أصيب بالدهشة أيضًا من نفسه؛ لأنه كان جريئًا للغاية، ولكنه لم يكن لديه خيار آخر. لولا هذا التشخيص السيئ، لسافر معي إدوارد بالطبع.

قاطع السيد كارتر بصوت منخفض حازم: "اسمعني يا صديقي القديم. أنا أيضًا أب، سيحبك طفلك سواء رأيته أم لا. ومع ذلك، إذا فاتتك فرصة رؤية ابنك، فسوف تفوت عليك واحدة من أعظم متع الحياة. أنصحك بتهدئة هذا الطبع العنيد. يبدو أن الراحة القسرية بضعة أيام تبدو كأنها أبدية، ولكنني أعدك بأنها ليست كذلك. بالإضافة إلى ذلك، لن يكون المختص متاحًا قبل شهر آخر".

رصدتُ رد فعل زوجي لتلك النصيحة. في البداية، عبَّرت ملامح وجهه عن العواطف التي تنم عن مدى عجزه. ولكن ببطء، بدأت حكمة كلام السيد كارتر تؤثر فيه وتدفعه إلى القبول. فالسيد كارتر لم يتحدث بدافع الإساءة، بل تحدث كطبيب وصديق.

عرف إدوارد هذا، وأنا أيضًا.

عندئذ توجه إدوارد نحوي قائلًا: "يمكن لـ ليا أن تذهب معكِ".

"لا يمكن. فأختها ستلد هذا الأسبوع أو الأسبوع القادم. وقد وعدتها أن تسافر إلى هيدلي للمساعدة".

"لا يمكنكِ السفر بمفردكِ"، لم يكن زوجي يأمرني، بل مجرد بيان ما يبدو له مناسبًا.

"بالطبع أستطيع. تذكر أنني كنت في العاشرة فقط عندما وضعتني عمتي في عربة متجهة إلى مؤسسة لوود، وكان ذلك سفرًا يبلغ خمسين ميلًا".

قال السيد كارتر: "لوود! يجب أن تكوني قد نشأتِ من نسل قوي لكي تنجي من مثل هذا المكان المزري!".

وهذا صحيح. عندما تم إرسالي إلى مؤسسة لوود، وهي مدرسة داخلية "خيرية" للفتيات، كانت بالنسبة لي نعمة أن أبتعد عن عمتي الباردة وأبناء عمتي القساة، لكن المدرسة كانت مكانًا

مأسويًا، مكانًا يستغل العمل الخيري الديني كذريعة للحرمان. حاول المشرف على المدرسة، القس روبرت بروكلهيرست، تسويغ جوعنا وسوء ظروفنا المعيشية والمعاملة القاسية التي تلقيناها، بأن هذه الإجراءات ضرورية من أجل بناء شخصياتنا. وبينما كنا نجوع ونتشقق من البرد ونقوم بإصلاح الجوارب المهترئة لجعلها تدوم معنا، كانت الأموال المخصصة لرعايتنا تنفق على تلبية رغبات عائلة بروكلهيرست بشراء ملابس فاخرة وتناول وجبات فخمة وتزيين منزلهم وفقًا لذوقهم الباهظ الثمن.

انتشر وباء الحمى النزفية القاتلة في مدرستي خلال الشتاء الأول الذي قضيته هناك. وكان هذا المرض أكثر خطورة للأسف، نظرًا لسوء الظروف المعيشية والضعف العام للسكان في المدرسة. وعلى الرغم من أنني نجوت بدون الإصابة بالمرض الخطير، فإن الكثيرين في لوود أُصيبوا. ولولا تلك التضحيات البشرية، لكنا قد عانينا فترة أطول من الحرمان الشديد الذي فرضه علينا القس روبرت بروكلهيرست. لقد صدمت هذه الاكتشافات غير المرضية الأفراد الأثرياء والأناس الخيرين، الذين دفعوا لبناء مدرسة جديدة لنا في موقع أفضل، وتحسين نظامنا الغذائي وملابسنا، وإزاحة القس روبرت بروكلهيرست من منصبه الرسمي.

قالت السيدة فيرفاكس وهي تقف في ظلال الباحة إلى جانب الردهة: "يمكنني مرافقتك يا جين"، وكان دخولها الهادئ

t.me/yasmeenbook

مفاجئًا للجميع. تسلقت أفرع اللبلاب على الشبكة، وتداخلت مع الأوراق الخضراء الناعمة والأوراق الداكنة القديمة.

قلت: "شكرًا لكِ؛ هذا لطف منكِ، لكن لا، لأنهم أكثر حاجة لك هنا. في وقت سابق اليوم عرضتِ مساعدتك في المراسلات الخاصة بـ ثورنفيلد. سيكون هناك طلبات تتعلق بذلك ويجب الرد عليها دون تأخير. سيقدر السيد مهاراتك في الكتابة، وأعلم أنه لن يكون هناك أحد يعتني بـ نيد أكثر منك. مع وجودك هنا، يمكنني ترك ابني دون قلق".

كان هذا كذبًا، ونحن جميعًا نعرف ذلك. بالطبع سأقلق. فارتجف قلبي وجف حلقي. لا أريد ترك ابني ولا زوجي. لكنني لا أستطيع قبول عرض السيدة فيرفاكس؛ فالخادمة اللطيفة كانت قد تجاوزت منتصف عمرها عندما التقيت بها، وعلى مدار العام الماضي، كانت حركتها تزداد بطئًا وتحتاج لمزيد من الجهد. سيكون الذهاب إلى لندن شاقًّا، ولم أكن أرغب في رؤيتها تعاني. بالإضافة إلى ذلك، كانت معتادة على إدارة المنزل وعلى أسلوب إدوارد. ومع وجودها هنا، كنت أعرف أن كلا ولديَّ لن ينقصهما شيء.

قالت السيدة فيرفاكس: "إنها رحلة طويلة، هل أنتِ واثقة من أنكِ تريدين السفر بمفردك؟".

للحظة، تقريبًا كدت أستسلم وأقول إن الزيارة يجب أن تنتظر.

t.me/yasmeenbook

ولكن وبينما أنا واقفة هناك في الحديقة، أتأرجح بين القلق بشأن أديل والقلق بشأن ابني وزوجي، قدم لي السيد كارتر إجابة عن معضلتي؛ فقال: "زوجتي تريد زيارة لندن. يمكن أن ترافق السيدة روتشيستر من ميلكوت. يمكنهما المغادرة يوم السبت أو الأحد في المساء، اعتمادًا على ما إذا كانت السيدة روتشيستر ترغب في مرافقتنا إلى دار العبادة".

تهدل كتفا إدوارد، وتنفّست السيدة فيرفاكس الصعداء، وباستخدام يديها المتشققتين، قامت بتمسيد المئزر القطني الأبيض الذي كانت ترتديه دائمًا. وبدأ داخلي بالتخلص من التوتر ببطء.

إذًا تم حسم الأمر.

سأتفقد أديل.

وسأذهب إلى لندن.

عندما اتخذت قراري، شعرت بنشوة من الحماسة تسري بداخلي.

لندن! سأتوجه إلى لندن!

لقد سافر إدوارد في شبابه إلى عواصم أوروبا بل وأبعد من ذلك، إلى جزيرة جامايكا. يا لها من مناظر رائعة رآها! ولكنني لم أزر سوى المقاطعات المحلية.

في طفولتي، كانت كتب المغامرات هي شريكتي باستمرار. قضيت العديد من الساعات وحيدة في خيالاتي حول العالم الكبير. وبالطبع، سمعت الكثير عن لندن ومعالمها المختلفة. افترضت أن السيدة بريتون سترغب في التنزه في هايد بارك؛ حيث تذهب الطبقة العليا من المجتمع للظهور. ربما سنزور فورتنوم وماسون ونتسوق لشراء التوابل. بالتأكيد ستأخذني سيدة عظيمة مثلها لزيارة صانع قبعات حتى أتمكن من استبدال قبعتي القديمة المهترئة.

بينما كنت أفكر في هذه الخيارات، توصلت إلى إدراك سعيد، وهو أن رحلتي ستسمح لي بزيارة مكتبة هاتشاردز في شارع بيكاديلي؛ حيث يمكنني تجديد مكتبتنا واستبدال العديد من الكتب التي فقدناها في حريق منزل ثورنفيلد! وهذه الفرصة أسعدتني بشكل لا يوصف.

إن المكتبة التي كنا نستخدمها أنا وأديل كغرفة دراسة في ثورنفيلد الآن لم يبق منها سوى كومة من الرماد الخفيف. فقد ذهبت الرفوف المغطاة بالزجاج من الأرض حتى السقف والتي كانت تحتوي على أعمال أدبية خفيفة وشعر وسير ذاتية وروايات ورحلات. كم افتقدتها، وخصوصًا في الليل عندما كنت أقرأ لـ إدوارد وللسيدة فيرفاكس التي كانت غالبًا ما تغفو على صوتي وإبرتها لا تزال في يدها.

كانت هذه الرحلة مؤجلة منذ زمن بعيد.

t.me/yasmeenbook

لم نعد نستطيع التسويف.

كنت حريصة على رؤية طالبتي السابقة ولندن. ولكنني كرهت ترك نيد وإدوارد! إن مشاعري تتضارب بعضها مع بعض. كنت أحاول جاهدة الحفاظ على تعابير وجهي لعدم فضح حيرتي. فهذا وقت الواجب ليس وقت المشاعر المترفة.

أكدت عليّ السيدة فيرفاكس بعاطفة مرتجفة قائلة: "سأعتني بـ نيد كما لو كان ابني".

وكنت أعلم أنها تعني كل كلمة قالتها.

ثم أمالت رأسها قليلًا وأضافت: "لكن السيد محق. أنتِ غير معتادة على المدينة، كيف ستتعاملين دون رفيق؟".

لقد كدت أقول "بصورة جيدة"، ولكني توقفت لئلا تظن أنني غير مهذبة. وقلت: "سأكون برفقة السيدة كارتر في رحلة الذهاب إلى لندن، وبعد ذلك سأكون بأيدٍ أمينة مع السيدة الكابتن بريتون".

أو هذا ما آمله. لا يمكنني تصور سيدة مجتمع تُبدي أي اهتمام دائم بي، ولكن بناءً على صداقة زوجينا، ربما نجد قاعدة حديث مشتركة.

قال إدوارد ضاحكًا بلطف: "قد يكون هذا جيدًا. لقد كانت لوسي تصر على أن تأتي للزيارة. إنها تشعر بالوحدة في ذلك المنزل الكبير. ستكونان ثنائيًّا رائعًا".

t.me/yasmeenbook

"ألا تعتقد أننا ستتفاهم؟".

"على العكس. أنا أعلم أنكما ستتفاهمان. أنتِ ذات قلب حنون، هذه واحدة من الصفات التي أحببتكِ بها. لوسي هي أيضًا كذلك. كلتاكما ذكيتان بشكل كبير، على الرغم من أن الشخص عندما يلتقي بواحدة منكما لأول مرة قد ينبهر بأناقتها ولا يلاحظ براعتها".

قام السيد كارتر من مكانه، وقال: "إذًا حُسم الأمر، كم من الوقت ستستغرقين في الاستعداد يا سيدة روتشيستر؟".

قالت السيدة فيرفاكس: "سأبدأ التجهيزات"، وخلال الساعة التالية، انشغلَت بالتحضيرات، وقامت بالإشراف على جهودي. ولكن عندما نظرتْ إلى حقيبتي، أطلقتْ زفرة خفيفة. قالت الخادمة: "للأسف، ملابسك متواضعة جدًّا، على الأقل هناك الفساتين الجديدة المصنوعة من القماش الذي طلبته من مستودع ميلكوت، يمكن أن تفي بالغرض".

أومأتُ برأسي، فالفستان الأول كان بلون حجر الجمشت الأرجواني والذي يليق بعيني الخضراوين. أما الفستان الثاني، فهو المفضل لديَّ وهو يشبه لون كأس النبيذ الأحمر الداكن.

وضعت نسخة متهالكة من رواية "Waverley" في حقيبتي، وهي من الكتب القليلة التي كانت في فيرندين -والتي أعتقد أنه تركها أحد رجال روتشيستر خلال رحلة صيد.

وأثناء تفكيري مجددًا في الكنوز التي قد أجدها في مكتبة هاتشاردز، عدت إلى حزم حقائبي. وأضفت قلمين من الرصاص وقلم فحم وممحاة لإزالة الخطوط الزائدة، إلى جانب دفتري للرسم.

قالت السيدة فيرفاكس: "يجب عليكِ أيضًا وضع فستان مريح، سيكون فستانك الأسود الحريري مفيدًا. الأسود دائمًا ما يكون مناسبًا خلال السفر".

وأخيرًا، قمت بإضافة فستان من الحرير الرمادي الفضي الذي ارتديته مرة واحدة فقط إلى الملابس في الحقيبة. كان هذا الفستان يتميز بخط رقبة متواضع يمكنني ملؤه بشال أبيض رقيق. بدلًا من إضاعة الوقت، اخترت الاستمرار في ارتداء فستاني القطني الرمادي، وهو فستان يومي يتحمل وعثاء السفر ولا تظهر عليه الأتربة. ومع اللمسات الأخيرة قمت بتثبيت دبوس اللؤلؤ الخاص بي، الذي أهدتني إياه معلمتي المحبوبة ماريا تمبل ناسميث.

ومراعاةً لتقلبات الطقس الخريفي، وضعت أيضًا على ذراعي شالًا صوفيًّا ناعمًا حاكته لي ابنتا عمي ديانا وماري. وكان الشال المكون من اللونين البني والأحمر الداكن والذهبي والبرتقالي يعبر بشكل ملموس عن حبهما لي.

أغلقت الحقيبة بمفتاح ذهبي، ثم قمت بتثبيت المفتاح داخل حزام الخصر. وكان يوجد على تسريحتي بطاقة ستُثبت على

غطاء الحقيبة بمسمار (السيدة جين إير روتشيستر تحت رعاية الكابتن أوغستوس بريتون، ٢٤ جروفينور سكوير، لندن).

قالت السيدة فيرفاكس، وهي تغلق غطاء الحقيبة وتومئ برأسها نحو قبعتي القديمة المتهالكة: "أنتِ تحتاجين إلى قبعة جيدة".

أجبتها: "ليست لديَّ قبعة أكثر أناقة، يجب أن تفي قبعتي القديمة بالغرض".

"جين، أعلم أنك تفضلين التواضع، ولكنك تمثلين الآن اسم عائلة روتشيستر وثروتها. الأمور مختلفة في لندن. المظاهر هي كل شيء! لن ترغبي في الظهور على مائدة العشاء لدى السيدة بريتون مرتدية ملابس متواضعة للغاية. قد يضعك ذلك في وضع محرج. لماذا لا تأخذين معك مجوهرات عائلة روتشيستر؟ ستضيف هذه القطع بعض الأناقة إلى فساتينك وتعوض أي نقص في الأناقة".

"أظنكِ على حق".

بعد أن وافقت على الزواج من إدوارد، أراد أن تُرسَل لنا جواهر والدته بواسطة مندوب من البنك في لندن، لكنني رفضت العرض. عندما وُصِفت لي القطع، بدت لي كثيرة التفاصيل جدًّا. بشكل عام، لم ألبس أي مجوهرات باستثناء خاتم زواجي الذهبي، الذي كان هدية من إدوارد، أو البروش الذي أعطته لي الآنسة تمبل. كان هذا كافيًا بالنسبة لي.

t.me/yasmeenbook

بعد ولادة نيد بوقت قصير، عاد إدوارد للحديث عن مجوهرات روتشيستر. "من فضلك، جين، لا تخيبي آمالي. دعيني أشكرك بالشكل المناسب على إعطائي ابنًا".

وصلت القطع قبل بضعة أيام. جلبتها لي السيدة فيرفاكس بينما كنت أهز صغيري نيد في حجرة نومه. فتحنا الطرد معًا، كان العقد والأقراط والتاج تلمع مثل قطرات الندى على العشب في صباح عاكسة ضوءها على البطانة الخضراء المخملية، الناعمة لصندوق المجوهرات الخشبي. كانت رؤية مثل هذا الثراء صادمة بالنسبة لي. تنهدت السيدة فيرفاكس وقالت: "إنها رائعة. تمامًا كما أتذكرها".

سلمت نيد لـ هيستر، ووجهت العقد نحو ضوء الشمس لأرى انعكاس الأضواء اللامعة تتراقص في أرجاء الغرفة. قد تكون القطع مبالغًا بها بالنسبة لذوقي، لكن لا يزال بإمكاني الانبهار بجمالها وحرفيتها. قلت وأنا أشعر بغصة في حلقي: "نعم، إنها مذهلة".

لكن إدوارد لا يستطيع رؤيتها، فما فائدتها؟

بعد أن حزمت حقيبتي وأعددتها، أخذت المجوهرات وأخذت أفكر في أفضل طريقة لحملها.

قالت السيدة فيرفاكس وهي تعطيني محفظتي: "لماذا لا تضعين الجواهر في حقيبة اليد؟ بهذه الطريقة ستبقى بالقرب منك".

t.me/yasmeenbook

بعد اقتراحها، وضعت الحقيبة المخملية التي تحتوي على المجوهرات في حقيبة اليد بجانب محفظتي.

"سأخبر جون أن يحضر أمتعتك".

شكرتها والتفت إلى هيستر التي كانت تحمل نيد على أحد وركيها.

قلتُ وأنا آخذ طفلي من ذراعي الجليسة: "تعال هنا يا صغيري"، وهمستُ له: "حبيبي" وأنا أتجول به في حجرة الأطفال. كان على وشك النوم، فقبَّلته مرارًا قبل أن أضعه في سريره. وقلت: "احتفظ بهذه القبلات يا صغيري. سأعود إلى المنزل قبل أن تعرف، ولكنني آمل أن أكون قد تركت لك ما يكفي من القبلات بحيث لن تحتاج إلى أي شيء حتى أعود".

ظللت واقفة بجوار سريره، أتأملُ طفلي النائم بدهشةٍ وأقومُ بمداعبة شعره الناعم. تكونت فقاعة لعاب على شفتيه الورديتين الصغيرتين، فمسحتُها بمنديل يدوي مصنوع من الكتان. وقلت: "وداعًا يا حبيبي، أعدك بأنني سأعود قريبًا".

انقطعت أنفاسي وشعرت بالغرفة تدور من حولي. هل هذه هي أنفسها الكلمات التي همستها أمي في أذني قبل أن تذهب لرعاية أبي؟ لقد كان كاهنًا في بلدة كبيرة للصناعات، وأصيب بحمى التيفوس عندما كان يخدم الفقراء. وقد أُصيبت أمي بالعدوى منه. وتوفيا في غضون شهر واحد بعضهما إثر بعض.

قلت له بمزيد من التأثر: "أعدك بأنني سأعود لك قريبًا"، ثم قمت بتقبيل خده الوردي للمرة الأخيرة، ووقفت متجاهلة الألم الذي بدأ يتزايد في صدري.

رافقتنا السيدة فيرفاكس أنا وإدوارد، على طريق العشب المؤدي إلى الطريق العام. توقفت هناك وقبّلت زوجي وودعته وداعًا مؤثرًا. كان من الصعب تقريبًا الابتعاد عنه، لكنني فعلت ذلك. قدّم السيد كارتر يده لمساعدتي على الصعود إلى السيارة، ثم صعدت إلى عربة الدكتور.

قال زوجي: "لقد أرسلت أحد الخدم من الإصطبلات مسبقًا إلى ميلكوت برسالة للوسي، يمكن للفارس تجاوزك بسهولة في هذه العربة. وأخبرته بأنه إذا فاته تسليم البريد في ميلكوت، فعليه الإسراع إلى نقطة الجمع التالية. يجب أن تصل الرسالة قبل وصولكِ. سأخبرها بأنكِ ستصلين يوم الأحد أو الاثنين".

قلت: "شكرًا لك". وتسارعت نبضات قلبي. كانت نظرة إدوارد تعكس الصمود، ولكنني لاحظت التوتر على فكه.

ابتسم لي بصعوبة وقال: "بالتوفيق يا حبيبتي".

"هل أنتِ جاهزة يا سيدة روتشيستر؟".

"نعم".

أمسك السيد كارتر بزمام الحصان، وانطلقنا.

t.me/yasmeenbook

الفصل ٣

فيرندين، يوركشاير

١٣ أكتوبر ١٨٢٠

عزيزتي لوسي،

لقد أمليت هذه الرسالة للسيدة فيرفاكس التي تحييك بأطيب التحيات. على الرغم من أن الكتابة بخط يدها، فإن الكلمات هي من صياغتي الخاصة! إنها أصبحت مساعدة في الكتابة مفيدة بشكل كبير؛ حيث تساعدني في كتابة الرسائل عندما تكون جين غير متاحة.

لم نرد طلبك! أُرسل إليكِ كنزي الأعظم، عروسي جين إير. اعتني بها كما تعتنين بأي شيء ذي قيمة عظيمة! أقسم لك يا لوسي، إنها العالم بالنسبة لي، حبها جلب لي الفرح والرضا بشكل لا يمكنك تخيله.

كما قد تتوقعين، أنا أحلق من السعادة بسبب أني أصبحت أبًا. لقد تُوِّجَ زواجنا بهذه النعمة العظيمة. استقبلنا إدوارد ريفرز

t.me/yasmeenbook

روتشيستر في حياتنا قبل ستة أشهر. (أرسلنا لك رسالة حينئذٍ لنخبرك بولادة ابننا. هل تلقيتها؟ أسأل لأنه ليس من عادتك تفويت فرصة الاحتفال).

ينمو نيد الصغير بصحة جيدة. إنه طفل لطيف ونشيط، يتدحرج من هنا إلى هناك ويجلس بمساعدة. ويصدر أصواتًا بسعادة، وسيتحدث قريبًا، أنا واثق من ذلك. تخبرني جين بأنه يمتلك عينين تشبهان عينيّ، داكنتين جدًّا تبدوان كأنهما سوداوان.

أعلم أنّه يؤلم فتاتي العزيزة ترك ابنها والرحيل دونه. ومع ذلك، سيفيدها أسبوع أو نحو ذلك تحت رعايتك. لقد كانت دائمًا ضعيفة البنية، ولكن ولادة نيد كانت صعبة، وتحتاج إلى استعادة الوزن الذي فقدته. أتذكر مدى روعة طهيك، لذا من فضلك تيقني من إغراء زوجتي بالطعام!

سألحق بها في غضون الأسبوع القادم. لا يمكنني القدوم مباشرةً لأن ذلك الطبيب الطاغية السيد كارتر منعني من السفر على الفور، خشية أن أفقد بصري. شبح هذه الإعاقة يطاردني، ويطبق على صدري مثل سيف يهدد رقبتي. ولكن طالما أنا مطمئن إلى حب جين، يمكنني التغلب على ذلك. على الرغم من أنني أتساءل كيف يمكن لامرأة شابة وحيوية أن تعمل ممرضة لرجل أعمى وعاجز مثلي.

ربما تتساءلين لماذا لم تنتظر جين حتى نستطيع السفر معًا. كانت رسالتك مقنعة للغاية. شكرًا لك يا لوسي لاطمئنانك على

t.me/yasmeenbook

أديل. كانت رسائلها الأخيرة إلينا غير مفيدة. تهتم جين بالفتاة كما لو كانت من لحمها ودمها، لذلك أقرت زوجتي الحبيبة بأنه لا يوجد حل آخر سوى تفقد سلامة أديل على الفور.

زوجتي مثلك امرأة ذات عزم قوي. عندما تحدد هدفًا معينًا، لا تتركه أبدًا! يشير صوتها إلى شدة عزمها؛ فهي ستزور المدرسة وستتحقق من سعادة أديل. كما سترين، جين طيبة القلب بقدر ما هي ذكية. ربما تستجيب أيضًا للاندفاعات الجديدة المشتركة للأمهات، ذلك الشعور بالارتباط الذي يجعل المرأة تشعر عندما يحتاج طفلها إليها. لا أعرف بالضبط، ولكن أعتقد أن هذا صحيح. نحن نثق بأن أديل ليست سوى فتاة مشاكسة، كما كانت دائمًا، لكن القلق يسرع من خُطا جين (والشعور الشديد بالذنب لأننا تأخرنا في الزيارة حتى الآن).

ربما تسألين نفسك مَن هذا الغريب الذي يملي رسالة مبالغًا بها على زوجة صديقه؟ أتخيلك تضحكين بدهشة وتسألين نفسكِ، من هذا الرجل الذي عرفته سابقًا بكونه كثير الفخر -صارمًا وغاضبًا ومنزعجًا من الحياة- والآن يكتب مثل شاب يبكي على حبيبته؟

أقول لك، إنه أنا... وأنا زوج جين إير.

المخلص،

إدوارد إف. روتشيستر

t.me/yasmeenbook

الفصل ٤

على طريق ميلكوت، يوركشاير

تبددت الغيوم لتتجمع مرة أخرى ويصبح الجو أكثر ظلمة. أسرعنا أنا والسيد كارتر للاستفادة من آخر ضوء للشمس الغاربة. سحقت عجلات العربة الأوراق المتساقطة، ما اضطرها لإطلاق عطرها النفاذ. سحب الحصان العربة ذات العجلتين بكل سهولة على طريق البلدة.

قال السيد كارتر وهو يومئ برأسه إلى عربته: "آمل ألا تخطئي الحكم عليَّ. لقد اشتريت هذه العربة المستعملة من شاب في لندن، كان قد بدلها عندما كان يلعب الورق. إنها خفيفة وسريعة، ما يجعلها مثالية للتنقل بين المرضى المحتاجين إلى العلاج".

بالرغم من أن عجلاتها الصفراء الزاهية أدهشتني، فإنني لم أجد سببًا للشكوى منها. استطاعت العربة أن تتحمل الصدمات بشكل أفضل من معظم العربات التي ركبتها. وبما أن الأمطار

t.me/yasmeenbook

كانت قادمة، رفع الطبيب السقف وربطه فوقنا. لحسن الحظ، استمر الطقس السيئ بعيدًا عنا. كان تقدمنا برتم ثابتٍ، لكنه ليس سريعًا بأي حال من الأحوال.

أثبت السيد كارتر أنه مواطن مثير للاهتمام، يعرف سكان المنطقة بشكل جيد. وأشار إلى هذه المزرعة وتلك يحدثني عن السكان. فقال: "كانت السنوات القليلة الماضية صعبة عليهم يا سيدة روتشيستر. الصناديق الخيرية من دار العبادة تبقي معظمهم على قيد الحياة. لكن هذا لا يكفي للعائلات التي لديها أطفال صغار. تظهر أعين أطفالهم هزيلة وأطرافهم رفيعة، وبطونهم ضخمة. تنظر أعينهم إلى مستقبل غامض".

تذكرت الألم المستمر للجوع، وكيف يمكن أن يجعل نقص الطعام الإنسان يشعر بالخمول ويجعل التفكير الواضح صعبًا، إن لم يكن مستحيلًا. وبالتفكير في الأطفال واحتياجاتهم، وعجزهم عن مواجهة مثل هذه المعاناة، بدأت دموعي تسيل. كنت أعلم تمامًا كم يمكن أن يكون الأمر صعبًا في الحفاظ على الأمل، فضلًا عن الإيمان بمستقبل أفضل. بالنسبة لي، كان الفقر مرادفًا للتذلل. في سبيل البقاء على قيد الحياة، كانت الكرامة هي الفضيلة الأولى التي تم التخلي عنها. كانت ثروتي شيئًا جديدًا جدًّا لم أجرؤ حتى على اعتبارها شيئًا مألوفًا. ونظرًا لأن الله قد أكرمني بشكل كبير، فلا يمكنني تجاهل الرغبة في رد الجميل.

قررت في ذلك الوقت أنني سأساعد دار العبادة في أعمالها الخيرية، وسأحاول رعاية مدرسة صغيرة في القرية المجاورة، تمامًا كما فعل ابن عمي سانت جون ريفرز لفتيات الفلاحين في رعيته خارج مورتون. هذه الجهود في متناول يدي الآن، وستجعلني أكثر فائدة لـ إدوارد ولمستأجرينا.

عندما وصلنا إلى منزل عائلة فارو، قام السيد كارتر بمعالجة ليس طفلًا واحدًا فقط مصابًا بالالتهاب، بل طفلين. كانت السيدة فارو مُضيفة جيدة، لو لم تكن فضوليةً جدًّا؛ حيث قدمت لنا الطعام وطرحت علينا أسئلة بلا توقف. لقد تجنبت معظم هذه الأسئلة بأفضل ما يمكنني دون أن أكون غير مهذبة. وكان لزوجها استفساراته الخاصة. أراد كل منهما معرفة المزيد عن عروس إدوارد روتشيستر الجديدة، لكني خشيت أن يكون اهتمامهما غير مناسب، خاصة عندما سألا عن تاريخ زفافنا وتاريخ ولادة نيد في محاولة واضحة لحساب شرعيته.

بينما كنت أزحف تحت غطاء الفراش تلك الليلة، كنت أشعر بالقلق بشأن أديل قبل أن أفكر في افتقاد نيد الصغير وإدوارد. وكنت أتساءل إن كنت سأتفاهم مع لوسي بريتون. وتمنيت ألا أقع في حرج بسبب قلة خبرتي الاجتماعية. ومرارًا وتكرارًا، كنت أفكر في أديل. ما الذي سأجده؟ كيف حالها؟ لماذا لم تكتب إلينا رسالة حقيقية، وتواصلًا صريحًا، منذ فترة طويلة؟

أيقظني حلم بطريقة غير لائقة. كلا، ليس حلمًا، بل كابوس. كانت هناك وسادة تضغط على وجهي، وتخنقني. وكانت رئتاي تكافحان من أجل الهواء. عندما عدت إلى رشدي، جلست بصعوبة لأخذ نفس، وكان حلقي يؤلمني. وكان الفراش متناثرًا حولي ونصفه على الأرض.

لم أتمكن من العودة إلى النوم، فقمت بارتداء ملابسي عند أول مؤشر للفجر. وتجاهلت عرض السيدة فارو الكريم للحصول على بيض جديد ولحم مقدد ونقانق، وقمت أنا والسيد كارتر بتناول شاي وخبز سريعًا قبل الانطلاق مجددًا.

توقفنا في العديد من المنازل قبل وصولنا إلى ميلكوت. في كل منزل، بذلت قصارى جهدي لمساعدة السيد كارتر بطرق صغيرة، مثل إمداده بأدواته من حقيبته الطبية -المصنوعة من جلد الفقمة- وما إلى ذلك. في منزل بيدل، ساعد السيد كارتر مُسِنًّا يعاني التهاب المفاصل. وفي منزل موريس، قدم الدواء لمريض سعال مستمر. وفي منزل هوبسون، قام بإزالة شظية من جسد طفل. وفي كل الحالات، كانت هناك علامات واضحة على الجوع: عيون خاوية، بطون منتفخة، وحالة ضعف عام. والنساء في المنازل كن يقدمن لنا الشاي الخفيف في كل مرة. وعلى الرغم من معرفتي بالتضحية التي يقُمن بها، فإنني واجهت صعوبة في بلع الشاي المقدم لي.

مع كل ميل يمر، كانت الحاجة الملحة داخلي تنمو بشكل أكبر للوصول إلى لندن، مثل حكة تؤرقني ولا يمكنني الوصول

t.me/yasmeenbook

إليها. كنت بحاجة إلى الوصول إلى لندن لزيارة مدرسة أولدرتون، ورؤية أديل بعيني، ثم يمكنني الاطمئنان.

وأخيرًا، توقفنا في منزل السيد كارتر. فوجئت زوجته بوصولي، ولم تستطع أن تخفي استياءها بشكل جيد. وأصبحت الأجواء باردة للغاية؛ حيث استأذن الزوجان مني لمناقشة زيارتي.

انتظرت في الدهليز الخارجي، حاولت عدم الاستماع إلى محادثتهما، ولكنني لم أستطع التحكم في نفسي. كنت أعتقد أنني سمعت اسم "بلانش إنجرام" عندما تحدثت السيدة كارتر. اقتربت من باب الصالون. نعم، كان هناك "بلانش إنجرام" و"المغرورة" و"المشين" و... اسمي. الآن عرفت بالتأكيد ما حدث.

الآنسة إنجرام، عضوة في طبقة النبلاء المحليين، كانت امرأة جميلة وماهرة، ولكنها كانت أيضًا مملة وقاسية، وكانت تأمل في أن تصبح سيدة عائلة روتشيستر، ليس بسبب حبها لـ إدوارد، بل لحبها الشديد لثروته الكبيرة. قام إدوارد باختبارها عن طريق إطلاق شائعة بأن ثروته ليست إلا ثلث ما يُعتقد. وبمجرد أن انتشر هذا الخبر الكاذب زارها إدوارد، لكنه لم يتلق استقبالًا حافلًا من بلانش ووالدتها، السيدة الأرملة. من المؤكد أنهما علمتا الآن أن ثروته حقًّا كبيرة، وأنه تزوج امرأة أخرى. أما بالنسبة لصعوبة تصديق أن إدوارد روتشيستر، عضو الطبقة الأرستقراطية، تزوج من معلمة، فقد تحدثت السيدة

t.me/yasmeenbook

الأرملة إنجرام نيابةً عن نفسها وعن ابنتها عندما قالت عن مهنتي السابقة: "لديَّ كلمة واحدة فقط لأقولها عن هذه القبيلة بأكملها؛ إنهم مزعجون"، كما لو أننا دون مستوى البشر، أو سلالة وحشية من الحشرات التي تفسد نزهة الأحد الخاصة بهم.

إذًا، كانت بلانش إنجرام تتحدث عني... والأسوأ، أنها صورتني على أنني متسلطة وطماعة تسعى للثراء. كان يعتريني غضب جامح، لكنني لست زهرة ضعيفة. دعها تتحدث! لم أفعل شيئًا خاطئًا! بينما أعضُّ على أسناني، أقسمت مرة أخرى أن أترك انعزالي وأصبح عضوًا نشطًا في هذا المجتمع، حتى لو أزعج منتقديّ!

فكرت في ترك هذا المكان، خاصة بعد ما أظهرت السيدة كارتر نوعًا من التحامل غير المنطقي الذي لا يمكنني تحمله. لقد قضيت أول عشر سنوات من حياتي كغريبة، ولا رغبة لدي في قضاء ليلة أخرى تحت سقف أي شخص بمثابة ضيف غير مرغوب فيه.

عندما عاد السيد كارتر، كان كلا خديه أحمر، ويوحيان بأن الحوار لم يسر جيدًا، فقال: "يبدو أن ابنتي الصغرى تعاني الالتهاب الرئوي. أنا آسف لإخبارك بهذا الآن، ولكن يبدو أنك ستضطرين إلى السفر إلى لندن بمفردك على أي حال. يمكنني أن أوصلك إلى النُّزُل بعد الصلاة في الكنيسة غدًا".

t.me/yasmeenbook

"أنا لا أرغب في إزعاجك أكثر من ذلك، ولكن ربما يمكنك أن تأخذني مباشرة إلى النُّزل؟ هذا سيتيح لك قضاء يوم الأحد مع عائلتك في الصلاة".

قال بسرعة زائدة: "بالطبع"، (وبالطبع، تم علاج الالتهاب الذي تعانيه ابنته بالفعل!).

في النزل، قمنا بفحص مواعيد الرحلات. وفقًا للجدول الزمني المعروض، يمكنني الانتظار حتى اليوم التالي والذهاب بحافلة بخمسة بنسات، ولكن الرحلة ستكون بطيئة للغاية. في المقابل، ستغادر المركبة البريدية في الساعة الثامنة مساءً، أي بعد ساعة واحدة، وعلى الرغم من أن تكلفة الركوب داخل هذه الحافلة تقريبًا ضعفا تكلفة الحافلة العادية، فإن الرحلة إلى لندن ستستغرق ثماني عشرة ساعة فقط.

شرح السيد كارتر: "تسافر حافلات البريد ليلًا عندما تكون الطرق أكثر وضوحًا، ويصدر الحارس صوت البوق عند البوابات ليشير إلى فتحها مسبقًا، ونظرًا لعدم دفع عربات البريد لرسوم، فإنها تنطلق بسرعة كبيرة. ومع ذلك، تتوقف المركبات البريدية في محطات تسليم البريد لفترات أقل ومختصرة أكثر، وبالنسبة لسيدة، فقد يكون ذلك مزعجًا". وعلى الرغم من ذلك، اخترت حافلة البريد. وبعد طلب نقل حقيبتي، ودَّعني السيد كارتر بمصافحة يدي رسميًّا.

"أتمنى لك كل التوفيق يا سيدة روتشيستر. واسمحي لي بأن أقول إنني وجدت صُحبتك مثيرة للاهتمام. أعتقد أن السيد

t.me/yasmeenbook

روتشيستر رجل محظوظ للغاية. ربما أكون متطفلًا، ولكنني أتمنى أن تتعرفي أكثر على سكان القرية. لديك حس طيب وقلب نقي، سيستفيدون من معرفتك".

أسعدني إطراؤه كثيرًا. اشتريت فنجانًا من الشاي ووجبة خفيفة من اللحم المقطع البارد والخبز والجبنة الصلبة من صاحب النزل. بعدها صدر صوت بوق الحافلة على بعد ٢٥٠ ياردة ما أدى إلى إثارة هرج في النزل؛ وتجهيز خيول جديدة. واستعد صاحب النزل وزوجته لإعداد الطعام للمسافرين الجائعين الذين سينزلون من العربة. استغرق تغيير الخيول أقل من خمس دقائق، ثم فتح الحارس باب العربة ذات اللونين الأحمر والأسود المزخرف بشعار الملكية على الباب. لكن قبل أن أتمكن من الصعود، بدأ أحد الركاب الأربعة يشتكي بعنف شديد: "نحن مكتملو العدد. لا مجال لركوب أحد آخر. يجب أن تخبرها بأن تنتظر!". وبصق رجل أحمر الوجه أقرع الرأس.

قالت المرأة التي كانت تجلس مقابل الرجل: "لا يوجد مكان هنا"، وكانت تحمل إبرة الحياكة في حضنها وخيطها يغطي بقية المقعد.

فتح الحارس الباب أكثر، وأشار إليَّ قائلًا: "ليست سوى فتاة صغيرة لن تأخذ أي مساحة على الإطلاق".

وجّه الركاب نظراتهم نحوي، وقال رجل بلهجة غاضبة: "اللعنة عليها!"، كان يرتدي مثل المتأنق الدانتيل والمخمل مع سترة من الديباج تنسدل على بطنه المنتفخ.

t.me/yasmeenbook

تقدمت إلى الأمام وأظهرت نفسي، فدفعني الحارس نحو المقعد قائلًا: "تفضلي يا صغيرتي".

فقالت سيدة عجوز وهي ترفع نظارتها لتمعن النظر إليَّ: "أهي طفلة؟".

راقبتني مسافرة أخرى، امرأة شابّة ذات ملابس أنيقة، وضعت قبعتها العصرية الجميلة إطارًا لوجهها المتكبر. وقالت: "نحنُ مزدحمون هنا بالفعل".

لم أقل شيئًا، وقررت أن أدعهم يتصرفون معي كما يشاؤون، وصعدتُ الدرج الخشبي الذي وضعه الحارس. بعد تفحصي بعناية، لان وجه المرأة الأكبر سنًّا، وجذبت الرداء المزيّن بأطراف الفراء إلى قربِها، وسألت: "هل تتوجّهين إلى لندن يا عزيزتي؟".

قلت: "لديَّ صديقة تحتاج إليَّ"، وربما يكون الكشف الجزئي مفيدًا عند استخدامه بحكمة.

فقالت: "إن كان عليكِ الجلوس، فيمكنكِ الجلوس بجواري"، وأزاحت خيطها بجانبها. فصعدتُ إلى المقعد. وقبل أن أنتهي من تعديل شالي، انطلقنا في رحلة إلى لندن.

بعد فترة أغلقت عيني، توقعتُ أن أغفو قليلًا، ولكن يبدو أنني غططت في نوم عميق، حيث أيقظتني أصوات الرعد المدوية. وسرعان ما بدأت الأمطار تضرب العربة بإيقاعٍ ثابت.

t.me/yasmeenbook

تباطأت حركة الخيول، مكافحة الصعوبات بسبب تحول الطريق إلى سطح زلق وخطير. كنا قد سافرنا لمدة ساعة عندما أنذر صوت البوق الطويل أننا نقترب من "هاردويك آرمز" على الطريق الشمالي الكبير.

تحرك الركاب الآخرون. بحثت العجوز عن كرة الغزل الخاصة بها التي كانت قد تدحرجت تحت قدمي. وكان السيد -على الأقل هذا ما كانت تدل عليه هيئته- قد عطس عدة مرات ومسح أنفه بأكمامه. توقفنا وسمعت صوت الركاب على سقف العربة يهرعون للنزول وهم يصطدمون بالأرض بشدة ويركضون تحت المطر، متجهين نحو النزل حيث ينتظرهم الطعام ونار التدفئة.

فتح الحارس بابنا، فدفع الرجال السيدات أثناء عبورهم. كنتُ آخر من يخرج، فصُدمت بغزارة الأمطار، وتشنجت قدماي من عدم الحركة لوقت طويل، ما أجبرني على التحرك بحذر، متعثرة بسبب التضاريس الطينية غير المألوفة، ومع تشوش النوم الذي لا يزال يعتري تفكيري. نبه الحارس أنه لدينا خمس عشرة دقيقة فقط لاستعادة نشاطنا. فتجاهلت قطرات المطر التي تضرب وجهي بشدة، واتبعتُ مسارًا متعرجًا من الأحجار المنكسرة وغير المستقرة.

بعد ما وجدت مقعدًا في الصالون المزدحم للنزل، طلبت من زوجة صاحب النزل كوبًا من الشاي وأي طعام يمكن أن يكون مناسبًا للسفر. فجلبتْ لي فنجانًا من الشاي الساخن،

t.me/yasmeenbook

ولكن دون حليب، وأحضرت أيضًا فطيرة ساخنة مطوية في كيس من القماش.

قالت وصوتها يعلو فوق ضجيج الرجال في الغرفة المجاورة: "نشأت في كورنوال. كان والدي يعمل في مناجم هناك".

دفعتُ للسيدة اللطيفة وأخذتُ لقمةً سريعةً، واستمتعت بقشرة مقرمشة ومزيج حار من لحم البقر المفروم والبصل واللفت والجزر. كان ذلك كل ما سمح به الوقت لتناوله قبل أن تصدع الصفارة بصوت تحذيري؛ معلنةً أنه قد حان الوقت للعودة إلى العربة. فأعدت الفطيرة إلى كيسها المصنوع من القماش، وأمسكت بحقيبتي الصغيرة، وسحبت شالي فوق رأسي، وخرجت إلى الظلام الدامس والمطر.

كان الممر غير المستوي يتطلب تركيزًا، بينما يجتاحني الإرهاق ويجعل المطر المشي أكثر صعوبة. كنت أسافر لمدة تزيد على يومين منذ مغادرتي فيرندين، ولم أسترح إلا بشكل متقطع في الليلة السابقة في منزل عائلة فاروز. اخترق ماء المطر شالي واجتاح فستاني، محدثًا برودةً تخترق عظامي. وحيدةً، وأشعر بالبرد، ومبتلةً، وجائعةً، يبدو أن حديثي الشجاع في المنزل بدأ يسخر مني. وكان رفاقي المسافرون يمرون بسرعة بجانبي، وأشكالهم تتلألأ في ضوء مصابيح النزل غير المستقرة.

t.me/yasmeenbook

ظهر من الظلام شخص يسير بسرعة، ويقترب مني بشكل موازٍ. إنه شاب نحيف. خفضت رأسي محاولة الحفاظ عليه جافًّا. ومن دون سابق إنذار، غيَّر اتجاهه وصدمني. تلقى جسدي الصدمة وسقطت بشدة على جانبي الأيسر. لم أستطع التنفس. وقفت بصعوبة، لكن الطين عاق وقوفي بثبات. استغل اللص عدم توازني، ودفعني مرة أخرى على الأرض، سقطت على الحجارة بشدة. وضع يده الغليظة على فمي، وانفجر الدم من شفتيّ.

سحب أربطة حقيبة يدي.

الألماس! لا يمكنني أن أتركه يذهب!

انغرست الأربطة بعمق في لحم يدي من فوق القفازات، فشعرت بحرقة وألم. وانحنيت إلى الخلف، ولكنه استمر في الاقتراب. ملئ أنفي برائحة القش والخيول. وبشكل غريزي، قمتُ بسحب يدي في الاتجاه المعاكس له. تبادلنا السحب ذهابًا وإيابًا في صراعٍ للاستحواذ على الحقيبة. كان الرجل يسب بصوت منخفضٍ.

دفع اللص رأسي لأسفل، وصدمني بقوة بالحجارة مرة أخرى، وما زلت أمسك بالحقيبة وهو يصارعني بقوة. لن أترك حقيبتي. استمر في السحب وأنا أقاوم وكلانا يتلوى في الطين. ارتخت قبضته، فقمت بسحب الحقيبة بقوة هائلة، محاولةً الفرار، ولكنه انحنى في الاتجاه الآخر.

t.me/yasmeenbook

اصطدم رأسانا معًا. وصدمت قمة رأسه الجانب الأيمين من وجهي. واغرورقت عيني بالدموع وهي تؤلمني. وتأثرت بالألم تقريبًا حتى الاستسلام.

يجب أن أحمي الألماس!

كان حرصي على عدم فقدان الألماس أشد من حرصي على سلامتي الشخصية من أجل إدوارد. فقد فقدت عائلة روتشيستر العديد من المجوهرات بعد الحريق. صارعت من أجل تحرير نفسي وقمت بالوقوف بصعوبة على قدمي. فقفز اللص على قدميه أيضًا، وطارت إحدى يديه وأمسكني من ياقتي، واستخدم هذه القبضة لهزي بشدة. شممت رائحة الخوف والتعب ورائحة الطين الرطب، وشيئًا آخر: رائحة الحصان ورائحة جلد السرج.

لمع شيء مصنوع من الفضة فوق رأسي.

إنه يحمل سكينًا!

فكرت في إدوارد ونيد وأديل! يا له من غباء أن أسافر وحدي!

أعتقد أنه يخطط لقتلي!

اتجه السكين نحوي، وقطع حبال حقيبتي!

فقدت توازني، واندفعت إلى الوراء، وسقطت بشكل كامل في الطين. ولكن بينما كنت أسقط، أمسكت بقبعة اللص التي

t.me/yasmeenbook

كانت مسحوبة لأسفل. وفي ضوء خافت من الفانوس لمحته لكن لمحة سريعة فقط، ولفت انتباهي وجهه، خاصة عينيه الكبيرتين على شكل كرة.

صاح الحارس من بعيد: "ماذا؟".

فصرخت: "إنني أتعرض للسرقة؟!".

وبتنهيدة انتصار، هرب الجاني بحقيبتي.

صاح صوت خلفي، بينما يركض الحصان بسرعة في جنح الليل: "قف أيها اللص!".

سألني الحارس بينما انحنى لينظر إليّ: "هل أنت بخير يا آنسة؟ اسمي جليب. هل أصبتِ بأذى؟".

"لقد... لقد أخذ حقيبتي"، وبذلت مجهودًا كبيرًا لأنهض على ركبتي وأحاول الوقوف. ثم فاجأني الألم، فترنحت على أحد جانبيّ، وأمسك الحارس جليب ذراعي ليثبتني.

سألني جليب: "هل تحتاجين إلى جراح؟".

"كلا؛ كلا، أنا بخير".

"هل أنتِ واثقة؟ إن الحافلة ستغادر. يجب أن تركبيها. يجب علينا الالتزام بالجدول الزمني!".

"لكن، لقد سرق حقيبتي!".

قال جليب: "نعم، لا بد أنه لم يكن بها الكثير. قد تبدو لك كأنها ثروة، لكنها ليست كذلك بالفعل".

"ليت ذلك كان صحيحًا! ففي حقيبتي الصغيرة كنتُ أحمل عقدًا من الألماس وأقراطًا وخاتمًا مطابقًا لها! لقد كانت تساوي ثروة طائلة!".

t.me/yasmeenbook

t.me/yasmeenbook

الفصل ٥

ألقى مصباح الحارس ضوءه على مظهري، بينما ساعدني على صعود السلم إلى العربة. وعبّر زملائي المسافرون عن صدمتهم من مظهري.

قلتُ: "لقد سقطت أرضًا وسُرقت".

عرضت عليّ السيدة العجوز منديلها. وقالت: "يا إلهي! هل تقولين لص؟".

حاولت الإيماء برأسي، لكن الألم في رأسي صرخ احتجاجًا وخرج مني أنين.

سأل الرجل الذي يتظاهر بالأناقة: "هل هذا طين عليكِ؟ احتفظي به لنفسك".

كما تجنبني الركاب الآخرون.

مر الباقي من الرحلة ببطء. دون حقيبتي، لم أستطع القراءة أو شراء الشاي أو الطعام. حتى الفطيرة سرقها اللص، ولكن رائحتها لا تزال في أنفي. حاولت التحدث مع جليب

t.me/yasmeenbook

بخصوص مفقوداتي مرتين عندما توقفنا، لكن موقفه اللا مبالي جعلني أشعر بالغضب والعجز. لم يكن هناك شيء يمكن القيام به في تلك اللحظة. صرت أسلي وقتي بفتح الستائر ومشاهدة المناظر الخلابة. ومع اقترابنا من لندن، أصبحت الطرق أكثر ازدحامًا، وتخلّت الهضاب الخضراء عن مكانها لزحام المنازل. وتعلقت سحابة منخفضة فوق أسطح المنازل، حيث طافت بين الألواح ومداخن التدفئة، وبدأ الهواء يتحول ويتراكم حتى أصبح غير صالح للتنفس. بدأ العديد من الركاب بالسعال، وميزت رائحتين: رائحة الفحم المحترق ورائحة روث الخيول.

عندما وصلنا إلى وجهتنا، كانت إصابتي قد تفتحت بشكل كامل: تورم حول عيني وتغطت ساقي بقشور. كان الخروج من العربة مؤلمًا. ساعدني الحارس على النزول ومشى بجانبي حتى وصلنا إلى حيث كانت حقيبتي تقبع على الرصيف تحت الهواء الرطب للمدخل الكبير.

سألته: "هل ستقدم بلاغًا للشرطة بخصوص مفقوداتي؟". وقفنا في بركة ماء. كانت ثيابي المغطاة بالطين تلتصق بساقي. هاجمني الجوع، وكان شالي المسكين مبتلًا حتى أصبح عبئًا عليَّ. كانت عيون جليب الممتلئة بالماء تحاول التركيز وهو ينظر إليّ من قمة رأسي حتى أخمص قدميّ.

"لقد كنت أفكر في ذلك. كيف يمكن أن يستهدفك اللص يا سيدتي؟ أنت لا ترتدين ملابس أنيقة. لماذا اهتم بك ولم يهتم

بالآخرين الذين كانوا يرتدون ملابس راقية؟".

"سيدي؟".

"إنك تدّعين أنك كنت تحملين مجوهرات ثمينة. هذا لا يبدو منطقيًّا؛ أليس كذلك؟ إنك ترتدين ملابس خادمة. ربما لم تكن تلك الألماسات ملكًا لك. لقد كنت أتساءل: ماذا لو سرقتها هي؟ والآن تأمل في إلقاء اللوم على لص. ولكن ماذا لو كانا يعملان معًا؟".

صدمتني اتهاماته وجعلتني غير قادرة على الرد. فوقفت هناك، رأسي يؤلمني وركبتاي تحترقان بسبب الجروح الجديدة. هل من الممكن أن يعتقد هذا الرجل الغبي أنني قد أقحمت نفسي في الوحل وأنني لكمت نفسي في عيني للتسلية؟ قلة ذكائه أشعلت نارًا في رأسي المتألم.

سحبت نفسي ووقفت على طول قامتي لأرد عليه، ولكن قبل أن أقوم بذلك، قام رجل طويل في زي رسمي بلمس كتفي، فالتفت نحوه، وقام بانحناءة، ما جعل الأزرار الذهبية على معطفه الكستنائي تتراقص. كان كتفاه العريضان مغطيين برداء ضخم يقطر الماء عليَّ وعلى الأرض.

"اسمي ويليامز يا سيدتي، أرسلتني السيدة الكابتن بريتون".

أشار قائلًا: "قال لي السائق هناك إنك السيدة روتشيستر. هل هذا صحيح؟".

t.me/yasmeenbook

على الرغم من أنه كان يرتدي زيًّا أنيقًا، فإنه كان يتقلب ويجذب معطفه كما لو أن الزي لا يناسبه بشكل جيد. في عروة قميصه كانت تتأرجح باقة زهور منعشة، وكان عطر السيد ويليامز وعطر الزهور يبدو غير متناسق مع وجه الرجل الفظ. وكشفت بشرته عن العديد من السنين التي قضاها تحت أشعة الشمس. كانت إحدى ساقيه تلتصق بزاوية غريبة نوعًا ما. أثارت شخصيته بأكملها دهشتي، كما لو أنه سبق أن تم تفكيكه إلى قطع وتم تجميعه مرة أخرى بشكل سيئ.

إذا كان يعتقد أن وجهي المرهق مدهش، فلم يظهر أي علامة على ذلك.

لكن كان هناك وميض في عينيه. نعم، لاحظ إصاباتي. ولكن اكتفى بعدم التعليق عليها. كان لدي انطباع بأنه ربما شاهد أمورًا أسوأ من ذلك.

"نعم، أنا هي. شكرًا لك على لقائي".

أومأ بجدية. "حارس! ماذا حدث؟ السيدة روتشيستر هنا ضيفة السيدة الكابتن أوغستوس بريتون. لماذا تم احتجازها؟"، بدا أسلوبه المباشر في الحديث غير متناسب مع زيه الأنيق.

أعترف بأن ويليامز فاجأني. وبقدر ما علمت، لا يتحدث السائقون إلا إذا تحدث إليهم أحدهم. ولكن ها هو هنا، يسأل الحارس الأسئلة.

أجاب جليب وهو يهندم أطراف سترته: "لص، هذا ما حدث هنا، أو هذا ما تدّعيه هي، سرق حقيبتها الصغيرة. غريب، كان هناك جميع أنواع الركاب المرموقين، ومع ذلك، اختارك فقط يا سيدتي، لماذا؟"، تدخل ويليامز بين الحارس وبيني وقال: "سيدة روتشيستر، السيدة الكابتن بريتون تنتظرك. أثق بأن هذا الرجل الصالح قدم تقريرًا إلى الشرطة؟".

"لم أفعل ذلك بعد يا سيدي".

قال ويليامز: "حسنًا، قم بذلك. سيدة روتشيستر عربتنا من هنا".

وأبدى ويليامز نصف انحناءة مرتبة، فانقطعت استقامة جسده بواسطة تلك القدم اليمنى الصلبة التي رفضت الانحناء. "السيدة الكابتن ستكون سعيدة برؤيتك. لا تقلقي يا سيدتي. لدى السيدة الكابتن مصادر متنوعة. سوف تساعدك على حل هذا الموضوع. سترين ذلك".

كنت مستترة في عربة بريتون الجميلة؛ لكن حاولت التحديق من خلال النافذة لرؤية لندن بقدر استطاعتي وسط المطر. كان عدد الناس يدهشني. لقد كان انطباعي بأنهم بحر متحرك من البشر بأشكال وأحجام وألوان مختلفة! وسرعان ما اضطررت لوضع أنفي في كم ثوبي لأن رائحة هذا المكان كانت أسوأ من مرحاض عام في يوم حار من الصيف. بالإضافة إلى ذلك، كان هناك ظلام رطب يخيم في السماء. لقد غُطي ثوبي الرمادي بسرعة بتراكم الدخان والغبار اللذين دخلا من

t.me/yasmeenbook

النافذة، بالإضافة إلى الوحل الناتج عن صراعي مع اللص، أصبحتُ غير مقبولة تمامًا. فكرت في إغلاق الستارة، لكن فضولي الشديد حكم عليَّ، وسرعان ما عدت أحدق خارج النافذة. كنت واثقة أن هناك الكثير من الأماكن التي يمكن ترشيحها ولكن يا للأسف! بسبب الأتربة والضباب وازدحام الحشود، أعترف بأنني وجدت لندن أقل ما يمكن أن يُرغب فيه! في الواقع، كانت خيبة أمل مريرة.

على عكس جيرانه من المباني المصنوعة من الطوب الأحمر، كان مبنى ٢٤# في ميدان غروسفينور مكتسيًا بطلاء أبيض ناصع البياض. وبدلًا من النوافذ السوداء المعتادة، قامت السيدة لوسي بريتون بإضافة لمسة من اللون الأصفر إلى الطلاء، ما جعل النوافذ تبدو خضراء قاتمة. كانت رؤوس زهرة البانسيه تظهر بكثرة، من الصناديق الخشبية التي تعلو النوافذ، ما جعلها ملونة كعربات الغجر. ورائحتها المنعشة أضافت انتعاشًا إلى الهواء، على الرغم من أن انحناء الأوراق أخبرني بأن برودة الخريف قد تسببت في بعض الأضرار.

عندما توقفت العربة، فُتح الباب الأمامي، وظهر شخص يتجه نحوه بسرعة.

"جين! أنتِ هنا أخيرًا!".

بينما كان هناك خادم يساعدني على النزول من عربتها، صاحت السيدة الكابتن بريتون فرحًا وعانقتني. "أخيرًا لديَّ أخت! أريد أن أسمع كل شيء عن الطفل!".

t.me/yasmeenbook

كان وصف لوسي بريتون يشبه محاولة تثبيت فراشة وفحصها بعناية بينما تتأرجح أجنحتها؛ فالمرأة في حركة مستمرة؛ حيث تتأرجح خصلات شعرها، وتتراقص رموشها، وتتحرك يداها، وتكون حالتها العامة مستعدة للطيران. وبالإضافة إلى الألوان الزاهية لملابسها، يكون التأثير مذهلًا على المشاهد.

بالرغم من أنها كانت جذابة إلى حد ما، فإنني أعتقد أنها لم تكن جميلة أبدًا. بطريقة ما، فإن ملامحها -على الرغم من أنها لطيفة عند النظر إليها بشكل منفصل- كانت أقل تناغمًا عندما تجتمع. ومع ذلك، كانت هناك شعلة من الفضول تتلألأ في عينيها، تعمل كمنارة تجذبك بشكل أكبر. كانت ملابس لوسي تدفعك لاحترام أعلى فنون حرفيي الأزياء في باريس، ولكنها لم ترتدِها بإحكام وحذر كما تفعل عارضات الأزياء. بدلًا من ذلك، يبدو أنها غير مدركة تمامًا رقة وثمن هذه الملابس. في الواقع، بعد قضاء بعض الوقت معها، نسيت أيضًا كم كانت ترتدي الملابس بأناقة. كان ذلك لا يعني سوى الزبد على الخبز. فالتركيز الحقيقي لم يكن على الألبسة الخارجية الاصطناعية، ولكن الشخصية البراقة للمرأة التي لا يمكن أن تغطيها أي كمية من الثياب.

خمنت عمرها بخمسة وثلاثين عامًا، أو نحو ذلك. كما أن عناقها جعلني أتأوه من الألم.

"أوه عزيزتي، وأخيرًا لديَّ أخت وقد كسرتُها بالفعل!"، وابتعدت عني ووجهها يعبر عن الدهشة.

"يا للهول! انظري إليك! عينك لونها كزهرة بنسيان متفتحة، ولديك اتساخ على جسدك أكثر مما يجمعه البستاني كل ربيع. هيا يا جين. أريد أن أسمع كل شيء عن الصغير نيد والقصة وراء هذه الفوضى!".

استخدامها لاسمي الرسمي واستقبالها الحماسي أكدا شكوكي السابقة بأنها لن تدع صداقتنا تتطور كما تحدث العلاقات الطبيعية. أي أنها لن تتطور ببطء. كلا، استنادًا إلى صداقة زوجينا الطويلة الأمد، كان من الواضح أن لوسي بريتون كانت واثقة بالفعل من أننا سنكون صديقتين جيدتين أيضًا.

كان ذلك استقبالًا أكثر حفاوةً مما كنت أتوقع، على الرغم من أن إدوارد حذرني من ألا يخدعني المظهر الأنيق للوسي وسعادتها الواضحة، ويجعلني أعتقد أنها تفتقر إلى الذكاء.

قال إدوارد وهو يقبّل ابننا نيد: "لوسي لديها محتوًى أكثر من العديد من الرجال الذين أعرفهم. إنها تسافر مع أوغي وتتعرف على السكان المحليين وتستكشف العالم بشكل عام وفقًا لشروطها الخاصة. في جميع الأحوال هي شخصية مثيرة للاهتمام. من المؤسف جدًّا أنها وأوغي لم يتمكنا من إنجاب طفل".

t.me/yasmeenbook

عندئذ، استطعت أن أقول: "نعم، حسنًا، مرحبًا...".

فُتح الباب الأمامي قليلًا ونزل كلب صغير على الدرج وخرج إلى الشارع. في البداية، ظننته فراءً أبيض، مخيطًا من الشعر البشري، كان ملمسه لطيفًا جدًّا. ولكن سرعان ما تغير انطباعي بسبب مستوى حماسه العالي.

أوضحت لوسي وهي ترفعه عن الأرض: "تعرفي على راغز، كان هدية من أوغي. أليس لطيفًا؟ يأتي معي في كل مكان أذهب إليه لينقذني من الشعور بالوحدة المفرطة بينما يخدم أوغي الملك في مناطق غير مناسبة للعامة".

أخذَت يدي وساعدتني على صعود الدرج. قلة الطعام والألم الذي لا ينتهي من إصاباتي جعلا الحركة بشكل أنيق شبه مستحيلة، لذلك تركت نفسي لإرشادات لوسي. فعبرنا العتبة ودخلنا بهوًا من الرخام الأسود والأبيض؛ حيث كان موظفوها يقفون في صف لتقديم أنفسهم. كان من الصعب التركيز، لكنني نجحت في إدراك أن بولي كانت خادمة السيدة بريتون الشخصية، وأن سادي كانت خادمة المطبخ والصالة. وكان هيغنز هو اسم رئيس الخدم.

قالت لوسي بعد انتهاء التعارف: "جميعهم رهن إشارتك الآن، الآن سنصعد بك إلى الطابق العلوي ونعالج جروحك".

قبل أن أتمكن من الاحتجاج، وجدت نفسي في غرفة نوم الضيوف الفخمة، المزينة بدرجات باللونين الأصفر والأخضر،

t.me/yasmeenbook

وتحتوي على ستائر فخمة من الإستبرق الذهبي، وسرير بأربعة أعمدة، وكرسي موجود أمام نار مشتعلة. أحضر أحد الخدم حوض استحمام، وعاد مع خادمة المنزل وكلاهما يحمل دلو ماء ساخنًا. ثم تم اصطحابي خلف حاجز حيث ساعدتني بولي على خلع ملابسي، ووضعت لوسي مزيجًا من ملح البحر واللافندر من عبوة زجاجية براقة.

قالت للخادمة: "أعتقد أنه من الأفضل أيضًا إضافة المزيد من اللافندر"، فغادرتنا بولي وعادت بعلبة من أوراق الأعشاب المجففة. عندما تمت إضافتها إلى الماء الساخن، جعلني عبق اللافندر أشعر بالاسترخاء حتى قبل أن أدخل الحوض.

وبينما كنت أسترخي سعيدة خلف الحاجز، توجهت لوسي بالأسئلة حول نيد.

قالت: "يبدو أنه طفل مثالي!".

عندما برد الماء، قامت بولي بتجفيفي بالمنشفة، وتضميد جروحي، ثم ساعدتني على ارتداء ثوبي.

صرحت لوسي بمجرد خروج خادمتها من الغرفة: "سوف تهتم بولي بفستانك، إنها أفضل خادمة في لندن. لقد أوصيتها بفتح حقيبتك. أرسل الطباخ الصينية. سأكون أمًّا". ورفعت إبريق شاي رقيقًا، وسألت: "هل تريدينه خفيفًا أم ثقيلًا؟".

"لا تؤمنين بهذه الخرافة القديمة، صحيح؟". ساعدت نفسي في صنع شطيرة من اللحم البارد وقطعة من الخبز وشريحة من

t.me/yasmeenbook

الجبن. وأنذرتني معدتي بأن هذه الأشياء سوف تريح جوعي جزئيًّا، ولكن العشاء لن يقدم قبل مرور أربع ساعات.

قلت: "أن يشرب شخصان من الإبريق نفسه يعرضهما ذلك للحظ السيئ؟". فابتسمت لي قائلةً: "لا، أنا متمردة. كل ما هو تقليدي يثير شكوكي. ومع ذلك، لقد تعرضتِ لسلسلة من الحظ السيئ. هل ترغبين في أن تخبريني بما حدث؟ لا أتصور أنك غادرت رعاية إدوارد بهذه الحالة من الفوضى!".

تنهدتُ قائلة: "إنها قصة طويلة نوعًا ما".

"هل إصاباتك تؤلمك كثيرًا؟".

اعترفت: "نعم، خاصة حول عيني، حيث يكون الجلد أكثر حساسية".

صاحت لوسي: "بولي؟ هلا ذهبتِ وأحضرتِ قنينتي؟".

عادت بولي بقنينة صغيرة فضية. وقامت لوسي بصب بعض السائل في الشاي الخاص بي. "جربي ذلك. يجب أن يساعدك على الشعور بتحسن".

"ما هذا؟". شممته بحذر.

"إنه نبيذ، أجد المشروبات المنعشة رائعة. الكحول يفعل المعجزات للحالة المزاجية، وسيسرع من عملية التعارف بيننا. أنت محظوظة بأنني مستعدة للمشاركة. والآن، اشربي".

لحقتها بالشرب. ألهب المشروب حلقي، فسعَلت.

"ستعتادين عليه. وأعتقد أنك ستصبحين حتى معجبة به، إن أتيحت لك الفرصة".

بعد تلك الصدمة الأولية، انساب المشروب بكل سلاسة. ولدهشتي، توقفت آلام إصاباتي. في الواقع، رحبت بمساعدة أخرى في فنجاني الثاني من الشاي. كان الطعم الخفيف للشراب قد أثار فضولي، فسألت: "كيف تعودتِ على هذا النوع؟".

ضحكت مضيفتي، قائلة: "أوغي عرفه لي. في الهند يشرب رجالنا هذا المشروب مخلوطًا بالكينين. إنه يساعد في تخفيف آثار الملاريا".

"أرى ذلك".

"لماذا لا تبدئين قصتك من البداية؟ لماذا قررتِ مغادرة فيرندين على هذا النحو المفاجئ؟".

أخبرتها عن رسائل أديل وأظهرت لها الرسالة البغيضة التي تهدد سلامة الطفلة.

قالت لوسي بعد قراءتها الرسالة وإعادتها إليَّ: "لقد تحققت من هوية مود ثورستون. لقد نجت من سقوط مأسوي من مستويات المجتمع الراقي. كان زوجها ينتمي إلى نادي بودلز، النادي نفسه الذي ينتمي إليه أوغي وأخي. ولكن السيد وولثروب ثورستون قام بمقامرة ثروته حتى فقدها، ثم انتحر البائس. ترك زوجته الفقيرة تواجه محصلي الضرائب بمفردها.

t.me/yasmeenbook

إن توظيفها من قبل السيدة كينجسلي بمثابة مشرفة في منزل ألدرتون ليس مجرد مصادفة؛ بل إنه ضروري لبقائها على قيد الحياة"، وأضافت لوسي: "الآن أخبريني عن سفرك إلى هنا. أريد أن أعرف كل شيء!".

فشرحت لها عرض السيد كارتر بأن يأخذني في رحلة وعن مخاوفي بشأن رؤية إدوارد، وكيف سمعت السيدة كارتر. تأثرت بالنبيذ وانطلق لساني: "لم أتمكن من سماع كل شيء، ولكن سمعت ما يكفي لأعتقد أنها رفضت رفقتي لأنها سمعت تعليقات مشينة عني من امرأة تدعى بلانش إنجرام".

أومأت لوسي بجديّة قائلة: "نعم، لقد سمعت أنا أيضًا ما قالته بلانش إنجرام ووالدتها عنك وعن إدوارد. أخشى أنهما مثيرتان للغيظ. لقد كانتا تروجان للجميع أن إدوارد حاول أن يتزوجك وهو لا يزال متزوجًا من أخرى. بالطبع، لم يفوتا أي فرصة دون أن يشيرا إلى أنك كنت معلمة ابنته. اشتكت عائلة إنجرام طويلًا وبصوت عالٍ من سلوك السيد روتشيستر غير المتحضر. لكن لا تدعي ذلك يقلقك كثيرًا. أشك في أنك ستصادفينهن كثيرًا خلال وجودك هنا".

"لست مهتمة بذلك!".

"نعم، ولكن الأمور قد تتغير عندما يكبر نيد. قد تتجنبين المجتمع الآن، ولكن في وقت لاحق سترين الفوائد التي يمكن أن يقدمها لطفلك. صدقيني في هذا".

لم أرد. لم أكن قد فكرت في مسؤولياتي الجديدة تجاه مستقبل ابني. بدلًا من ذلك، شربت الشاي وحاولت ابتلاع الغصة في حلقي. جلسنا لفترة من الوقت دون أن نتحدث، في النهاية، استجمعت شجاعتي وقلت: "ماذا يجب أن أفعل يا سيدة بريتون؟ أنت محقة تمامًا؛ أحتاج للنظر إلى المستقبل".

"يجب عليك بالتأكيد أن تناديني لوسي! ما يجب عليك فعله هو تكوين تحالفات لتصبحي جديرة بالاهتمام يا حبيبتي. إذا بدا ذلك مملًا لك، فافعلي ذلك من أجل نيد، ومن أجل إدوارد، لأن الفارس لا يعرف متى قد يحتاج لمصلحة من شخص في لندن. ما زلت لم تشرحي لي ما حدث لعينك بعد".

فأخبرتها عن رحلتي في حافلة البريد والحادث مع اللص. وانتهيت من حديثي بالقول: "أكره فكرة إخبار إدوارد بأنني فقدت مجوهرات روتشيستر!".

"يمكنني أن أؤكد لك يا جين، أن إدوارد لن يهتم بالمجوهرات على الإطلاق. كانت لا تعني له شيئًا حتى جئتِ إلى حياته".

فشرحت لها: "أعلم ذلك. ومع ذلك، لقد تغير منذ ولادة نيد، قبل أن نصبح أبوين، كان إدوارد ينظر إلى تراث عائلته بمثابة وضع مؤلم يجب تحمله. فقبل كل شيء، كانت رغبة والده في الحفاظ على ثورنفيلد بلا التزامات هي التي تسببت في خداعه في الزواج الأول".

قالت لوسي: "أعلم، أعلم. كم هو ظلم فظيع!".

"لسنوات، كان إدوارد يفكر في العائلة ويشعر بالاشمئزاز فقط. ولكن منذ ولادة ابننا، يفكر زوجي فيما يمكنه وعائلة روتشيستر أن يقدموه لـ نيد. إنه نادم بشدة على أن بعض صور أسلاف روتشيستر احترقت في الحريق. وتم تكليف رسام بإعادة رسم صورة من صورة صغيرة. والأكثر مفاجأة، قام إدوارد بالتواصل مع قريب بعيد له لمعرفة ما إذا كان سيقرضنا لوحة لأمه ليتم نسخها".

"أنت قلقة من أن إدوارد سيغضب ليس لأنك فقدت الألماسات، ولكن لأنه سيفتقد فرصة تمرير مجوهرات والدته إلى ابنه؟ وأنا أؤيد ذلك، فهذا يبدو أكثر إقناعًا بالنسبة لي. يأمل كل رجل أن يستمر اسم عائلته. لذلك، فإن نظامنا للوراثة ما زال قائمًا. كل طفل هو نعمة، ولكن الابن أكثر من ذلك". ثم لان صوتها ونظرت إلى راغز، وضمته إليها وعانقته، فهز ذيله بفرح ولعق وجهها.

تظاهرت لوسي بالانشغال بتشابك شعر راغز، لكن شيئًا في تهدل كتفيها أخبرني بأنها تفكر في وضعها الخاص. كنت أعلم أنني يجب أن أواسيها، ولكنني لم أستطع. كان ذلك يتعارض مع مشاعري الطبيعية للتحفظ. فبقدر ما أحببتها، لم أكن أستطيع عادة تقديم مشاعر الحب للنساء اللاتي ألتقي بهن للتو. لقد أردت مصادقتها، لكنني لم أكن متيقنة من كيفية تحقيق ذلك.

t.me/yasmeenbook

"إدوارد لن يكون غاضبًا بقدر ما سيكون مخذولًا. أكره أن أكون سببًا في إحباطه. يغضبني أنني لم أحاول المقاومة بقوة أكبر".

تحول صوت لوسي ليكون قويًّا. ورد راغز على ذلك بالقفز جانبًا والنباح عليها، فقالت: "يجب أن لا تقولي ذلك. هذا خطأ تمامًا. لقد هاجمك اللص بسكين. وكنت محظوظة بأنك نجوت بحياتك. إن شجاعتك ليست هي المشكلة هنا. يجب أن لا يلوم أحد ضحية هجوم! أنا واثقة من أن إدوارد سيوافقني الرأي تمامًا".

"نعم، أعلم ذلك. فقط لأن المجوهرات أُعطيت لي منذ وقت قصير جدًّا، وبالفعل اختفت".

"هذه الأيام ما زالت مبكرة. لا تستسلمي بهذه السهولة".

"جليب، حارس عربة البريد، لم يثق بي. لم يبذل أي محاولة للجري وراء اللص. لم يطلب وصفًا للسارق. في الواقع، أنا أعتقد أنه لم يصدق قصتي".

"لماذا تعتقدين ذلك؟".

"أشار جليب إلى أنني كنت محاطة بأشخاص آخرين قد يكونون هدفًا أفضل استنادًا إلى طريقة ملبسهم. ومع ذلك، اختار اللص الهجوم عليَّ، وليس على شخص آخر قد يبدو أكثر احتمالًا لحمل أشياء قيمة".

فقالت: "أفهم ذلك". وظهرت تجاعيد على جبينها. وأضافت: "لقد صرختِ للمساعدة. ورأى الآخرون اللص وهو يهرب. من الواضح أنك تعرضتِ للهجوم. بالإضافة إلى ذلك، أنا أعرف عديدًا من السيدات اللاتي يلبسن مجوهرات مزيفة اليوم بسبب سرقة مجوهراتهن الثمينة من قبل لصوص الطرق!".

"نعم، ولكن جليب ألمح بأنني قمت بالجريمة بنفسي. حتى إنه ألمح إلى أنه ربما لم تكن تلك مجوهراتي التي فقدتها! ربما أكون خادمة سيدة، أحملها نيابة عن سيدتي، وربما أكون متواطئة مع مَن هاجمني. أو ربما فقدت المجوهرات من قبل واختلقت هذه القصة لحماية نفسي".

"همم. أعتقد أنني أستطيع فهم طريقة تفكيره".

"إنها تزعجني، لكن أعتقد أنه يخطط لتحقيق بشأني قبل الانتقال إلى خطوط تحقيق أخرى".

قالت لوسي وهي تداعب رأس راغز: "هناك طرق أخرى للتحقيق".

"مثل؟".

"يمكنك استئجار وكيل تحقيق خاص للتحقيق، شخص ماهر في مثل هذه المسائل".

t.me/yasmeenbook

"هل يوجد مثل هؤلاء الأشخاص؟ هل تعرفين أحدهم؟". وبناءً على إلحاح لوسي، أخذت آخر شرائح الجبن واللحم وأكلتها بكثير من السرور.

"نعم، في الواقع، أنا أعرف واحدًا جيدًا. لكن قبل أن نتبع تلك الخطوة، أقترح أن نذهب إلى الشرطة ونقدم تقريرًا كاملًا".

"أود أن أفعل ذلك، ولكنْ لديَّ أمور أكثر إلحاحًا للقيام بها أولًا. فإنني أخطط لزيارة أديل في الصباح الباكر".

"كنت سأرافقك، ولكن لا يمكنني مواكبة مثل هذا الترتيب السريع. فلديَّ موعد في الحادية عشرة مع خياطتي ولا يمكنني تأجيله. إنه مُلح لدرجة أنني إذا تراجعت، فقد أجد أنها تشارك تصاميمي الجديدة مع عميل آخر! بعد أن أراها، يجب أن أرد على بعض المكالمات، لذا سيكون برنامج بعد الظهيرة مشغولًا أيضًا. ولكن سأطلب من ويليامز أن يصطحبك إلى المدرسة أو أي مكان تختارين الذهاب إليه في غيابي". وأضافت: "لدي سائق آخر وعربة أخرى تحت تصرفي". وبينما كانت تتحدث، أصبحت عيناي ثقيلتين. فإن دفء النار، والوجبة الخفيفة التي استمتعت بها، والحمام الساخن، وتوتر السفر وسرقتي، كلها تآمرت لتجعلني أشعر بالنعاس.

كنت لا أزال جائعة، لكن النوم كان أمرًا أكثر إلحاحًا. فقلت: "أعتقد أنني أود أن أستلقي فترة قبل العشاء".

t.me/yasmeenbook

"بالطبع". وأخذت لوسي راغز تحت ذراعها، وقالت: "أحلامًا سعيدة يا أختي الصغيرة".

ولكن قبل أن أسمح لنفسي بالاستمتاع برفاهية القيلولة، قمت بسرعة بكتابة رسالة إلى إدوارد.

زوجي الحبيب،

لقد وصلت إلى لندن. وجت نفسي متعبة أكثر مما كنت أتوقع.

استقبلتني السيدة لوسي بريتون بمحبة، كما قلت. إنها جميلة وكريمة جدًّا. أخشى أنني لم أكن رفيقة جيدة. فلم أتمكن من إبقاء عيني مفتوحتين حتى خلال شرب الشاي. لقد سمحت لي بلطف باستخدام عربتها.

أول شيء سأفعله غدًا هو أنني سأزور أديل.

قبِّل لي ابننا مائة قبلة.

أشتاق إليكما كثيرًا بالفعل. أعلم أنك ستأتي قريبًا، ولا يمكنني الانتظار لرؤيتك مرة أخرى!

زوجتك المحبة،

جين إير روتشيستر

ملاحظة: حدثت حادثة مؤسفة في نزل الحافلات على الطريق الشمالي الكبير. تعرضت للاصطدام نوعًا ما، ولكن بخلاف ذلك، أنا بخير. سأكتب لك المزيد لاحقًا.

الفصل ٦

نمت خلال وقت العشاء، وكنت أدرك بشكل غامض أن بولي حاولت باستماتة إيقاظي. وعليه، استيقظت بنشاط في السابعة صباحًا، وهي عادة مشتقة من عادتي في تفقد ابني. كانت السماء سوداء قاتمة، وكانت الأمطار الغزيرة تتساقط على زجاج النافذة. سمعتني بولي وأحضرت لي فستاني. لم يكن هناك أي أثر صغير من الوحل يشوه التنورة. بالغت في شكرها على جهودها الكبيرة. عندما سمعت أنني أعتزم زيارة المدرسة، اقترحت عليّ ارتداء فستان الحرير الأسود مع وشاح صغير. ومع أنه كان أحد أفضل فساتيني، فبعد نظرة سريعة خارج النافذة عرفت أن الأمطار لم تتوقف.

قلت لـ بولي: "سأرتدي ثوبي الرمادي المنسوج مرة أخرى"، وسألتها عن وجبة الإفطار.

"الطباخة لا تعد شيئًا قبل الساعة العاشرة لأن السيدة الكابتن لا تستيقظ حتى ذلك الحين. والضيوف السيدات عادة لا يستيقظن في وقت مبكر مثلك. ماذا عن فنجان من الشاي يا سيدتي؟". وذهبت لتطلب من سادي أن تحضره لي.

عندما شربت المشروب المنعش، بدأت بولي بتجهيز ملابسي. وكان بإمكاني أن ألاحظ عدم حماسها وأنها اعتبرت أن اختياري غير موفق. ومع ذلك، ساعدتني في ارتداء ملابسي الداخلية. تأوهت قليلًا بسبب الألم عندما شدت رباطات الخصر.

قالت: "عذرًا يا سيدتي".

بعد أن انتهيت من ارتداء ملابسي، قامت بولي بتصفيف شعري، ونمقته، وبتوجيه مني، قامت بسحبه بشكل محكم إلى خصلتين ملفوفتين، واحدة على كل جانب من رأسي.

لإكمال تجهيزاتي الشخصية، قمت بإضافة دبوس اللؤلؤ الصغير من ماريا تمبل إلى الجهة الأمامية من فستاني. وبالمقارنة مع فستان لوسي في الليلة السابقة، بدا الدبوس غريبًا، ولكنه استدعى لي أفكارًا سعيدة عن معلمتي القديمة حتى قررت أنه يجب أن يبقى.

"هل ويليامز موجود؟ من فضلكِ اطلبي منه أن يحضر العربة إلى الأمام". وبهذا، ومع المزيد من الشكر، قمت بإرسال الفتاة.

قررت أنه من الأفضل أن أرى أديل أولًا، وأتحقق من أنها بخير، ثم أعود إلى منزل بريتون. ستكون الطاهية قد أعدت الإفطار بحلول الوقت الذي أعود فيه. ومن ثم، يمكنني تناول الطعام براحة، وكتابة رسالة لـ إدوارد، وربما أقوم بزيارة مكتبة هاتشاردز بينما تقوم لوسي بأنشطتها الاجتماعية بعد الظهر.

t.me/yasmeenbook

ولكن مع بدء العربة بالحركة، ترددت في حكمة خطتي. فقد بدأت معدتي تتضور جوعًا، وتذكّرني بالعشاء الذي فاتني. كما أن حركة العربة سببت لي شعورًا بالدوار.

توقفنا فجأة. نظرتُ خارج النافذة، وأدركت أننا نقبع في نهاية ممر بعيدة عن أي منازل.

"أعتذر يا سيدة روتشيستر، ولكنني لا أعلم إذا كنتُ قادرًا على الوصول بنا إلى قرب المدرسة. هناك عدة عربات تسد الطريق". ووضع ويليام نصف جسده داخل العربة ونصفًا في الخارج، ما جعلني أتعرض لأمطار غزيرة جديدة.

"هل وصلنا؟". كانت الرحلة من منزل بريتون إلى مدرسة ألدرتون أقصر كثيرًا مما توقعت.

"نعم يا سيدتي".

"هل هذه هي المدرسة التي في الأمام؟ ذلك المبنى الكبير على اليمين؟".

"نعم يا سيدتي".

متحدية المطر، أخرجت رأسي بشكل أكبر وفحصت وضعنا. "ألا تستطيع أن تقربني أكثر يا ويليام؟".

"سأرى ما يمكنني فعله يا سيدتي". وأزال سائق العربة قبعته -لم تكن فكرة جيدة حيث كان المطر يسيل على رأسه وكتفيه- وانطلق لمعرفة سبب توقف العربات أمامنا. عاد بعد

فترة قصيرة وقال: "السائق الذي في الأمام يحذرني من أن العربات لا تتحرك. يمكننا أن نذهب ونعود لاحقًا".

فكرت في أنه ربما يجب عليَّ العودة إلى منزل بريتون. يمكنني العودة إلى الفراش والانتظار لتناول الإفطار، وتأجيل زيارتي إلى مدرسة ألدرتون لبضع ساعات، أو حتى ليوم آخر، وربما تغيير الفستان إلى واحد أكثر ملاءمة لمكانتي. أليس جليب هو من لاحظ أنني لا أبدو سيدة تمتلك الألماس؟

لكن أديل تحتاج إليَّ.

بهذا الفكر السائد في ذهني، اتخذت قراري. تحركت نحو باب العربة.

انتفخت عيني اليمنى بشكل مقلق لدرجة أن الرؤية أصبحت صعبة، لكنني تجاهلت إصاباتي وحدقت خارج النافذة بينما يتساقط المطر على حافة قبعتي. ووراء العربات المتوقفة، كان هناك شخصان في ثياب سوداء، يبدو أنهما مشغولان بالحديث، ورؤوسهما غير مرئية تحت مظلة سوداء كبيرة.

قال ويليامز، وهو يحدق في إحدى العربات: "إنها السيارة برلين الرائعة الشكل. إنها سريعة وخفيفة، ولكن من الصعب أن تنقلب"؛ وكان يتحدث إلى نفسه أكثر منه إلي.

سيطر فضولي علي؛ فسألت: "هل هناك فرق ملحوظ بين العربات؟".

دُهش ويليامز قائلًا: "بالتأكيد يا سيدتي. فقط انظري إليها!".

t.me/yasmeenbook

ماذا قال إدوارد لي ذات مرة؟ لقد قال: "في لندن، يحدد الأسلوب المتفاخر ترتيب الأفراد في الهرم الاجتماعي. يقيم سكان تلك المدينة بعضهم بعضًا بنفس التقييم الذي يقيم به الفلاح الماشية عادة".

أعلنت بعد أن اتخذت قراري: "سأخرج هنا".

"كلا، سيدتي! من فضلك لا يمكنك فعل ذلك! إذا علمت السيدة بريتون، فسوف تقتلني!".

شككت في ذلك. فلن يكون له قيمة كبيرة إن ظل الأمر معلقًا. بالتأكيد، لن يضيف ويليامز شيئًا إلى مدخلها الرخامي الفاخر.

"سأتحدث نيابة عنك. لقد اتخذت قراري". تعثرت في فتح الباب، فأسرع ويليامز لمساعدتي في النزول. تذمرت بصوت خافت عندما وضعت قدمي على الدرج المستطيل الخاص بالعربة ثم على حصى الطريق المتعرج.

هاجمتني روائح لندن: رائحة الصوف الرطب، وغبار الفحم المبلل، ودخان الحطب المبلل، ونفايات الأوعية الفخارية المتدفقة، وكومات من روث الخيول. كل هذا في عنوان يتردد إليه الناس كثيرًا! يمكنني فقط تخيل قذارة الأحياء الفقيرة في هولبورن، تلك الأماكن البائسة حيث قيل لي إن اللصوص والأطفال والخنازير والكلاب يتنافسون من أجل الطعام والمأوى.

"ويليامز، هذان الرجلان يعترضان الباب الأمامي. كيف يمكنني أن أدخل بطريقة أخرى؟".

"أترين السياج الحديدي المطوق بالدرج المتجه نحو الأسفل؟ هذا ما يسمى بـ 'المنطقة'. ولكنها مخصصة للعمال والخدم، ولا تليق بشخصية مثلك!".

قبل عامين، لم يكن مرحبًا بي في أي مكان إلا من خلال باب الخدم. قد لا تكون ملابسي تغيرت، لكن كل جانب آخر في عالمي تغير.

قلت بصوت ثابت لا يقبل الجدل: "شكرًا، ولكن يجب أن يكون ذلك كافيًا".

بادر ويليامز بالتحية برفع القبعة مرة أخرى وقال: "حسنًا، سأنتظرك حول الزاوية، سيدتي!". ورجع إلى موقعه مرة أخرى.

تسارعت خطواتي ضد الرياح التي كانت تدفعني بلا هوادة، تتأرجح بي هنا وهناك كالطائرة الورقية في يوم ربيعي عاصف. وأثناء تخطي المرمر المليء ببرك المياه، اكتشفت ممرًّا. تجنبت الرجلين اللذين كانا لا يزالان يتحدثان بنبرة سريعة ويتجاهلان وجودي تمامًا، واستمررت حتى استطعت أن أمسك بالسياج الحديدي وأتبعه. وعندما كنت على بعد خطوات قليلة من أسفل الدرج، انتهى الرجلان من محادثتهما.

قفز أحدهما إلى العربة برلين وانطلق بها عبر الشارع، في حين فتح الآخر باب مدرسة ألدرتون واختفى بداخلها، لكنه

عاد سريعًا بعد لحظات حاملًا لوحًا خشبيًّا طويلًا ومنخفضًا. كان على كتلة مغطاة بغطاء أبيض، وكان شريكه يحمل الطرف الآخر من الحمل، وكلاهما يكافح للحفاظ على توازنه في مواجهة الرياح القوية.

فجأة، تغير اتجاه الرياح وأدت الزوبعة إلى إطاحة الرجال جانبًا، ودفعتني باتجاه جدار المنزل. شاهدت الرجلين وهما يكافحان لاستعادة توازنهما وموازنة حمولتهما، وقد تحرر جزء من القماش الأبيض من النقالة، وارتفع الغطاء المبلل كالكائن النائم الذي يستيقظ؛ حيث تأرجح القماش في عدة اتجاهات، وانثنى وانقبض بفعل الرياح.

ارتجفت عند رؤيته يتحرك: جماد تدب فيه الحياة ليرقص رقصة شيطانية.

صرخ الرجل الجديد وكاد يسقط طرف النقالة من يده. رد الرجل الآخر بالعديد من اللعنات، أولًا على شريكه، ثم على القماش المتحرك الذي ارتفع بعيدًا عن قبضته.

مد الرجل الذي يكيل اللعنات يده عاليًا وأمسك بالغطاء الأبيض، وأخيرًا سحبه. كان من المفترض أن تلصقه الأمطار المتساقطة، لكن القماش رفض أن يظل مثبتًا. فانفلت من يده مرة أخرى وطار ليكشف ما كان في الحمولة.

إنه جسد ببشرة بيضاء كالطبشور.

t.me/yasmeenbook

الفصل ٧

بينما كان الرجلان يحملان حملهما إلى عربة النقل، طرقتُ بابًا ثقيلًا. لم يأت أي رد على طلبي المتكرر.

بسبب حاجتي الماسة للدخول، دفعت الباب. وعندما رفض الاستسلام، وضعت كتفي عليه.

فتح الباب بصوت ثقيل. فتعلقت يدي بقوة بالمقبض، ولففت حوله، لأدخل إلى الداخل بظهري أولًا.

قال صوت خلفي: "ماذا عن الوقت المحدد لوصولك؟".

أكملت نصف دورة أخرى واستخدمت ظهري لصد الباب.

"نعم، ألا يعد هذا هو الأفضل؟".

نظرت امرأة إليّ بجرأة. كانت ترتدي مئزر الطبخ، وكان هناك أثر من الطحين يلطخ جبينها العريض. حدقت وتقدمت لتفحصني. "يا له من منظر! ليس فقط المطر الذي كان يهطل عليك! هناك شخص ما قد منحك جرعة جيدة من الضرب!".

t.me/yasmeenbook

لفت انتباهي تنهيدة خفيفة من فتاة صغيرة كانت تقطع الخضراوات.

قالت الطباخة: "سيكون ذلك كافيًا يا إيما".

وبينما كنت أستند بظهري إلى الباب، حاولت التقاط أنفاسي. فإن المشي القصير في الأجواء السيئة -واللمحة المزعجة التي انتابتني عند رؤية فتاة ميتة- استنزفا طاقتي تمامًا. لقد كانت الرغبة الملحة لرؤية أديل هي التي تدفعني.

"لن يرسلوا حتى أسوأ كلابهم في هذا الطقس، لن يفعلوا ذلك. تعالي واقتربي من النار".

وبعد اتباع توجيهاتها، اقتربت من الموقد العريض المبني من الطوب؛ حيث توهج الجمر الأصفر والبرتقالي والأحمر بشكل ساطع. هناك، بدأت في هز ثيابي لإزالة الماء عنها. وأثناء حركتي، تحركت قبعتي. فتساقط المزيد من الماء على صندوق خشبي مبطن بالقماش. تحركت إحدى هذه القطع، فكشفت عن قط أسود كبير؛ قام بثني ظهره ليتمدد، وقبل أن يستقر في وضع الجلوس نظر إليّ بغطرسة.

حدقت فيه أنا أيضًا.

لكن لم ترمش عيناه. وكانت نظرته توحي بأنه يعتقد أني أفضل منه. لكن رغم كل شيء كان هو جافًا، ولم أكن أنا.

"آمل أنك لست مؤمنة بالخرافات. هذا هو ميفيستو، وهو الشيطان نفسه. ليس لديه أي بقعة بيضاء في أي مكان. إنه قاسٍ، لكنه قط صياد جيد. لديه نقطة ضعف تجاه الفتيات. سيخدشك ويخدشني حتى ننزف كأننا تم تقطيعنا بالسكاكين". ورفعت الطاهية كمها لتكشف لي عن الدليل، ثم أضافت: "ولكنه لا يؤذي الطلاب أبدًا".

حرك ميفيستو أنفه باتجاهي، ثم أدار ظهره وعاد للنوم.

كان كل ما استطعت قوله هو: "آه"، ثم قمت بإزاحة الشال المبتل عن كتفي المتألم، وبصعوبة قمت بعصره على الأرض. جرت المياه كالأنهار.

واصلت الطاهية لف وضرب العجين على طاولة مغطاة بالطحين بوتيرة منتظمة. وتطايرت سحب صغيرة من الطحين واستقرت مجددًا. وقامت إيما بتقطيع الخضراوات بإيقاع جذاب.

"إيما، ضعي ذلك. اذهبي وأخبري الآنسة ميلر بأن معلمتها الألمانية قد وصلت أخيرًا. لقد قدمت لنا من هامبورج بالفعل".

كان هناك تدارك قد تشكل في ذهني، والتعب والجوع الشديدان تقريبًا يقذفان بي. وضعت يدًا واحدة على الرخامة القريبة تثبتني مؤقتًا.

استغرقت إيما وقتًا لفك رباط مئزرها، وكان من الواضح أنها تستخدم تعليمات الطاهية كذريعة لفحصي بعناية. قالت الفتاة: "إنها حقًا كدمة سوداء".

"نعم، هي كذلك. الآن اذهبي". تركت الطاهية العجين وأدخلت مجرفة خشبية طويلة تحت ثلاثة أرغفة طازجة في الفرن. ثارت معدتي عندما انبعثت رائحة الخبز المخبوز طازجًا وبذور الكراوية.

لم أكن وحدي. ألقت إيما نظرة مريرة على الخبز المخبوز حديثًا قبل أن تقف بسكينها في مواجهة كومة من اللفت غير المقشّر بالكامل. "نعم".

تكلمت الطباخة بهمس، ولكن على الرغم من ذلك استطعت سماعها: "قد تكون مشغولة جدًا. بسبب ما حدث وكل شيء. إذا كانت مشغولة، فاسأليها ماذا أفعل بهذه الإنسانة. لا يمكنني أن أسمح لها بأن تتجول في مطبخي، خاصةً بهذه العيون المتسولة. حسنًا، إحدى عينيها متسولة والأخرى مغلقة تمامًا".

اقتربت قليلًا من وعاء نحاسي لامع يتدلى من السقف، وهناك لاحظت انعكاس صورتي. فالجانب الأيمن من وجهي يشبه زهرة البنسيان بلون بنفسجي. وكان فمي ضعفي حجمه العادي. وهناك شقٌّ أحمر زاهٍ قسم شفتي السفلى إلى نصفين. كنت سعيدة لأنني لم أفحص جروحي بدقة في منزل لوسي بريتون. إنها مرعبة!

فجأة، اختفت الغاية التي جعلتني صامدة، القوة التي أجبرتني على المضي قد اختفت. فخارت ركبتاي وتمايلتا قليلًا.

"اجلسي". دفعتني الطباخة على مقعد. واستخرجت من الخزانة إبريق شاي صينيًّا أبيض، مزينًا بنوع معين من الأزهار ومزينًا بحواف ذهبية. كان للقطعة لمعانٌ غير متوقع من الرقة في ذلك المطبخ الكئيب والقاتم.

حنيت جسدي وفركت جبيني. ثم أغلقت عيني، واستسلمت لمجموعة من الصور: صغيري نيد في سريره، والرحلة الطويلة في العربة مع السيد كارتر، والرحلة في حافلة البريد، والرجل الذي خرج من الظلال في النزل و...

"ها هو". صبت الطباخة من الإبريق، وكانت يدها الحمراء المتشققة تبدو غريبة بشكل سميك على الخلفية البيضاء الشفافة للإبريق. ثم وضعت كوبًا من الشاي الفاتر أمامي. تذوقت رشفة تجريبية. كنت أتمنى أن يكون مضافًا إليه حليب وسكر، لكنني كنت ممتنة على أي حال.

أغلقت عيني لأستمتع بنكهة الشاي. هناك صورة أخرى تدفقت إلى ذهني، ورقة ترفرف، والشكل الطيفي الذي شهدته في الممشى.

ضغطت على الكوب السميك، محاولة نقل دفئه. كنت أشعر بالبرد وجائعة ومتعبة. عندما يتم تحفيز الحواس بشكل

t.me/yasmeenbook

زائد، فإن الخيال يحاول التوسط، أليس كذلك؟ قررت أن عقلي قد أخذ قلقي على أديل، وإحساسي بالذنب بسبب عدم زيارتها، ورسالتها المرعبة، وذكرياتي الخاصة بـمدرسة لوود، ودمج كل هذه الأحداث المنفصلة في قصة جديدة وخيالية. تم مزجها مع رؤية ورقة تتراقص مع الرياح، وقد اخترعت مؤامرة درامية. كان عقلي قد نسج رؤًى متنافرة معًا، أملًا في خلق قصة، حتى في الأماكن التي لا توجد فيها قصة.

لا يمكن أن يكون الشخص الذي رأيته جثة ميتة.

فمع التهديد الموجه لـ أديل، كان ذلك يثير كل أنواع الأوهام الجنونية.

حذرت نفسي: لا تفكري في ذلك يا جين، اتبعي خطتك. بالتأكيد أديل بخير! لا بد من المثابرة.

أردت الحركة والهدف الحفاظ على مشاعري تحت السيطرة. أنهيت الشاي. وقبل أن أشكر الطاهية، كانت قد أخذت الكوب مني وأدارت ظهرها لي.

"هامبورج. إنها بعيدة جدًّا، أليس كذلك؟ لقد كنت تهربين من شخص ما. هل ألحق بك الضرر؟".

لقد اختلطت عليها الأمور وظنت أنني شخص آخر. وقبل أن أفتح فمي لأصحح لها، قالت: "لا يهم. ستكون الآنسة ميلر سعيدة برؤيتك، خاصة بعد ما حدث هذا الصباح. ستحتاج إلى كل المساعدة التي يمكن أن تحصل عليها، أضمن لك ذلك".

"الآنسة ميلر، مديرة المدرسة؟". كان الاسم يبدو مألوفًا. ومع ذلك، هناك العديد من الأشخاص الذين يحملون اسم ميلر في إنجلترا مثل عدد الخراف على سفوح التلال.

ضحكت الطاهية ضحكة ساخرة أرسلت غيمة من الدقيق تحلق في الهواء، وقالت: "ومَن سيكون إلا هي؟ السيدة ثورستون، المشرفة، لن تتحدث مع أحد مثلك. ولن تمضي وقت النهار مع السيدة كينغسلي المؤسسة. إذا كان للسيدة ثورستون وقت فراغ، ألن تعاقبك؟ أن تظهري هكذا. بعد تأخير ثلاثة أسابيع".

من الواضح أنها لا تزال تظن أنني المعلمة المفقودة. من خلال ارتداء ملابس غير مناسبة لمركزي في الحياة، تسببت في التفسير الخاطئ. تؤدي مخالفة قواعد السلوك، إلى إرسال رسالة خاطئة، خاصة هنا في لندن العصرية.

ارتعشت. فوضعت يدي بعمق في جيب التنورة، من خلال القماش الرطب، وتجاوزت الورقة المبللة من أديل، والتهديد المسيء، وسحبت منديلًا رخوًا في الوقت المناسب لأغطي فمي أثناء العطس.

نظرت الطاهية إلى الأعلى ووضعت قبضتيها على أردافها، وظلت عيناها الزرقاوان كالماء تحدقان في كدماتي. "كان لدي واحدة منها ذات مرة. كان الرجل يتحدث بقبضاته. كان رجلًا طيّبًا، إلا عندما يفرط في الشراب بكميات كبيرة جدًّا". حاولت

أن أومئ برأسي، ولكن تعبي تسبب بألم حاد في أحد جوانب جبيني. طارت أصابعي إلى عيني وتفحصت بحذر اللحم المتورم. لقد أصبحت الانتفاخة كبيرة كتفاحة الآن. أعتقد أنني تأوهت. "حسنًا، أنتِ هنا بأمان. دائمًا ما أقول إن الرياح العاتية هي التي لا تأتي بأي خير. تبدين ذكية بما فيه الكفاية، وكأنك تقضين كل وقتك في القراءة. سيجعلك هذا نحيفة وشاحبة. ابنتي كانت تشبهك قليلًا".

سألتُ: "حقًّا؟". وجلست على كرسيي، فشعرت بألم حاد في ضلوعي. وحبست أنفاسي لكبح صرخة.

"أنت مصابة بشدة، أليس كذلك؟ سأحضر لك قطعة لحم لوضعها على عينك. لقد كنت على وشك تحويلها إلى حساء لذيذ، ولكن لن يؤثر الانتظار على طهيي، وقد يفيدك كثيرًا".

"شكرًا للطفك". ما أردته حقًّا كان فنجانًا آخر من الشاي الساخن مع الحليب والسكر، وربما قطعة من ذلك الخبز. أخشى أنه لا يمكن مساعدة عيني، ولكن قوتي تتلاشى بسرعة.

"أنت تتحدثين الإنجليزية بطلاقة. أعتقد أن تعلم الألمانية صعب جدًّا".

مع الأخذ في الحسبان هويتي الخاطئة، أضفت بسرعة: "دانكه". (شكرًا باللغة الألمانية).

"نعم، لا أحب الأجانب".

t.me/yasmeenbook

"ولدت في ثورنتون، يوركشاير". لا حاجة لإخبارها بأنني وأبناء عمي تعلمنا اللغة الألمانية بأنفسنا عن طريق قراءة الأدب العظيم مع قاموس مفتوح على ركبتينا.

فكرت في ديانا وشقيقتها ماري وشددت الشال المبتل حولي.

"جيد". بعد ما أثبتَت إتقاني للغة الإنجليزية، وصلت الطاهية إلى وعاء، وأخرجت قطعة كبيرة من اللحم النيئ، ووضعتها بحرص في يدي.

رفعت اللحم إلى خدي المتألم. ربما يمكن أن يوفر اللحم النيئ بعض الراحة، ولكنني لم أكن متفائلة.

ظهرت إيما مرة أخرى وفتحت الباب لامرأة أخرى. عندما رفعت هذه المرأة رأسها، شهقت لرؤية نان ميلر... معلمة من أيامي في لوود.

تدفق الارتياح بداخلي عندما رأيت امرأة كنت أعرفها جيدًا.

"جين إير! ما الذي تفعلين هنا؟ وماذا بوجهك؟". كانت ملامح نان ميلر المتعبة قد تدهورت بعد السنوات التي مرت منذ أن غادرت المدرسة. عندما التقيت بها للمرة الأولى، كانت معلمة مساعدة ذات بشرة حمراء، وتميل إلى الانسحاب. كانت نان ميلر أكبر سنًّا مني بحوالي عشر سنوات، وكانت يتيمة مثلي وتم إرسالها إلى لوود، وكانت تتطلع للحصول على حياة أفضل.

حاولت موازنة اللحم بيد واحدة، ومددت يدي الأخرى لأصافح يد الآنسة ميلر الممدودة.

عبست الطاهية وحركت يدها نحو اللحم، وقالت: "سآخذ هذا".

قلت: "دانكه" (شكرًا).

قلّدت الطاهية شكري السابق قائلة: "دانكي".

أعادت قولها بصرامة، غير راغبة في تجاوز لكنة نطقها المروعة: "دانكه".

أشارت الآنسة ميلر بحركة رأسها في الاتجاه الذي أتت منه، مشيرة إلى أنها تتوقع مني أن أتبعها: "إيما، أحضري لنا الشاي. سنتناوله في الصالون. مفاجأة سارة يا آنسة إير. ولكنني لا أستطيع البقاء طويلًا. إنه يوم حزين جدًّا. فقد توفيت إحدى طالباتنا".

عند ذلك، فقدت وعيي.

t.me/yasmeenbook

الفصل ٨

كافحت لاستعادة وعيي، بينما عاد تركيزي إلى العالم. كان هناك ألم مزعج يقبع خلف رأسي. وكانت معدتي تُصدِر أصواتًا من الجوع.

مررت يدها وهي تحمل قنينة من الروائح القوية تحت أنفي: "آنسة إير؟ من فضلك استيقظي. ليس لديَّ الوقت لأكون ممرضة. ضعي الصينية على الطاولة، إيما. سيكون هذا كافيًا. أغلقي الباب عند خروجك".

جلسنا في صالون مُزخرف بشكل كبير، بغابة من النخيل الضخم. وهناك لوحات مُظلمة ومُعتمة تنظر إلينا من الجدران الأربعة. والزهريات والعمود وعدد كبير من التماثيل الخزفية تتنافس على مساحة على رف أبيض. كل هذا من أجل الترف، ولكنه أشاع الفوضى. فالاختناق العام ووفرة العناصر أضافا إلى ارتباكي العقلي.

وضعت الآنسة ميلر فنجان شاي رقيقًا مزخرفًا بزهور الورد على شفتي لأتمكن من أخذ رشفة مُقوية، وقالت: "اشربي هذا. لقد أضفت لمسة من الرتافيا".

t.me/yasmeenbook

تنهدت. لم يستطع الشاي أن يخفي حقيقة أن طعم الرتافيا كان كأنها برميل من خشب البلوط؛ حيث افترضت أن المشروب قد تخمَّر بها.

أضفت المزيد من الشاي إلى كوبي وسألت: "ماذا حدث؟".

"لست واثقة. استدعتني إيما إلى المطبخ. كنت أعتقد أنني سألتقي بمعلمة اللغة الألمانية المفقودة منذ فترة طويلة. تخيلي صدمتي عندما وجدتك في مطبخنا بهذه الحالة المزرية! ثم فقدت وعيك على الفور. من مظهر تلك الكدمة الجديدة والشفة المجروحة، فمن الواضح أنك تعرضت لتجربة صعبة جدًّا".

"هاجمني أحد قطاع الطريق".

"أوه يا عزيزتي! إنهم يتجولون في الطرق بلا خوف، أليس كذلك؟ يبدو أنك قاومت بشدة".

قلت: "نعم"، وسعيت لتوجيه حديثنا في اتجاه آخر. لا يوجد سبب للبقاء والحديث عن مصائبي السابقة. "هل قلت إن شخصًا ما توفي؟".

كان صوت الآنسة ميلر يهمس: "نعم".

"مَن؟".

"معذرة؟".

"أحتاج إلى معرفة ذلك. مَن الذي توفي؟".

"لماذا يا آنسة إير؟! لا أعتقد أنه من شأنك تمامًا!".

"أي فتاة ماتت؟ هل هي أديل؟".

"أديل؟ ليست لدينا طالبة تُدعى أديل".

"أديل فارينز. إنها هنا. أعلم ذلك! قولي لي إنها بخير". وبدأ رأسي يدور من شدة الألم.

"أوه! تقصدين أديلا فارينز! هل تدعونها بالاسم الفرنسي؟ انظري لقد أصدرت السيدة ثورستون تعليمات صارمة بأنه يجب أن ندعو الفتاة فقط (أديلا) لكي تصبح أكثر بريطانية في تصرفاتها و...".

"هل هي بخير؟". كان تهربها محبطًا للغاية لدرجة أنني كدت أمسك الآنسة نان ميلر من كتفيها وأهزها.

"بالطبع، أديلا بخير".

حاولت تنظيم أفكاري. لم تكن أديل ميتة. ومع ذلك، كانت هناك فتاة أخرى ميتة! ماذا كان يحدث هنا؟

"كيف توفيت تلك الفتاة؟". كنت بحاجة لمعرفة ما إذا كان هذا مرتبطًا برسالة التهديد التي تلقتها أديل. هل كانت صديقتي الصغيرة في خطر وشيك؟

تنهدت الآنسة ميلر، وقالت: "تم العثور على سيلينا بيلتمور ميتة في سريرها هذا الصباح. يبدو أن مرضًا غير معلن عنه

أو ضعفًا غير معروف قد أصابها. حقًّا يا جين، أنت مثيرة للإزعاج. كما قلت، أحتاج إلى أداء مسؤولياتي، خاصة بعد هذا الحادث المؤسف. سأرافقك إلى الباب". وحاولت الآنسة ميلر الوقوف.

أمسكت ذراعها وأبقيتها ثابتة، وقلت: "كلا، لا أستطيع المغادرة. ليس الآن على الأقل". تحركت يدي إلى جبهتي حيث اخترق الألم جمجمتي كما لو كان زوجًا من السكاكين الحادة.

"سأعذرك على بقائك فترة طويلة لأنني أرى بوضوح أنك تعانين. يمكنني رؤية ذلك على وجهك. إنك لا تحملين حقيبة صغيرة. أفترض أنك بلا مال وبلا مأوًى، مثل العديد من الناس هنا في لندن. أود أن أوفر لك سريرًا لليلة، ولكن للأسف، لست في وضع يسمح لي بذلك. أكره أن أرسلك بعيدًا، ولكن يجب وجودي في مكان آخر بشكل عاجل". ابتعدت الآنسة ميلر عني فحاولت الوقوف، وكان كلامها البارد مدعومًا بموقفها الصارم. "تفضلي بزيارتي مرة أخرى. أنا آسفة لأننا فقدنا الاتصال بعضنا مع بعض. والآن بعد أن وصلنا بعضنا إلى بعض مؤخرًا...".

"يا آنسة ميلر! يجب أن أرى أديل. لقد تعهدت بذلك".

جلست الآنسة ميلر مرة أخرى، وقالت: "كيف تعرفين أديل؟".

t.me/yasmeenbook

"تذكرين أيامنا معًا في لوود. هل تتذكرين أنني أعلنت في صحيفة هيرالد عن وظيفة؟ وأنه قد عرضت عليّ وظيفة معلمة؟".

تأملت الآنسة ميلر هذا الأمر. وقالت: "نعم، أتذكر ذلك".

"أديل هي التي تم تعييني لتدريسها، بسبب ذلك كنت أحب الطفلة جدًّا. أنا واثقة من أنها قالت لك الكثير عني".

أصدرت الآنسة ميلر نظرة بعيدة وبدأت العبث بثوبها تتلاعب بقماشها الرقيق، وقالت: "لا، لم أسمع ذلك. حسنًا، فربما كنتِ واحدة من عدة معلمين لديها! هل تدركين أن السيدة الأرملة إنجرام هي صديقة مؤسسة المؤسسة السيدة كينغسلي؟ من خلال هذه الصداقة، سمعت السيدة ثورستون أن السيد روتشيستر كان لديه معلمة هربت من منصبها. في ظروف محرجة وغير ملائمة جدًّا".

احمر وجهي خجلًا، وقلت: "ماذا قالت السيدة الكبرى إنجرام؟". ووجدت أن الآنسة ميلر تتردد بين إخباري والتزام الصمت، فأضفت: "ربما تكونين قد سمعتِ قصة مشابهة".

"إنها حكاية مليئة بالأحداث عن حفل زفاف غير مكتمل. انظري، كانت هناك معلمة متورطة، وفتاة شابة لديها طموحات تتجاوز وضعها الاجتماعي. غير مناسبة تمامًا. أخبرت السيدة إنجرام الكبرى السيدة كينغسلي كيف سحرت هذه المعلمة سيد القصر. كان يشعر بالجنون تمامًا بسبب رغبته فيها. ونتيجة

لذلك، قدم لها عرض الزواج ووافقت، ما أدى إلى رفض السيد لبلانش إنجرام المسكينة، التي كانت ستصير زوجة رائعة له. تم كسر قلب ابنة السيدة إنجرام، بلانش. ولكن كل ذلك كان خيرًا؛ لأن هذا الرجل الشرير كان متزوجًا بالفعل! هل يمكنك تصور ذلك؟ عندما عرفت المعلمة، الفتاة الطموح الصاعدة، عن نيته الحقيقية -الزواج المتعدد!- هربت. فأرسل السيد ابنته إلى المدرسة. وهكذا جاءت أديلا للإقامة هنا. وهناك المزيد".

"يرجى المتابعة". على الرغم من أنني كنت أعرف النسخة الصادقة من هذه القصة عن ظهر قلب، فإنني أردت أن أسمع الشائعات التي كانت السيدة إنجرام تنشرها. أردت معرفة القصص التي كانت تُنشر عني أنا وإدوارد.

"أخبرت السيدة إنجرام الأرملة السيدة كينغسلي أن الزوجة الأولى كانت امرأة مجنونة، وكانت تُحتجز في العلية من قصر السيد روتشيستر في الريف. هل سبق أن شاهدت ذلك؟". توقفت الآنسة ميلر لترتشف رشفة من الشاي. وتم تأجيل أعمالها العاجلة مؤقتًا بسبب إثارة مشاركة مثل هذه الفضيحة. "أعتقد أن السيد كانت لديه ممرضة تعتني بالمرأة المجنونة، لكن تلك العجوز كانت تفرط في الشراب. وفي إحدى الليالي، تمكنت الزوجة المجنونة من الهروب من الممرضة المخمورة وأشعلت المبنى بالنار! كاد السيد روتشيستر يلقى حتفه بسبب ذلك. لا أعرف بالضبط، لكنه الآن معوق. لم يزر أديلا منذ قدومها إلى هنا".

"أفهم". واستغرقت دقيقة لاستيعاب هذا، وإعادة سرد لأحداث حياتي التي على الرغم من تشويهها، تحتوي على عناصر من الحقيقة. "لكن السيد روتشيستر تزوج مرة أخرى بعد الحريق الذي لقيت فيه زوجته الأولى حتفها. ألم تذكر السيدة إنجرام الأرملة أنه تزوج مرة أخرى؟ ألا تعلم السيدة ثورستون أن إدوارد روتشيستر تزوج امرأة جديدة؟".

هزت الآنسة ميلر كتفيها. "لا أعلم. يمكن. ربما سمعت السيدة ويبستر عن زواجه. جاءت السيدة ثورستون منذ حوالي ستة أشهر. لقد كان لديها الكثير لتفعله، خاصة بعد رحيل مدرسة الألماني".

"ألم تذكر أديل -أديلا- شيئًا عن وصيّها وحالته؟".

"يا للهول، كلا. فإن مود ثورستون لا تطيق الثرثرة".

احتجت إلى كل طاقتي للتحكم بنفسي لعدم السخرية من ذلك. من الواضح أن المرأة تحب الثرثرة! فلم يكن لديها أي تردد في مشاركة الشائعات البذيئة التي لا أساس لها عني أنا وإدوارد.

واصلت الآنسة ميلر قائلة: "لقد حذرت السيدة ثورستون بوضوح أديلا من التحدث عن وصيّها. قالت لها إن هذا الرجل شيطان ويجب أن لا يتم ذكر اسمه علنًا".

تنهدتُ. لم أكن مستعدة لذلك. لا يمكن أن تؤذيني أي ضربة في جسدي مثل هذا الأمر. كيف تجرؤ مود ثورستون

t.me/yasmeenbook

على تعريض أديل لمثل هذه القيود؟ كيف تجرؤ هذه المرأة على الحكم على زوجي ووصفه بهذه الطريقة البذيئة! وماذا يجب أن تعتقد أديل؟ إنها تحب صديقها، إدوارد روتشيستر. الفتاة المسكينة. لا بد أنها تشعر بالحيرة!

لكن هذا لا يهم. واسيت نفسي بأنني هنا الآن. يمكنني تصحيح الأمور.

وقفت زميلتي السابقة، وقالت: "كان من الجيد رؤيتك. ومع ذلك، بناءً على مأساة هذا اليوم، يجب أن أقطع زيارتنا القصيرة. ربما يمكنك العودة وزيارتي ورؤية أديلا في وقت آخر".

"ولكنني هنا الآن، وأرغب في رؤية الفتاة".

"هذا نبل منك بالتأكيد، ولكن غير ضروري. فعلًا، من المستحيل جدًّا أن تزوري أديلا اليوم".

"ربما لم أوضح مكانتي بوضوح. إنني أطالب برؤية أديل!".

"بأي حق جين؟".

"لديَّ كل الحق. فأنا زوجة السيد روتشيستر!". وخلعت قفازي ومددت يدي اليسرى إلى الأمام.

الفصل ٩

"معذرة!"؛ ظل فم الآنسة ميلر مفتوحًا. ثم قالت: "لم أكن أعلم! المعلمة؟ التي هربت؟ أنت؟".

"نعم. ومع ذلك، فإن القصة التي سردتها السيدة إنجرام لا تستحق الإعادة. إنها ممتلئة بالتحيز والحقد".

"مرة أخرى، أرجو أن تقبلي اعتذاري. يا إلهي يا آنسة إير، أنت زوجة السيد؟ يا لك من محظوظة!".

أحرجني إعجاب نان ميلر الصريح. سأستغرق بعض الوقت حتى أتمكن من حل كل المشكلات التي تسببت فيها السيدة إنجرام. في الوقت نفسه، سأحتاج إلى تصحيح الوضع مع مود ثورستون. والأهم من ذلك، أحتاج إلى رؤية أديل.

"حتى لو لم تكن السيدة ثورستون تعلم بزواجنا، فإن أديل علمت. فالسيدة أوغستوس بريتون صديقة العائلة. وكانت تتحقق من أديل بانتظام حتى قبل ستة أشهر".

"ربما أشارت الفتاة إلى ذلك. لا أستطيع أن أجزم بذلك. أديلا تتحدث بالفرنسية بسرعة تجعل من الصعب فهمها".

t.me/yasmeenbook

اجتاحتني موجة جديدة من الشعور بالذنب. يا إلهي، تلك الفتاة المسكينة! حتى قبل ستة أشهر من أن أصبح مربيتها، كانت تعيش في القارة ولم تتكلم إلا بلغتها الأم. جلبها إدوارد ومربيتها الناطقة بالفرنسية معها إلى إنجلترا بعد رحيل والدتها. وعلى الرغم من أنني أصررت على قضاء جزء من أيامنا نتحدث باللغة الإنجليزية، لا تزال أديل تفضل لغتها الأم، خاصة عندما تكون متعبة أو مضطربة.

قالت الآنسة ميلر بحركة يد مستهينة: "لم أكن جيدة جدًّا في اللغات".

فبينما أتاحت معظم مدارس الفتيات اللاتينية واليونانية والفرنسية -وأحيانًا الألمانية والإيطالية- كجزء من المنهج الدراسي العادي فيها ، لم ترتقِ الآنسة ميلر في مدرسة لوود إلى أكثر من مرتبة مساعد معلمة بسبب فقر مهاراتها اللغوية.

أعدت بإصرار: "ولكن بالتأكيد فإن الفتاة كانت تثق بشخص ما، أليس هناك أي شخص بالغ يمكنه التحدث بحرية مع أديل؟".

"بلى، بالطبع. كانت مدرّسة الألمانية القديمة لدينا، فراولين هيرتزوج، وأديلا تفهمان بعضهما بعضًا تمامًا. كانت فراولين تتحدث القليل من الفرنسية. ليس كثيرًا، لكنها تتحدث بعض الكلمات. كانت هي المشرفة على الفتيات الكبيرات. تعرفين، أديلا هي الأصغر في فصلها. يبلغ معظم الفتيات الكبيرات سن الثالثة عشرة فصاعدًا".

t.me/yasmeenbook

"لماذا تضعونها في فصل الكبار؟ إنها لم تتجاوز عامها العاشر هذا العام".

"عندما جاءت السيدة ثورستون، نقلت أديلا إلى فصول الفتيات الأكبر سنًّا، نظرًا لتعرض الفتاة سابقًا لبعض النماذج غير المرغوبة في الحياة". وتوقفت لحظة وهزت رأسها تجاهي.

كان واقعًا أنه تم الحكم على الفتاة بسبب خطايا والدتها، التي كانت راقصة أوبرا وساقطة، وهذا الأمر بدا لي قاسيًا ولا يوجد داعٍ له. ومع ذلك، أتذكر أنه بعد فترة قصيرة من لقائي بـ أديل، قدمت لي نموذجًا من إنجازاتها، والتي تضمنت أغنية صغيرة تتضمن موضوعًا غير مناسب تمامًا لمثل هذا العمر. ربما كانت السيدة ثورستون حكيمة في فصل أديل عن الأطفال الأصغر سنًّا.

"هناك سؤال آخر لديّ. في الآونة الأخيرة، أصبحت رسائل أديل مختلفة. تبدو العبارات غريبة على أسلوبها".

ضحكت الآنسة ميلر قائلة: "وتحسنت كثيرًا، أليس كذلك؟ بلى، الحقيقة هي أن الطلاب ليسوا هم مؤلفي رسائلهم، بل السيدة ثورستون هي المسؤولة عن ذلك. جميع الفتيات ينسخن رسائلها من السبورة".

لم أستطع أن أصدق ما سمعته؛ فقلت: "ماذا؟".

"حقًّا، إنها خطة ذكية جدًّا. السيدة كينغسلي، مؤسسة المدرسة، كانت غاضبة عندما اشتكت إحدى الفتيات لوالديها

بشأن شيء ما، واستجابا بسحبها من المدرسة؛ لذا قطعت مود ثورستون وعدًا بعدم تكرار ذلك، ولكن يتوقع الآباء أن يراسلهم أبناؤهم بانتظام؛ لذا قررت السيدة ثورستون أن تكتب رسائلهم بنفسها".

انفطر قلبي على أديل وشعرت بالتعاطف معها، ولكنني شعرت أيضًا بالارتياح، فعلى الأقل الآن أعرف سبب غرابة رسائلها الأخيرة!

قلت: "أشعر بالسوء؛ لأن أديل لم ترنا منذ فترة طويلة. هل الآباء الآخرون الذين يرسلون بناتهم إلى مدرسة ألدرتون يزورونهن بشكل متكرر؟".

"معظمهم، للأسف، لا يفعلون ذلك. فوضعها ليس غريبًا. في بعض الأحيان يبتعد الآباء عن زيارة أولادهم لأن زياراتهم تسبب اضطرابًا. كل عائلة مختلفة. يختار جميع أولياء الأمور مدرسة ألدرتون لأنهم يرغبون في تأمين تعليم جيد لأبنائهم. ويسافرون كثيرًا ويقررون أن الأجواء المستقرة هي الأفضل، لكن هناك آخرون يبدو أنهم يرغبون في التخلص من أعباء تربية الأطفال. لأصدقك القول: يظهر العديد منهم المزيد من المودة تجاه كلابهم الصغيرة أكثر من أطفالهم!". وتنهدت وهي تضيف: "غالبًا ما يبقى الطلاب معنا خلال العطلات والصيف. يزور أغلبية الآباء المدرسة بندرة، إن فعلوا ذلك في الأساس".

"إذًا، كيف يعرفون أن بناتهم يحصلن على تعليم جيد؟".

"يطلب القليل منهم تقارير منتظمة على شكل رسائل، والتي تقدمها السيدة ثورستون بشكل متقطع. فإنها تعتقد أنه من الأفضل عدم إزعاج الآباء ما لم تكن هناك مشكلة. تدخل الآباء يدعو فقط إلى المتاعب، كما يمكنك تخيله جيدًا".

"التدخل".

"نعم". كان هذا صوتًا هادئًا من الاعتراف.

لم أعد أستطيع السيطرة على نفسي. فقمت من مكاني، وقلت: "كفى. أخشى أنه عليَّ أن أتدخل، يجب أن تأخذيني إلى أديل على الفور".

"أنا آسفة، لكن هذا غير ممكن. إنها نائمة".

"في هذه الساعة؟ يجب أن تكون في الصف، أليس كذلك؟". أديل التي لم تأخذ قيلولة قط؟ ولم تُظهر أي علامة على انخفاض الطاقة؟ تلك الفكرة جعلت قلبي ينفطر.

"بعد وفاة صديقتها، أصيبت أديلا بالاضطراب. عندما رفضت العزاء، فحصها الطبيب واقترح شرب الشاي العشبي. ربما إن استطعتِ العودة في وقت لاحق...".

"إما أن ترافقيني أو سأجد طريقي بنفسي".

وضعت الآنسة ميلر يدها على يدي، وقالت: "أخشى أنك لا تثقين بي".

"لا يهم إذا كنت أثق بكِ أم لا، يجب أن أرى الفتاة. سأراها. لقد وعدت زوجي، ويجب أن أفي بوعدي". سأعوضها عن تقصيري، وسأبدأ بهذه العملية اليوم، هنا، والآن".

"أنتِ صعبة جدًّا يا جين. مُتعنِّتة جدًّا! أتذكر دائمًا أنكِ كنت تطرحين الكثير من الأسئلة، لكني لا أتذكر أنكِ كنتِ بهذا القدر من الإصرار والتحدي. ما الذي غيّركِ؟".

هل تغيرت حقًّا؟ منذ أيامي في لوود، بالتأكيد، ولكن فقط للأفضل، كما أعتقد. فقلت: "إنها المسؤوليات التي أحملها الآن، بعض التغيرات كانت برضاي وبعضها دون إرادتي. هذه هي الأعباء التي أنوي حملها بنفسي من الآن وحتى آخر نفس لي. ومن بين هذه المسؤوليات يأتي الاعتناء برفاهية أديل فارينز".

قامت الآنسة ميلر من مقعدها وبدأت تتجه نحو الردهة. وقالت: "لقد أقنعتني، ولكن يجب أن نسرع. تعتقد السيدة ثورستون أنني أستغرق وقتًا طويلًا معك لأنكِ معلمة اللغة الألمانية الجديدة. لا أعتقد أن لدينا وقتًا لتصحيح سوء الفهم وتقديمك لها بشكل صحيح الآن. ليس الآن. إنها مشغولة بسبب الكارثة التي أُلمت بنا. أعتقد أنها ترتب الأمور بالنسبة لنا للدخول في الحداد. في وقت سابق، كانت تكتب رسالة تعزية لوالدي الفتاة".

نظرًا لعجزي عن فعل أي شيء للطفلة المتوفاة، أومأت بالرضا. لم يهمني تفكير السيدة ثورستون فيّ أو ما قد تعتقده عني. كان اهتمامي الوحيد هو رؤية أديل.

فتحت باب الصالون إلى ردهة واسعة. كانت سجادة حريرية فاخرة تغطي جزءًا من مربعات الرخام الأبيض والأسود بالتبادل. وكانت هناك معلَّقة من الكريستال تتدلى فوقنا، وتحدق فينا التماثيل الرخامية من التجاويف في الحائط.

شرحت الآنسة ميلر قائلة: "على اليمين مكتب السيدة ثورستون، وخلفه شقتها الخاصة الدافئة"، ورأت الدهشة على وجهي، فضحكت بهدوء، وهي تضيف: "لم نكن نستطيع تخيل مكان مثل هذا، أليس كذلك؟ أفكر في أيامنا الأولى في لوود، قبل أن تتم إعادة بنائها. كم كانت القاعة الدراسية وغرفة النوم مزدحمتين. ورائحة الشوفان المحروق تتسرب من كل مسامها. لا شيء من ذلك هنا".

أشارت نحو غرفة مفتوحة على يسارنا، فلمحتُ طاولتين لتناول الطعام مزينتين بفضة فاخرة تتلألأ في الضوء الساطع الذي يتسرب من النوافذ. قالت نان ميلر، مشيرة إلى مجموعة من الأبواب القابلة للطي: "يمكن تقسيم هذه الغرفة إلى نصفين بواسطة حاجز". كان هذا المكان بحجم تقريبي للكوخ الأبيض الذي كنت أدرِّس فيه لعشرين تلميذًا في قرية مورتون خلال تلك الفترة الحزينة عندما كنت مبعدة عن إدوارد.

أثناء اتباعي للسيدة ميلر نحو الأعلى على درج من خشب الماهوجني المصقول، لمحتُ طابقًا أرضيًّا مُقسمًا بدقة إلى أقسام. هذه هي الفصول الدراسية. ومن خلال الأبواب

المغلقة، كنت أسمع أصوات الفتيات الصغيرات العالية وهن يرددن دروسهن بأصواتهن العالية.

قالت بكثير من الفخر في صوتها: "في الخلف توجد غرفة الموسيقى، مزودة ببيانو. ويحتوي كل فصل دراسي على مجسم الكرة الأرضية وكتب المراجع".

صعدنا مجموعة أخرى من السلالم. قالت: "هنا لدينا مكتبتنا. وتوجد حتى مجموعة مكونة من عشرة مجلدات من الموسوعة البريطانية. في الليل، نجتمع هنا حتى تتمكن الفتيات من ممارسة حرفة الخياطة والقراءة بصوت مرتفع. لدينا خمس عشرة طالبة -حسنًا، أفترض الآن أنهن أربع عشرة طالبة- في المجموع. وتقع غرف النوم للأطفال الصغار الخمسة، والطالبات الصغيرات الخمس، والطالبات الكبار الخمس -الأربع- في هذا الطابق. وتنقسم الفصول إلى الأطفال الصغار في سن السادسة إلى الثامنة، والطالبات الصغيرات في سن التاسعة إلى الثانية عشرة، والطالبات الكبيرات في سن الثالثة عشرة فما فوق".

عندما وصلنا إلى أعلى السلم، دخلنا غرفة طويلة. كان هناك سرير وخزانة صغيرة موضوعة بعيدًا عن الباب في منطقة محاطة بحاجز تغيير الملابس. "عادةً ما ينام المعلم هنا. ويوجد شخص بالغ لكل غرفة نوم، ولكن بسبب عدم وصول المعلمة الجديدة للغة الألمانية، هذا السرير فارغ حاليًّا".

تجاوزنا لوحة التغيير ونظرنا إلى خمسة أسرة في صفين متقابلين.

قلت: "أديل!". كانت تستلقي على أحد جانبيها وجهها مستدير بعيدًا عنا. كان بإمكاني التعرف بسهولة على شعرها الكثيف ذي التجعدات الغزيرة وهو يتدلى فوق الوسادة. أسرعتُ نحوها، متوقعةً أن تستيقظ وترحب بي بنعاس.

كم نمَت في السنتين الماضيتين! يمكنني أن ألاحظ أنها أصبحت أطول بكثير. تمر عقارب ساعة الطفولة بوتيرة أسرع من البلوغ. وعلى الرغم من أن فراقنا يبدو حديثًا بالنسبة لي، فإنه بالنسبة لـ أديل، انفصال استمر لفترة طويلة من حياتها.

اقتربت من السرير وجلست بجانبها.

"أديل؟". أزحت خصلة شعر خلف أذنها حتى لا تتدلى على وجهها. أيتها الفتاة المسكينة. هل ظنت أننا نسيناها؟

لم ترد.

"أديل!".

لم تتحرك.

t.me/yasmeenbook

الفصل ١٠

سألتُ الآنسة ميلر بلهفة: "ما خطبها؟ لماذا لا تستيقظ أديل؟ هل هي مريضة؟ ماذا قال الطبيب عندما فحصها؟ هل هذا هو السبب في أنك ترغبين في إبعادي؟ ما الذي لا تخبرينني به؟". تلاشت آخر بقايا سيطرتي على نفسي. فكنت متعبة، وغاضبة، وخائفة... بل خائفة جدًّا.

ولكن وجه الآنسة ميلر اللا مبالي لم يفصح عن شيء.

صرخت: "أجيبيني!".

"يجب أن تفهمي. كانت غاضبة بشكل هستيري. كانت تجهش بالبكاء. كانت تشد شعرها. كانت تؤذي نفسها. لم يكن للشاي العشبي أي تأثير. فوضعت قطرتين من مهدئ اللودانوم في قطعة شيكولاتة وعرضتها عليها".

شيكولاتة؟ ستكون مغرية لصديقتي الصغيرة. فقد كانت الحلوى من أكبر نقاط ضعف أديل.

t.me/yasmeenbook

ابتسمت الآنسة ميلر، وقالت: "هل ترين؟ إنها تنام بسلام. إنها في حالة سلام. اقترح الطبيب ذلك يا جين. فأنتِ لم تكوني هنا. صدقيني، لا يمكنك أن تتخيلي مدى سوء حالتها. أدى ذلك إلى دخولها في حالة تقيؤ. لم نستطع مساعدتها بأي طريقة أخرى".

لقد عرفتُ أديل كونها عاطفية ومبالغة في التصرف، ولكن وصف سلوكها يبدو أكثر تطرفًا من أي تصرف رأيته من الفتاة من قبل. ومع ذلك، إذا كان الطبيب قد اقترح إعطاء مهدئ لـ أديل، فقد كان ذلك هو الخيار الأصوب. لقد رأيتها عندما كانت عنيدة، وكنت أعلم ذلك لأنها كانت مدللة عندما كانت صغيرة، ويمكن أن تكون مزعجة للغاية. بالنظر إلى الصدمة التي يمكن أن تكون قد تعرضت لها عندما توفيت إحدى زميلاتها في المدرسة، يمكنني تخيل رد فعلها المفرط. داعبت خدها وقبّلت جبينها، ولاحظت ارتفاعًا وانخفاضًا منتظمًا لصدرها. أخذت إحدى يديها وفتحت أصابعها، وقمت بتقبيل راحة يدها. وهمست بعض العبارات المحببة لها بلغتها الأم. تنهدتْ، حركتْ شفتيها، أمسكت أصابعي بردة فعل هيّنة، واحتضنتِ السرير بشكل أعمق. شجعتني استجابتها الجزئية على مداعبتها. نعم، كانت في حالة مخدرة، ولكنها لا تزال موجودة معنا، وليست غائبة تمامًا. راقبت تنفسها المنتظم ولاحظت لون وجهها الحيوي وأنها بدت أنحف. وعلى الرغم من عدم قدرتي على إيقاظها، فإنها ليست في خطر.

ببطء، نهضتُ من مكاني. فانحنيت وقبلت خدها مرة أخرى. وردًّا على ذلك، غمغمت أديل.

كان صوتها قد جعل قلبي يبتهج.

قالت الآنسة ميلر بصوت يحمل الدهشة والتقدير: "أنت حقًّا تحبينها".

"بالطبع أنا أحبها. كيف يمكنني ألا أهتم بـ أديل؟ إنها عزيزة على قلبي. بالإضافة إلى أنها تهم إدوارد، وما يهمه هو أمر مهم بالنسبة لي، ولكن، حتى لو لم يكن ذلك صحيحًا، لا يزال عليَّ الاهتمام بها".

تفحصت رسالة التهديد الموجودة في جيبي العميق ونظرت إلى الخيارات المتاحة أمامي. هل من الأفضل أن أنقل أديل في الحال، أم أنها ستنمو بشكل أفضل في مدرسة ألدرتون؟ صحيح أن البيئة هنا كانت صحية، وكان واضحًا أنها لم تكن واحدة من الفتيات اللاتي يعانين نقص تلك الراحة الأساسية التي تكون ضرورية وممتعة في الحياة اليومية. ومن الواضح أن المكان مجهز تجهيزًا جيدًا للدراسة، وربما كانت هذه البيئة توفر لها بالضبط نوعًا من الهدوء الذي تحتاج إليه بسبب طبيعتها العاطفية المفرطة. كنت أعرف أن الآنسة ميلر لديها قلبٌ طيب. لقد عاملتني أنا وزملائي بلطف. نعم، كانت تبدو قاسية، ولكن الطباع القاسية كانت غطاءً لقلب طيب.

t.me/yasmeenbook

ومن ناحية أخرى، كانت أديل غير سعيدة مؤخرًا، وتفتقر إلى الاهتمام من البالغين. ربما يجب أن آخذ أديل معي، وعندما تستيقظ، يمكنني التحدث معها وتقييم الوضع بشكل أفضل وتحديد أفضل خطوة يمكن اتخاذها.

"هل هناك شخص يستطيع أن يحملها وينزل بها الدرج؟ ويذهب لكي يستدعي السائق الخاص بي؟".

قالت الآنسة ميلر بهدوء: "إذا كنتِ تعتزمين على أن تأخذيها معك، أرجوكِ أن تعيدي التفكير، فعلى الرغم من التصرفات الهيستيرية هذا الصباح، فقد تكيفت أديلا جيدًا مع حياة المدرسة. عندما جاءت قبل عامين، كانت مشاغبة، لكنها اعتادت الروتين. وتحب زميلاتها في المدرسة. بالطبع، يمكنها المغادرة إذا كنت ترغبين في ذلك، ولكن أعتقد أنك ترتكبين خطأ. غدًا، سترغب في مناقشة ما حدث مع صديقاتها. ومن الذي يمكن أن يفهم ذلك بشكل أفضل من إحدى قريناتها؟".

"وهل أنتِ واثقة من أنها ليست مريضة؟ هل الفتاة التي توفيت لم تكن تحمل عدوى؟ إن كان الأمر كذلك، فيجب عليَّ أن أُخرج أديل فورًا!".

قالت الآنسة ميلر: "كما قلت لك، لم تكن هناك علامات ظاهرة على أي شيء غريب بشأن سيلينا الفتاة التي توفيت. فقد اتصلنا بالطبيب فورًا حينما أدركنا أن الفتاة كانت... باردة. لم يرَ علامات على وجود مرض".

فكرت في اقتراحها: كانت على حق. فحتى لو كان وجودي مريحًا، إذا استيقظت أديل هنا، فإنها يمكنها الحزن، ولكن مع دعم الفتيات الأخريات. سيؤثر ذلك في جعلها تفهم قيمة الصداقة والواجبات. كانت كلتاهما من الصفات التي يرغب إدوارد في غرسها فيها.

بالإضافة إلى ذلك، كنت ضيفة في منزل لوسي بريتون. وبينما قدمت لي كل اللطف، فإن العودة بضيف غير متوقع، ستكون أمرًا غير مناسب ووقحًا.

قاطعتني الآنسة ميلر. "أعلم أنه قرار صعب، ولكنك لا تريدين أن تخسري كل الصفات التي حصلت عليها أديلا خلال السنتين الماضيتين. لقد كوَّنت صداقات وتعلمت التحدث باللغة الإنجليزية بدلًا من لغتها الأم. إذا أخذتِها الآن، فمن المرجح أن تتراجع. أقترح أن تتركيها، على الأقل حتى الغد. دعيها تحزن مع صديقاتها قبل أن تأخذيها إلى المنزل".

وتوقفت لبرهة ثم قالت: "فكري في كيفية تحملك للمآسي في لوود".

طلب معقول. في الأزمات، غالبًا ما يلجأ الفتيات في المدرسة بعضهن إلى بعض. لقد اعتمدت أنا وزميلاتي في مدرستي في لوود بعضنا على بعض في شهر مايو القاسي عندما تحول المبنى إلى مستشفًى بسبب العدوى. قد تدوم مثل تلك الصداقات مدى الحياة؛ فلا يزال لديَّ تواصل مع جوليا

t.me/yasmeenbook

سيفيرن وماري آن ويلسون الذكية والمبدعة. أردت ذلك لـ أديل. ستستمتع بمجتمع الآخرين، فهي بطبيعتها فتاة محبة للثرثرة وأكثر شيء تحبه هو مستمعون معجبون بها.

"إذًا، سأترك أديل هنا. على الأقل في الوقت الحالي".

"هذا قرار حكيم".

وضعت قبلة أخيرة على جبين أديل وأمسكت يدها، ثم خرجت مع الآنسة ميلر من غرفة النوم وسألت: "متى تتوقعين أن تستيقظ؟".

سحبت الآنسة ميلر الباب خلفنا، وقالت: "ستنام لبقية اليوم والليل أيضًا".

"يجب أن أعرف كل ما يتعلق بـ أديل: كيف تسير دراستها، ومَن يدرس لها، ومن هم أصدقاؤها، وما التقدم الذي أحرزته. والأهم من ذلك، يجب أن تمنحي لي ضمانًا بأنها بأمان".

قالت ونحن نهبط سريعًا على الدرج: "أضمن لكِ ذلك، صحيح أننا تعرضنا لمأساة، لكن العاصفة ستمر. ستساعد الفتيات بعضهن بعضًا على التكيف. كانت أديلا مجهدة، لكن لا شيء أكثر من ذلك. وبما أنكِ تعرفينها، فلا بد أنك تعلمين أنها تميل إلى التهويل من الأمور".

لمست مجددًا الورقة في جيبي. وفكرت في مشاركتها معها، ولكن ذلك سيفشي سر أديل... وقد يمنعني من الوصول إلى الحقيقة. ربما كتبتها طالبة أخرى لتهديدها.

تعاني الفتيات في المدرسة عواطف شديدة. فيمكنهن القتال في يوم وتبادل القبلات في اليوم التالي. أردت أن أحدد بنفسي ما إذا كانت رسالة أديل إلينا نابعة من تلك التقلبات العاطفية، أم أنها كانت فعلًا تتعرض للإساءة. ومن خلال خبرتي، ربما كانت أديل غير سعيدة، لكني أملتُ أن تكون شكواها مبالغًا فيها.

قررت الاحتفاظ بالورقتين لنفسي في الوقت الحالي. فطالما أن أديل في أمان، فيمكنهما الانتظار.

آنئذ، التفت الآنسة ميلر وهمست: "يجب علينا الإسراع. إن السيدة ثورستون تمتلك مزاجًا سريع الغضب. ستقدم لك اليوم مثالًا على ذلك إذا رأتني متباطئة. سيكون من الأفضل بالنسبة لك العودة غدًا. هل لديك مكان تقيمين فيه الليلة؟".

أعطيت لها إحدى بطاقات التواصل الخاصة بـ لوسي بريتون. كانت مبللة لكنها لا تزال مثيرة للإعجاب. وكتبت عليها حروفًا سوداء منقوشة تكشف عن اسم وعنوان مضيفتي.

فركت الآنسة ميلر إبهامها على البطاقة السميكة المصنوعة من العاج. وقالت: "السيدة أوغستس بريتون. لقد زارت أديلا عدة مرات. هل أنت ضيفتها؟ إنها عضو في المجتمع الراقي". لم تستطع الآنسة ميلر إخفاء دهشتها. فكانت عيناها تنظران إلى ثيابي، ويمكنني أن أدرك أنها لا تزال تكافح لتوافق مظهري المتواضع مع المكانة الرفيعة التي أحتلها الآن.

قلت، تفسيرًا لملابسي المتواضعة: "نعم، أقيم هناك. نخطط أنا والسيدة بريتون لزيارة متاجر مختلفة، أعتقد أن لديها جدول أعمال مزدحمًا لنا".

كررت، ونبرة الدهشة واضحة في صوتها: "متاجر".

إنها، دون شك، تفاجأت بالتحول في وضعي الاجتماعي؛ إذ تذكرني طفلة مسكينة، مضطهدة وغير مرغوب فيها، واعتقدت أن هذا التغيير كان مؤثرًا ومريرًا بشكل خاص. عضضت لساني بدلًا من أن أخبرها بأنني أصبحت ثرية من تلقاء نفسي حتى قبل أن أتزوج. لم يكن لدى الآنسة ميلر حاجة إلى سبب آخر للشعور بالحسد.

"إذا استيقظت أديل في وقت مبكر، فالرجاء الوصول إليَّ".

قالت الآنسة ميلر، ونحن ندخل المدخل الرئيس: "غدًا يمكننا أن نتحدث عن تقدم أديلا".

قلتُ بلباقة: "سعدت جدًّا برؤيتك مرة أخرى". لكنني شعرت بالتغيير الذي حدث، إذ لم نعد زميلتين. لقد تقدمتُ إلى مرتبة مرموقة في الحياة، وهو أمر لن يتحقق لـ نان ميلر أبدًا.

إن صديقتي درست نبات النخيل المزروع الذي يمتد على طول الزاوية بأكملها. لم تكن نخلة مثيرة للاهتمام بشكل خاص. عمومًا، النخيل غالبًا لا يكون كذلك. ووضعها يخفي

t.me/yasmeenbook

العيوب في الديكور. إنها تملأ الفراغ، ولكنها لا تسهم كثيرًا إلا في التقاط الغبار وإخفاء الفئران العابرة. في هذه الحالة، قدمت الآنسة ميلر وسيلة لتجنب نظرتي الحادة.

ردت قائلة: "نعم، وأنا كذلك، كان من دواعي سروري رؤيتك يا سيدة روتشيستر"، وكان بإمكاني أن أشعر بأن كلمة "السيدة روتشيستر" قد علقت في حلقها.

قبل أن أتمكن من المغادرة، ضربت أصوات حذاء جلد على الأرض لتعلن عن قدوم شخص في الممر. دخلت امرأة ضخمة ذات وجه سمين. كان لديها عينان صغيرتان تطلّان من بين تجاعيد غزيرة. تمايل جسمها المربع إلى اليسار ثم إلى اليمين أثناء سيرها وهي تنظر إلى كل مكان، وتبدو كسفينة في بحر عاصف. وبينما لا أدعي الجمال لنفسي، فإن هذه السيدة كانت تفتقر بشكل محزن إلى أي صفة جمالية جذابة. كان شعرها الرمادي ينفلت من ضفيرتها الضيقة. وكان أنفها ملونًا مثل الكرز ويمتد اللون الحيوي من الأوردة مرورًا بجسر الأنف.

قالت: "ها أنت ذي يا آنسة ميلر! لقد كنتُ أبحث عنك. عندما تنتهين من لعب دور الملاك مع مدرّسة الألماني الضالة، تفضلي إلى مكتبي". وأخذت نفسًا عميقًا.

قالت الآنسة ميلر مع انحناءة طفيفة: "نعم سيدة ثورستون، هل يمكنني أن أعرِّف...؟".

t.me/yasmeenbook

رفعت السيدة ثورستون إصبعها الذي يشبه السجق، وقالت: "كلا، لا يمكنك، فالظهور في وقت متأخر وبهذه الفوضى يدل بشكل سيئ جدًّا على مستقبلك معنا يا سيدتي الصغيرة. لقد أهدرتِ بالفعل الكثير من وقتنا. وخصوصًا في يوم مروع مثل اليوم!".

حاولت الآنسة ميلر مرة أخرى قائلة: "هل يمكنني أن أعرِّف...؟".

مددت يدي ذات القفاز الرطب.

قاطعتها السيدة ثورستون مرة أخرى، وتجاهلَت يدي الممدودة: "كلا، لا يمكنك، أمسكي عليك لسانك يا آنسة ميلر. ليس لديَّ الوقت لتدليل المعلمة. ولا أنتِ. هذه الفتاة الأنانية قد اختبرت صبري بالفعل. علاوة على ذلك، فمظهرها مخزٍ. بالتأكيد وجه لها أحدهم ضربة، وأعتقد أنها تستحقها. ربما علّمتها درسًا قيمًا. هنا في مدرسة ألدرتون، لدينا قواعد. لا يُسمح للموظفين بإحضار أتباع. ولا التواصل مع رجال. يجب تجنب الفضائح بأي ثمن".

بدأت بالرد، لكن الآنسة ميلر أمسكت ذراعي وضغطت عليها بشدة، فأصابتني بألم بشكل مفاجئ وصرخت.

إما أن السيدة ثورستون لم تلتفت إلى صراخي، أو أنها اعتبرت أن الآنسة ميلر قامت بدور جيد في ضبطي. ومرة أخرى، تأرجح أصبعها الذي يشبه السجق أمام أنفي. "عدم

t.me/yasmeenbook

الاحترام هذا غير مقبول. لن أتسامح معه. ولن ندرس أي مفاوضات بشأن المرتب. هل أنا واضحة بما فيه الكفاية؟ فكري جيدًا إذا كنت قادرة على الامتثال لقواعدي. أحتاج إلى إجابتك قبل هذا المساء. بعد ذلك، سأبحث عن معلمة جديدة تستطيع أن تفعل ذلك!".

قطع تصرفها الوقح أنفاسي. واعتبرت السيدة ثورستون صمتي بمثابة الموافقة.

"انظري يا آنسة ميلر. هذه هي كيفية التعامل مع الموظفين. أثق بأنكِ قد تعلمت درسًا من هذا الحوار. احضري إلى مكتبي على الفور". واختتمت كلامها بمسح عينيها وأنفها بمنديل قذر.

كنت أعتزم القول بأنني لست موظفة، وأنها مدينة بالاعتذار لي، ولكن السيدة ثورستون كانت قد أدارت لنا ظهرها بالفعل. وكنت ما زلت أجمع أفكاري عندما أغلقت الباب في وجهي.

أردت أن أذهب إلى مكتب السيدة ثورستون وأوضح لها الأمر، لكن في الحقيقة كنت مرتبكة جدًّا لأفكر بوضوح، فسألت: "هل هي دائمًا هكذا؟".

فتحت الآنسة ميلر الباب الأمامي وهي تقول: "إنها أكثر توترًا من المعتاد اليوم، لكن أرجوكِ تذكري حالة الحزن الجماعي على سيلينا. أرى أنه لا يزال المطر مستمرًّا. إذا انتظرتِ، يمكنني إرسال كاج لجلب عربتك. إنه أكثر من فتى الأعمال العادي وأقل من خادم".

t.me/yasmeenbook

"شكرًا لك، ولكن بعد ما اجتاح ذلك الهواء الرديء" -أومأت برأسي نحو مكتب السيدة ثورستون- "أعتقد أن الهواء النقي سيفيدني. سأراك غدًا. باكرًا".

أومأت الآنسة ميلر بكل جدية قائلة: "نعم". وحركتْ فمها كما لو أنها تريد قول المزيد، لكنها ظلت صامتة. فتصافحنا وخرجتُ إلى رذاذ المطر المستمر.

الفصل ١١

على الرغم من المطر، استمتعت بالتمشية إلى العربة، وبما أن عقلي كان أكثر راحة الآن بعد أن رأيت أديل بنفسي، استمتعتُ برحلة العودة إلى منزل لوسي بريتون. جمال هايد بارك، مع زرعه الأنيق وأشجاره الرائعة، كان بمثابة ارتياح مرحب به بعد الجو الضاغط والمكتظ من مدرسة ألدرتون للفتيات. وأثناء قيادة ويليامز، بدأ عقلي يستعرض كل ما رأيته وسمعته.

لا بد أن تكون وفاة زميلتها قد زعزعت أديل مؤقتًا. ربما كان الطبيب حكيمًا عندما اقترح النوم كعلاج طبيعي. من المعروف تمامًا أن مهدئ اللودانوم يمكن أن يكون علاجًا مفيدًا للأعصاب المضطربة. في لوود، كان المعلمون يستخدمون مشروبات ممزوجة باللودانوم لعلاج مجموعة متنوعة من الأمراض، بدءًا من كحة الرضّع إلى الآلام الشهرية للفتيات الأكبر سنًّا.

t.me/yasmeenbook

لو لم تشعر أديل بالوحدة، لتحملت هذه الأزمة بمزيد من الهدوء، ولكن كما حدث، كان لديها العديد من الأسباب للشعور بالغضب والخيبة... خيبة فظيعة للغاية. فلمرتين على مدار حياتها القصيرة، هجرها البالغون المسؤولون عن رعايتها.

كيف يمكن لأي طفل مهمَل بهذا الشكل أن يتعلم الثقة بالآخرين؟

ربما كانت تبالغ عمدًا في معاناتها عند كتابة رسالتها إلينا، وكتبت كلتا الرسالتين كوسيلة لمعاقبتي أنا وإدوارد ولفت انتباهنا.

كان هذا ممكنًا. فالفتيات الصغيرات عرضة للتفكير الخيالي بشكل خاص. ويحث الجو المُركز للمدارس الداخلية الخيال على التأثر بشدة. بالإضافة إلى ذلك، كانت هذه طبيعة أديل. فالفتاة تمتلك عقلًا مبتكرًا، وربما ورثت ذلك من والدتها. وشخصية الطفلة يمكن أن تتغير كما يتغير الطقس، وتكون مختلفة تمامًا. ومن الممكن أن تكون مشرقة مثل شمس الظهيرة في أحد أيام شهر يونيو أو مظلمة مثل ليلة في شهر يناير بلا قمر.

ما تحتاج إليه أديل هو أساس آمن، وبيئة مستقرة، وخطة تعليمية تشجع على تهذيب الذات. وربما قدمت مدرسة ألدرتون تلك الأشياء من قبل، ولكن هذه السيدة ثورستون تبدو لي من النوع الذي يتسرع في استنتاجاته وأفعاله. فقد كان

افتراضها أنني المعلمة الألمانية الجديدة!

على الرغم من أن الآنسة ميلر قالت إن السيدة ثورستون تكره الشائعات، فإنها كانت على ما يبدو عازمة على تكرار ما قالته السيدة إنجرام الأرملة، وفعلت ذلك دون أي ضمير آدمي! كل هذا التطرف وعدم التفكير المنطقي يُظهر بالضبط الصفات المعاكسة للدور الذي أراد إدوارد للمدرسة أن تقدمه. وعلاوة على ذلك، فإن حيلة أن تقوم الفتيات بنسخ رسائلها كانت خداعًا ومنفعة لنفسها. كل هذا إذا اجتمع معًا، يثبت لي أن تكون مثل هذه المرأة غير مناسبة طبيعيًّا للإشراف على أي مدرسة. سيصاب إدوارد بخيبة أمل عندما يسمع رأيي في هذا المكان.

وصلتُ إلى عتبة باب لوسي بريتون، وشعرت بتراجع في مستوى طاقتي. ربما كان ذلك بسبب إدراك أنني وصلت إلى نهاية رحلتي. أو ربما كان تأثير الشاي الذي احتسيته في المدرسة قد انتهى، ولكن كل خطوة بدت تستنزف آخر ما لديَّ من طاقة.

سلمتُ قبعتي وشالي المبلولين لـ بولي، وسألت: "أعتقد أن السيّدة بريتون لا تزال تقوم بزياراتها؟".

"نعم يا سيّدتي. ستعود قريبًا".

سعدتُ أنني سأكون وحدي، لذا صعدتُ درجتين من الدرج، ودخلتُ غرفة الضيوف، والتي كانت حديقة مبهجة

t.me/yasmeenbook

من اللونين الأصفر والأخضر. وأثناء تذمّري من خلع ثيابي، طرقت بولي على الباب وجاءت لمساعدتي. لم أكن معتادةً الحصول على مساعدةٍ في اللباس، لكنني كنتُ مسرورة لرؤية الفتاة؛ حيث كنت متعبةً جدًّا.

كانت بولي فتاةً ذكيةً وماهرة، وتبلغ حوالي ثلاثة عشر عامًا. تمكّنت من إغلاق أزراري ببراعة. وقبل أن أخلع تنورتي، أخرجتُ الورقتين المبتلتين من جيبي وأدخلتُهما في جيب قميصي للحفاظ عليهما بأمان. وبينما كنت أقف هناك بثوبي القطني الرقيق، حملت بولي ثيابي المبلّلة على ذراعها. فنظرتْ إلى ركبتيّ المتألّمتين وهزّت رأسها.

قالت: "ستقدم لك سادي الأكل مباشرةً. سأحضر لك كمادات لتضعيها على عينك، وإسفنجة لتنظيف ركبتيك. قد تحتاجين إلى قليل من العسل لشق شفتك، إذا سمحت لي الطاهية بأخذ كمية صغيرة".

"العسل؟".

"إنه يساعد على التئام الجروح ويمنع تشوهات الجلد. كانت أمي دائمًا تضع قليلًا منه لإخوتي عندما يصابون بجروح في مرافقهم وما إلى ذلك".

سيكون جيدًا أن أتذكر ذلك، خاصةً مع كل التشتت البدني الذي يجذب انتباه الأولاد الصغار. شعرت بوخز في عينيّ

يحذر من اقتراب الدموع عند تذكر فكرة ابني الصغير، الذي هو بعيدٌ جدًّا عني.

غيّرت الملابس إلى قميص جاف وجلست على حافة السرير. عادت بولي بسرعة وتعاملت بمهارة مع إصاباتي. أولًا: استخدمت الإسفنجة لتنظيف الجروح ووضعت مرهمًا. ثم عرضت عليّ كمادات مدفأة إلى درجة حرارة مثالية ومعطّرة بالبابونج المريح.

وبينما كنت أضع الكمادات الرطبة على وجهي، استلقيت على الفراش الناعم وأغلقت عيني، لكنني استيقظت بسرعة كبيرة جدًّا بسبب ضجيج في الردهة. فتنهدت وقبلت حقيقة أن لوسي بريتون في طريقها، تقترب بسرعة مثل عاصفة مفاجئة تضرب القوارب في ميناء نيوهافن. "بولي؟ هل السيدة روتشيستر هنا؟ اسمحي لي بأن أراها". وبعد نقرة مهذبة على الباب، فتح الباب فجأة. تسبق رائحة زهور الجاردينيا مضيفتي إلى الغرفة، وكان كلبها الصغير راغز يجول حول قدميها.

فتحت عيني السليمة بصعوبة. اقتربت لوسي مني، ووجهها الذي على شكل قلب يتوج بالاهتمام الذي ينبع من ذهن فطن. للمقابلات الاجتماعية بعد الظهر، كانت ترتدي ثوبًا ذا خصر مرتفع من قماش أصفر، مغطًّى بسترة قصيرة بدرجة أغمق من اللون الأصفر الفاتح نفسه.

"هل أنت أفضل الآن؟ دعيني أرَ تحت هذه الكمادات". وقامت لوسي بإزالة قفازاتها لتلمس وجهي وقالت: "ما زلت

أعتقد أننا بحاجة لاستدعاء طبيب لفحصك. فوجهك لا يزال منتفخًا وعينك تقريبًا منتفخة تمامًا. هل ذهبتِ إلى مدرسة البنات دوني؟ يا إلهي. ما هذا الإصرار؟!".

قفز راغز على السرير ونظر إليّ ونبح. ربما اعتقَد أنني في حالة يرثى لها.

"قد أبدو أسوأ مما كنت عليه سابقًا، لكنني أجزم أنني سأتعافى".

"أريد أن أسمع رأيك في المدرسة. خاصةً كيف تسير الأمور مع عزيزتي أديل".

"أخشى أنها قصة طويلة نوعًا ما".

استقرت على السرير بجانبي ورفعت راغز على ركبتيها، فحركت نفسي بعيدًا. يبدو أن لوسي لم تنتبه إلى مدى عدم الارتياح الذي تسببت فيه لي بسبب عفويتها، واستمرت في سرد تساؤلاتها: "أخبريني بكل شيء. يجب أن يكون هناك دافع قوي ليحثك على اتخاذ إجراء سريع كهذا".

وضعت سادي الأكل على حامل بجانب السرير، وقالت: "ها هو الشاي والخبز المحمص بالجبن يا سيدة روتشيستر. أرسلت الطاهية كعكًا لكِ يا سيدة بريتون".

بعد أن ساعدتني بولي على ارتداء فستاني الأسود الحريري، أخذت قطعة من خبز التوست المغطاة بالجبن المذاب وأكلتها بنهم.

t.me/yasmeenbook

قالت لوسي لخادمتها بولي: "أحضري لي قارورة المشروب، من فضلك. وأحضري الأكواب أيضًا". ثم قالت لي: "لقد تحولت الكدمة حول عينك إلى لون بنفسجي. أتصور أن الخدوش على ساقيك الآن تصرخ من الألم. سيقدم النبيذ بعض التعافي".

"النبيذ؟". لم أتمكن من تصديق ما سمعته. كان الأمر مقبولًا أن نشرب القليل من الكحول في المساء، ولكن شربه في فترة الظهيرة -لمدة يومين متتاليين- كان أمرًا غير عادي بالنسبة لسيدة محترمة!

عندما عادت سادي بالقارورة الفضية والكعك والأكواب، صبت لوسي الشاي مباشرة في الأكواب. وأضافت إليه رشة صغيرة من "مشروب سعادة السيدات".

رفعت لوسي كأسها بالمشروب في يد بينما تمسك بكعكة باليد الأخرى. وقالت: "بالتأكيد كان هذا سيجعل زياراتي أكثر إثارة. بالنسبة لي، على الأقل. وربما بالنسبة لمضيفاتي أيضًا. يا إلهي، ولكني أكره العودة إلى المقابلات. إنها مملة بشكل مريع. يتحدث الجميع عن لا شيء، ولكنهن يتحدثن بلا توقف، ما يزيد من الملل. كان من الأفضل أن أذهب معك".

"إن زيارتي لم تكن تتحمل التأجيل. كان عليَّ أن أطمئن على سلامة أديل".

"نعم، بالطبع. وكيف حالها؟".

t.me/yasmeenbook

"لا أعرف. على الأقل، لم أسمع تقريرًا منها شخصيًّا".

"ماذا؟".

حكيت لها عن زيارتي، ووفاة سيلينا بيلتمور، ولقائي بزميلتي القديمة نان ميلر، وانتهيت بسرد تفاصيل رد فعل أديل على وفاة سيلينا وإعطائها اللودانوم. وأنهيتُ كلامي قائلة: "تعتقد الآنسة ميلر أن أديل لن تستفيق حتى صباح الغد".

صاحت لوسي ورفعت يديها: "يا إلهي! ما هذا اليوم الصعب الذي مررت به! تقولين إنك رأيتهم يحملون جثة الفتاة المسكينة؟ هذا شنيع للغاية، لكن أديل ليست في خطر، أليس كذلك؟ هل أنتِ واثقة تمامًا من ذلك؟ يمكننا أن نحضرها إلى هنا. كما قلت لك، منزلي هو منزلك. لقد ذكرني ذلك بشيء: لقد اشتريت لك هدية عندما كنت في الهند".

ومن أعماق خزانة ملابس، استخرجت حزمة ملفوفة بورق فضي بشكل فضفاض. فتحتُها بشغف وأخرجت شالًا رائعًا. انسل القماش من يدي، وكان الملمس مدهشًا جدًّا. رفعت قطعة القماش وتمتعت بلونه الأزرق الفاتح الجميل، وفحصت الخياطة الفضية الرائعة كأنها تلمع في الضوء.

صحت: "إنني لم أرَ مثله من قبل!".

قالت لوسي: "إنه باشمينا، نوع من الكشمير. الخياطة مصنوعة من خيط فضي. لقد وصف إدوارد شعرك الداكن الجميل وبشرتك الباهتة، لذا اعتقدت أنه سيبدو جميلًا عليك".

t.me/yasmeenbook

"أصبح عزيزًا عليّ لجماله، وأكثر من ذلك للتفكير الذي وضعته فيه". ولدهشتي، وجدتني أعانقها.

"ارتديه بصحة جيدة يا أختي العزيزة".

مع مرور الوقت، زاد شعوري بالارتياح مع لوسي. فعلى الرغم من مظهرها العصري، بدت أصيلة تمامًا. بالطبع، حذرني إدوارد من عدم الحكم على لوسي من خلال مظهرها الخارجي، وكان قلقًا بشكل صحيح أنني في البداية قد أكون منزعجة من رونقها وحيويتها.

"حُسن ضيافتك أثلج قلبي. لقد أخبرتني الآنسة ميلر بأنه ليس هناك دليل على أن الطالبة توفيت بسبب العدوى. فكان من الغريب أن آخذ أديل وأحملها في المطر، وعلاوة على ذلك، أعتقد أنها قد ترغب في أن تشارك حزنها مع مجتمع المدرسة ككل. فبالفعل هناك شيء مريح عندما تتشارك القلوب المتشابهة أحزانها".

ابتسمت لوسي ابتسامة لطيفة أضاءت وجهها، وقالت: "نعم. إنه لأمر رائع أن يكون لديك شخص يشاركك حزنك، أليس كذلك؟ وفرحك أيضًا؟ أنا سعيدة جدًّا بوجودك هنا يا جين. أخبرني إدوارد بالعديد من الصفات الرائعة التي تتمتعين بها، ولا أستطيع سوى أن أقول إنه وبالرغم من أن وصفه كان حماسيًّا، فإنه لم يقدر جاذبيتك".

احمرت وجنتاي بسبب الإطراء غير المعتاد، وأردت تغيير الموضوع: "الآن بعد أن رأيت تجهيزات منزل ألدرتون، يجب أن أقول، بصراحة، إن المنزل أنيق جدًّا بالنسبة لي".

أومأت لوسي؛ قائلة: "عندما كانت السيدة كينغسلي تمتلك دخلًا كبيرًا، كانت تصر على ملء كل بوصة في المكان بالحلي والزخارف، لكن على مر السنين، فقدت ثروتها بسبب ابنها، وهو شاب مهمل يفضل الخمر ولعب الورق والنساء الساقطات على تعليمه. وعندما حسبت حساباتها، وجدت نفسها على وشك الإفلاس دون أي مساعدة ممكنة. وكان اللورد كينغسلي قد غادر هذا العالم منذ وقت طويل. وكان تحويل هذا المنزل الفخم إلى مدرسة للفتيات قد أثار الكثير من الشائعات من خلفها، لكني سمعت أنها تحقق منه أرباحًا جيدة. بالتأكيد، حفظت مود ثورستون من الفقر المدقع".

أفلت النبيذ لساني وأخشى أنه دمر أي بقايا من ضبط النفس لديَّ؛ فقلت: "يا له من مسوّغ مشين!".

"نعم، ولكن تذكري ما قلته لك: لقد سقطت من مكانة عالية يا جين. عندما يسقط النبلاء، إما أن يتصرفوا بتكبر أو بتواضع. يبدو، للأسف، أنها اختارت الأولى. ومع ذلك، فأنا معجبة بمحاولتها الاعتماد على نفسها وسداد فواتيرها. آخرون غيرها كانوا قد اختبؤوا في الليل، وتمنوا أن ينصرف الدائنون".

قلت بحذر: "أنا لست واثقة مما إذا كانت مناسبة لـ أديل". وكنت أدرك أن لوسي هي التي قد اقترحت المدرسة على إدوارد.

t.me/yasmeenbook

"أنت الحاكم الأفضل في ذلك يا جين. صدقيني، لن يؤثر ذلك على مشاعري إطلاقًا إذا قررتِ إخراجها".

وقدرتُ طمأنتها لي.

قبل أن أستطيع الرد، ظهرت بولي من الباب، وهي تبدو مضطربة؛ وقالت: "آسفة على إزعاجكما. هناك امرأة عند الباب".

قالت لوسي: "قولي لها إنني غير موجودة، يمكنها ترك بطاقة التواصل".

لم تغادر بولي. بل دخلت الغرفة وأغلقت الباب وراءها، ما منحنا شعورًا بالخصوصية، وتحدثت بصوت منخفض حتى لا يُنقل كلامها، وقالت: "حاولت، سيدتي، فعلت ذلك. قلت لها أن تذهب، لكنها مضطربة جدًّا. تقول إنها يجب أن تراكِ الآن. تقول إنه أمر لا يمكن أن ينتظر".

بدأت لوسي بالنهوض، وهي تقول: "اللعنة!"، لكن بولي هزت رأسها.

"آسفة يا سيدة بريتون. لستِ أنت التي تريدها. فإن الزائرة جاءت من أجل السيدة روتشيستر. إنها الآنسة ميلر، وتقول إنها مسألة حياة وموت".

t.me/yasmeenbook

الفصل ١٢

تساقط الماء من نان ميلر وشكل بركة في وسط المدخل الرخامي لمنزل بريتون. يبدو أنها جرت المسافة بأكملها من مدرسة الفتيات إلى هنا، لأنها كانت تتنفس بصعوبة مثل كلب الصيد بعد صيد الثعالب. والصادم بشكل أكبر، أنها لم تعتمر قبعة. ولم تغطِّ رأسها بأي شكل. كانت كتل من الشعر المبلول قد تحررت من الكعكة على ظهر عنقها، ويقطر الماء على معطفها وينساب على تنورتها.

سألتُ: "هل أديل بخير؟ هل هي بخير؟". وركضت بسرعة نحو الدرج، دون الالتفات إلى شدة الآلام في كدمات قدمي.

قالت: "إنها بخير، لا تزال نائمة". ومع هذا، بدأت الآنسة ميلر ترتعش بشدة لدرجة أنني تساءلت عما إذا كان هذا مقدمة لنوبة اختناق.

يبدو أن لوسي اعتقدت الشيء نفسه. فالتفتت إلى خادمها وقالت: "أحضر لي لحافًا يا هيغينز، قم بذلك بسرعة".

t.me/yasmeenbook

كان صوت اصطكاك أسنان الآنسة ميلر مسموعًا للجميع؛ حيث قام الرخام بتكبير الصوت. وعلى الرغم من أن زميلتي القديمة كانت في حالة اضطراب واضحة، فإن عينيها كانتا تتجولان من هنا إلى هناك وهي تستكشف الثراء الفاحش للإضاءات المعلقة في مدخل لوسي، وورق الحائط الممتلئ بالنقوش، والستائر الكتانية. ولم تفوت عينا الآنسة ميلر الثوب الأصفر الجميل للوسي أو شالي الجديد من الهند. فشددت الباشمينا بإحكام حول كتفي.

جلب هيغينز لحافًا صوفيًّا ثقيلًا ولففناه حول كتفي الآنسة ميلر.

"سادي، أحضري بعض المناشف لتجفيف شعرها. وقولي للطاهية إننا بحاجة إلى المزيد من الشاي الساخن، مع السكر".

أمسكت الآنسة ميلر بيدي وهي تقول: "لقد جئت بأسرع ما يمكنني. لقد جعلتِني أعدك بأن أديلا بأمان، وهي كذلك، لكن رجلًا من محققي منظمة بو ستريت، طرح الكثير من الأسئلة. أسئلة عن سيلينا وكيف ماتت! استجوبني ذلك الرجل لمدة ساعة تقريبًا! وسأل عن المدرسة وطلابنا! كانت السيدة ثورستون غاضبة مني ومنه. كما لو أن لدي أي دور في زيارته! أي دور على الإطلاق! نعم، توفيت سيلينا. لقد حدث ذلك. وأنا حزينة، ولكنني لست المسؤولة عن ذلك!".

t.me/yasmeenbook

وضعتُ ذراعي حول كتف صديقتي القديمة وسألت مُضيفتي: "في اعتقادك ماذا حدث؟ لماذا يأتي رجل من محققي منظمة بو ستريت ليطرح أسئلة؟".

قالت لي لوسي بنبرة هامسة: "يمكنني التفكير في سبب أو سببين، في الواقع. وكلاهما ليس لطيفًا"، ثم توجهت بالحديث للآنسة ميلر بوضوح وبصوت مُطمئِن: "أنا واثقة أن كل شيء سيكون على ما يرام. دعينا نجففكِ ونجعلكِ ترتاحين أمام المدفأة. هيغينز، قل لـ ويليامز أن يحضر أخي، ويجب أن لا يعود دونه، هل فهمت؟ لا يهمني إذا كان في بودلز، لا يهمني في أي حالة يكون. أحضره إلى هنا، الآن!".

فكرت في أنه أمر غريب أن تكون لوسي مضطربة جدًّا بشأن محقق. وكان الأمر الطبيعي بالنسبة لي أن يطرح أحدهم الأسئلة. فرغم كل شيء، إنهم لا يزيدون على أن يكونوا حراس ليل. أم هل هم ليسوا كذلك؟ إن رد لوسي الحاد ومطالبتها بأن يحضر ويليامز أخاها جعلاني أعتقد بشكل مختلف تمامًا في هذا الأمر. ربما كان لدى نان ميلر سبب حقيقي للقلق!

أمسكت لوسي الآنسة ميلر من مرفقها، وقالت: "تعالي الآن، سنذهب للطابق العلوي، إلى الصالون. يمكنك الجلوس هناك. لا بد أنك أيتها المسكينة، لم تأكلي، أليس كذلك؟ أعتقد أننا قد التقينا من قبل، في إحدى المرات عندما زرت فيها المدرسة، ربما؟".

ظل صوت لوسي منخفضًا ومُهدئًا، أثناء توجيه زميلتي السابقة لصعود الدرج. وتحركت الآنسة ميلر ببطء واستندت إلينا بثقلها؛ حيث كان بنيانها الضخم ووجهها الاعتيادي يشكلان تناقضًا غريبًا مع وجه لوسي الجميل وثوبها الباهر.

والآن بعد أن أفرغت غضبها بسبب تدخل الشرطي، تحول البكاء العنيف لـ نان ميلر إلى بكاء هادئ.

أثبتت لوسي نبلها وأصالة شخصيتها من خلال تقديم الضيافة للآنسة ميلر بنوعية الضيافة نفسها التي قدمتها لزوجة رجل نبيل. فتعجبت من كرم ضيافتها وطبيعتها الكريمة. حتى وبينما كانت الآنسة ميلر تترك بركًا من الماء على سجاد لوسي، لم تتراجع "أختي" الجديدة ولم تتغير.

أجلست لوسي الآنسة ميلر على كرسي بجوار الموقد، وبدأت بتجفيف شعرها بمنشفة دافئة قدمتها لها بولي. ثم قالت: "ها أنت ذي، دعينا نجففكِ. سادي، أضيفي المزيد من الفحم إلى الموقد، من فضلك". وقامت لوسي بفرك أصابع نان ميلر لتدفئها. ثم قالت: "آنسة ميلر، أعتقد أنه سيكون من الأفضل أن تخلعي حذاءكِ".

تكوّنت بركة حول قدمي الآنسة ميلر. وببطء، فكت أربطة حذائها البني، كاشفةً عن جوارب صوف متهالكة. فقامت بولي بإزالتها وصبّت الماء في وعاء نباتي، ثم وضعت الأحذية على البلاط أمام المدفأة.

وبمجرد أن جعلنا الآنسة ميلر ترتاح وصببنا لها فنجانًا من الشاي، همست لوسي لي قائلةً: "أقترح أن ننتظر شقيقي. يمتلك بروس خبرة في التعامل مع المسائل الصعبة، خاصة تلك المتعلقة بالسلوك الإجرامي. حتى إنه عمل مع المحققين في منظمة بو ستريت".

فسألت: "هل يعمل شقيقك بمثابة وكيل تحقيق؟". وقد يفسر هذا سبب كون وجوده في هذا الوضع لا يقدر بثمن.

"نعم، درس بروس أيضًا في الهيئة الداخلية ليصبح محاميًا، وخدم في الجيش. إنه يتعامل جيدًا مع المشكلات التي يبدو أن الآنسة ميلر تصفها".

لم نطرح على زائرتنا المبللة أي أسئلة إضافية، بل عملنا على استعادة هدوئها، وهو ما تبين أنه أمر صعب. بعد فنجانها الأول من الشاي وبضع قضمات من الكعك، رفضت الآنسة ميلر أي طعام ونظرت بشكل فارغ إلى الجمر الأحمر في موقد المدفأة. وفي النهاية، قدمنا لها المزيد من الشاي، وهو شاي قوي المفعول. أقنعت صديقتي بتناول بضع لقيمات من الخبز والجبن الذي أرسلته طاهية لوسي.

مر أقل من نصف ساعة. وامتلأت الغرفة برائحة الحذاء الجلديّ المبلل والجوارب الصوفية بينما بدأت حرارة الموقد بتجفيف أشياء الآنسة ميلر. أقرضتها لوسي منديلًا من الكتان، وبعد أن شكرت مضيفتنا، تعهدت الآنسة ميلر بأنها ستعيد لها المنديل، حتى وهي تفحص التطريز الجميل بعناية.

t.me/yasmeenbook

قال صوت قادم من البهو: "أهلًا ! أختي؟ لقد استدعيتني؟ أنا هنا!".

ركضت لوسي نحو الباب وصاحت من الأعلى: "بروس، نحن في الصالون".

تردد صوت خطوات ثقيلة في المنزل. فتح بروس باب الصالون ووقف أمامنا رجل يقترب تمامًا من المثالية، حتى أنه كان يؤذي العيون بجماله. كانت بشرته متأثرة بالتعرض للشمس، وكانت عيناه زرقاوين جميلتين. وهناك خيوط ذهبية تتداخل في شعره البني. وكان لونه الفريد هو الذي يميزه حقًّا ويجعله فريدًا. أضاء الغرفة مثل هيليوس، أيقونة اليونان الذي يركب عربته يوميًّا عبر السماء ليجلب الشمس لنا نحن البشر.

كان كل ما منع بروس دوغلاس من أن يكون جميلًا كالنساء هو شاربه الكثيف وأنفه الملتوي بشكل غريب، والذي علمت في وقت لاحق أنه أصيب في معركة في حانة، أو اثنتين، أو ثلاث.

بناءً على ذلك، كان من الواضح أيضًا أنه في حالة سكر. كان في حالة سكر شديدة. في الواقع، أمسك بالكرسي بدلًا من أن يسقط. وكانت رائحة الخمر تفوح منه وهو يتمايل في طريقه إلى الصالون.

في البداية، اعتبرت حالته صادمة للغاية، ولكن بعد التفكير، أضافت لوسي كمية وفيرة من النبيذ إلى الشاي، أليس كذلك؟

t.me/yasmeenbook

ربما كانت حياتي منغلقة أكثر من اللازم. فقررت تأجيل الحكم النهائي على السيد دوغلاس حتى أعرفه بشكل أكبر.

كانت لوسي تحرك يديها، لكن عينيها تلمعان من السعادة وهي تسأل: "بروس! ما الذي يجب أن أفعله معك؟".

"سأكون على ما يرام"، وبخطوتين، عبر الغرفة وأمسك لوسي من ذراعيها. ورفعها بسهولة كأنها طفلة ودار بها. وعندما كادا يصطدمان بالمدفأة، ضحكت لوسي. فقالت: "أنزلني! أكرر: ماذا يجب أن أفعل بك؟".

"بالطبع يجب أن تحبيني يا أختي. إنه واجبك! هذا هو السبب وراء وجود الإخوة الصغار!". وبعد ما قبل خدها بحماسة أنزلها على قدميها.

بينما هما يقفان جنبًا إلى جنب، لم يكن هناك شك في أصلهما. إنهما كحبة فول وانقسمت إلى نصفين، لكن اختلاف لون بشرته كان بسبب حيويته وكثرة الساعات التي قضاها في الهواء الطلق، بينما كان لونها يظهر فاتحًا كسيدة لا تخرج أبدًا من دون قبعة.

"آنسة ميلر وسيدة روتشيستر، اسمحا لي بتقديم أخي بروس دوغلاس؟ بروس، هل تتذكر صديق أوغي إدوارد روتشيستر؟ هذه هي زوجته الشابة، جين إير. لقد اعتبرتها أختي، ما يجعلها قريبة لك أيضًا يا أخي الصغير".

"هل أعطيك أنتِ أيضًا جولة ترحيب يا سيدة روتشيستر؟ لا أريد أن تشعر أختي الجديدة بالإقصاء".

استطعت إخفاء ابتسامتي، وأنا أقول: "لا، شكرًا".

"حسنًا إذًا، بروس دوغلاس في خدمتكن، سيداتي". وقام بانحناءة مهذبة للآنسة ميلر أولًا، ثم لي. وكان واضحًا أنه يرتدي ملابس عصرية مثل شقيقته، وكانت السترة السوداء المفتوحة من الأمام تتناسب تمامًا مع كتفيه العريضين وخصره النحيف.

ظلت الآنسة ميلر تحدق إلى السيد دوغلاس، بفم مفتوح.

ففهمت الموقف. أخشى أنني كنت أحدق إلى السيد دوغلاس أيضًا، ولفترة طويلة جدًّا، لأنه يذكرني بعمل فني، ولأنه كان مثاليًّا للغاية. فأعجبت به بالطريقة نفسها التي تحدق بها في زهرة السفرجل الصغيرة، وترى اللمسة الجمالية وتتساءل كيف يمكن للعالم أن يكون بهذه الروعة. أعتقد أنه اعتاد النظرات الطويلة، لأنه رد نظرتي الصريحة واقترب مني. وعندما كان قريبًا بما يكفي للمسي، رفع أطراف أصابعه إلى ذقني، وسأل: "هل يمكنني؟". وتحوّل نظره إلى خدي.

أومأت له برأسي. أعلم أنني متواضعة ولا أجذب الانتباه عادة، لذا لم أعتبر تصرفه محاولة للتقرب غير الملائم. وبدلًا من ذلك، فهمته على أنه مجرد فضول.

t.me/yasmeenbook

بلطفٍ رائع، قام بتوجيه وجهي بلطف حتى يسلط الضوء الشمعة على عيوب وجهي. "يا إلهي، لديك عينان سوداوان رائعتان يا سيدة روتشيستر".

"نعم، بالفعل".

أضاف: "في الشوارع، يطلقون على هذا اسم فأرة".

"لست على دراية. ومع ذلك، فالاسم مناسب تمامًا، أليس كذلك؟".

عادت سادي وهي تحمل صينية وتبتسم ابتسامة عريضة، وتقول: "جلبت لك الشاي الأسود الصيني يا سيد دوغلاس. أعددته قويًّا، تمامًا كما تحبه. تقول الطباخة إنها أرسلت لك طبقًا من بسكويت الزبد الذي تحبه وبعض الليمون المُكثف. وكميات كبيرة من القشدة والسكر أيضًا. هل ترغب في أي شيء آخر يا سيدي؟".

"لا يا سادي، شكرًا جزيلًا. أبلغي شكري إلى الطاهية، هل تستطيعين؟ أنتما تهتمان بي بشكل جيد جدًّا".

أومأت وتحول لون وجهها إلى الأحمر كالتوت. وظهرت بولي على أثر الخادمة في الصالون، وسألت: "هل تحتاجين إلى شيء مني يا سيدة بريتون؟"، لكن نظرتها كانت على بروس دوغلاس، الذي لم يبد أنه لاحظها.

ابتسمت لوسي بخفة على زوايا شفتيها، وهي تقول: "لا، شكرًا. سأناديك إن احتجنا إليك يا بولي".

"بالطبع يا سيدتي"، وقامت بانحناءة وأخذت وقتها في مغادرة الغرفة.

صبت له لوسي كوبًا من الشراب البني الداكن، وقالت: "اشرب يا بروس. أخشى أننا بحاجة إلى أفضل أفكارك. هل وجدك ويليامز في بودلز؟ هل كنت تلعب الورق مرة أخرى؟".

"أنا مذنب بالجرم المشهود يا أختي. كنت فعلًا بصدد الفوز عندما جاء ويليامز ليأخذني. ماركوس بايبر، الطبيب الشرعي، تقريبًا أعطى لي كل محفظته. إنني أستمتع بشكل خاص باللعب معه لأنه غالبًا ما يخسر وأيضًا لأنه في كثير من الأحيان يتيح لي الفرصة لكسب عملاء جدد. في بعض الأحيان، يوصي بايبر بخدماتي لأسر الضحايا لأن خدماتي تكون مفيدة، ولكن في بعض الأحيان أجلس فقط وأستمع إلى حديثه عن عمله. نتكهن معًا حول ما يمكن أن يكون قد حدث. مثل اليوم. فقد تم استدعاؤه هذا الصباح. ويبدو أن طبيبًا طلب وجوده في مدرسة حيث تم اكتشاف وفاة فتاة صغيرة على فراشها".

t.me/yasmeenbook

الفصل ١٣

"يا إلهي!". هكذا صرخت الآنسة ميلر، ولكنها سرعان ما قمعت صراخها.

قالت لوسي: "الآنسة ميلر هي مديرة مدرسة ألدرتون الداخلية للبنات، التي توفيت إحدى طالباتها".

تدخلت الآنسة ميلر بسرعة قائلة: "لأسباب طبيعية، وأرسلنا خادمنا لاستدعاء الطبيب فورًا، لكن للأسف، كان ذلك متأخرًا جدًّا بالنسبة للطالبة".

قال بروس دوغلاس مميلًا رأسه: "أرجو قبول تعازيّ".

قالت الآنسة ميلر: "بالطبع"، وكانت قد جففت عينيها والآن، في حضور رجل أنيق، جلست بشكل أكثر استقامة، وقامت بترتيب شعرها المبلل بكامل وعيها.

قالت لوسي لأخيها: "كما تتذكر، قد أوصيت بمدرسة ألدرتون لـ إدوارد روتشيستر، من أجل ابنته أديل فارينز، وهذا يعني أنني أشعر بالمسؤولية المباشرة عن سلامة أديل

t.me/yasmeenbook

ورفاهيتها. تتذكر أديل، أليس كذلك يا بروس؟ لقد أحضرتها إلى المنزل في عطلة العام الجديد".

"كيف يمكنني نسيان تلك الصغيرة الفرنسية الرائعة؟".

"تمامًا! أعتقد أنها سرقت قلبك يا أخي. أعلم أنها سرقت قلبي أيضًا".

ازدردت ريقي بصعوبة وتشبثت بهذا الشعور: ولم أكن وحدي. فـلوسي تهتم أيضًا لأمر أديل. هذا الإحساس بالصحبة طمأنني. فالحليف المحب يعزز شجاعتك؛ والحليف القوي يجعلك جريئًا.

مرة أخرى، فكرت في حكمة إحضار أديل إلى البيت معي. ماذا يعني زيارة المحقق إلى مدرسة ألدرتون هاوس؟ ولماذا بالضبط منظمة بو ستريت؟ ولماذا طرح العديد من الأسئلة؟ وماذا لو كان هناك شيء خطير في المدرسة؟ شيء أكثر رعبًا من موت طفل بسبب المرض؟

إذا أخذتُ أديل معي إلى المنزل، فسيتوقف تعليمها. على الأقل لفترة من الوقت. لم أتخيل كيف سأتمكن من رعاية نيد ومساعدة إدوارد وأن أكون معلمة أديل. إنها لم تكن طالبةً متعاونةً أبدًا. وتحتاج إلى الكثير من الوقت والطاقة لتتعلم. والأهم من ذلك، أنها تحتاج إلى توجيه لتصبح أكثر عقلانية وأقل عرضةً للدراما اللا معقولة. لا توجد مدارس مناسبة بالقرب من فيرندين. يمكننا توظيف معلمة خاصة، ولكن

t.me/yasmeenbook

عائلتنا الصغيرة تشغل بالفعل جميع الغرف القابلة للسكن في مبنى الصيد القديم. ليس هناك مكان يمكن للمعلمة أن تتمتع فيه حتى بأقل قدر من الخصوصية. وأنا أعرف أكثر من أي شخص مدى أهمية أن يكون للمعلم مكانٌ للاستراحة.

سأل السيد دوغلاس: "كيف تعاملت أديل مع المأساة صباح اليوم؟".

قالت الآنسة ميلر: "ليس بشكل جيد، على العكس، كانت في حالة سيئة جدًّا. كانت في حالة هستيرية، ونصحنا الطبيب بإعطائها مخدر اللودانوم عندما لم تستطع الهدوء. والآن هي نائمة. أعتقد أنها ستظل نائمة حتى صباح الغد".

سأل السيد دوغلاس: "ما اسم الفتاة التي ماتت؟ فإن ماركوس بايبر لم يكشف عن هويتها".

"سيلينا بيلتمور. كانت معنا لمدة ثلاثة أشهر".

قالت لوسي: "بروس، لقد جاء محقق من منظمة بو ستريت إلى المدرسة في وقت سابق بعد ظهر اليوم. واستجوب الآنسة ميلر بشكل مفصل لا يمكنك تخيله، وكان ذلك مزعجًا للغاية".

سأل السيد دوغلاس: "حقًّا؟ ما اسمه؟".

قالت الآنسة ميلر، وهي تخرج بطاقته من جيبها: "فينياس ويفرلي".

أطلق السيد دوغلاس صفيرًا منخفضًا من بين أسنانه بينما كان يفحص الكتابة على البطاقة. "آنسة ميلر، أخشى أنك قد فهمت موقفه بشكل خطأ".

"هل حقًّا؟". وبدأت بعض ثقة الآنسة ميلر تعود إليها، وأصبح صوتها ينطلق بنغمة شبه استبدادية.

"نعم يا آنسة ميلر. أنا أعرف فينياس ويفرلي جيدًا. إنه ليس مجرد محقق من بو ستريت".

اعترضت قائلة: "ولكن العنوان مكتوب على البطاقة!".

"إنه من بو ستريت؛ هذا صحيح، لكنه هو كبير المحققين في بو ستريت، أمهر المحققين في المنظمة!".

سألتُ أخيرًا: "ما هي منظمة بو ستريت؟".

"بو ستريت هي موطن مجموعة من المحققين المكلفين بمراقبة المدينة. إنهم لا يحبون أن يطلق عليهم 'الركَضَة'، ولكن الناس قد اعتمدوا هذا المصطلح. إنهم يتبعون أوامر القاضي".

"إذًا، هل يقومون بدوريات في الشوارع؟ مثل حراس الأحياء؟".

"لا، محققو بو ستريت يستطيعون الذهاب إلى أي مكان يرغبون فيه. وعادةً ما يحققون في الجرائم، وينفذون الأوامر القضائية، ويقومون بالاعتقالات، لذا ليس من المنطقي تعيين أحدهم للتحقيق في وفاة فتاة في المدرسة. أعلى أولويات

'الرَكَضَة' دائمًا كانت حماية جلالة الملك جورج الرابع. أعني، يجب أن يحافظ شخص ما على سلامة جلالة الملك جورج الرابع، خاصة الآن بعد طول مدة المحاكمة".

أومأت برأسي، متذكرة المحادثة بين إدوارد والسيد كارتر. "إذًا، لماذا استجوب أحد محققي بو ستريت الآنسة ميلر؟ أو زار المدرسة من الأساس؟".

أوضح السيد دوغلاس قائلًا: "لا أستطيع أن أجزم بالسبب، على الرغم من أنه عندما تثار أسئلة حول ما إذا كانت الوفاة طبيعية أم لا، يقوم مساعد القاضي بأمر محقق من بو ستريت بأن يرتدي الملابس المدنية للتحقيق، وإذا وجد المحقق ما يكفي من المعلومات لتسويغ اتخاذ إجراءات، فسيقوم مساعد القاضي بإبلاغ القاضي بذلك، والذي بدوره سيطلب من الطبيب الشرعي إجراء تحقيق، ولكن التحقيق التشريحي مكلف جدًّا، لذلك يكون القاضي مترددًا في طلبه إلا إذا توصل إلى سبب وجيه".

تحول وجه الآنسة ميلر إلى اللون الأبيض الشاحب. وترنحت قليلًا في مقعدها، فتوجهت إلى زميلتي القديمة وسألتها: "ما الخطب؟".

بالكاد تمكنت الآنسة ميلر من إخراج الكلمات وهي تقول: "هل تقترح... هل تقول إن وجود السيد ويفرلي يشير إلى وجود مشكلة؟".

t.me/yasmeenbook

بدأت لوسي البحث في سلة الحياكة وأخرجت زجاجة ذات لون كلون العنبر. ودون أي مقدمات، صبت القليل في كوب الشاي الخاص بالآنسة ميلر. وطلبت منها لوسي قائلة: "جربي هذا".

شربت الآنسة ميلر من الشراب، فصدمها، وفورًا احمر خداها. ومع ذلك، لم تلتقِ عيناها بعيني عندما وضعت الكوب. في الواقع، تجنبت النظر إليَّ، وركزت نظرها على نمط مرسوم على السجادة. فابتعدت عنها وعدت إلى مقعدي.

تساءلت عما إذا كانت الآنسة ميلر تعلم المزيد عن وفاة سيلينا بيلتمور أكثر مما تظهره. وهذا الإدراك جعل الخوف يجتاحني.

اقترح السيد دوغلاس بلطف قائلًا: "لماذا لا تخبرينا بكل ما حدث؟ كل شيء. من البداية".

قالت الآنسة ميلر، وهي تعض على شفتيها، وتمسك تنورة فستانها بين أصابعها: "لا أستطيع".

ربما كنا نحدق إليها بتوقع كبير، أو ربما كان كل خوفها وألمها قد انهمر مع الدموع التي ذرفتها. ولا أستطيع الجزم بالسبب، لكن فجأة، انفصلت الآنسة ميلر عنا. وعلى الرغم من أنها جلست معنا، فإنها لم تعد ترانا، بل كانت تنظر بعمق إلى الجمر المتوهج في الموقد.

تحدثت لوسي بصوت ثابت: "أنتِ هنا الآن ونحتاج إلى مساعدة، هذا واضح جدًّا. قلت إنه تم استجوابك بشكل شامل. بروس هو عميل تحقيق، محقق خاص، ولديه الكثير من الخبرة في مثل هذه المسائل. إنه يقدم لك مساعدته".

"لا أستطيع! ألا ترين؟ السيدة ثورستون ستتركني! لن تعطيني شهادة توصية إذا علمت أنني تحدثت مع أي منكم. خاصة أنت يا سيدي. قلت لها إنني في مهمة لجلب بعض الأشياء التي تحتاج إليها معلمة الألماني الجديدة عند وصولها إلى لندن".

سألت لوسي: "معلمة الألماني الجديدة؟ ما الذي يحدث؟".

شرحت لها اللبس الذي حدث هذا الصباح.

سألت لوسي: "هل حقًّا تجيدين التحدث بالألمانية؟ بالإضافة إلى الفرنسية؟". ورفعت حاجبيها وأضافت: "مدهش جدًّا!".

أجبتها: "نعم، بالطبع، أنا أقرأ الألمانية بشكل أفضل مما أتحدثها". ولم أذكر أنني أعرف أيضًا بعض الهندية.

"إن السيدة ثورستون لا تزال تعتقد أن السيدة روتشيستر هي معلمتنا المفقودة. كنت أخطط لشرح كل شيء، ولكن السيد ويفرلي ظهر أمام الباب، ولم تتح لي الفرصة. ستغضب السيدة ثورستون مني جدًّا عندما تكتشف -إذا اكتشفت- أنني

لم أكن صادقة تمامًا بشأن زيارتي إلى هنا. ماذا يجب أن أفعل؟". ونظرت الآنسة ميلر حولها بشكل جنوني، كما لو كانت هناك إجابات تحت مزهرية النباتات أو أغطية الكراسي. واستطردت: "أوه! كان من الخطأ أن آتي إلى هنا! كان تهورًا مني. سأجمع أغراضي وأذهب فورًا".

وقبل أن تستعد، جلست بجوارها، وقلت: "لقد جئتِ لهدف ما يا آنسة ميلر. أشك في أنك ركضت تحت المطر فقط لتخبرينا بأن فينياس ويفرلي قام بمقابلتك. هناك المزيد، أليس كذلك؟".

تحاشت النظر إلينا. وقالت: "ليس حقًّا".

شعرت بأنها تمسك عليها لسانها، وتخفي الحقيقة علينا، أو على الأقل جزءًا منها. ماذا كانت تخبئ؟ هل يمكنني الثقة بها عندما تقول إن أديل بأمان؟ نظرًا للنبرة الهستيرية في رسالة أديل، والرسالة التهديدية التي رافقتها، وخاصة وفاة سيلينا بيلتمور، هل كنت غبية عندما تركت الطفلة تقضي ليلة أخرى تحت ذلك السقف؟

انتظرنا جميعًا لنسمع ما قد تقوله الآنسة ميلر بعد ذلك. وكان صمتنا يضغط عليها، وأخيرًا قالت: "عندما قلت للسيد ويفرلي إننا نعاني نقص مدرس منذ رحيل الآنسة هيرتزوج، كان عنيدًا في إصراره أننا وجدنا مدرسة أخرى على الفور".

سألت: "لماذا؟".

ظلت نان ميلر تنظر حولها بشكل جنوني، وقالت: "لا أعرف لماذا!".

قال السيد دوغلاس: "على العكس يا آنسة ميلر. أعتقد أنك تعرفين السبب بالضبط، فالسيد ويفرلي يخشى على سلامة الطلاب، أليس كذلك؟ لقد قال لي ماركوس بايبر إن هناك تناقضات معينة".

كررتُ: "تناقضات؟ من فضلك أوضح ما تقصده يا سيد دوغلاس".

قال السيد دوغلاس: "في هذه الحالة، كانت هناك علامات على جثة القتيلة تشير إلى أن الوفاة غير طبيعية. بصفتي رجلًا نبيلًا، أشعر بالحرج من مشاركة تفاصيل محزنة مثل هذه مع السيدات".

قالت الآنسة ميلر وهي تخفي وجهها بين يديها وتبدأ البكاء: "كلا، من فضلك، لا".

سألت لوسي: "بروس، ما الذي تعتقده؟".

قال السيد دوغلاس: "السيد بايبر واثق من أن الفتاة قد تعرضت للقتل. ولم تمت بسهولة أيضًا".

كانت كلماته صدمة قوية لنا جميعًا. فالتنفس السريع لـ لوسي كشف لي أنها صدمت. وتمكنت أنا من العودة إلى مقعدي، ولكن صدمة تلك التصريحات جعلت حواسي تدور.

t.me/yasmeenbook

استمر السيد دوغلاس قائلًا: "تم العثور على الفتاة ميتة في سريرها، أليس كذلك يا آنسة ميلر؟ إما أن شخصًا ما دخل المدرسة من الخارج أو أن قاتلًا يتجول في مجتمع المدرسة. فمن غير المرجح أن يكون القاتل قد جاء من الخارج. ليس مستحيلًا، لكنه غير مرجح".

وترك لنا وقتًا لاستيعاب كلماته، ثم أضاف: "هذا بالضبط هو السبب الذي جعلكِ تأتين إلى هنا، أليس كذلك يا آنسة ميلر؟ أنتِ تعتقدين أن قاتلًا يجوب أروقة مدرسة ألدرتون، والفكرة ترعبكِ".

رفعت الآنسة ميلر رأسها وأرسلت عيناها شررًا غاضبًا ينم عن عدم الرضا، وقالت: "كيف تجرؤ؟".

سأل السيد دوغلاس: "إذًا، لماذا جئتِ إلى هنا؟ لماذا طلبتِ مقابلة السيدة روتشيستر؟ لماذا سمحتِ للسيدة ثورستون بأن تستمر في سوء فهمها حول هوية السيدة روتشيستر؟ لديكِ خطة في ذهنكِ، أليس كذلك؟".

ترددت الآنسة ميلر، وتجولت بعينيها حول الغرفة بجنون كما لو كانت تحاول أن تجد حلًّا أو قرارًا، أو ربما حتى مخرجًا. وقالت: "أنا قلقة! كيف يمكنني ألا أكون كذلك؟ لم يكن هناك شخص بالغ في غرفة النوم الليلة الماضية عندما توفيت سيلينا! لا أحد! فالفتيات الكبيرات ليس لديهن أحد يراقبهن حتى تأتي معلمة الألماني الجديدة. كان السيد ويفرلي يشير إلى ذلك، ويشير إلى أن الفتيات في خطر".

t.me/yasmeenbook

توجهت الآنسة ميلر نحوي قائلة: "أنتِ الوحيدة التي أثق بها يا سيدة روتشيستر. لقد اعتقدت السيدة ثورستون أنكِ معلمة الألمانية، ولكن ليست لديَّ أي فكرة عن موعد وصول فراولين شوبنكوتر. هل يمكنكِ أن تتولي مكان المعلمة مؤقتًا وتساعديني في مراقبة الفتيات؟ يمكننا القيام بذلك معًا، أنتِ وأنا. ألا تفهمين ذلك؟".

وفجأة، فهمت.

t.me/yasmeenbook

الفصل ١٤

سألت: "ماذا لو أدركت السيدة ثورستون أنني كنت معلمة أديل السابقة؟".

قالت الآنسة ميلر: "من الممكن أن يكون ذلك في مصلحتنا. لقد طلبتْ مني أن أجد شخصًا لشغل المنصب مؤقتًا. بالتأكيد لا ترغب هي في أن تكون مشرفة للفتيات الكبيرات لأن السلالم متعبة بالنسبة لها. يمكن أن أخبرها بأنك تعيشين فترة انتقالية بين الوظائف. قد يكون ذلك مفيدًا؛ حيث إنها تعلم أن معلمة أديلا تركت الوظيفة في ظروف حرجة".

قلت: "لست واثقة مما إذا كان ذلك مفيدًا. أرجو أن تشرحي لي فكرتك".

احمرّت وجنتا الآنسة ميلر. وقالت: "إذا اعتقدت السيدة ثورستون أنها يمكنها أن تنجو بدفع راتب أقل للمعلمة مما يُطلب عادة، فإن الوضع سيكون مفيدًا لها، فالليدي كينغسلي تصر على أن يتم حساب كل المصروفات بدقة. هذا اقتصاد صغير، ولكن سيكون ذلك مفيدًا".

t.me/yasmeenbook

قالت لوسي: "ولكن السيدة روتشيستر لم تعد معلمة. لقد تغيرت مكانتها. إنها متزوجة من رجل نبيل!". وجعل صوت لوسي اللطيف تعليقها لا يبدو كتأنيب.

قالت الآنسة ميلر: "هذا صحيح، لكنني واثقة إلى حد كبير من أن السيدة ثورستون لا تعلم بالزواج. لقد اضطرت السيدة ويبستر للتقاعد بسبب حالتها الصحية بشكل مفاجئ. وكنتيجة طبيعية تراكمت المراسلات. ومود ثورستون لم تنتهِ من كل المراسلات الموجودة على مكتبها بعد".

إذًا هذا هو السبب في عدم تهنئة أديل لنا بمناسبة ولادة نيد. إن الفتاة لم تتلق رسالتنا! على الأرجح تكمن الرسالة في كومة البريد غير المفتوح على مكتب السيدة ثورستون.

قال السيد دوغلاس وهو عابس الوجه للآنسة ميلر: "أنت تطلبين من السيدة روتشيستر أن تضع نفسها في الخطر مباشرة".

قالت لوسي: "أعتقد أنه قد يكون من الأفضل لـ جين أن تنقل أديل فورًا وتنتهي من مدرسة ألدرتون".

قالت الآنسة ميلر: "أعترف بأنني لم أنتبه للخطر على السيدة روتشيستر. في الواقع، كنت غير واثقة من وجود خطر، لكن السيد ويفرلي ألقى الضوء على هذه النقطة... وهو شخص قوي الإقناع؛ لذا اضطرني للتفكير في كيفية حماية الفتيات. بالطبع، كنت أعلم أن السيدة روتشيستر ستشاركني قلقي بشأنهن، خاصةً مع تاريخنا معًا في لوود".

t.me/yasmeenbook

تبادلتُ معها لحظة صمت دون كلام. وعادت ذكريات الفتيات المتوفيات لتطغى علينا. لم يتحدث أحد نيابة عنهن في ذلك الوقت. لم يخرج أحد ليقدم لهن الحماية أو العزاء. وعرفت الآنسة ميلر أنني لن أستطيع ردها، نظرًا لما نتشاركه من ذكريات.

قلت بصدق: "اسمحي لي بأن أعبر عن وضعي: إنني لا أهتم كثيرًا بمكانتي. أنا جديدة في لندن، لذا ليس لديَّ أي مجاملات لأقدمها ولا مكانة يجب أن أحميها. ونظرًا لعدم انضمام زوجي إليَّ لعدة أيام، فلا أرى ضررًا في هذا التظاهر. أما بالنسبة للفتيات، فأتصور أن العديد منهن تم إرسالهن إلى مدرسة ألدرتون لأن آباءهن قد تخلوا بكل سرور عن مسؤوليتهم تجاههن. إنهن يتيمات بكل ما للكلمة من معنًى ما عدا بالنسبة للقانون. وفوق ذلك، فأنا هنا لحماية أديل ولمعرفة ما إذا كانت هذه المدرسة مناسبة لها. قد يكون هذا الأمر وسيلة مفيدة للمراقبة".

تحدثت لوسي بعاطفة شديدة: "ولكن يا جين، قد لا يكون هذا آمنًا! آنسة ميلر، هل يمكنك توظيف معلمة ألمانية أخرى؟ أو إعادة ترتيب مكان النوم حتى يكون مع جميع الفتيات أشخاص بالغون؟".

أوضحت الآنسة ميلر: "تصميم المدرسة يعتبر كل فصل غرفة نوم منفصلة. وأنا أراقب الأطفال الصغار، والآنسة بارثينا جونز مسؤولة عن الصفوف الأولى، ومن ثم، يبقى الطلاب الكبار دون

t.me/yasmeenbook

إشراف. يوجد عدد كبير جدًّا من الطلاب لا يمكن نقلهم جميعًا إلى غرفة واحدة. ونظرًا لأن الجميع يتوقعون وجود معلمة ألمانية، بدت هذه وسيلة جيدة لتأمين أماكن النوم والحفاظ على مراقبة الفتيات من الفئات العمرية المختلفة، كما أنني افترضت أن وجود السيدة روتشيستر سيكون سببًا في طمأنة أديلا".

قال السيد دوغلاس: "قد تكون هذه هي أحسن طريقة للتصرف، وضع ثعلب في بيت الدجاج، إذا أحسنا القول، ولكنها ردة فعل متسرعة تجاه المشكلة".

تساءلت بصوت عالٍ: "لماذا لا تنام السيدة ثورستون في الغرفة مع الفتيات الكبيرات؟".

احمر وجه الآنسة ميلر قليلًا، وقالت: "إنها تنام بعمق جدًّا، فلا أعتقد أن ذلك سيكون ذا فائدة. وأيضًا، أشك في قدرتها على صعود السلالم. إنها ممتلئة قليلًا".

هذا التفسير يثير الشكوك في المصداقية، ولكنني غضضت الطرف عنه.

قال السيد دوغلاس وهو يبدأ المشي بشكلٍ غير صبور: "ما هي الأسئلة التي طرحها ويفرلي؟ اعذري لي تدخلي، ولكن قبل أن تضع السيدة روتشيستر نفسها في هذا الموقف، أود أن أعرف ما يعرفه ويفرلي. قد يسلط ذلك المزيد من الضوء على الخطر".

قالت الآنسة ميلر: "أراد السيد ويفرلي أن يُعرض عليه سرد أحداث الصباح".

t.me/yasmeenbook

"أعيدي ذلك لنا بسرعة، إذا تكرمت".

قالت الآنسة ميلر: "يستيقظ الموظفون في الساعة الخامسة والنصف، وإيما، خادمتنا، تدق الجرس للفتيات الكبيرات في الساعة السادسة. وبعد عشر دقائق، تطرق الباب. منذ رحيل معلمة الألمانية السابقة، الآنسة هيرتزوغ، قبل شهر، لم يكن هناك شخص بالغ في هذه الغرفة. وبناءً على ذلك، وضعت السيدة ثورستون خطة. كل طالبة من الكبيرات لديها شريكة مسؤولة عن التحقق من أن شريكتها ترتدي ملابسها وجاهزة لتناول الإفطار. وتشرف الفتاة الرئيسة على شريكتين".

سأل السيد دوغلاس: "وما عمر هؤلاء الفتيات؟".

قالت الآنسة ميلر: "أديلا هي الأصغر في صف الكبيرات، فعمرها عشر سنوات"، وشرحت سريعًا كيف اعتقدت السيدة ثورستون أنها قد تكون ذات تأثير سيئ على الأطفال في مثل سنها. وهزت لوسي رأسها بانزعاج، لكن الآنسة ميلر استمرت قائلة: "بقية الفتيات في الثالثة عشرة من العمر وما فوق. العديد من الفتيات يبقين معنا حتى يقمن بالخروج الأول لهن عند بلوغهن سن السادسة عشرة. وكانت سيلينا هي الأكبر سنًّا، وتبلغ من العمر ستة عشر عامًا. ففكرة الشركاء تعمل بشكل جيد جدًّا".

سألت لوسي: "ماذا يحدث إذا كان الشريك متمردًا أو كسولًا؟".

تحدثت الآنسة ميلر بهدوء: "في هذه الحالة، يتعرضان للعقاب معًا". فهززنا رؤوسنا بانزعاج. وكان بإمكاننا تخيل صعوبة تعامل الطفل مع شريك معاند.

تساءلت: هل يمكن أن يكون ذلك دافعًا للقتل؟ ولكنني رفضت هذه الفكرة. كيف يمكن لفتاة في سن المدرسة قتل أخرى؟ إن مجرد التفكير في ذلك جعل قشعريرة تسري في جسدي.

سارعت الآنسة ميلر للتوضيح: "أعترف بأن المشكلة كانت تكمن في الأساس في سيلينا، كانت صعبة المراس ولم تتقبل التعليمات بشكل جيد. كانت فتاة جميلة، كانت دائمًا كذلك، وأعتقد أن والدها كان مأسورًا بجمالها لدرجة أنه لم يكن يستطيع أن يعاقبها".

تساءل السيد دوغلاس: "هل هناك إمكانية لوصول متسلل إلى غرفة نوم الفتيات الكبيرات؟ هذا السيناريو -على الرغم من أنه غير مرجح تمامًا- لكن لا يمكن أن يتم استبعاده بالكامل".

أومأت الآنسة ميلر برأسها: "نعم، من الممكن أن يكون قد تسلل شخص غريب عبر النافذة. هناك شجرة كستناء كبيرة بفرع يلامس نافذة الغرفة".

سأل السيد دوغلاس: "هل رأى ويفرلي أي علامات على دخول بالقوة؟".

أجابت: "لم يرَ، ولكنه أوصى بأن السيدة ثورستون يجب أن تقطع فورًا الفرع المزعج لشجرة الكستناء".

سأل السيد دوغلاس: "وماذا كان ردها؟".

أظن أنني عرفت كيف سيكون ردها. فلا يمكنني أن أتخيل السيدة ثورستون تقبل التوجيه من أي شخص، حتى لو كان محققًا من منظمة بو ستريت.

قالت الآنسة ميلر وقد تلون وجهها وأشاحت ببصرها بعيدًا: "قالت إنها ستناقش المسألة مع السيدة كينغسلي. ولأصدقكم القول، فإن مثل هذه القرارات المتعلقة بالأراضي تتجاوز اختصاص السيدة ثورستون. ويجب أن أخبركم أيضًا أن سيلينا كانت تحب التسلل في الليل. فقد ضبطتها ذات مرة. وأعلم أن الآنسة جونز رأتها أيضًا. لقد كانت سيلينا بهذا الطبع: عنيدة وذات إرادة قوية. والداها يعيشان في بريتون. وليس لديهما ثروة، لذلك أرسلاها إلى هنا بينما يوفّران لها تكاليف خروجها في الربيع القادم. كانت غير سعيدة بالوضع؛ حيث كانت تتوقع أماكن إقامة أفضل وطاقم عمل راقيًا، وكانت تعبّر عن ذلك في كل فرصة. ونتيجة لذلك، كانت تحب السلوك السيئ. ولم نكن ننجح في ترويضها".

قال السيد دوغلاس: "لنعد إلى استعراضك لجدول الصباح".

"الفتيات يغتسلن ويرتدين ملابسهن قبل النزول. وتكون الصلوات في الساعة السادسة والنصف. يتم تقديم الإفطار حوالي السابعة، ولكن في السادسة والدقيقة العشرين، لم تتحرك سيلينا. كانت شريكتها توبخها وتدفعها قليلًا من كتفها. تجاهلت الفتيات الأخريات ذلك، وبدا الصباح عاديًّا؛ حيث كانت سيلينا غالبًا ترفض النهوض في الوقت المناسب. في النهاية، أصبحت شريكة سيلينا غاضبة. كان هناك اشتباك قصير بينهما قبل بضعة أيام، حتى أنهما قامتا بعضهما بشد شعر بعض. وعلى الرغم من الشجار الذي حدث، نجحت سيلينا في جعل شريكتها تتأخر، وتم تكليف الفتاتين بحفظ أدعية إضافية. في هذا الصباح، فقدت شريكة سيلينا كل صبرها. فقررت أن تجر سيلينا من السرير. وبالطبع، عندئذٍ اكتشفت أن سيلينا ميتة".

لا يمكنني سوى تخيل المشهد وكيف كانت صدمة الفتيات... خاصة الفتاة التي أمسكت سيلينا، لتكتشف أنها باردة ومتيبسة.

كان وجه السيد دوغلاس يبدو كأنه يفكر بعمق عندما سأل: "ما اسم شريكة سيلينا؟".

أطلقت الآنسة ميلر نظرة عابرة عليَّ، وقالت: "أديلا. إنها أديلا فارينز التي وجدت سيلينا ميتة".

t.me/yasmeenbook

الفصل ١٥

لم أستطع أن أبقى هادئة، فقلت: "لا عجب في أنها كانت مضطربة بشكل هستيري! كيف لم تخبريني بهذا في وقت سابق؟".

"كنت أعتزم أن أخبرك عندما نلتقي في الغد. وبهذه الطريقة يمكنني أن أطمئنك بأن أديلا بخير. بعد أن تنام ليلة جيدة وأحصل على فرصة للحديث معها".

أطلقتُ الكلمات بغضب: "هذا بالتأكيد يفسر سبب أنها كانت ثائرة!".

"سيدة روتشيستر، أرجوك تذكري أنكِ كنتِ في سنها نفسها عندما حملتك المربية في لوود من سرير صديقتك هيلين بيرنز. موت هيلين لم يفزعك كثيرًا، على الأقل لم ألاحظ ذلك".

"هذا صحيح بالفعل، ولكن أنا وهيلين كنا نعلم أنها تحتضر، وتم أخذي من السرير قبل أن أدرك أنها توفيت! والأهم من ذلك، أنني وأديل مختلفتان في درجة الحساسية. إنها فرنسية وتميل إلى التعبير عن العواطف...".

t.me/yasmeenbook

قالت الآنسة ميلر: "بينما أنتِ إنجليزية بكل ما تحمله الكلمة. ما يزعج طفلًا، يمكن للآخر تجاوزه. نعم، اكتشاف سيلينا ميتة أثار غضب أديلا، على الأقل في البداية، ولكني أملت في أن أبلغك بأنها استعادت سيطرتها على نفسها. لقد عملت بجد لتحسين تلك الصفة على مدار السنتين الماضيتين. وأعتقد أنها قد حققت تقدمًا كبيرًا".

تنحنح السيد دوغلاس وأعادنا إلى الموضوع الأساسي: "ماذا سأل السيد ويفرلي بالإضافة إلى ذلك؟".

"أراد معرفة ما إذا كان لدى سيلينا أعداء".

سألت لوسي بحماس، وهي تميل إلى الأمام على كرسيها: "هل كان لديها أعداء؟".

قالت الآنسة ميلر: "أعداء؟ لا يمكنني تصور ذلك، لكن سيلينا كانت... مستفزة. كانت تستهزئ بـ كاج، الشاب الذي يعمل في منزل ألدرتون. كانت تغازله وتسخر منه. وكانت تتنمر على معلمة الألمانية السابقة، الآنسة هيرتزوغ، حتى غادرت الشابة في الليل دون طلب خطاب توصية. صدقًا، على الرغم من أنها التحقت بالمدرسة قبل ثلاثة أشهر فقط، فإن سيلينا تمكنت في ذلك الوقت القصير من إزعاج جميع المعلمين، وترك واجباتها دون إنجاز، وتسببت في الفوضى في الفصول الدراسية، وكانت مزعجة بشكل عام".

سألتُ: "كيف كانت تتصرف تجاه الطالبات الأخريات؟".

"للأسف، يجب أن أعترف بأنها كانت تعذبهن. حاولت تصحيح سلوكها، ولكن السيدة ثورستون لم تكن توافق على ذلك. أصبحت سيلينا حيوانها الأليف".

قالت لوسي بارتياب: "أنا لا أفهم. أنت تقولين إن السيدة ثورستون تجاهلت سلوك الفتاة؟ أمر غريب، وخاصة بسبب ذكرك أنها تسببت في الكثير من الفوضى".

أومأت الآنسة ميلر قائلة: "إنه أمر مربك بعض الشيء. لا يمكنني أن أفسر لماذا كانت السيدة ثورستون تهتم بالفتاة بهذا القدر. في البداية، كانت السيدة ثورستون وسيلينا على خلافات مستمرة، حتى أنهما تشاجرتا بشدة في إحدى المرات. وبعد ذلك بوقت قصير، لاحظت تغيرًا في موقف السيدة ثورستون. فقد اختارت تجاهل عيوب الفتاة".

قلت: "بناءً على طبيعة رؤيتي لها اليوم، فإنها لم تبدُ لي حساسة بأي شكل من الأشكال".

أجابت الآنسة ميلر: "تعتبر مشرفتنا تحكم المرء في عواطفه أمرًا مهمًّا. وبينما تبدو ظاهريًّا قاسية، قد تكون السيدة ثورستون طيبة ورقيقة للغاية. أعلم أنك لم تري ذلك الجانب منها اليوم يا سيدة روتشيستر، ولكن صدقيني، إنها كذلك".

قام السيد دوغلاس بوضع أصابعه متقاطعة بعضها مع بعض وقال: "هذا تناقض، فالتغير في سلوك السيدة ثورستون تجاه

سيلينا بيلتمور، هو بالتأكيد مسألة تحتاج إلى التمعن فيها. وفي الوقت نفسه، دعونا نلخص الموقف. تم قتل سيلينا بيلتمور في سريرها خلال الليل. وتم اكتشاف وفاتها عندما حاولت شريكتها، أديل فارينز، أن توقظها لتناول وجبة الإفطار".

أومأت الآنسة ميلر برأسها وقالت: "صرخات أديلا أحضرتني بسرعة. فأرسلت فتاة لتخبر كاج بأن يحضر الطبيب. ووجهت الآنسة جونز الطالبات إلى غرفة الطعام؛ حيث بقين حتى بعد... بعد أن تم نقل جثة سيلينا. كان هذا في الوقت الذي ظهرت فيه السيدة روتشيستر لزيارتها".

أوضحت قائلة: "لقد رأيت رجالًا يحملون النقالة إلى سيارة الجنازة. بالطبع، في ذلك الوقت لم أكن أعرف أنها سيارة جنازة، ولكن الآن أفهم طبيعة السيارة التي عطلت طريقنا عند وصولي أنا وويليامز".

أومأ السيد دوغلاس برأسه واستمر في ملخصه: "هناك نافذة تؤدي إلى غرفة الفتيات الكبيرات، ويمكن الوصول إليها عن طريق تسلق شجرة الكستناء. لم يكن ولا يوجد في غرفة الفتيات الكبيرات أي بالغ يمكنه حراستهن".

قالت الآنسة ميلر: "ويفرلي قال إنه سينشر رجلًا في شارعنا، رجلًا يرتدي سترة حمراء".

سألت: "ما هذا؟".

قالت لوسي: "إحدى دوريات شرطة الفروسية في بو ستريت. تشير السترات الحمراء إلى هويتهم من مسافة بعيدة جدًّا".

قال السيد دوغلاس: "ربما تمنع دورية الفرسان وصول أحدهم إلى المدرسة، لكن هذه الخطة لا تقدم أي مساعدة إذا كان هناك قاتل بالفعل بينكم".

وتوقف لحظة ثم أضاف: "هناك طريقة أخرى يمكن أن يحدث بها القتل. تقولين إن سيلينا بيلتمور كانت تتسلل كثيرًا، ربما لمقابلة شخص ما، والشجرة توفر وسيلة سهلة للوصول. هل من الممكن أنها سمحت لشخص ما بالدخول؟".

اعترضت قائلة: "لكن الفتيات الأخريات كن سيسمعن إذا اقتحم أي دخيل".

قام السيد دوغلاس بتمرير يده على ذقنه قائلًا: "هذا يطرح السؤال: لماذا لم تستيقظ أي من الفتيات عندما كانت سيلينا بيلتمور تقاوم؟ يعتقد ماركوس بايبر أنها قاومت قاتلها".

سألت لوسي: "نعم، كيف يمكن للفتيات أن يَنَمْنَ خلال حدث مثل هذا؟".

تحدثتُ بسرعة لدرجة أنني فاجأت نفسي: "ربما تم تخديرهن باللودانوم! فقد تم تخدير أديل. وعندما حاولت إيقاظها، لم تستجب إلا قليلًا!".

t.me/yasmeenbook

قال السيد دوغلاس: "قد يفسر ذلك عدم معرفة الطلاب الآخرين بالجريمة. ولكنه سيعني أيضًا أن الشرير كان شخصًا لديه القدرة على الوصول إلى الفتيات لتخديرهن. فمن يمكن أن يكون؟".

قلت: "هناك سيناريو آخر محتمل. ربما كان للقاتل شريك داخل المدرسة".

قال السيد دوغلاس: "بالضبط، جيد جدًّا يا سيدة روتشيستر. يمكنني أن أرى أنك جيدة بالفطرة في هذا! مَن الذي كان يكره الفتاة بهذا القدر؟".

قالت الآنسة ميلر: "كنت أشعر بالأسف لإخبار السيد ويفرلي بأن الجميع تقريبًا في المدرسة لديه سبب ليكره سيلينا. منذ وصولها إلى ألدرتون، كان هناك العديد من المواقف المؤلمة. ولم تسمح السيدة ثورستون بمعاقبتها، لذا فعلت سيلينا ما شاءت. لم يكن يهمني المشاغبة كثيرًا بقدر ما كرهت الطريقة التي كانت تؤذي بها الفتيات الأخريات".

وتنهدت وهي تضيف: "ولكن على الرغم من كل ذلك، لا أستطيع أن أتصور أن أي شخص داخل المدرسة قد يؤذي سيلينا، بل وأكثر من ذلك أن يقتلها".

قلت: "أنا أستطيع تصور ذلك، ولديَّ الدليل".

الفصل ١٦

سحبت من جيبي الورقتين اللتين تسببتا في زيارتي إلى لندن. وقلت: "هذه الورقة من أديل وصلتنا عن طريق البريد قبل بضعة أيام. والورقة الأصغر كانت مطوية في الداخل".

بالطبع، رأت لوسي الرسالتين. فنهضت وغادرت الغرفة، وعادت بكلبها راغز، وبدأت بصمت في تمشيط شعره بأصابعها.

سأل السيد دوغلاس كلًّا من الآنسة ميلر وإياي بينما كان يشير إلى ورقة التهديد بأصابعه: "هل يمكن لأي منكما التعرف على الخط في هذا التهديد؟".

أومأت برأسي وقلت: "لا، ربما يكون هذا خط أديل، إذا اهتمت بتغيير خطها الطبيعي، ولكنني لا أستطيع أن أجزم بذلك".

قالت نان ميلر: "وأنا أيضًا، ولا يبدو مألوفًا، ولكن هذا ليس مفاجئًا. فمن كتب هذا اهتم بأن يبقى مجهولًا. ما تلك الكلمات

التي تتقاطع مع رسالة أديلا إليكِ أنت والسيد روتشيستر؟ الكلمة نفسها مكتوبة ثلاث مرات؟ هل يمكنك قراءتها يا سيدة روتشيستر؟".

قلت: Au secours"، هذا يعني (المساعدة) بالفرنسية. بالطبع، قد لا يكون لهذا التهديد علاقة بموت سيلينا بيلتمور".

لم يقل أحد شيئًا. ولم يصدق أي منا أن الأحداث متفرقة.

وقف السيد دوغلاس، بأرجل متباعدة، ونظر إلى الفحم المشتعل في المدفأة وقال: "المعلومة الوحيدة التي لا يمتلكها ويفرلي، ولكننا نحن نملكها، هي رسالة التهديد الموجهة إلى أديل فارينز. ولا نعرف ما إذا كان التهديد قابلًا للتنفيذ. ولا نعرف ظروفه. أو ما إذا كان مرتبطًا بأي شكل من الأشكال بوفاة سيلينا بيلتمور؛ لذلك، أقترح أن ننتظر لنقوم بمشاركتها. في الوقت الحالي، فإنها تسلط الضوء بشكل سيئ على الآنسة فارينز؛ حيث إنها وجدت الفتاة الميتة، وقد شعرت بتهديد من قبل شخص ما".

أومأت برأسي، وقلت: "أديل لا يمكن أن تؤذي أحدًا. أقسم لك إنها لم تفعل ذلك".

قالت الآنسة ميلر: "سيدة روتشيستر، أرجوكِ عودي معي إلى المدرسة. السيدة ثورستون بالفعل تعتقد أنك معلمة الألمانية المفقودة. سأشرح لها أنك وافقتِ على تولي المنصب فقط لحين وصول الآنسة شوبنكوتر المتغيبة. ولتجنب اللبس،

t.me/yasmeenbook

يمكنني أن أناديكِ باسم عائلتك قبل الزواج؛ حيث إنها لن توافق على وجود امرأة متزوجة في هذا المنصب".

قالت لوسي: "لكن أديل تعلم أنها تزوجت من إدوارد، فقد أخبرت الفتاة بنفسي، وأعلم أنها تلقت رسالة من الاثنين".

قالت الآنسة ميلر: "صحيح، ولكن تم منع أديلا من التحدث عن وصيها".

قالت لوسي: "ماذا؟ هل يمكنكِ تقديم تفسير؟".

"أخبرت السيدة الأرملة إنجرام السيدة كينغسلي عن زوجة السيد روتشيستر الأولى. ونتيجة لذلك، أخبرت السيدة كينغسلي السيدة ثورستون، التي تفاجأت جدًّا من سلوكها أنها منعت أديلا من الحديث عن وصيها".

عبر وجه لوسي عن الغضب وقالت: "كيف تجرأت!". وكنت واثقة بأن تعبير وجهي كان غاضبًا بالقدر نفسه.

حاولت الآنسة ميلر تقليل استيائنا عندما حركت كتفيها وقالت: "ربما كانت هذه المحاولات مبالغًا فيها، ولكن مود ثورستون كانت تحاول فقط حماية الفتاة من الفضيحة".

كافحت لعدم إظهار عدم رضاي، ونظرت نحو لوسي وأخيها وقلت: "أخذت السيدة ثورستون على عاتقها أيضًا أن تأمر بأن يُطلق على أديل اسم (أديلا)، والذي تعتقد أنه أكثر تناسبًا مع اللغة الإنجليزية من اسم الفتاة الحقيقي".

t.me/yasmeenbook

قالت الآنسة ميلر بلمحة من الدفاع: "ربما كانت طرقها غير حكيمة، لكن نياتها كانت تهدف لإنقاذ أديلا من ماضيها المشوه".

قال السيد دوغلاس: "إن ذلك يتجاوز مسؤولياتها بعض الشيء. لا أعتقد أن العمل هناك معلمة سيجلب لك الكثير من السعادة، يا سيدة روتشيستر، ولكن أعتقد أن وجودك يمكن أن يكون إضافة لا تقدر بثمن للمدرسة، والأهم من ذلك للفتيات. لا أحد يتوقع منكِ كشف هوية قاتل سيلينا بمفردكِ؛ بل المساعدة فقط في حماية الفتيات وربما جمع بعض المعلومات".

قالت لوسي: "بروس، أنت لا تزال تطلب من جين أن تضع نفسها في خطر للتصدي للقاتل! هذا أمر مبالغ فيه. أعتقد أنها يجب أن تأخذ أديل وتعود للمنزل".

ابتسم لها قائلًا: "فعل ذلك سيحمي أديل، ولكن ماذا عن الفتيات الأخريات؟ دعونا نفترض أن القاتل لم يكن مهتمًّا بـ سيلينا فقط. ربما لا تكون أديل الفتاة الوحيدة التي تلقت رسالة تهديد. ماذا لو كان القاتل وحشًا يتربص بالأطفال؟ ليس هناك شخص بالغ لمراقبة الفتيات الكبيرات. هل يمكن للسيدة ثورستون ضمان أمنهن؟ ومن ستجد في هذه المرحلة، من ستخاطر بحياتها من أجل الطالبات؟ يمكنني فقط أن أفكر في شخص واحد، وهي هنا في هذه الغرفة معنا".

هذا هو بالضبط ما كان يدور في ذهني. فسماعه يعبّر عن قلقي بشكلٍ موجز وصريح منحني ثقة إضافية بأنني يمكنني أن أحدث فارقًا. فالتفتَ إليّ واستمر قائلًا: "سيدة روتشيستر، أنت لا تعرفينني جيدًا، وأنا لا أعرفك. ومع ذلك، يمكنني أن أخبرك بكل صراحة بأن القدر يمكن أن يمنح الشخص في بعض الأحيان فرصة لفعل خير كبير مرة أو مرتين في الحياة، فرصة لإحداث الفارق، ولكن هذه الفرصة تأتي دائمًا برفقة مخاطر شخصية، أو تضحية، وفي بعض الأحيان الإحراج. إنني أستمد من تجربتي الشخصية عندما أقول إنه إذا تراجعتِ، فستتساءلين دائمًا. ستبقين مستيقظة في الليل وتشعرين بالندم. ستشككين دائمًا في حقك للسير بين الناس العفيفين ورفع رأسك بينهم".

قلت: "هل تؤمن حقًّا بأنني يمكن أن أكون مفيدة؟".

"شريطة أن تحافظي على أعصابك باردة. وستحتاجين للاحتراس من أي تناقضات وتفاصيل. من دورك كمعلمة، قد تعرقلين جريمة قتل وتجدين أدلة على هوية القاتل. دون وجودك في غرفة الفتيات الكبيرات، قد يشعر القاتل بأنه حر في الهجوم مرة أخرى".

تحول الجميع إليّ، ينتظرون رد فعلي. فقلت: "سأحزم حقائبي فورًا".

قال السيد دوغلاس: "لحظة من فضلك، على الرغم من إعجابي بشجاعتك، أرفض أن أرسلك، بعدم إدراك، في طريق

الخطر. أقترح أن نلتقي معًا بانتظام حتى أتمكن من توجيه تحقيقك والتحقق من سلامتك الشخصية".

سألت الآنسة ميلر: "كيف تقترح تنفيذ ذلك؟".

قالت لوسي بحكمة: "لكي نلتقي بانتظام ونتحدث بحرية، يجب أن تكون الاجتماعات خارج المدرسة".

كلنا اعترفنا بصحة ذلك.

لفترة طويلة، لم يتحدث أحد. كانت دقات عقارب الساعة على الرف هي التي تذكرنا بأنه يجب علينا تنفيذ خطتنا بسرعة.

قالت الآنسة ميلر: "لديَّ فكرة، نحن بحاجة إلى مدرسة لديها مهارة فنية في الرسم بالقلم والطباشير. حسبما أتذكر، لديك موهبة خاصة في الرسم. أقترح أن أخبر السيدة ثورستون بأنك يمكنك تدريس الرسم بالإضافة إلى اللغة الألمانية. وبهذه الطريقة، سيكون لديك سبب وجيه لأخذ طلابك إلى حديقة هايد بارك؛ حيث يمكن للسيد دوغلاس والسيدة بريتون أن يلتقيا بك. ستكون حصة الرسم من الساعة الثانية حتى الثالثة بعد الظهر".

هذه الخطة المبتكرة تلبي جميع احتياجاتنا.

"ولكن ماذا أفعل بشأن التوصيات؟ السيدة ثورستون صارمة في هذا الموضوع".

نهضت لوسي وذهبت إلى مكتب الكتابة. وبعد أن أخذت ورقة سميكة من العاج من الدرج وقامت بغمس قلمها في الحبر، وبدأت بالكتابة. لم يتحدث أحد منا في أثناء عملها. وبعد أن جففت رسالتها، قرأتها بصوت عالٍ:

عزيزتي السيدة ثورستون،

أقدم لكم الآنسة جين إير، معلمة متميزة سمعتها طيبة. إنها تجيد الرسم، وعزف البيانو واللغة الألمانية والفرنسية. أنا شخصيًّا أضمن نزاهتها. في الواقع، أنا معجبة جدًّا بهذه الشابة لدرجة أنني أقترح أن أكون راعيتها. تم إرفاق حوالة بنكية بقيمة راتب سنة واحدة.

مع خالص تحياتي،
السيدة الكابتن أوغستوس بريتون

t.me/yasmeenbook

الفصل ١٧

قالت الآنسة ميلر: "يجب أن نعود الآن، لقد تسللت مسرعة بينما كانت الفتيات يتلقين دروس الغناء مع السيدة ديلغاتو. ستنتهي تلك الدروس قريبًا. نظرًا لأنها تقوم بدروس فردية وجماعية، فإن الطالبات عادة ما يكنّ مشغولات لعدة ساعات". فاستدعت لوسي بولي، وأسرعت إلى غرفتي للإشراف على جمعها لأغراضي. وبينما كانت تجمع ملابسي الداخلية وفستان النوم وفستاني الحريري الأسود، كتبت رسالة على عجل.

زوجي الحبيب،

ينتابني بعض القلق بشأن البيئة في مدرسة الفتيات. إنها تحتاج إلى مزيد من الاهتمام، وسأبدأ في المتابعة فورًا.

تيقن أن أديل بأمان، وأنا بخير.

لوسي تفوقت على كل ما قلته عنها وأكثر.

t.me/yasmeenbook

أوصل حبي لك ولابننا. قدم تحياتي الحارة للسيدة فيرفاكس.

زوجتك المحبة التي تشتاق إليك...

جين إير روتشيستر

قلتُ لـ بولي وأنا أعطيها الرسالة: "بولي من فضلكِ تحققي من إرسال هذه الرسالة بالبريد". وشعرت بموجة حزن تجتاحني. فكم أشتاق لابني وزوجي! وما الذي يمكنني فعله بشأن مجوهرات روتشيستر المفقودة؟ ولكن هذا ليس وقتًا للشفقة على الذات. فهذا وقت العمل.

بمساعدة الخادمة، غيّرتُ ملابسي وارتديت ثوبي الرمادي. كانت كُفة الثوب تتدلى في الخلف من وزن الماء الذي تجمع فيه. وعلى الرغم من أن بولي قامت بتنظيفه، فإن الثوب لم يجف تمامًا. كنت أعلم أنه سيكون مبللًا مرة أخرى في غضون دقائق. النسيج الرطب التصق ببشرتي، لكن لا يمكن تجنب ذلك. وبتردد، طويتُ شالي الجديد. إنه أرقى من أن أرتديه وأنا أنتحل شخصية معلمة فقيرة. نظرت إلى حقيبتي الكبيرة وشككت فيها أيضًا. هل تمتلك معلمة متواضعة حقيبة مثل هذه الفارهة؟ فقلت: "بولي، هل يمكنكِ أن تجدي لي حقيبة قماشية؟ أحتاج إلى شيء أقل رفاهية لحفظ ملابسي".

أومأت، وغادرت، ثم عادت بسرعة بكيس وسادة مهترئ.

t.me/yasmeenbook

قلت: "هذا سيكون مناسبًا تمامًا".

أصابع بولي النشيطة أبقت حذائي مفتوحًا، بينما أدخلت أصابع قدمي في مكانها. وذكرتني الخدوش التي ظهرت على الحذاء بالاشتباك في نزل النقل. كانت ضلوعي تؤلمني من الصراع مع اللص، ولمسة واحدة لعيني أكدت لي أن الحادثة لم تكن حلمًا. لقد نجوت بصعوبة من دون أذًى. كيف يمكنني حماية مجموعة صغيرة من الفتيات الصغيرات؟ فتيات ليست لديهن أي تجربة في الحياة القاسية؟ نساء شابات قد يكون بينهن قاتل؟ غرقت على سريري، وتظاهرت بتعديل جواربي، وأخذت بضع لحظات لجمع أفكاري. هل من الممكن أن تكون إحدى الطالبات قاتلة؟ أم أن إحدى المعلمات قد أنهت حياة سيلينا بيلتمور الشابة؟

إدوارد، زوجي العزيز، لم يبدُ بعيدًا جدًّا هكذا من قبل. تخيلت أنه سيشعر بالقلق على سلامتي إذا كان يعرف عن خطتي. سيشير إلى حجمي الصغير وطباعي المتواضعة كموارد غير كافية للتغلب على قاتل. إنه حتى قد يوبّخني لتعريض نفسي للإصابة المحتملة.

ولكنه لم يكن هنا. وكثيرًا ما كان يعلق على أن مظهري الخارجي لا يتوافق مع روحي القوية. ومن الممكن أن يعمل هذا لمصلحتي. قد يستهين القاتل بي، لذا، قد أكتشف هويّة قاتل سيلينا بيلتمور قبل أن يدرك هو -أو هي!- الهدف الحقيقي لي.

ليست فقط أديل الحبيبة في خطر؛ بل إن القاتل يتجول في أروقة المدرسة. كانت هناك رعشة من الخوف قد تسللت إلى ظهري. هل من المحتمل حدوث ضحية أخرى؟ آمل ألا يحدث ذلك.

سلمت لي بولي الوسادة المحشوة بأشيائي. شكرت الفتاة بينما بدأت في ترتيب الملابس التي استبعدناها.

تردد صوت الآنسة ميلر من الصالون. كانت أديل والفتيات الأخريات تحت رعايتها، لكن الآنسة ميلر بدت مرنة مثل فرع الصفصاف، وليست على الإطلاق من ذلك النوع من الشخصيات التي قد تعترض طريق القاتل!

لقد كانت خائفة من السيدة ثورستون أثناء النظر في عواقب زيارتها هذه! هل من الممكن أنها تشعر بالقلق بشأن مسؤوليتها تجاه السيدة ثورستون أكثر من سلامة الطالبات؟ كنت أعرف الآنسة ميلر كشخص موثوق به ولطيف، معلمة عادلة بشكل عام، على الرغم من أنها كانت تتعرض للإرهاق والتعب في الأيام السابقة، وبدت أكثر من ذلك الآن، ومنذ لقائنا الأول قبل أكثر من عشر سنوات، ولكنها لم تكن ذات سلطة، ولم أستطع أن أتخيل أنها تمتلك القدرة على حماية الطالبات في مدرسة ألدرتون. إذا ما واجهت شخصًا رفيع المستوى أو شخصية ذات مركز أعلى، كنت واثقة بأن الآنسة ميلر ستستسلم.

كانت تحتاج إلى مساعدتي، وبينما كنت أستعرض ما أعرفه عن مدرسة ألدرتون، تساءلت: كيف يمكن لكلتينا أن نراقب

t.me/yasmeenbook

جميع الفتيات؟ هل هناك معلمات أخريات يمكن استدعاؤهن أيضًا لحماية الطالبات؟

ألقيت نظرة سريعة لنفسي في مرآة طاولة التسريح، بينما كانت بولي تواصل جهودها. إن مظهري المتواضع والشاب لا يكشف عن الظروف القاسية التي عشتها في طفولتي. تسريحتي المتواضعة -مفرقة من الوسط ومسحوبة للخلف ومضفرة- تتناقض مع تعقيد أفكاري وشرود مشاعري، ومكانتي المستقيمة، وكذلك روحي. لكن في نظر العالم الخارجي أبدو مثل حمل الربيع الوديع والودود.

كان وجهي ما يزال منتفخًا، وعيناي سوداوين، وشفتي مشقوقة. لمست هذه النقاط الحساسة، وتأملت في الضرر الذي لحق بشخصي. ومع ذلك، عندما واجهت لصًّا مسلحًا بسكين، قاتلت! لم أستسلم!

كم أنا منقذ جيد لهؤلاء الفتيات! نعم، أنا صغيرة الحجم ومتواضعة، ولكنني أيضًا قوية البأس. سأقوم بهذه المهمة.

طرقت لوسي بقوة على بابي ودخلت الغرفة وقال: "هل انتهيت يا بولي؟ أود أن أتحدث إلى السيدة روتشيستر على انفراد، من فضلك".

أدت بولي نصف انحناءة، وخرجت وأغلقت الباب وراءها.

قالت لوسي: "أنت لا تعرفين شقيقي، لذلك يجب أن أخبرك بهذا الأمر لتطمئني: إنه حليف قوي. بروس ذكي وشجاع،

t.me/yasmeenbook

وعندما يتعلق الأمر بسلامة أولئك الذين يعتني بهم، فمن الممكن أن يكون قاسيًا بشكل إيجابي. يمكنك الاعتماد عليه".

أومأت برأسي، وقلت: "أرى ذلك في أسلوبه".

"أشعر بعزمك وتصميمك. ومع ذلك، أرجوك، لا تعرضي نفسك أو أديل للخطر. شجاعتك واضحة في جروحك وكدماتك. لقد قاتلت بقوة من أجل حفنة من الأحجار الكريمة! لا يمكنني سوى أن أخمن كيف ستدافعين عن طفل، ولكن إذا شعرت بالخطر، فلا تحاولي المضي قدمًا بمفردك. بدلًا من ذلك، اطلبي المساعدة. أقترح إشارة مرتبة مسبقًا. نحن نعلم أن هناك شجرة كستناء بالقرب من غرفة الفتيات الكبيرات. يمكنك ربط منديل على الغصن الأقرب إلى النافذة، أليس كذلك؟".

أومأت لصديقتي. وقلت: "يجب أن يعمل ذلك بشكل جيد".

"سيكون أحد رجال بروس يراقبها. فلديه مجموعة من الرجال في الجيش الذين يعملون لمصلحته بشكل منتظم. خدموا معًا في الهند؛ لذا فهم مضمونون وموثوق بهم. لن تكوني أبدًا بلا دعم".

ظللت أحدق فيها. إن لوسي كانت أكثر تفكيرًا وخبرة بفن الحيل مما توقعته.

وكما لو أنها تقرأ أفكاري، ابتسمت وقالت: "في وقت لاحق، يمكننا مناقشة كيف تعلمت هذه الأمور، ولكن هذا

ليس الوقت المناسب تمامًا. هل يمكنني أن أقترح عليك ألا تشاركي هذه المعلومات مع الآنسة ميلر؟".

فهمت سريعًا السبب وراء ذلك. من الواضح أن لوسي وشقيقها يشعران أيضًا ببعض الشك تجاه ولاء الآنسة ميلر.

"سأحتفظ بوجود حارسنا بمثابة سر. الإشارة المرتبة مسبقًا لن تتجاوزنا نحن الاثنتين فقط".

وبشكل مفاجئ، احتضنتني صديقتي الجديدة -فهي تثبت لي أنها كذلك- وقبلتُ هذه اللفتة بسعادة.

"ما هذه الشجاعة التي تملكينها؟! من الأفضل أن نبدأ بإرسالك. سيوصلك ويليامز أنتِ والآنسة ميلر إلى المدرسة وسيتركما على بُعد شارعين لتجنب الشكوك حول وصولكما بالعربة. أنا وأخي سنكون في الحديقة غدًا وكل يوم بعد الظهر. سننتظرك على مقعد. يمكنك أن تتوقعي أن أحدنا على الأقل سيكون هناك يوميًّا".

انسحبت للخلف ونظرت في عيني. وتغيرت عيناها، من ذلك اللون الشبيه بأزهار النرجس في الربيع إلى اللون الأزرق القاتم المرتبط بأعماق البحر اللا متناهية.

أكدت مرة أخرى: "يمكنك الاعتماد عليَّ في أي شيء على الإطلاق، عندما قلت إنني أتمنى أن أكون أختك، قدمت لك بيتي ودفئي وقلبي. وبعد أن رأيت طبيعتك، أفتخر بأن أكون أختك.

أنت لست وحيدة في هذه المغامرة. فأنا أقف في الظلال، لكنني هنا. وأنا مستعدة لمساعدتك بأي طريقة ممكنة".

كان هذا العناق أسرع، لكن العاطفة التي كانت تجتاحنا جعلتنا نتعانق بشدة أكبر. وهذه إشارة، ربما، إلى أن كلتينا تخشى تلك المياه الضحلة المليئة بالصخور والبحار المضطربة التي تنتظرنا.

عندما أنهينا العناق، منحت يدي ضغطة أخيرة من المودة. ضغطة خاتم الزواج ذكرتني بالدور الذي سألعبه. يبدو أن لوسي قرأت أفكاري لأن أصابعها تمسكت بأصابع يدي اليسرى.

"خاتمك". وملأ الحزن عينيها وهي تقلب يدي لتحتضنها بكلتا يديها.

نظرت إلى خاتم زواجي. كنت أتوقع ألا أخلعه أبدًا، أن ألبسه في كفني وإلى القبر، ولكن ها أنا، بعد أقل من عام ونصف العام، أسحبه. بتردد، بدأت في تحريك الخاتم الذهبي المتواضع على طول إصبعي. وبشكل متردد، تقاوم بشرتي تقدم الخاتم. كان خلعه عملًا يفطر القلب. وعندما انزلق أخيرًا فوق طرف إصبعي، أمسكت الخاتم وضغطته بقوة، على أمل أن أحفر شكله في لحم راحة يدي.

أخذت لوسي الخاتم من يدي. وقالت: "ليس الخاتم ولا الحفلة هما اللذين يربطانك بـ إدوارد. إنما قلبك. أرى ذلك في وجهك، في عينيك عندما تتألقان عندما تذكرين اسمه.

t.me/yasmeenbook

لا تيأسي. الذهب مادة ناعمة، سهلة التجعيد أو التجريد أو الانصهار، ولكن قلب المرأة مادة ثابتة حتى أمام أكثر الكيميائيين الماهرين. لا تخافي يا أختي. بالخاتم أو دونه، أنتِ لا تزالين له، وإدوارد لا يزال لكِ".

وهكذا، غادرت صديقتي لتأمر طاهيتها بتجهيز بعض الجبن والخبز للآنسة ميلر ولي، في حالة كان قد فاتنا العشاء. كان هيغينز يحضر معطف الآنسة ميلر عندما اعترضني السيد دوغلاس في الردهة. وأشار لي بالدخول إلى المكتبة.

قال: "يجب أن أكون سريعًا. أشعر بأنك تلك الشخصية النادرة التي تجد القوة في المحن. جيد. لقد خدمت مع رجال من هذا النوع في الهند، وأقول لك إنهم هم قوة أي منظمة. بما أن لديك إرادة وذكاءً، سأسعى بتزويدك بمهارات الحفاظ على النفس التي يجب أن تكون مفيدة لك إذا واجهت خصمًا قاتلًا. استمعي لي بتركيز شديد من فضلك. الأولى سهلة: لا تستهيني بخصمك. لا تثقي بأحد. ابقي مستيقظة. لا تسمحي لنفسك بلحظة واحده من غفلة".

قلت: "Maim samajh guyi".

"أنتِ تتحدثين الهندية!".

"قليلًا فقط. شكرًا لنصيحتك الجيدة. سأتبعها بعناية".

اتسعت عيناه في دهشة وقال: "على الرحب والسعة".

t.me/yasmeenbook

الفصل ١٨

بمجرد دخولنا العربة، تراجعت الآنسة ميلر إلى الوراء حتى أنني لم أستطع إلا تمييز ملامح أصابعها المضغوطة على فمها. كان صوت ضربات حوافر الخيول يداعب آذاننا ويدل على ابتعادنا عن منزل بريتون. وعلى مدار اليوم، تيبست عضلاتي، وكل صدمة أو ارتداد على الحصى يرسل صاعقة من الألم عبر جسدي. وبعد هزة عنيفة، تأوهت من الألم.

سألت الآنسة ميلر: "هل يؤلمك كثيرًا؟".

"سأكون بخير".

"آمل أن نكون كلتانا بخير".

تجاوزتنا عربة أخرى، وأضاءت أنوار مصابيحها عربتنا، وأظهرت القلق في عيون الآنسة ميلر.

قالت: "نادرًا ما أركب العربات". ومررت يدها على غطاء المقاعد المغطى بشعر الحصان.

t.me/yasmeenbook

لان قلبي تجاهها. وقلت: "لقد فعلتِ الصواب بإخبارنا عن مخاوفك، ومن ثم، قمتِ بواجبك تجاه مدرسة ألدرتون".

"وماذا عنك؟ بالتأكيد كان من الممكن أن تعيدي أديلا إلى المنزل بسهولة. سيثني زوجك على حكمتك، ويمكنك أن ترتاحي بسهولة في الليل وأنت تعلمين أن وصيته تحت سقفه مرة أخرى. لم يتأخر الأمر كثيرًا يا سيدة روتشيستر. يمكن للسائق أن ينتظر خارج منزل ألدرتون. يمكنك أخذ أديلا والمغادرة".

كانت الحدائق الكثيفة تشكل قلعة غير قابلة للاختراق. تحركت أوراق الأشجار مقابل السماء الرمادية، كوَّنت سقفًا يضغط علينا. تحركت بقلق، شعرت بالضيق والهلع. كان إبهامي يفرك المكان الذي كان فيه خاتم زواجي. كانت الآنسة ميلر على حق: سيكون من الأسهل أن آخذ أديلا وأعود إلى البيت. لن يلومني أحد. بالإضافة إلى ذلك، لدي زوج وابن يجب أن أفكر فيهما. لم تعد حياتي ملكًا لي وحدي. حياة ورفاهية هؤلاء تعتمدان على عودتي بأمان. خطتي تهدد هذه الالتزامات المقدسة.

لكن كما أشار بروس دوغلاس، كيف يمكنني أن أعيش مع نفسي إذا لم أفعل شيئًا لمساعدة الفتيات في مدرسة ألدرتون؟

رفعت كتفي. وقلت: "تم وضع خطتي. ربما يجب أن نبذل جهودنا لجعلي معلمة ألمانية موثوقًا بها، حتى إن كان تعاقدي مؤقتًا".

t.me/yasmeenbook

"هل تمتلكين المهارات اللغوية اللازمة؟".

تنهدت. لماذا نعيد النقاش في الأمور القديمة؟ هل كانت خائفة لهذا الحد من أن مخططنا سيكشف؟

كبت عدم صبري وقلت: "لقد درست الألمانية. يمكنني قراءة وكتابة اللغة. أما بالنسبة للمحادثة، فقد تلقنت ما يكفي لتدريس المبتدئين الآخرين. قبل أن نلتقي، سافر زوجي في أنحاء أوروبا، وقضى وقتًا في جميع العواصم. لديه أذن جيدة في سماع اللغات. لقد صحح نطقي للكلمات الاعتيادية".

رددت الآنسة ميلر بدهشة ما قلته: "زوجي سافر عبر أوروبا، كيف اختلف عالمكم هذه الأيام؟! حسنًا، يجب أن تشعري بالراحة في مدرسة ألدرتون. في لوود، تعلمنا كيف نخدم الآخرين. أما في ألدرتون، فنحن نعلم الفتيات كيف يخدمهن الآخرون. هناك استحقاق في كلتا طريقتي الحياة. في الحقيقة، كلما علمت المزيد عن التوقعات التي تُفرض على هؤلاء الأطفال من الطبقة الثرية، أصبحت أكثر حزنًا عليهم، فليست لديهم حرية كما قد يعتقد المرء. في يوم من الأيام، قارنت السيدة ويبستر، مديرتنا السابقة، بين زهرة الأوركيد الدافئة ونبات الشوك العادي. كلاهما يمكن أن يكونا رقيقين ومشعين بجمالهما، ولكن يمكن للأولى أن تعيش فقط تحت العناية الدائمة والرقيقة للبستاني، في حين يمكن للثاني أن يعيش في أقل البيئات خصوبة".

قامت الآنسة ميلر بتحريك أصابعها على تنورتها وهي تفكر وقالت: "ثم سألتنا السيدة ويبستر: (أي الزهور يجب أن نحسد؟)".

"ليس لدي شك. أعرف أنني نبات الشوك، وأنا سعيدة بأن أكون كذلك". جلستُ بعمق في مقعد العربة البالي. كان اليوم قد أرهقني، وجفون عيني تتوسل لي أن أغلقها. كانت نهاية اليوم لها تأثير مختلف على الآنسة ميلر. ظلام الليل المتزايد والتأرجح الإيقاعي للعربة يجعلانها مفرطة في الكلام.

"أنا أتفق. النبتة مفيدة وقوية ومميزة".

فجأة، بدا صوتها يشبه صوت مديرتنا السابقة، امرأة كنا نعرفها ونحترمها جميعًا، ماريا تمبل. كانت الآنسة تمبل تحفزنا على استخدام عقولنا، وتجد الحفظ التقليدي والتقليد مهينًا. قالت حينها: "حتى الغراب ذو اللسان المقطوع يمكن تدريبه على تكرار الكلمات، حتى لو كان لا معنى لهذا الكلام، ولكن الله منحكم هبة التفكير. استخدموا هبته بحكمة!".

تساءلت: لو كانت الآنسة تمبل هنا، فهل ستدعم مخططنا؟

تمنيت ذلك بشدة.

توقفت العربة بصعوبة، عندما غمرتني عاصفة من المشاعر. هل يمكنني أن أستمر في هذا الدور؟ هل سيخدع تمثيلي السيدة ثورستون وربما القاتل؟ إذا علمت أن شخصًا ما قتل سيلينا بيلتمور، فماذا يمكن أن أفعل بهذه المعلومة؟

t.me/yasmeenbook

طرق ويليامز باب العربة، وقبل أن يسبب لي انهمارًا من الماء للمرة الثانية في يوم واحد، قمت بالنهوض بسرعة للخروج. سلمني بجدية كيس الوسادة الذي يحتوي على ملابسي. انتقلت أنا والآنسة ميلر إلى جانب الرصيف، وودعناه.

وقفت أنا وزميلتي جنبًا إلى جنب، نراقب ضوء مصابيح عربة ويليامز وهي تتلألأ وتتراقص على سطح الماء المتدفق. لم تتحدث أي منا. المهمة المقبلة كانت تظهر أمامنا بشكل واضح، مثل تل شديد الانحدار، محنة صعبة جدًّا لامرأتين متعبتين.

بصمت، بدأنا السير بخطًا ثقيلة نحو مدرسة ألدرتون.

"أفترض أنه أكبر سنًّا منك بكثير؟".

لم تحتج إلى تحديد من كانت تتحدث عنه.

"إدوارد يكبرني بعشرين عامًا".

"إذًا فهو بمثابة والدك! على الرغم من أن ذلك ليس غريبًا، أليس كذلك؟".

"لم أفكر كثيرًا في هذا الموضوع. إدوارد هو الشريك المثالي بالنسبة لي؛ العقدان اللذان يفصلان بيننا لا يعنيان شيئًا بالنسبة له ولا بالنسبة لي".

قالت الآنسة ميلر: "يمكننا استخدام فارق العمر لمصلحتك. أقترح أن تؤكدي على براءتك، إذا سألتك السيدة

ثورستون عن الشائعات التي سمعتها، قولي لها عن عدم خبرتك مع الجنس الآخر. أعلني عن مدى جهلك بشأن السيد روتشيستر وخططه".

"هل هذا ضروري حقًّا؟ الظروف كانت استثنائية"، تعثرت الكلمات في صدري وصعب عليّ التحدث. هذه هي المرة الأولى التي أدرك فيها بشكل كامل أنه في منزل ألدرتون، سيتعين عليّ أن أختلق علاقة مختلفة تمامًا مع الرجل الذي أحببته! لم تكن نان ميلر حتى تعلم أنني أم! خلال زيارتي الأولى، كنا نركز على رعاية أديل. في هذه الزيارة الثانية، كنا نركز على الحفاظ على سلامة طالبات مدرسة ألدرتون. فجأة أدركت كم كان قليلًا ما قلته لصديقتي القديمة عن حياتي الجديدة. أخذت نفسًا عميقًا فظنت أنني تعثرت على حجر، ومدت يدها لتثبيتي.

سألتني: "هل أنت بخير؟".

"بخير. مجرد انغماس لحظي بالحنين للوطن"، قلت. بعد أن رأيت تعبيرها وتذكرت الشائعات الفاضحة التي سمعتها، قدمت للآنسة ميلر تفاصيل موجزة وصحيحة عن أحداث السنوات الثلاث الماضية من حياتي، وختمت الحديث بخبر ولادة طفلي.

توقفت الآنسة ميلر. كان المطر يعاقبنا، لكنها واقفة هناك تتلقى رذاذ المطر. "لديك طفل؟ من نسلك الخاص؟".

قلت مع ابتسامة على وجهي: "نعم، عمره ستة أشهر، واسمه إدوارد ريفرز روتشيستر. ندعوه نيد، وهو طفل جميل".

قالت الآنسة ميلر: "نهاية سعيدة".

"نعم".

مشينا بعض الوقت دون حديث. سألتها: "وأنتِ؟ ماذا حدث في السنوات التي مضت منذ لقائنا الأخير؟".

"بعد نجاح إعلانك، قمتُ بنشر إعلان مشابه في الصحيفة. مدرسة في ليفربول كانت تحتاج إلى مديرة. عملت هناك لمدة عام ونصف العام".

مسحنا كلتانا وجوهنا من الماء، حيث لم يظهر المطر أي علامات على التوقف، وكانت قطرات المطر تسقط بشدة كأنها سم. حثثتها على إكمال الحديث فقلت: "وبعد ذلك؟".

حدث تردد في كلامها، واختناق في صوتها، يحذرني بأنها تكافح مشاعر قوية. "تغيرت الظروف. جئت إلى لندن، وبعد ذلك، ذكرتِ الآنسة غرايس -هل تتذكرينها من لوود؟- في رسالة أن السيدة كينغسلي بحاجة إلى مديرة".

شعرت بأن هناك المزيد، ولكن هبّة جديدة من الرياح أرسلت قشعريرة على ظهري. صرخت إصاباتي احتجاجًا. عضضت أسناني وكافحت لمواكبة خطوات الآنسة ميلر، التي كانت ساقاها أطول من ساقي، وبالتأكيد ليستا متيبستين من الألم.

t.me/yasmeenbook

سألت أخيرًا: "ما طبيعة السيدة ويبستر؟".

"من ناحية الطباع، كانت عكس السيدة ثورستون، كانت هادئة، ومتواضعة. كنا نأمل أنها لن تتقاعد لعدة سنوات قادمة. للأسف، تدهورت صحتها. كنتِ ستحبينها. نحن جميعًا كنا كذلك. أشتاق إليها. وهذا ينقلني إلى الوضع القادم. يجب على السيدة ثورستون أن تعتبرك بريئة من جميع مكايد إدوارد روتشيستر. يجب أن تظهري بريئة بلا ذنب، وإلا فسوف ترفضك فورًا". بالإضافة لهذا الاتهام الواضح، أضافت الآنسة ميلر حركة قاسية، حرّكت إصبعها بطريقة تعني أنها لن تسمح بأي نقاش.

ازدردت ريقي بصعوبة وأومأت برأسي وقلت: "كنت مجرد بريئة".

هذا الجزء كان صحيحًا، لكن قصتنا لم تنتهِ هنا، الحمد لله!

قالت الآنسة ميلر: "يجب أن تحذّري أديلا من عدم التحدث عن حفل زفافك الفاشل، إذا فعلت ذلك، فسنكون في خطر".

"ولكننا، بالفعل، تزوجنا!".

"نعم، وأنت تعلمين أن السيدة ثورستون لن توظف امرأة متزوجة. لن تفعل ذلك أي مشرفة".

بدأ وزن الخداع الهائل يثقل عليّ. قلت: "اتركي أديل لي، هل أحدٌ آخر يجيد الفرنسية؟".

t.me/yasmeenbook

قالت الآنسة ميلر بالفرنسية: "قليلًا، تدّعي السيدة ثورستون أنها تتحدث الفرنسية. في الواقع، تصف نفسها بأنها معلمة اللغة الفرنسية لدينا، ولكن يمكنني أن أؤكد لك أنها بعيدة جدًّا عن إجادة اللغة. إذا كان عليكِ وعلى أديلا أن تتحدثا معًا، فمن المستحسن حقًّا أن تتحدثا بلغتها الأم".

هكذا توقعت. معرفتنا بأننا يمكننا التحدث بحرية دون خوف من أن يفهمونا قد تكون مفيدَةً.

اقتربنا من مدرسة ألدرتون. المنازل المجاورة لها كانت تتسلل فوقنا، متجاوزة وتحاوطنا بينما نمشي سيرًا على الأقدام. أعمدة من الجبس مكونة من طابقين تحيط بنا من جميع الجهات. في مأمنٍ داخل صالون لوسي بريتون، الشجاعة دعمت قراري. هنا، على رصيف لندن المبتل، بدأ الخوف يتسلل تدريجيًّا إلى قلب شجاعتي. ماذا فعلت؟ لماذا وافقت على هذه المغامرة الجنونية؟

عضضت على نواجذي. آلمتني كدمتي. على الرغم من أن المطر يبلل ملابسي، توقفت عن المشي وحاولت تدليك العضلات المتوترة، لكن تدليكي لم يساعد. إنه فقط جعل الأمور تزداد سوءًا.

دفعني صوت الآنسة ميلر: "جين؟ هل غيّرت رأيك؟".

قلت بثبات: "لا، مجرد ألم في قلبي. هذا كل شيء".

كان هذا التعبير أصدق مما قد تعرفه هي على الإطلاق.

t.me/yasmeenbook

t.me/yasmeenbook

الفصل ١٩

"سأريكِ مكان تعليق أغراضكِ. يمكننا أن نتفقد أديلا بينما نكون هناك في غرفة النوم. ليس هناك حاجة لأن تحملي غطاء الوسادة هذا والشال والقبعة المبللين إلى زيارة السيدة ثورستون، ولكن يجب أن نستعجل. سيحين وقت العشاء قريبًا".

تابعت الآنسة ميلر السير.

في حين أن إعجابها بمحيطها في مدرسة ألدرتون كان واضحًا، لم يعنِ البذخ في الديكور الكثير بالنسبة لي. قبل كل شيء، كان منزل لوسي بريتون يلمع بأحدث صيحات الأثاث العصري، وكان قصر ثورنفيلد يفخر بكنوز عتيقة تشير إلى تاريخ عائلة روتشيستر المرموقة.

نعم، على عكس الآنسة ميلر، كنت معتادة الفخامة، وكنت أعرف كيفية النظر خلف اللمعان والتطلع بعمق إلى المعدن بداخله.

t.me/yasmeenbook

لم أستطع أن أمنع نفسي من مقارنة هذا المكان الفاخر مع مدرسة الفتيات في مورتون، حيث عرض عليّ ابن عمي سانت جون ريفرز وظيفة مدرسة هناك. هناك، في منزل متواضع، كنت أدرس عشرين تلميذًا، أطفال فقراء يرتدون ملابس متواضعة لا يملكون سوى التعليم وسيلة للتقدم. تلك المناطق الجبلية كانت متواضعة وصحية، وتلميذاتي، على الرغم من تواضعهن وجهلهن، أثبتن قابليتهن للتعلم. أعادتني تلك المشاهد إلى لوود، ومحيطها غير المناسب تمامًا، حيث استمر روتيني اليومي لثمانية أعوام، على الرغم من تغير مكانتي من طالبة إلى معلمة.

على الرغم من تنقلي المستمر، ظل هناك شيء واحد ثابت: أنني أستمتع بالتدريس. زراعة بذور الفكر في عقول راغبة تمنحني إحساسًا بالهدف. حتى إذا نظر طلابي إلى مستقبل غير مؤكد، فإنهم سيأخذون معهم في رحلتهم الحياتية عالمًا داخليًّا غنيًّا بالأفكار ومعرفة سطحية بالأدب الجيد. على الرغم من أن خيارات العمل المتاحة لهم قليلة، إلا أنهم يمكنهم الحساب بما فيه الكفاية لتجنب الغش. يمكنهم أن يتخيلوا عوالم أخرى، وأزمنة أخرى، وحياة أخرى. طالما يستطيعون القراءة، فإن أي كتاب يقع بين أيديهم قد يقدم لهم فرصة للهروب من الملل الذي سيحيط بباقي حياتهم.

أدت الآنسة ميلر دور المرشدة خلال جولتنا: "حسب معرفتي، أفضل المنازل في لندن لها تصاميم مماثلة. تحتنا، كما شاهدتِ، يقع المطبخ وملحق المطبخ والمخزن وغرفة

طعام الخدم وغرفة نوم صغيرة للطباخة. ينام الشاب كاج على الأرض في المطبخ أمام الموقد. تم تعيينه حديثًا. عندما كانت السيدة ويبستر هنا، كان لدينا رئيس خدم وخادمتان، لكن السيدة ثورستون تحب التقشف. في الطابق الأرضي هنا، كما أظهرت لكِ هذا الصباح، تحتل شقة السيدة ثورستون الجانب الأيمن عندما تواجهين المبنى، ومكتبها هو أول غرفة على اليمين من الباب الأمامي".

تبعت الآنسة ميلر من مقدمة المنزل إلى الخلف حتى نتمكن من استخدام سلم الخدم لنصعد إلى غرف النوم. تكررت الحواجز الفاصلة في غرفة الطعام على اليسار، ما جعل الغرفة الطويلة تتحول إلى غرفتين أصغر. مع صعودنا وتجاوزنا الطابق الأول، وصلتنا أصوات الأطفال الصغار الحلوة من غرفة الموسيقى وهم يغنون ترنيمة.

من الجهة الخلفية للمنزل المواجهة للأمام، كانت غرفة الأطفال الرضع على اليسار، ثم غرفة الأطفال الصغار في الجزء الأمامي من المبنى على اليسار. في الجهة الأمامية اليمنى كانت المكتبة مع الكرة الأرضية والموسوعة. قالت الآنسة ميلر: "هنا حيث الفتيات يمارسن فنون الخياطة ونصلي في الليل".

في الجهة الخلفية من المبنى كانت غرفة نوم الطالبات الأكبر. توقفنا بجانب الباب حيث أشارت الآنسة ميلر إلى

السلالم التي تؤدي إلى الطابق العلوي مرة أخرى. "إيما، خادمتنا العاملة الوحيدة، تنام في العلية فوقك".

قلت دهِشة: "هل هناك خادمة واحدة فقط؟". إنها مدرسة كبيرة، وعدد الطلاب كامل سيعني ذلك زيادة عبء العمل. وبالمقابل، توظف لوسي بريتون، التي تعيش وحدها، رئيس خدم في البيت، السائق، خادمة السيدة، الطاهية، وخادمة الصالون.

"نعم. هناك الكثير من العمل يجب القيام به، لكننا ندير الأمور. يعمل كاج خادماً، يحمل الماء والفحم. لدينا أيضًا خادمة غسيل تأخذ الملابس المتسخة، وتقوم بتنظيفها وكيها وتعيدها يوم الاثنين".

بسبب أن الآنسة ميلر كانت تتحدث معي، وأنا كنت متحمسة لمعرفة الطريق، لم نسمع الأصوات في غرفة نوم الطالبات الكبيرات حتى كنا على وشك الدخول. توقفنا خارج الباب واستمعنا.

قال رجل: "هناك دم على غطاء الوسادة. سآخذ هذا معي".

تساءلت: ما هذا؟ ثم، فجأة، أدركت أن أديل كانت في الغرفة نفسها! هل هي بأمان؟ بلا تفكير في العواقب، أسرعت إلى الداخل.

هناك، صادفت وجود السيدة ثورستون الغاضبة، ورجل طويل القامة وأكتافه ضيقة كان يدخن. مررت بجانبه ورأسي

منخفض وركعت بجانب أديل، ولاحظت أن اللودانوم لا يزال يُسيطر عليها. أخذت يدها ومسحت على جبينها.

احمر وجه السيدة ثورستون عند رؤيتي وقالت: "أنت؟ ما معنى هذا؟".

قالت الآنسة ميلر بينما هي تسرع للدخول خلفي، على الرغم من أن صوتها كاد ينكسر بسبب التوتر: "إنها فقط مدرسة الألمانية الجديدة. هل تتذكرين؟ قابلتها من قبل وطلبت مني أن أذهب لمساعدتها في الحصول على بعض الضروريات عند وصولها. اعذرينا يا سيدة ثورستون، لكنها". وهنا أشارت في اتجاهي. "كانت مربية أديلا. بالطبع، هي سعيدة لرؤية الطفلة مرة أخرى".

متجاهلة وجودي للحظة أخرى، التفتت السيدة ثورستون إلى الرجل وقالت: "انظر هنا يا سيد ويفرلي. ما معنى هذا؟ ليس لديك الحق...".

"سيدتي، أنا أرد على قاضي بو ستريت، السيد روبرت بليك فقط". إذًا هذا هو الضابط الذي قابلته الآنسة ميلر، الشخص الذي بدا واثقًا منه السيد دوغلاس. حقًّا، كان ويفرلي يستحق الاحترام. كان يدخن ووجهه يبدو متعبًا.

"أنت... أنت وقح...". انكمش وجه السيدة ثورستون المجعد من الغضب، وهي توجه إصبعها نحو صدر ويفرلي. بالإضافة إلى أنها كانت تكافح للتنفس -افترضت أن هذه

t.me/yasmeenbook

الحالة بسبب الجهد الذي بذلته في صعود السلالم- أوشكت المرأة على الانفجار، أو الوفاة، أو كليهما.

"صحيح يا سيدتي. أنا هكذا. أحد أسوأ عيوبي؛ ولكنه يخدمني بين الحين والآخر. إذا كان بإمكانك التكرم بالتراجع لكي أستطيع فحص المنطقة حول السرير". قام ويفرلي بانحناءة مهذبة، وهو يحمل عصًا سوداء تحت إحدى ذراعيه. وأثناء انحنائه، سقط الضوء على عملة ذهبية مدمجة في أحد طرفي العصا.

كانت يدا السيدة ثورستون تضربان الهواء وهي ثائرة وتقول: "هذا أمر لا يحتمل! هذا سخيف. أطالبك بالمغادرة فورًا! أعتزم أن أشتكي شخصيًّا إلى رئيسك. في الواقع، سنرى ماذا ستقول السيدة كينغسلي عن هذا التدخل".

أكد ويفرلي: "سيقوم السيد بليك بالاتصال بالسيدة كينغسلي بنفسه إذا لم يكن فعل ذلك بالفعل. يمكنك الوثوق في ذلك".

"سأفعل ذلك أيضًا يا سيدي! سأذهب إلى بنك إنجلترا!". خرجت السيدة ثورستون من الغرفة. صوت آثار خطواتها تردد في الممر، وأخيرًا، همهمت وزمجرت وهي تنزل السلالم.

سأل ويفرلي وهو يتجه نحو صديقتي وهو يمسك بشريط شعر أزرق سماوي: "الآن، الآن يا آنسة ميلر، هل يمكنك تحديد مالك هذه الحلية؟".

t.me/yasmeenbook

أجابت الآنسة ميلر دون تردد: "أديلا فارينز".

ترنحت إلى الوراء على كعبي، متشبثة بسرير أديل بيد واحدة، ممتنة أنني كنت قريبة من الأرض.

استمر ويفرلي في السؤال: "هي الفتاة التي وجدت الجثة، أليس كذلك؟".

"بلى، سيدي. تعلم أن أديلا وسيلينا كانتا شريكتين".

"شريكتين؟ اشرحي لي ذلك".

تحدثت عن نظام المسؤولية المشتركة.

"لكن سيلينا كانت مسؤولة أيضًا عن أديلا، أليس كذلك؟".

أومأت الآنسة ميلر برأسها. "للأسف، كانت سيلينا غالبًا تواجه صعوبة في النهوض من السرير في الصباح".

سألها: "هل كان ذلك مصدرًا للاحتكاك بين الفتاتين؟".

"في بعض الأحيان". بدت الآنسة ميلر هادئة ونادمة.

هززت رأسي. على الرغم من أنني لن أقترح عليها أن تكذب، لكنني تمنيت من كل قلبي أن تكون إجابتها مختلفة.

"هل هذه هي أديلا؟ الفتاة التي أعطيت لها اللودانوم؟ الفتاة التي تحوم المعلمة حولها؟". أشار برأسه نحو الفتاة النائمة.

"نعم، سيدي".

t.me/yasmeenbook

سألني: "لماذا تبقين هناك؟".

قلت: "أنا أتحقق من حالتها" ثم أضفت: "يا سيدي".

"سأرغب في التحدث معها عندما تستيقظ".

قالت الآنسة ميلر: "بالطبع".

"لقد دخلتما من الخارج مؤخرًا؟ والمطر يهطل بغزارة. لماذا؟ ما الذي دفعكما للتجول في مثل هذا المساء؟".

أشارت الآنسة ميلر نحوي وقالت: "كنت أحضر بعض الضروريات التي تحتاجها الآنسة إير، معلمتنا للغة الألمانية الجديدة، إنها زميلة سابقة لي، قد وصلت حديثًا إلى لندن. نحن محظوظون بأنها كانت متاحة في وقت قصير".

نهضت عندما استعدت قدرتي، ووقفت بشكل مستقيم، لكنني حافظت على النظر إلى الأسفل، على أمل أن أبدو متواضعة ولا أثير فضوله.

"لقد طلبتم منا أن نجد شخصًا بالغًا ليكون مرافقًا في هذه الغرفة، وقد فعلنا ذلك. ذهبت لإنجاز مهمة. هذا كل شيء". تلاشى صوت الآنسة ميلر، وإذا بدا تفسيرها مبالغًا فيه قليلًا، فلم يلاحظ ويفرلي ذلك.

أومأت برأسي محيية.

سأل بصوته القاسي: "من الذي ضربك؟".

لم أعد النظر إليه وأجبته: "لص في نزل النقل. تمت سرقتي".

"هل أبلغت أحدًا عن مغامرتك السيئة؟ ألم يكن هناك حارس يسافر مع النقل؟".

"تقدمت بتقرير لرجل يدعى جليب، سيدي".

"جليب؟ ذلك الغبي. حسنًا، سأرى ما فعله بخصوص خسارتك".

اتجه نحو الآنسة ميلر وقال: "الآنسة إير تبدو أصغر سنًّا من طلابك. الأفضل أن تجففا أنفسكما. ستصابان بنزلة برد!". بهذا التعليق والتجاهل السريع، تحرك نحو باب غرفة الطالبات الكبيرات. سارت الآنسة ميلر بسرعة وراءه. بقيت حيث كنت. عندما عبر الضابط وصديقتي القديمة حدود الغرفة، ألقت لمحة خاطفة إليّ بسرعة مع نظرة اعتذار وإحراج. "يا آنسة إير، يمكنك تعليق ملابسك على حامل المعاطف. سأنتظرك خارج الغرفة. سيكون السرير الأول في الصف على اليسار لك، الذي بجواره حاجز تغيير الملابس". شكرتها وفعلت كما أمرت، متحركة بسرعة، ولكن بهدوء. سمعت السيد ويفرلي يسأل الآنسة ميلر: "هل من الممكن أن يكون شريط الشعر هدية؟ أو إعارة للفتاة الميتة؟" ."أشك في ذلك يا سيدي. كانت أديلا مولعة جدًّا بهذا الشريط. كانت تبحث عنه في اليوم السابق... قبل وفاة سيلينا".

بعد قبلة أخيرة على جبين أديل، أسرعت للانضمام إلى ويفرلي والآنسة ميلر. سار ثلاثتنا معًا إلى الطابق السفلي، حيث ودعناه وتمنى لنا ليلة سعيدة. أغلقت الآنسة ميلر الباب ووضعت جبينها على الألواح الخشبية. "أخيرًا، ذهب! الآن يجب أن نتعامل مع السيدة ثورستون". ردت المشرفة على مضض بعد أن طرقت الآنسة ميلر باب مكتبها للمرة الثانية. "يجب أن يكون هناك سبب وجيه لإزعاجي...". توقفت عن الكلام فجأة عندما رأتني. بتردد، تنحت مود ثورستون جانبًا، وسمحت لنا بالدخول. كان وجهها لا يزال محمرًّا من نزول السلم الشاق. دخلت أنا والآنسة ميلر مكتبها. مكتب كبير يقبع في منتصف الغرفة، يزاحمنا في المساحة المتاحة. كل مكان يفيض بالأوراق. كومة ضخمة على سطح المكتب على وشك السقوط. تملأ الأوراق سلتين من الخوص وتغطي الأوراق وسادة الكرسي الوحيد المتاح. صدمني حجم الفوضى. صبت المشرفة غضبها علي: "إلام تحدقين؟ لماذا أنت هنا؟". قدمت يد الآنسة ميلر المرتجفة الرسالة من لوسي بريتون، وقالت: "عذرًا يا سيدة ثورستون، ولكنني أعتقد أنك قد ترغبين في قراءة هذا الخطاب. إنه ضروري. كنت سأعطيك إياه في وقت سابق، لكنه لا يخص مستر ويفرلي".

"سأجعلهم يطردون ذلك الرجل. سأفعل ذلك". وجهت نظرة حادة لي وقالت: "أفترض الآن أنه بمجرد وصولك ستحتاجين إلى مكان للنوم. هناك سرير إضافي في غرفة نوم

الفتيات الكبيرات. ميلر، قولي للطباخة إن لدينا شخصًا آخر للعشاء. بعد التفكير مرة أخرى، يمكن لها أن تأخذ مكاني".

ظهرت عليّ الدهشة، واستغربت من لطفها القاسي، ولم أتمكن من الرد.

أمسكت السيدة ثورستون بعدسة مكبرة وفحصت العنوان على رسالة لوسي. بعد قراءتها، حركت يدها بحركة طرد نحوي وقالت: "انتظري في ممر الدخول. هذا ليس من شأنك".

كنت أكافح رغبتي في القول: "نعم، ولكنه كذلك". بدلًا من ذلك، نجحت في أن أقدم انحناءة نصفية، غادرت مكتبها وسرت بصوت مرتفع إلى مكان في الممر. عندما سمعت الباب يغلق، خطوت على أطراف أصابعي إلى باب غرفة السيدة ثورستون. وضعت أذني على الألواح الخشبية الناعمة لبابها واستطعت سماع بعض الكلمات: "مفتش غبي... كيف يجرؤ؟... حادث... سيدمرنا...".

في هذا الوقت، توقف خطابها اللاذع. يبدو أن الآنسة ميلر قد ذكرتها بخطاب لوسي. تبع ذلك فترة طويلة من الصمت. سمعت السيدة ثورستون تسأل: "هذا سيكون مؤقتًا؟ فقط حتى تصل فراولين شوبنكوتر إلينا؟".

جاء بعده حديث عاجل من الآنسة ميلر، لكنني لم أتمكن من فهم التفاصيل. سمعت كلمات "ألمانية" و"مرافقة" و"حاليًا".

قالت المشرفة: "أحضري لي جين إير!".

t.me/yasmeenbook

t.me/yasmeenbook

الفصل ٢٠

تمتمت السيدة ثورستون: "أنت تقطرين الماء على سجادتي". وهكذا كانت تفعل الآنسة ميلر أيضًا. وأنا أقف هنا بملابسي المبللة، نادمة على مظهري.

عادةً، كنت أفتخر بنظافتي وأناقتي المحترمة، تقريبًا كما يفعل الكويكرز، ولكن هذه المغامرة تكلفني فرصة الحفاظ على مظهري المرتب. ها أنا الآن، واقفة هنا، أشعر بالفوضى، وهذا يضعني في موقفٍ صعبٍ للغاية.

أشارت السيدة ثورستون بإصبعها في وجهي وهزته بغضب وقالت: "لقد كذبت عليّ اليوم! سمحت لي بأن أعتقد أنك الآنسة شوبنكوتر". نفسها الحار ذو الرائحة الكريهة هاجم وجهي.

فكرت في تذكيرها بأنها لم تعطني فرصة لتقديم نفسي، لكن بدلًا من ذلك، أمسكت لساني وسمحت لها بمواصلة انتقاداتها. أعطتني محاضرة بشأن السلوك اللائق. كان من

t.me/yasmeenbook

المتوقع من المعلمين في مدرسة ألدرتون أن يمتنعوا عن تناول التبغ أو استنشاقه، وعدم التظاهر بالتكبر أو تقليد أشخاص أعلى منهم، وعدم التصرف بود مبالغ به مع الآباء أو الطلاب، وعدم سؤالها.

رغم أنني انزعجت من طريقة حديثها، فإن القواعد كانت متطابقة في كل المؤسسات التعليمية الأخرى في البلاد. بدلًا من أن أشير إلى كثرة كلامها، لم أقل شيئًا.

"طالما أنك تحت سقفي، فلا يجوز لك أن يكون لديك رفيق. هل هذا واضح؟ لذا فأي شخص سيحظى بك، فهو غير مرحب به في منزل ألدرتون".

وافقت تمامًا على ذلك! لكنني كتمت ابتسامتي لأنني لم أتخيل منظرها وهي ترفض "زوجي"، إدوارد فيرفاكس روتشيستر. في الواقع، أتمنى أن أنتهي من هذه المهمة قبل وصول زوجي إلى لندن.

واصلت السيدة ثورستون الحديث، وعيناها القاتمتان متجهتان نحو شخصي وقالت: "بالطبع، ستنضمين إلينا للصلوات في المساء ويوم الأحد. بمجرد أن تثبتي أهليتك، وإذا لم تأتِ السيدة شوبنكوتر، فقد أمنحك نصف يوم إجازة كل ثلاثة أسابيع، ولكن ذلك على حسب تقديري. لا ندلل طلابنا. هل أنت مربية الفتاة الفرنسية؟ إذًا لدي رأي سيئ عن مهاراتك كمعلمة يا آنسة إير".

بدأت حرارة مزعجة في عنقي، وتسللت إلى وجنتي. كنت أتمنى أن أرد على تصريحات السيدة ثورستون! أردت أن أوضح لها الحقائق، وأشرح أن أديل قد تقدمت بشكل ملحوظ تحت رعايتي، ولكنني لم أكن معلمتها في السنتين الماضيتين، فمدرسة ألدرتون مسؤولة عن تعليمها الأخير. ومع ذلك، كنت أعلم أنه إذا ناقشت السيدة العجوز، فسأفقد كل المزايا.

لقد أتتني فكرة: هل يمكن أن تكون مود ثورستون هي من قد كتبت رسالة التهديد لأديل؟

مررت ذلك بصعوبة وقررت أن أعرف الحقيقة.

رفعت وجهها وقالت: "بالنسبة لوصيها، السيد روتشيستر، لقد سمعت كل شيء عن مغامرتك معه. هذا ما يحدث عندما تتطلعين إلى شخص من مستوًى اجتماعي أعلى منك! أن تلقي نفسك على أحد السادة. أليس لديكِ أي ذوق؟"... وجدت انتباهي مركزًا على شعرة بارزة في ذقنها تتحرك ذهابًا وإيابًا مثل ذيل كلب لعوب. هذه الصورة -السخيفة للغاية- ساعدتني على تهدئة غضبي المتزايد.

"هل تستمعين لي، يا آنسة إير؟ أنا على ثقة بأنك لا تتقدمين للتدريس هنا من أجل أن تكوني قريبة من وصية السيد روتشيستر. هل ترين هذا المنصب فرصة لك لتنالي رضاه؟".

قلت بصدق: "لا". ثم قلت لنفسي إنها ستسكت قريبًا. ذكرت نفسي أنها ستضطر إلى التراجع عن كلامها أو أفعالها

بطريقة مهينة ومحرجة. ومع ذلك، أصبح من الصعب تمالك غضبي كلما استمرت في الكلام.

"يا إلهي! أرى من وجهك أن لديكِ مشاعر تجاهه! بينما لندن مدينة ذات ذوق رفيع، إلا أن السلوك غير المشروع لا يزال مكروهًا".

تساءلت لماذا يصر الأشخاص غير المهذبين على التكرار؟ هل يعتقدون أنك لا تستطيع سماعهم؟ أم أن طبيعة الأشخاص غير المهذبين هي تكرار العبارات المملة مرارًا وتكرارًا؟

"أترغبين في الحصول على وظيفة مربحة؟ هل تمكنتِ من خداع راعٍ يوصي بك؟ أتأملين أن تكوني مرحبًا بك في الطبقة المرموقة؟ سنرى، سنرى! أحضري لي الكتاب المقدس يا آنسة ميلر".

وبينما توجهت السيدة ثورستون نحوي، ألصقت إصبعها الإبهام والسبابة بعضهما ببعض وقالت: "كدتِ تصبحين امرأة متزوجة من رجل متعدد الزوجات!". لا يمكن لأي إهانة تطال شخصي أن تصيبني بقوة أكبر. حاولت جاهدة كبح العواطف القوية، عبست مود ثورستون معبرة عن استيائها عندما لاحظت ردة فعلي.

بحثت الآنسة ميلر في رفوف مكتظة بالأشياء. أشياء مبتذلة مزعجة، تماثيل ذات أصل مشكوك فيه، ورموز أخرى محرجة

تقبع على الرفوف. بعد بحث سريع، استخرجت نسخة قديمة من الكتاب المقدس مغطاة بغلاف جلدي باهت. اندمجت رائحة الرطوبة والعفن بقوة مع رائحة المشروبات الكحولية القوية.

"يجب أن تقسمي على هذا الكتاب المقدس، بترك جميع مشاعرك تجاه السيد إدوارد روتشيستر، وصي أديلا فارينز. تعالي! ضعي يدك عليه!". انتزعت السيدة ثورستون الكتاب من يدي الآنسة ميلر ودفعته نحوي.

نظرة الاستغاثة التي رأيتها في عيني صديقتي القديمة قالت لي كل ما أحتاج معرفته. إنها تطلب مني التخلي عن زوجي، حتى لو تعرضت لأذًى نفسي. إذا تراجعت الآن، فسيؤثر دور الآنسة ميلر في هذه المغامرة الخطرة عليها بشكل سيئ.

قلت بغضب: "يا سيدة ثورستون هل هذا ضروري حقًّا؟ أنا هنا، أستطيع تدريس الألمانية، والسيدة بريتون تضمن سمعتي. هل تعتقدين أن توصية السيدة بريتون لا قيمة لها؟".

تمكنت منها. توقفت السيدة ثورستون قليلًا. ومع ثقتي بأن تهديد لوسي بريتون ضرب العجوز ضربة قوية، استمررت قائلةً: "أليست موافقتها سببًا كافيًا لقبولي؟ أم يجب أن أعود إلى منزلها وآخذ الشيك معي؟".

كررت مود ثورستون: "ضعي يدك على كتابي المقدس!".

t.me/yasmeenbook

شفتا الآنسة ميلر كانتا تنطقان كلمة واحدة: رجاءً. يمكنني أن أتخيل خوفها. كان الكتاب المقدس بعيدًا بضع بوصات عن أطراف أصابعي، ولكنني لم أتمكن من مد يدي نحوه.

كيف يمكنني أن أقسم على ترك حبي لإدوارد؟ حتى في أحلك الأوقات، عندما قررت أن خلاصي الوحيد يكمن في وضع مسافة بيننا، حتى وأنا أهرول بلا وعي بعيدًا عن الشخص الوحيد الذي أحببته، لم أستطع أبدًا أن أقول إنني لا أهتم به. بغض النظر عن الإهانة التي تعرضت لها مرة واحدة، لم أتمكن من قطع علاقتي العاطفية به.

لا، منذ لحظة رؤيتي له وهو يقتحم التل على حصانه الأسود مسرور، استحوذ على قلبي.

طلبت هذه السيدة المتعجرفة أن أقسم على الكتاب المقدس أن الشخص الذي يعني كل شيء بالنسبة لي لا يعني شيئًا!

ترددت. الآنسة ميلر أمسكت يديها معًا مقابل صدرها وخفضت رأسها. حركت شفتيها في صلاة، تمامًا كما فعلت أنا.

قالت السيدة ثورستون: "كرري ورائي، أنا، جين إير، أقسم بإيماني الصادق بوصفي مسيحية...".

آآآآه!

قاطع صوت صرخة مفاجئة كلماتها.

t.me/yasmeenbook

الفصل ٢١

نظرًا لأنني كنت الأقرب إلى الباب، خرجت من مكتب السيدة ثورستون وركضت صعودًا على الدرج، متتبعة الضجيج. كنت قلقة من أنه يصدر من غرفة نوم الفتيات الكبيرات، لذا تسلقت السلالم بسرعة متزايدة، وذكرت نفسي بأن فتاتي الصغيرة كانت بخير عندما تركتها قبل بضع دقائق فقط، نائمة بسكون، غير مدركة تمامًا لمحيطها، ولكنها بخير.

انخفض صوت الصراخ وتحول إلى نحيب.

عندما وصلت إلى الطابق الثاني، رأيت باب غرفة النوم مفتوحًا. كانت الشمس المقبلة على المغيب قد أظلمت الغرفة إلى حد ما، لكن عيني تكيفت سريعًا مع الظلام.

اكتشفت شخصًا مستلقيًا على الأرض. صرخت قائلة: "هل تأذيت؟".

بكى صوت يشبه صوت نحيب الأطفال وقال: "لا".

t.me/yasmeenbook

وبينما أنا أنظر إلى الغطاء المتجعد مكونًا كتلة هادئة تدل على وجودها وأنها لا تزال تحت تأثير المخدرات قلت: "أديل؟". اقتربت بما يكفي لسماع نحيب خفيف. كانت بشرتها دافئة عند ملامستي لها، وحرارتها لم تكن مرتفعة جدًّا.

اقتربت من الطفلة على الأرض. صدر صوت نحيب منها. كشفت لمحة من الضوء عن تشابك شعرها البني الأحمر وجسدها الملتف بإحكام في كرة واقية مثل قنفذ مهدد.

سألتها: "هل أنت بخير؟". وأنا ألمس كتفيها المرتجفين بيد لطيفة.

"مُرعِبٌ... شَبَحٌ! أُريدُ الآنسة ميلر!". جاء اسمها كصرخة من البؤس.

"أنا صديقتها. أين هم زملاؤك في الصف؟".

قالت دون أن تلقي نظرة واحدة علي: "يصطفون لتناول العشاء. أأنت شبح؟".

"لا. أُؤكِّدُ لكِ أنني حقيقية تمامًا. هنا". حددت مكان كلتا يدي الطفلة، اللتين كانتا تحتضنان وجهها. ببطء، بدأت أزيح أصابعها. كانت يداها تمسكان بيدي برعب مميت، ومع ذلك، رفضت فتح عينيها.

"تعالي الآن، كل شيء على ما يرام. انظري إليّ".

صاحت الآنسة ميلر من الدرج: "آنسة إير، أين أنت؟".

t.me/yasmeenbook

رفعت صوتي، آملة أن يصل صوتي إليها: "في غرفة نوم الفتيات الكبيرات".

بحذر، فتحت الفتاة عينيها.

صاحت مرة أخرى: "يا إلهي! ما خطب وجهك؟".

كنت قد نسيت جروحي. كبت ضحكتي. سيكون جميع الطلاب فضوليين بشأن إصاباتي. هذه هي طبيعة الصغار، التقدم نحو العالم بدهشة غير مقيدة بالتصنع المزيف الذي يشجع عليه مجتمع البالغين. فقط مع تقدمنا في العمر نتعلم ممارسة فن التظاهر بعدم اهتمامنا بما هو طبيعي وصحي، أو إغلاق هذه القدرة المعجزة لتساؤل العقل.

"لقد أُصبتُ. هذا كل شيء. قولي لي ماذا حدث. الآنسة ميلر في طريقها". استطعت سماع خطوات صديقتي الثقيلة تتسارع على الدرج، تليها خُطًا أخف.

صوت الآنسة ميلر امتزج بأصوات أخرى، وأدركت أنها تحاول تشتيت انتباه الطلاب، الذين استجابوا لصراخ صديقهم بالتوافد على الدرج. بدا كأنهم مجموعة من طيور العقعق الثرثارة، يحاولون فهم هذا الموقف المحير.

ولكن بالطبع كانوا مضطربين. كان لديهم كل حق لذلك. تم اكتشاف إحدى زميلاتهم ميتَةً... وتخيّلاتهم تجاوزت الحدود.

بعد أن وجدت منديلًا في جيبي، جففت به دموع رفيقتي الباكية.

t.me/yasmeenbook

"تعالي، هناك تيار هوائي على طول الأرضية". بعد أن ساعدتها على الوقوف، حثثت الفتاة على الجلوس على سرير فارغ. حتى في ضوء الشمس الخافت، يمكنني أن أرى أن لديها رقة غريبة، تشير إلى أنها ستكبر لتصبح جميلة. تتساقط الدموع من خلف رموش طويلة تضفي جمالًا على وجه بيضوي وتتوازن مع شفاه كبرعم الورد الزهري.

سألتني: "مَ... من أَنْتِ؟".

تمكنت الآنسة ميلر أخيرًا من الوصول من خلال تجمع الطلاب المنفعلين الذين يحتشدون خارج باب الغرفة. "روز، هذه هي معلمتنا الجديدة للغة الألمانية والرسم. تعرفي على الآنسة إير".

ولكن الفتاة رفضت الهدوء، وكادت تدفع نفسها في ذراعي الآنسة ميلر. "لا تدعي سيلينا تؤذيني! إنها تطاردنا!".

"إنها ميتة يا فتاة"، قالت الآنسة ميلر بصوت حازم.

"لا! إنها... إنها هنا!". أشارت روز إلى حامل المعاطف، الذي كان معلقًا عليه ملابسي المبللة. قدم العقل المبدع لفتاة خائفة هيئة وشكلًا بشريًّا لهذه الملابس.

قالت الآنسة ميلر: "أنا لا أرى شيئًا سوى حامل المعاطف والملابس الخارجية المبللة، روز؟ انظري جيدًا هناك. لا تسمحي لعقلك بأن يلعب لعبته معك. هل ترين؟ لا يوجد شبح، هناك فقط ملابس مبللة تعود للآنسة إير".

t.me/yasmeenbook

لدعم هذه النظرية، تحركت بسرعة نحو حامل المعاطف، وأخذت شالي وقبعتي لتفحصهما روز. بعدها، وضعت كل شيء مرة أخرى على الشماعات.

أبعدت روز نفسها عن الآنسة ميلر ونظرت، أولًا بعيون مغمضة وأخيرًا بعينين مفتوحتين عريضتين، إلى القبعة والشال. رفعت كلًّا منهما مرة أخرى، ببطء أكبر.

قالت روز: "اعتقدت... اعتقدت... أنها عادت من أجلنا، أتيت فقط لأجد غطائي لأني كنت أشعر بالبرد، وبعد ذلك رأيت... رأيت ذلك... أعتقد أني كنت سخيفة".

قالت الآنسة ميلر: "لا، لم تكوني سخيفة. لقد تعرضتِ لخوف، هذا كل شيء. نحن جميعًا مضطربون. دعينا نغسل وجهك بالماء ونرتبك".

دق صوت جرس الساعة ست مرات من الطابق السفلي. أومأت الآنسة ميلر برأسها: "جيد. حان وقت العشاء. تعالي يا روز. دعينا نُرِ الآنسة إير غرفة الطعام".

قلت: "أمهليني دقيقة للتحقق من أديل". بعد أن لاحظت مرة أخرى صعودًا وهبوطًا منتظمًا لصدرها، أعدت ترتيب غطاء الطفلة النائمة ووضعت قبلة لطيفة على خديها. تنهدت في نومها ولم تبذل أي جهد للاستيقاظ.

عندما بدأنا رحلتنا نحو الطابق السفلي، توقفت ومددت يدي للفتاة. "أعتقد أن اسمك هو روز؟".

t.me/yasmeenbook

أمسكت يدي وهزتها بجدية. "روز أماندا تايلور. كيف حالك يا آنسة إير؟". كما يفعل الأطفال في كثير من الأحيان، انتقلت من الذعر إلى السيطرة على النفس في لمح البصر.

كانت الفتيات الأخريات قد سبقننا إلى الطابق السفلي. انتظرننا أمام غرفة الطعام. يمكنني أن أرى من تعابير وجوههن أن صرخات روز قد تركتهن في حالة من الرعب.

وكان لديهن الحق في ذلك.

الفصل ٢٢

وصولنا إلى غرفة الطعام لم يستدعِ اهتمامًا يُذكر. افترضت أن الفتيات إما اعتدن على وجود ضيوف أو كن يعانين من إرهاق نفسي نتيجة للعواطف التي عشنها طوال اليوم، لذلك لم يسبب وجودي التافه ضجة كبيرة. جلست الطالبات على مقاعدهن وانتظرن بصمت، وأيديهن مضمومة في حجورهن. وكانت أعينهن جميعًا حمراء ومنتفخة من البكاء.

كان تنظيم المائدة يمثل أفضل ما يمكن. أكواب الشاي الفخمة مصنوعة من الخزف الرقيق، مع ورود بيضاء وحمراء مزينة بالذهب. يجب أن أعترف بأنه قد أدهشتني روعتها. ذكرتني أكواب الشاي الشفافة والفضية اللامعة الاختلافات بين وضعي الجديد وماضي. في لوود، كنا نأكل من أكواب وأطباق من الصفيح متهالكة وملطخة كأحلامنا. لم يكن هناك شيء رقيق في حياتنا. لو لم يكن الشخص قويًّا وقاسيًا، فلن ينجو أحد.

t.me/yasmeenbook

سرعان ما عدت لرشدي. ماذا كنت أتوقع؟ لقد كنت حالة خيرية مبنية على الصدقات، لكن هؤلاء الفتيات هن محظوظات من الطبقة العليا. انحنت الآنسة ميلر نحوي كأنها تفكر في الشيء نفسه: "تعتقد السيدة ثورستون، تمامًا مثل السيدة ويبستر، أنه يجب على الفتيات أن تكون لديهن معرفة بعادات تناول الطعام في طبقتهن. وليس لي إلا أن أؤيد ذلك، وقد أدركت ذلك بالتأكيد. إنها تضيف لمسة من الرقي حتى في أسوأ الأيام".

وقفت الآنسة ميلر وصفقت بيديها، وأعلنت: "سيداتي، اسمحن لي بتقديم معلمتنا الجديدة لكنّ، الآنسة جين إير. الآنسة إير هي طالبة سابقة لي. رجاء اصطففن لمصافحتها وتحيتها".

قادت الفتيات الكبيرات الصفوف، وقدمت كل واحدة منهن نفسها لي.

رافينا غارلاند - سيمونز، طفلة غير مرتبة في سن الخامسة عشرة يخرج شعرها من ضفائرها، قامت بمصافحتي بقوة مفاجئة. "مرحبًا بك".

استطاعت نيتي إنسليب أن تقوم بحركة رأس صغيرة وتقول بصوت هادئ: "مرحبًا، آنسة". قدّرتها على أنها أصغر قليلًا من رافينا، ولكن ليس بكثير.

انحنت روز أماندا تايلور إليّ بانحناءة متواضعة، وكانت يداها الرقيقتان تفردان تنورتها بأناقة وقالت بجدية: "من دواعي سروري أن أراك مجددًا يا آنسة إير. أتمنى أن تكوني بخير بعد لقائنا الأخير".

أجبت بأنني كنت بخير حقًّا، في حين أناضل للحفاظ على ابتسامة رسمية مع هذا الموقف الشكلي ونحن قد التقينا قبل خمس دقائق فقط.

في حين أن وجه روز لا يزال يحتفظ بخدين ممتلئين كفتاة صغيرة، إلا أن ملامحها تظهر نضجًا أكثر. أعتقد أنها في الرابعة عشرة من العمر. وهذا يعني أن جميع الفتيات الكبيرات أكبر من أديل بأربع سنوات على الأقل.

مرت الطالبات الأخريات أمامي الواحدة تلو الأخرى. طفلة صغيرة من مجموعة الأطفال الرضع لعبت بخصلة شعرها بإصبعها الصغير، وأخذت يدي بأصابعها الأخرى، ونظرت بتمعن إلى عيني السوداوين وقالت: "هل تؤلمك عينك كثيرًا يا آنسة؟".

حذرتها الآنسة ميلر: "كارولين! لا ينبغي أن يُبدي أحد تعليقات شخصية عن مظهر من هم أكبر منه".

تحوّلت جميع الأعين نحوي. كنت أدرك أهمية هذه اللحظة. الفتيات كن ينتظرن رد فعلي. هل سأكون قاسية أم

فظة أم لطيفة؟ قراري سيحدد مساري هنا، والطالبات يراقبنني بعناية، متمنيات العثور على مؤشرات عن سلوكي.

اقتربت من الفتاة: "نعم، عيني تؤلمني بشكل فظيع. أنصحك بتجنب التعرض لأذًى مثل هذا، إن كنتِ تستطيعين ذلك".

هذا جعل الفتيات جميعهن يضحكن، واسترخت الأجواء المتوترة فورًا. غطت روز فمها بيدها وقالت لزميلاتها الكبيرات: "كانت لطيفة جدًّا معي عندما كنت خائفة. حقًّا كانت كذلك. ورأيتها وهي تنحني وتقبّل أديلا، لكن أديلا لم تنتبه، بالطبع، لأنها كانت ناعسة جدًّا".

بعد أن عادت الطالبات الأصغر سنًّا إلى مقاعدهن، قادتنا الآنسة ميلر في الصلاة. وبعد آمين الأخيرة، قرعت جرسًا كرستاليًّا صغيرًا للإشارة إلى بدء التقديم. دخلت إيما وهي تحمل صينية مثقلة بقطع الخبز وثلاثة أوانٍ للحساء. وضعت المأكولات على طاولة مغطاة بقماش دمشقي أبيض كالثلج. جاء شاب، أعتقد أنه كاج، وراءها يحمل صينية بها طبقان، أحدهما مليء بشرائح لحم الغزال والآخر، كما يمكنني أن أشم، محمل بسمك مطبوخ.

لاحظت أنه على الرغم من صباه، قدّرت عمره بحوالي الثمانية عشر عامًا، لكنه كان يظهر عليه التعب. على الرغم من ارتدائه سترة، لم يكن يخفى على أحد حقيقة أنه نحيل ولديه عضلات، ومعتاد بوضوح على العمل الشاق.

بعد أن قام الخدم بجولة ثانية لجلب مجموعة أخرى من الصواني والأطباق المتنوعة التي تحتوي على البازلاء والسلطة والشمندر، قالت الآنسة ميلر: "يمكنكم أكل الطعام".

وجهت لي كلمة بصوت منخفض قائلة: "أعلم أن البعض يعتقد أن الأطفال لا يحتاجون إلى الكثير من الطعام، ولكن السيدة ثورستون تؤمن بتغذية الفتيات جيدًا. بهذه الطريقة يتمتعن بجسم جيد عند الخروج. هل يمكنك تخيل كيف كانت ستُسعِدُنا هذه الفكرة في لوود؟ حتى في أفضل الأوقات، كان الطعام هناك محدودًا".

وقفت إيما عند الباب، وألقت نظرة أخيرة على الطاولة، تتحقق من عدم نسيان أي شيء. انتقل انتباهها بسرعة وكفاءة، لكنني لمحت بعض الشوق العاري في عينيها. حولت بصري بعيدًا، شاعرة بالإحراج لكلتينا. كنت أعرف كيف تشعر إيما. أن تكون غريبًا هو أمر يثير الاستياء، والأسوأ من ذلك، لا يوجد شيء يمكن فعله. ولدت في مستوًى؛ ومن المحتمل أن تموت فيه.

جلست أنا والآنسة ميلر بعضنا بجوار بعض. امرأة مسنة، نحيفة ونحيلة مثل شتلة عارية في الشتاء، جلست على يميني. كانت تحتضن بشكل مهمل شالًا أسود كبيرًا يتدلى من كتفيها، وكان شعرها الرمادي يخرج من كوفيتها المصنوعة من الكروشيه.

t.me/yasmeenbook

قالت لي بالإنجليزية الرسمية بلهجة ثقيلة: "اسمحي لي بأن أعرف بنفسي، أنا السيدة أمبروزيا ديلغاتو، معلمة الإيطالية ومدرسة الغناء". بعد ذلك، وضعت يدها على صدرها، أغلقت عينيها، وقامت بانحناءة مهذبة جميلة من الخصر.

رددت على انحنائها بالطريقة نفسها وقلت بالإيطالية: "سعدت بلقائك يا سيدتي"، لكنني تساءلت: إذا كانت السيدة ديلغاتو هنا، فلماذا لا يوجد عدد كافٍ من البالغين لمرافقة الفتيات؟

ظهرت ابتسامة كبيرة على وجهها. "آه! أنت تتحدثين لغتي الأم". إذا كانت السيدة ديلغاتو لديها فضول بشأن كدمات وجهي، فقد أخفته جيدًا.

قلت: "للأسف، بضع كلمات فقط، أنا شغوف باللغات. اسمي جين إير..."، لكنني توقفت قبل أن ينساب "روتشيستر" عن غفلة.

سارعت الآنسة ميلر للإضافة: "الآنسة إير هي مدرسة الألمانية والرسم الجديدة لدينا".

قالت امرأة طويلة تقف على يمين السيدة ديلغاتو: "سعدت بلقائك يا آنسة إير. أنا بارثينا جونز"، ومدت لي يدها الباردة. ربما تكون في مثل سني، بوجه مفتوح وعينين مستويتين تحت حاجبين مقوسين بشكل جيد، لكن أنفها كان أكثر اتساعًا قليلًا

t.me/yasmeenbook

وفمها أصغر قليلًا ما يجعلها ليست جميلة تمامًا. إطلالتها القوية وملامحها الفاتنة تذكرني بنساء الأمازون في الأساطير القديمة.

كانت أطول مني بكثير، حيث إنني كنت أقرب في الحجم إلى الطلاب الصغار، في حين يمكن أن يتم تشبيه بارثينا جونز بسهولة بالرجال، قالت: "أنا معلمة الطلاب الصغار، وأنا أيضًا أدرس الرياضيات واللاتينية وفنون الخياطة".

قالت الآنسة ميلر: "بالنسبة للسجل، أنا أدرس الأدب الإنجليزي وقواعد اللغة والتأليف. والتاريخ أيضًا. كان هذا دائمًا شغفي، وبالطبع، كما قلت لك، تدرس السيدة ثورستون اللغة الفرنسية. وكذلك السلوك الحسن". قالت ذلك، وقامت بدهن قطعة كبيرة من الخبز بالزبد.

ساعدت السيدة ديلغاتو نفسها وأخذت قليلًا من الزبد أيضًا، وصاحت بصوت ينطوي على الاستياء: "أوه!، لم أتمكن من جعل الفتيات ينتبهن إلى دروسهن اليوم. بقيت في المدرسة لوقت متأخر هذا المساء لمساعدتهن. سأضطر لطلب مساعدة كاجي في العودة إلى المنزل. لم تعد عيني ترى جيدًا في الظلام. لدي رؤية ضعيفة جدًّا بالنسبة لشخص في سني!".

ابتسمت بيني وبين نفسي، حيث إن "ديل غاتو" تعني "من القطة" بالإيطالية. شرحت الآنسة ميلر: "السيدة تعيش في كليركينويل مع أخيها، الذي يحتاج إلى مساعدتها".

t.me/yasmeenbook

قالت بارثينا جونز لي: "يطلق البعض على كليركينويل اسم (إيطاليا الصغيرة)".

"آه، أخي يعاني من مشكلات في القلب. وأنا أعاني من مشكلات في الساق. نحن ثنائي!، ولكن معًا نستطيع التغلب على التحديات". قالت السيدة ديلغاتو.

ثم تابعت السيدة جونز: "أنا واثقة أنك سعيدة بالتخلص منا اليوم يا سيدتي. إنه يوم حزين يا آنسة إير، بسبب فقدان إحدى طالباتنا".

"لقد سمعت ذلك، اسمحي لي بتقديم تعازيّ".

أنهت السيدة ديلغاتو وجبتها بسرعة. "يجب أن أذهب الآن. سيتساءل أخي عن مكاني. يا له من يوم عليّ أن أشاركه معه! إحدى طالباتي توفيت!".

وعندما قامت، اقتربت مني وهمست قائلة: "Lei é morta e ne sono contenta".

بالتأكيد كانت ترجمتي خاطئة. هل يمكن أن تكون السيدة العجوز قد قالت حقًا: "إنها ميتة وأنا سعيدة؟".

في حين كانت السيدة ديلغاتو تكافح للخروج من الباب وأنا أفكر في كلماتها الغريبة أثناء الوداع، التفتت الآنسة جونز إليّ.

t.me/yasmeenbook

قالت: "إذًا أنت الشخص السيئ الحظ الذي وصل مبتلًّا تمامًا إلى المطبخ هذا الصباح، أليس كذلك؟ سمعت إيما تعلق على إصابتك".

"نعم، لقد اعترضني لص في نزل الطريق".

"أيتها الفتاة المسكينة! يا له من مكان خطير هذا العالم بالنسبة لامرأة غير متزوجة. يا للعار! بالنسبة لامرأة أن تكون غير متزوجة -دون رجل لحمايتها- وآمنة هما شيئان متناقضان تمامًا. يجبرنا وضعنا المتدني على الدخول جميعًا في دور العبيد".

وجدت هذا أمرًا غريبًا. لم أفكر في إدوارد بصفته حاميًا لي. إنه زوجي ورفيقي ونظيري في الحقوق، ونحن ملزمان جميعًا بحماية ابننا... وأديل. غمرتني موجة مفاجئة من الحنين إلى الوطن. محاطة بأطفال النساء الأخريات، وأنا محرومة من ابني نيد. كان هذا الشوق ظاهرًا عليَّ جسديًّا لدرجة أن نفسي انقطع.

سألت الآنسة جونز: "هل أنت بخير يا آنسة إير؟ للحظة، بدا على وجهك حزن غير عادي. ما الذي يمكنني فعله للمساعدة؟ أريد أن أكون صديقتك بالإضافة إلى أن أكون زميلتك الجديدة".

كم هذا غريب! مرتين في عدة أيام، أعربت نساء بالكاد أعرفهن عن رغبتهن في صداقتي. أعادت السيدة جونز صياغة

عرضها: "اعذريني إذا كنت أتجاوز الحدود، لكني أتمنى حقًّا أن أتعرف عليكِ. فهناك عدد قليل جدًّا منا، وإن وجود رفيقات معلمات أخريات يجعل هذا المنصب أكثر جاذبية من المعلمة الخاصة، ألا تتفقين؟".

"بلى". لا يمكن للمعلمة الخاصة أن تختلط بالموظفين، وعمومًا لا تعتبر على قدم المساواة مع سيدة المنزل وسيده. باستثناء حالة واحدة... حالتي. نظرت السيدة جونز إليّ فقلت: "نعم، أفهم ما تقولينه. يمكن أن تكون حياة مربية الأطفال وحيدة جدًّا".

نظرت الآنسة ميلر إلى جانبي ثم تفحصت منديلها سريعًا.

سألت السيدة جونز: "أين كنتِ تعملين قبل ذلك؟".

أجبت: "في الشمال من هنا، في يوركشاير"، ولكي أوجه الحديث في اتجاه آخر، كَبَتُّ تثاؤبًا. "عذرًا! لقد كان يومًا طويلًا نوعًا ما".

قالت الآنسة ميلر: "نعم يا آنسة إير، لقد كان يومًا عصيبًا ومتعبًا للجميع". ومضت عيناها، وأرسلت نبرة صوتها رسالة: "يجب أن لا تخففي حذرك. ليس بعد! قاتل يتجول بيننا!".

t.me/yasmeenbook

الفصل ٢٣

أدركت أنني يجب أن أتدرب حتى على أيسر كلماتي وأكثرها اعتيادية بعناية، ما زاد من شعوري بالإرهاق الشديد. كانت كل أجزاء جسدي تؤلمني، والكدمات حول عيني تنبض بألم حاد كالسهام.

بعد العشاء، تحدثت أنا والسيدتان جونز وميلر حول موضوعات عشوائية بينما انشغل الطلاب بهدوء بواجباتهم وقراءتهم. شاركت السيدتان معي نظرة عامة عن روتين المدرسة، بالإضافة إلى القواعد والتوقعات المتعلقة بالطلاب. عرفت أن العقاب يترك بشكل كامل للحكم الشخصي للمعلم.

سألت الآنسة جونز الآنسة ميلر: "ماذا حدث للآنسة شوبنكوتر، هل هناك شيء خطير؟".

"تعذر على الآنسة شوبنكوتر الحضور لعذر ما. لم تشارك السيدة ثورستون التفاصيل معي. عندما مرت الآنسة إير بالمصادفة للقائي، خطر ببالي فكرة أننا يمكننا الاستعانة بها فترة قصيرة".

t.me/yasmeenbook

بدأت الآنسة جونز الكلام مرة أخرى، لكن إحدى الفتيات أتت لتسألها سؤالًا عن الجغرافيا. شعرت بأن مقاطعتها لنا حدثت في الوقت المناسب، كنت محظوظة بذلك.

شغلت حصة فن الخياطة بإبرة الحياكة الساعة الأخيرة قبل النوم. قدمت إيما الشاي والبسكويت في المكتبة، حيث تم إشعال شعلة فحم صغيرة في الموقد. أخيرًا، بدأت ملابسي تجف.

كنت أكافح لأبقى عيني مفتوحتين، مذكّرة نفسي بأنه يجب أن أنتبه إلى المحيط حولي، وألاحظ الجميع حتى أتمكن من إبلاغ السيد دوغلاس. ربما يستطيع استخلاص معلومات تكون مفيدة. حتى الآن، لم أستطع أن أرى أي شيء يمكن أن يساعدنا في استنتاج هوية القاتل.

بعض الفتيات كن يخطن بتركيز، في حين كانت الأخريات يتسلين بخيوطهن وإبرهن. كانت روفينا تشتكي من أنها تكره فن الخياطة بإبرة الحياكة، وكانت نيتي غاضبة بشكل خاص من مشروعها، وكانت روز تجلس منشغلة بحرص مع مشروعها واضعة إياه في حضنها وتحدق في الفراغ.

عبّرت السيدة جونز عن استيائها قائلة: "الفتيات جميعهن في حالة من الارتباك. لا يمكنك أن تتصوري مدى حزن الطالبات بسبب وفاة سيلينا بيلتمور. كم عدد الأطفال في العائلة التي خدمتِها؟ قلتِ إن وظيفتك كانت في يوركشاير؟".

"طفل واحد فقط... نعم".

"هل كانت العائلة طيبة معك؟ لماذا غادرتِ؟".

تدخلت الآن الآنسة ميلر: "تغيرت الظروف، خدمت الآنسة إير بمثابة معلمة خاصة لأديلا".

كان واضحًا أن الآنسة ميلر قد تعبت من محاولات السيدة جونز للتدخل في ماضيّ. حركت السيدة جونز يديها في رعب وقالت: "حقًّا! من المؤكد إذًا أنك قابلت وصيّها! يا لك من محظوظة بأنك تمكنتِ من الإفلات بفعلتك! يبدو أن ذلك الرجل وحش! يخبئ زوجة بينما يغازل المعلمة!".

اهتز فنجان الشاي الخاص بي وأنا أضعه على الأرض.

حدقت الآنسة ميلر في الآنسة جونز قائلة: "أرجو أن تسامحي الآنسة جونز لأنها تحدثت في وقت غير مناسب. إنها تعلم أن السيدة ثورستون تتخذ موقفًا صارمًا ضد الثرثرة"، استجابت الآنسة جونز لنظرتها بتعبير لطيف. "يبدو أننا نسينا أخلاقياتنا هذه الليلة. ربما بسبب الأحداث المحزنة التي وقعت هذا الصباح".

اقتربت الصغيرة كارولاين من الآنسة ميلر لطلب مساعدتها في حل عقدة. في حين كان انتباه معلمتي القديمة مشتتًا، همست الآنسة جونز لي قائلة: "لقد سمعتِ عن سيلينا بيلتمور، أليس كذلك؟ أديلا وجدتها مستلقية هناك، ميتة، هذا الصباح. لقد كان ملمسها باردًا بالفعل! هل يمكنك تخيل ذلك؟".

t.me/yasmeenbook

أرسلت الآنسة ميلر كارولاين وتحدثت بصوت حاد مستاء: "آنسة جونز! رجاءً!، دعينا لا ننغمس في ذلك. بالطبع الآنسة إير تعرف عن هذه المأساة. رجاءً لا تستغللن الارتباك بالتعليق على ظروف وفاة الفتاة".

"من الصعب أن نسميه استغلالًا! أنا فقط أحاول تحذير الآنسة إير من أن طلابها قد يعانون من الكوابيس. أديلا بكت كثيرًا حتى قمنا بتهدئتها. يمكن أن نقول إنه دمها الفرنسي، إنهم شعب متحمس ويميلون للدراما، وسلوكهم متهور. إنهم لا يولون اهتمامًا بتأثيرهم على الآخرين. خاصة النساء. أعتقد أنك تعبت كثيرًا من تعاملك معها عندما كنتِ تحاولين تعليمها".

وافقتها الرأي قائلة: "بين الحين والآخر، دمها الفرنسي وسنواتها في تلك البلاد لا يمكن أن يتم إخفاؤهما. ومع ذلك، إنها طفلة جيدة في داخلها. معظم البالغين سيشعرون بالاضطراب أيضًا عندما يصادفون جثة ميتة. بالتأكيد لا تلمن أديلا على ردة فعلها التي قامت بها! إنها، في النهاية، مجرد طفلة".

قامت الآنسة جونز بتحريك كتفيها بطريقة عبثية قائلة: "كنتُ أعرب فقط عما حدث واستجابتها لذلك لكي تكوني مطلعة".

لتخفيف هذا التذبذب قلت: "بالطبع".

t.me/yasmeenbook

واصلت حديثها بنبرة أكثر ودًّا: "أنا شخصيًّا، بكيت عدة مرات اليوم. كان خبر وفاة سيلينا صدمة بالنسبة لنا جميعًا. بشكل فظيع. أعتقد أنه من الأفضل أن أحذرك أن هذه الليلة، قد يُوقظك طلابك بسبب الكوابيس. أعتقد في هذه الليلة، قد تساعدهم قطرات من اللودانوم على تجاوز الليلة الطويلة دون انقطاع، يا لهم من مساكين! ذكريني يا آنسة ميلر، أن أطلب من الطاهية شراء المزيد عندما تذهب للتسوق".

انحنت روفينا لتحية الآنسة ميلر، وهي تمص إصبعها المدمّى قائلة: "سيدتي؟ هل يمكنني أن أبدأ بالقراءة؟". عندما سحبت الآنسة ميلر إصبعها من فمها، كان يمكنني أن أرى أن الجلد قد تم وخزه بإبرة الحياكة.

أخذت ثلاث الفتيات الكبار -روفينا وروز ونيتي- يتناوبن في قراءة مقاطع من الكتاب المقدس بصوت مرتفع. تحدثت روفينا بتردد، متعثرة في الكلمات الصعبة. قرأت روز بصوت واضح ونبرة صوت درامية، بينما كانت قراءة نيتي المسكينة تتسم بالمقاطعة المستمرة. بينما تصحح بارثينا جونز نطق الطفلة المتلعثم. بقية الفتيات اختبأن وراء أعمال الخياطة لكتم ضحكاتهن، بينما عانت نيتي من الإحراج. أصبح وجه الطفلة أحمر ويزداد حمرة مع كل عبارة تتلعثم بها.

عندما انتهت نيتي، التفتت الآنسة ميلر إليّ بتعابير عابسة. "أنا لست شخصًا متعنتًا، لكن والدها أعطى تعليمات صارمة

بأننا يجب أن نعلم ابنته الصغيرة أن تتحدث بطرقة لائقة كسيدة إنجليزية راقية، ونعالج هذا التلعثم المزعج. هذا كلامه، وليس كلامي. أنا أعتقد أنها لطيفة".

أخيرًا، انتهت المقاطع من الكتاب المقدس، وأرسلت دعاءً صامتًا بالشكر.

بدأت الفتيات بتجميع أعمال الخياطة، وعادت الآنسة جونز للتحدث إلي: "أين تعلمت الألمانية؟".

"أبناء عمي هم طلاب. علموني".

لكنها لم تتوقف وسألت: "هل أقاربك هنا في لندن؟".

"في الواقع، أنا ضيفة السيدة الكابتن أوغستس بريتون".

الكلمات انزلقت من لساني قبل أن أتمكن من التفكير فيها.

ظهرت الدهشة على وجه الآنسة جونز، ما أظهر لي أنها تجد ذلك باهرًا.

"يا لها من رفاهية بالنسبة لمعلمة، أليس كذلك؟ كانت تزور المدرسة بشكل متكرر جدًّا، لكن زياراتها توقفت".

"زوجها يخدم الملك في الهند، وأصيب بمرض. طبعًا، ذهبت لمساعدته، ولكنها عادت الآن".

"نعم! هذا يفسر غيابها الأخير. كنت أتساءل لماذا توقفت عن زيارتنا. يا لها من مصادفة! لا يمكنني أن أتخيل زيارة سيدة

t.me/yasmeenbook

راقية مثل السيدة بريتون في منزلها. ولا أتخيلها مضيفة لي! كيف عرفتها؟".

"من خلال صاحب عملي السابق، وصي أديل".

"هل تعرفينها منذ فترة طويلة؟". كانت الآنسة جونز مصرة جدًّا.

هذا بالضبط نوع الحديث الذي تمنيت تجنبه، حيث إن أي ذكر للوسي قد يؤدي إلى تفسير علاقتنا الحقيقية، العلاقة التي نشأت من صداقة أزواجنا. لا، مثل هذا النقاش قد يؤدي بي إلى انفلات لساني والتصريح عن وضعي الحقيقي... كنت مرهقة جدًّا لأفكر بوضوح. ومع ذلك، كنت منغمسة في وسط الحديث دون طريقة للخروج. وضعت فنجان الشاي بلطف شديد وصوته العالي جعل الآنسة ميلر تتجه نحوي. أرسلت لها ندائي الصامت للمساعدة، فردت عليّ قائلة: "أقترح أن نرافق الطلاب إلى الفراش مبكرًا، حيث قد يستغرق الأمر بعض الوقت للنوم. يا سيدات، ضعن أعمالكن جانبًا. لنقم بترنيمة ما قبل النوم. ماذا تقترحين يا آنسة جونز؟".

"الفتيات قد تمرنّ على ترنيمة جميلة مع السيدة ديلغاتو هذا الصباح. تعالين الآن. وقفن في أماكنكن". قامت ووجّهتهن للوقوف في ثلاثة صفوف مرتبة، حيث انتظرت الفتيات إشارة بدء الترنيمة. رفعت الآنسة جونز يديها ثم خفضتهما لإعطاء إشارة بدء ترنيمة لطيفة تحتوي على مقطع يتضمن هذه

الكلمات: "اجعلنا نشعر بحزنك، حتى يرد الحب على نداء الحب من خلال شفقتنا وخجلنا".

لم أكن أعلم ذلك في ذلك الوقت، ولكنها أثبتت بعد بصيرتها بشكل غريب.

t.me/yasmeenbook

الفصل ٢٤

بعد الترنيمة، اصطفت الطالبات مع معلماتهن في مقدمة الصفّ. روفينا، رئيسة الفتيات الكبيرات، قادت الطريق إلى غرفة النوم. وجهها كان يعبِّر عن استسلام متوتر. تباطؤ خطا الكبيرات، والصمت المطلق، والأجواء العامة أخبرتني بأنهن جميعًا مرعوبات.

بمجرد وصولنا إلى غرفة المبيت، تحققت من حال أديل بينما الفتيات الأخريات حللن مآزرهن، وعلقنها، وغسلن وجوههن. كنت أقوم بتثبيت اللحاف تحت ذقن أديل عندما طرقت الآنسة ميلر الباب.

"هذا هو جدولنا، وقائمة بطالباتنا. هذا هو دليلنا التعليمي الألماني. هناك دفتر، وكراسة رسم، وعدة أقلام رصاص في الحقيبة القماشية. الفصول الدراسية تحتوي على لوحات وطباشير لكل طالب". وضعت الأشياء في يدي وضغطت عليها، وسألتْ: "هل فكرت في أين وكيفية البدء؟".

"مهمتي الأولى ستكون تقييم مستوى معرفة الفتيات".

t.me/yasmeenbook

"فكرة جيدة. لم تكن الآنسة فراولين هيرتزوغ معنا لفترة طويلة. ربما ثلاثة أشهر؟ لذا أعتقد أن الفتيات يتذكرن القليل، إن وجد، من المهارات الحقيقية".

انحنت قربي وهمست: "تذكري، أنا في الجانب المقابل من الردهة إذا احتجتِ إليَّ. الجدران، لا تخفف الضوضاء بقدر ما نرغب".

بعد ما وضعت الكتاب والحقيبة فوق خزانتي، عدت إلى رعاياي. كان الجميع قد خلعوا ملابسهم ويستعدون للصعود إلى الفراش. خطوت خلف اللوح الخلفي وخلعت فستاني، وكنت أشعر بالرعشة أثناء ذلك. بعد ما ارتديت قميص النوم، قمت بتمرير ذراعي على الثوب الأبيض المزين بالدانتيل. عندما حاولت ربط الحزام، توقفت ونظرت إلى أسفل. هذا لن يفيد في شيء. كل من قميص النوم والثوب كان مزينًا بطيات دانتيل عميقة، وهذا التزيين لا يتوافق على الإطلاق مع وظيفة معلمة متواضعة.

فكرت وأنا أمزق تلك الزخرفة الرقيقة من الملابس: إنه مجرد دانتيل، ولا شيء أكثر. حركت الدانتيل مرارًا وتكرارًا في يدي. وأثناء شعوري بالنقش والتطريز، أدركت أن هذا القماش الممزق يمثل استعارة لحياتي -لقد انفصلت عن زوجي وابني، وعن الحياة التي أحببتها، وتركت عالمًا غنيًّا وراقيًا- والآن أتظاهر بأنني شخص أقل مما أكون عليه. أخفيت الزخرفة في

t.me/yasmeenbook

جيب ثوبي. ربما لم ينتبه أحد إلى هذا التزيين الباذخ، ولكن لا يمكنني أن أخاطر.

كلا، لقد قمت باختياري. أنا ملزمة بهذا المسار. أنا أهمس وأجهز نفسي. توقعت أن الفتيات سيراقبن كل حركة لي، تمامًا كما يراقب الكلب الخائف سيده للتحقق من أن كل شيء على ما يرام.

توقعاتي كانت صحيحة. عندما خرجت من خلف اللوح، نظر إليّ ثلاثة أزواج من العيون. كانت تعابيرهم تتراوح بين الفضول والحذر. كانت أديل تغط بلطف وتتدحرج للجانب الآخر.

غامرت روفينا وقالت: "هذا سريرها"، وهي تشير إلى السرير الفارغ بجانبي، حيث كانت الأغطية ملفوفة بعضها حول بعض مثل عش اللقلق. بدا أن الوسادة مفقودة، لكن نظرة سريعة أخبرتني بأنها ترقد بشكل غير ملائم بين الحائط والأرض، كما لو أنها سقطت هناك.

قالت روز: "من المفترض أن يأتي كاج ليأخذ فراشها في وقت ما، إذا كانت مريضة، فعليه أن يحرقه. إنه خادم المدرسة وهو قوي للغاية".

صححت روفينا: "إنه ليس خادمًا، إنه كالنادل نوعًا ما. إنه لا يرتدي زيًّا فقط وليس قويًّا جدًّا. هذا السرير لا يزن كثيرًا". لتثبت وجهت نظرها، توجهت ورفعت رأس السرير بسهولة.

قالت نيتي بتلعثمها الطفولي: "أتساءل إذا سيكون من الممكن أن نستعيد أشياءنا يا آنسة إير، هل تظنين أنه يمكننا استعادتها؟".

قمت بنزع دبابيس شعري وهزه وسألت: "ماذا تعنين؟".

"سيلينا أخذت جميع الحلوى الخاصة بي ووضعتها في الدرج العلوي في خزانة ملابسها. كنت أفكر، هي لن تأكلها، فهل تعتقدين أنني يمكنني استعادتها؟".

قالت روز: "هل يمكنني أن أستعيد وشاحي؟ إنه الأجمل لدي ومصنوع من الساتان الناعم، وأعطاني إياه والدي".

حكت روفينا جرحها وقالت: "أود أن أستعيد طائرتي الورقية. عملت طويلًا على ذيلها. إنها تطير جيدًا".

"لماذا تحتفظ سيلينا بهذه الأغراض؟ أنتن تقلن إنها تعود لكُن؟".

قالت روفينا: "نعم يا سيدتي، إنها في خزانة ملابسها. الدرج العلوي. كانت تُرينا إياها من حين لآخر".

"لماذا كانت تحتفظ بها؟".

تبادلت الفتيات النظرات. لم يتحدث أحد. جلست على السرير، مقاومة رغبتي في الاستلقاء. بمجرد أن أتحرك لاتخاذ وضعية الاستلقاء، ستغلق عيني وسأنام بسرعة.

t.me/yasmeenbook

قالت نيتي أخيرًا: "لأنها أخذتها، قالت لنا إننا مثل الأخوات، وإن الأخوات ملزمات بالمشاركة، ثم أخذتها".

"لكن إذا قالت لكن إنكن ملزمات بالمشاركة، فيجب أن تكن تمتلكن أغراضها أيضًا". قمت بطيّ الشرشف، وفرشت اللحاف الصوفي على سريري.

روفينا هزّت رأسها بتأكيد: "لا يا آنسة. ليس لدي أي شيء من أغراضها".

أضافت نيتي: "وليس لدي أيضًا".

قالت روز: "وأنا أيضًا. أديلا أخبرتنا جميعًا بأن سيلينا أخذت شريط شعرها"، قالت ذلك وهي تنزلق إلى سريرها وتسحب الأغطية تحت ذراعيها.

روفينا تنهدت وقالت: "أصبحتْ غاضبة للغاية". ومسحت نقطة من الدم عن مرفقها بحافة ثوبها. كانت أغطيتها على وشك الخروج من السرير.

"من الذي غضب؟". حاولت أن أركز، لكن جاذبية النوم تجذبني.

"أديلا غضبت. بدأت هي وسيلينا بعضهما بشد شعر بعض". أضافت روز متجاهلةً رعشة عابرة لعينيها.

يا إلهي. تذكرت أن شجارهما أصبح حادًّا لدرجة أنه تحول إلى عنف. هل كان ويفرلي يعلم ذلك؟ إذا كان الأمر كذلك،

t.me/yasmeenbook

فقد يشتبه بأديل. ربما هذا هو السبب في رغبته في التحدث معها.

وأنا أكافح مع هذه الفكرة المزعجة، أعطت الفتيات نظرات جانبية مرة أخرى. كأنهن وصلن إلى اتفاق. قالت نيتي: "يا آنسة إير، هل هناك حقًّا أشباح؟".

قبل أن أستطيع الإجابة، قالت روز: "نحن قلقات من أن سيلينا ستأتي لتطاردنا". ارتعشت شفتها السفلية.

ضحكت روفينا: "لا تكونا سخيفتين، لا يوجد شيء يدعى شبحًا! كم أنتن ساذجوات!".

صححت لها: "ساذجات، جمع كلمة ساذجة هو ساذجات. تعالين هنا يا بنات". ربت على فراشي، ودون مزيد من الجدل، هبطت عليه الفتيات.

قد يتجاهل بالغ آخر مخاوفهن بلا مبالاة، ولكنني أعرف أفضل منهن. عندما كنت في العاشرة من عمري، رأيت شعاعًا من الضوء، مع حبيبات صغيرة ترقص حيث لا ينبغي أن يدخل الضوء. وكان ذلك مصحوبًا بصوت كنت واثقة بأنه ينبئ بزيارة من عمي المتوفى. حتى يومنا هذا، أتذكر تلك التجربة المرعبة بشكل حي، وأتذكر إحساسًا واضحًا جدًّا لا يسمح لي بالتهكم على هؤلاء الطفلات الصغيرات أو قلقهن المماثل.

"إنني لم أسمع عن أشخاص يقومون من القبور. حتى ذلك الوقت، أنا واثقة أننا آمنات". توقفت قليلًا ثم أضفت: "من عودة سيلينا".

انضممن بعضهن على بعض، متشبثات بعضهن ببعض كضحايا حطام السفينة. تعبيراتهن المكتئبة أخبرتني بأنهن يجدن تفسيري صعب التصديق.

قالت روز: "سيلينا ستعود. أعرف أنها ستفعل ذلك. ستكون مثلما كانت تفعل دائمًا، تأتي وتخيفنا".

اتسعت عينا نيتي وقالت: "تقول السيدة ثورستون إن سيلينا توفيت في نومها، وأعلم أن ذلك يحدث للفتيات السيئات طوال الوقت، ولكني لا أريد أن أموت! أنا آسفة جدًّا على كل ما فعلته! أنا مخطئة وخائفة!". وبهذا انهارت في بكاء.

أخذتها بين ذراعي وربت على ظهرها. همست لها: "تعالي، تعالي. كل شيء على ما يرام".

نظرت الفتيات الأخريات إليّ بدهشة. هل كانت تمنع السيدة ثورستون التعاطف بين المعلمين وتلاميذهم؟

خمنت روفينا قلقي فقالت: "كانت السيدة ويبستر لطيفة جدًّا معنا، لكن السيدة ثورستون، لا تعتقد أن المعلمين يجب أن يدللونا كثيرًا".

t.me/yasmeenbook

قلت: "أفهم ذلك". وفهمت حقًّا. يعتقد بعض المشرفين أن مثل هذا الاهتمام سيفسد الأطفال، ولكن دروس طفولتي لا تزال واضحة تمامًا في ذهني. القليل من اللطف كان يمكن أن يكون له تأثير كبير عليّ آنذاك، تمامًا كما هي الحال الآن. لم أتمكن من فهم كيف يمكن أن يكون التعاطف لمواساة طفل مرعوب شيئًا خاطئًا.

بينما نيتي كانت تجفف دموعها، التصقت الفتيات الأخريات بي. في الربيع الماضي، ولدت كلبة برية جراء في مخزننا. تلوى صغارها في طريقهم، يتبعون العلامة التي يرسمها جسمها، حتى أحسوا أنهم في أمان... وبالطريقة نفسها، تعلقت الفتيات بي.

همست وأنا أحتضنهن بين ذراعيّ: "تعالين، لا تخفن، لا يمكن لشبح أن يزعجكن. ولا يمكن لأي إنسان أن يفعل ذلك بينما أنا هنا. وإذا سمعتن أي شيء، فتعالين وأيقظنني. الآن، حان وقت الصلاة. بعد أن تنتهين، سأُضعكن جميعًا في الفراش".

في جولة حول الأسرة، ضبطت وسادات الفتيات وثنيت الأغطية حولهن، وقبَّلت سريعًا جبين كل واحدة منهن. قامت روز لتمسك بياقتي. ثم أمسكتني بأصابعها الصغيرة جذبتني قربها: "آنسة إير؟ أنت لن تسمحي لسيلينا أن تؤذيني، أليس كذلك؟ كانت شريرة للغاية معي، بالفعل شريرة".

"لا، حبيبتي. لن أسمح لها بأذيتك. أغمضي عينيك. سأكون هنا إذا احتجت لي".

"هل تعدينني؟ تعدينني أنها لن تؤذيني". أدفأ نفَسُها الدافئ والرطب وجهي.

وضعت يدي على قلبي وقلت: "أعدك".

وأنا أتساءل هل يمكنني فعلًا حماية هؤلاء الفتيات. نواياي كانت صالحة؛ يمكنني أن أصرخ من أجل المساعدة، وأحذر من أي دخيل.

ولكن هل سيكون هذا كافيًا؟

القلق ليس بديلًا عن العمل، لذا قمت بجولة أخرى حول الأسرة، وغطيت الفتيات اللواتي بدأن بالنوم، قبل أن أنهي رحلتي بفحص أديل. تجولت مرة أخرى إلى فراشي، ولكنني توقفت في الطريق، حيث سطع ضوء القمر من خلال النافذة، يضيء السرير الفارغ الذي كان لسيلينا.

من تكون؟

لماذا توفيت؟

فرك فرع شجرة الكستناء جانب المدرسة، مصدرًا صوتًا، ثم قمت بوضع يدي حول وجهي ونظرت حتى أستطيع رؤية الغصن الممتد. كم هو درج رائع! واسع وخشن وأفقي. سيكون

من السهل التسلق فوقه. أسندت مرفقي على الحافة، وتساءلت عما إذا كان مُراقب السيد دوغلاس يتربص في الشجيرات أسفله.

من هناك في الظلال؟

قاتل؟

الضوء القمري نفسه يسقط على فيرندين. كنت أعرف من تجربة أنه ينعكس على ملامح زوجي الصارمة وهو يتسلل بين الستائر. غالبًا ما أستيقظ لأتفحص ملامح زوجي وهو نائم. كم يبدو إدوارد بعيدًا، ومع ذلك، كيف يبدو قريبًا مني، حيث تتوافق ضربات قلبي مع ضربات قلب ثنائي عاشق.

"نومًا هنيئًا يا حبيبي"، همست، ملامسة أطراف أصابعي بشفتي، وأرسلت قبلة لزوجي ونيد، ثم صعدت إلى سريري الضيق، الذي ثبت أنه غير مريح، خاصة بعد المرتبة الفاخرة والناعمة كالسحاب في منزل لوسي بريتون. بدا كأنه يوجد تجمع في هذا السرير. حاولت أن أشعر بالراحة، ولكن في الغالب فشلت في ذلك. في إحدى المرات، كنت على وشك النوم، لكنني استيقظت فجأة على صوت خطوات خارج باب الغرفة. قبل أن أتمكن من أن أنهض، ذهبت الخطوات بعيدًا، تاركة لي فرصة لدراسة أجساد الفتيات النائمات بلطف. كل تنهُّد وغطيط جعل حواسي تصبح على أهبة الاستعداد. هل يجرؤ المتسلل على زيارتنا؟ وإذا كان الأمر كذلك، فهل

يمكنني ترهيبه أو ترهيبها؟ لن أنام وأنا في حالة هجوم... أليس كذلك؟

تدريجيًّا، ثقلت أطرافي بلطف.

أخيرًا، نمت.

t.me/yasmeenbook

t.me/yasmeenbook

الفصل ٢٥

بعد فترة من الزمن، بدأت أديل تحرك غطاء سريرها، محدثة ضجة كافية لإيقاظي.

"أديل؟". قمت مسرعة من سريري إلى سريرها. "إنها أنا، جين إير".

"أوه، مادموازيل! يا إلهي، أنا سعيدة جدًّا! سعيدة جدًّا! كم اشتقت إليك". غمرتني بالقبلات وعانقتني بكل قوتها. لقد كانت لوسي محقة تمامًا عندما قالت إن أديل فقدت وزنًا، لاحظت ذلك عندما اصطدمت الطفلة بكدماتي. على الرغم من محاولاتي المستميتة للبقاء صامتة، إلا أن الضغط على عيني السوداء كان كبيرًا جدًّا، وعانيت من الألم عندما اصطدم رأس أديل برأسي.

"أنت مصابة؟ أوه، وجهك".

قلت: "لقد سقطت في النزل. لا شيء أكثر، الآن، شششش. الآخرون نيام".

t.me/yasmeenbook

ارتجف صوتها: "الآخرون؟ أه، أنا لست في المنزل؟ لست في ثورنفيلد؟ هذا ليس إلا حلمًا؟".

"نحن في مدرسة ألدرتون. أنا هنا لحراستك". أمسكت يديها وضغطت عليها وقلت: "لقد توليت وظيفة مدرسة الألمانية الخاصة بك".

"ومشرفتنا؟ ستكونين مشرفتنا؟".

"نعم. سأنام في هذه الغرفة الجماعية كل ليلة".

اتكأت على ذراع واحدة. "إذًا، هذا لم يكن حلمًا، أليس كذلك؟ سيلينا ميتة، أليس كذلك؟".

قبل أن أتمكن من إيقافها، قامت أديل من سريرها وصدمت الأرض بقوة، ثم وقفت على قدميها وركضت إلى السرير الفارغ، وهي تنتحب قائلة: "سيلينا!". وهي تلقي نفسها على الفراش.

"توقفي، يجب أن تتوقفي!". أمسكت أديل. لم أرغب في أن يستيقظ الآخرون، على الأقل حتى أتمكن من توجيه أديل في دورها الجديد.

جلست روز في سريرها ونظرت حولها بعينين ناعستين مغلقتين، ثم عادت للنوم. بدأت نيتي تزمجر وروفينا تهمس.

بكت أديل وقالت: "إنها ميتة".

"شش! أديل، يجب أن تكوني هادئة. سيلينا ميتة ولا يوجد ما يمكن فعله إلا أن تذكريها في دعائك".

t.me/yasmeenbook

حولت أديل وجهها إلي، ونظرت بعينين واسعتين وبريئتين قائلة: "كانت باردة يا سيدتي! باردة جدًّا! حاولت أن أوقظها. حاولت وحاولت، لكنها لم تستيقظ، وكانت بشرتها...".

"لا تفكري في ذلك. لا تفكري!".

بدأت أديل البكاء بصدق. "ذهبت أمي بعيدًا أيضًا. إلى العذراء المقدسة. أتذكر عندما جاؤوا وأخبروني بأنها رحلت... لن تعود أبدًا. بكيت وبكيت".

لم أقل شيئًا. أم أديل، سيلين فارينز، لم تكن ميتة. كانت قد هربت إلى إيطاليا، تاركة طفلتها مع مالك المنزل وزوجته، اللذين قالا لأديل إن والدتها قد توفيت، بدلًا من كشف فعلها غير الطبيعي. على الرغم من عدم كونه والدها الحقيقي، كان إدوارد قد أخذ مسؤولية أديل، واعتبر أن ذلك أفضل بدلًا من الاعتراف لابنته المحبوبة أن والدتها قد تخلت عنها.

استمرت أديل في النحيب: "الآن لن أرى سيلينا أو أمي مرة أخرى! وكل هذا بسبب أنني شريرة. طفلة شريرة جدًّا. هذا ما تقوله السيدة جونز عني. والسيدة ثورستون تقول إنني أحمل شيطانًا في داخلي!".

"أنت لست شريرة". جذبت أديل إليّ. لفت ذراعيها النحيلتين حولي ودفنت وجهها في رقبتي، بكل ما أوتيت من قوة. بينما أنا أهزها ذهابًا وإيابًا، بذلت قصارى جهدي لتهدئتها.

"أنا أعرفك جيدًا. ليس من طبيعتك حمل الشر لأحد. سيلينا ميتة؛ هذا صحيح، ولكنك لست السبب. ثقي بذلك".

"ماذا عن السيد روتشيستر؟ صديقي العزيز؟ لماذا لم يزرني؟ هل هو بسبب أنكما متزوجان؟ يبدو أنه يكرهني، لأنه أرسلني إلى هنا، ولم يكتب لي منذ زمن! وأنت أيضًا!".

"متى كانت آخر مرة تتلقين خطابًا منا؟".

"قبل سنوات!".

قلت محذرةً: "سنوات؟ فكري جيدًا يا أديل". كنت أعرف ميلها للمبالغة.

"قبل عيد الفصح الماضي".

أومأت برأسي. لم يمر إلا نحو ستة أشهر فقط، وليس "سنوات". يتزامن التوقيت مع رحيل السيدة ويبستر ووصول السيدة ثورستون.

أدركت تمامًا أهمية وضعي: لا يمكنني أن أخبرها الآن عن ابننا. ليس بعد. ستكون سعيدة جدًّا بحياتنا الجديدة، وأخيها الجديد، وسترغب في أن تخبر أصدقاءها وتخبر الجميع. وهذا سيدمر خططي. إذا تركت الأمور على ما هي عليه، يمكنني أن أستمر في هذا الدور، ولكن سيتعين عليّ أن أطلب منها عدم التحدث عن زواجي من صديقها العزيز.

t.me/yasmeenbook

ضرورة تضليلها أحزنتني بشدة. فأنا أكره أن أخفي الحقيقة على أديل.

ولكن ليس لدي خيارات أخرى؟

"أنا هنا الآن يا طفلتي. تعلمين أنني أهتم بأمرك، أليس كذلك؟ لماذا سأكون هنا إذًا؟".

اعترفت هي: "نـ... نعم".

أعتقد أنه يمكن أن تسامحني إذا بكيت معها. شوقي لإدوارد ارتفع داخلي بقوة مثل كهرباء في عاصفة صيفية مفاجئة. فكرة طفلي، نيد، جعلت ذراعي تنبض بآلام الحنين. ضاق صدري بالألم بسبب الشوق.

هززت طالبتي القديمة في ذراعي، كنت مدهوشة بكيفية ظهور عظام كتفيها من خلال ثوب الليل. "شششش"، تكررت الكلمة وهي لا ترغب في تركي.

الإرهاق غمرني، وأخيرًا قررت حملها إلى سريري.

"اهدئي الآن". لففتها وصعدت فوق اللحاف بجانبها. ذراعاها أحاطتا بي بإحكام كما تتشبث البازلاء الحلوة بالشبكة. هناك حيث نمكث، مسافرتان مرهقتان تتشبثان بعضهما ببعض. ما الذي أفعله هنا؟ لماذا لم آخذ أديل وأهرب؟ ما حدث لسيلينا ليس من شأننا، أليس كذلك؟ ليس لدي شيء لأقدمه للأطفال الآخرين.

لا شيء.

يمكننا أن نصبر حتى الغد. عندما يبزغ الفجر، سنرتدي ملابسنا ونجمع أشياءنا. سأنزل الدرج وأعلن هويتي الحقيقية للسيدة ثورستون. على الرغم من اعتذاراتها، التي أتوقع أن تكون وفيرة، سندير ظهرنا لمدرسة ألدرتون. ويد أديل في يدي، سنعبر الشارع إلى منزل لوسي بريتون. سنترك هذه المدرسة البائسة وراءنا، حامية ما هو عزيز علي.

مع وضع هذه الخطة في ذهني، غفوت. وكذلك فعلت أديل.

t.me/yasmeenbook

الفصل ٢٦

استيقظت قبل الفجر بوقت كافٍ. صوتٌ رخيم يهدئ طفلًا يبكي في الغرفة المجاورة. يبدو أن الآنسة ميلر استيقظت بسبب أحد الأطفال في غرفة الرضّع.

شعرت بوخز في ذراعي وأنا أسحبها من تحت أديل. على الرغم من الحركة، لم تستيقظ. هذا جيد؛ لا يزال لديها الوقت للنوم. خرجت من السرير وأسرعت خلف حاجز تغيير الملابس. قضيت وقتًا إضافيًّا في ترتيب شعري ووضعت قليلًا من الألوان على خديَّ. التورم في عيني يضفي تدرجات قوس قزح، لكن لا يمكن مساعدتها بشأن ذلك. بينما بدأت الشمس تطرد الظلام، غرّد الطائر المحاكي خارج نافذتنا، وكانت أغنيته رائعة حتى ارتفعت معنوياتي على الرغم من قلة النوم التي حصلت عليها في الليلة السابقة.

طويت ملابس النوم، ووضعت هذه القطع وبقية أغراضي داخل غطاء الوسادة الفارغ، لتسهيل المغادرة. على الرغم من

t.me/yasmeenbook

حركتي الهادئة، استيقظت أديل من نومها. وهي تفرك النوم من عينيها، رمشت مرتين وركزت نظرها علي، محدقة.

وقالت بالفرنسية: "سيدتي! هل أنت حقًّا أنت؟". قفزت في السرير وكادت تصرخ من الفرح، صوتها الطفولي يتحدث بالفرنسية بسرعة.

جلست على ركبتي بجوارها وعانقتها بشدة. كانت تعبق بالدفء والنوم ورائحة خفيفة من التعرق الطفولي. قلت بلغتها الأم: "شش يا حبيبتي. لا توقظي الآخرين. ليس الآن!".

"لقد جئت! لقد جئت!". دفنت رأسها في صدري. "اعتقدت أنني كنت أحلم!".

رفعتُ شعرها المبعثر جانبًا حتى أتمكن من النظر إليها في عينيها. "استمعي إليّ. هذا أمر مهم. جدًّا مهم".

قالت: "نعم، أنت هنا. هذا هو المهم. يجب أن أخبر صديقاتي. يا فتيات...".

"شش! ليس الآن. يجب أن نتحدث أولًا. يجب أن تجيبيني بصدق قدر الإمكان".

من الذي هددها؟ كنت بحاجة لمعرفة ذلك قبل أن أواجه مود ثورستون بالرسالة. هل كان التهديد لأديل جزءًا من وفاة سيلينا؟ هل كان هناك قاتل يستهدف الفتاتين؟ إذا استطعت اكتشاف ذلك قبل أن نغادر منزل ألدرتون، يمكنني أن أنقل

t.me/yasmeenbook

المعلومات إلى السيد دوغلاس. سأكون قد ضمنت العدالة لأديل وقدمت خدمة للفتيات الأخريات.

"تلقيت أنا والسيد روتشيستر رسالتك. كتبت 'au secours' عليها. لماذا طلبت المساعدة؟ ما الذي دفعك لطلبها؟".

"أردته أن يأتي لي! أنا غير سعيدة هنا! السيدة ويبستر كانت لطيفة، ولكن السيدة ثورستون لا تحبني! إنها تجبرني على كتابة آيات الكتاب المقدس لأنني ألتف حول نفسي وأرقص وأغني مثلما كانت تفعل أمي".

"أفهم. وماذا عن المعلمين الآخرين؟ هل هم لطفاء معك؟". كنت بحاجة للوصول إلى رسالة التهديد، لكن الطريقة الملتوية غالبًا ما تكون الأفضل مع أديل. بالإضافة إلى ذلك، لا يمكنني أن أخاطر بأن تشعر بالخوف. قد يؤدي ذلك إلى كشف أمري، ومن ثم إلى تعريض جميع أصدقائها للخطر. سأبدأ بملخص عام للأجواء.

قالت أديل: "هم جميعًا فظيعون! الآنسة ميلر هي سحابة ممطرة. طوال الوقت حزينة ومظلمة، لكنها ليست شريرة، السيدة ديلغاتو تقرع قدمها عندما لا أنتبه. ضربت أصابعي بمسطرة مرة واحدة فقط. فراولين هيرتزوغ غادرت؛ لم تكن هنا لفترة طويلة، لكنني أشتاق لها لأنها تستطيع التحدث بالفرنسية بسرعتي نفسها".

"متى غادرت فراولين هيرتزوغ؟". تساءلت عما إذا كان من الممكن أن يكون لها دور في كتابة التهديد لأديل لسبب غير معروف.

"منذ شهر. والآنسة جونز تبتسم طوال الوقت، حتى عندما تكون غاضبة. هذا يجعلها خطرة جدًّا كما أعتقد".

"ماذا عن الخدم؟".

"الطباخة لطيفة جدًّا. تعلم أنني أشتاق للكرواسون، فتشتريه لي أحيانًا عندما تذهب إلى السوق. تقول إنني رائعة رغم أنني فرنسية. إيما لا تتحدث كثيرًا مع أي منا".

لم أتوقع ذلك. من خلال ما رأيته، فإن خادمة المنزل تعمل بلا كلل. في الواقع، تساءلت عما إذا كانت الفتاة تحصل على أكثر من أربع ساعات نوم في الليل. على الرغم من أن مثل هذه الخادمات موجودات في المنازل الخاصة، ولكن متوقع من شخص بخيل فقط مثل الآنسة ثورستون أن تتوقع من فتاة صغيرة واحدة أن تقوم بتنظيف وتلميع وإصلاح وخدمة جميع طلاب المدرسة.

"وكاج؟ أليس هذا اسم الشاب الذي يعمل هنا؟ كيف يتصرف تجاهك؟".

"لا يحب التحدث".

"وماذا عن الطلاب الآخرين؟".

t.me/yasmeenbook

"أنا أحب معظم الفتيات الصغيرات. أما بالنسبة للفتيات الكبيرات، حسنًا، سيلينا، هي التي تخبر الجميع بما يجب عليهم فعله. إنها تقرر ما إذا كان على الفتيات الكبيرات أن يكنّ شريرات أم لطيفات. الجميع يخافون منها. أنا لا أهتم كثيرًا".

سألت: "كيف يكنّ شريرات؟". وأنا أتساءل عما تعتبره الفتاة البالغة من العمر عشر سنوات شريرًا.

"يستهزئن ويقرصن ويروين القصص".

"هل يفعلن ذلك جميعًا؟ طوال الوقت؟".

فكرت قليلًا. "لا، أحيانًا هكذا وأحيانًا هكذا. قد يكون الأمر مختلفًا الآن. في بعض الأحيان، روفينا تكون متسلطة. في بعض الأحيان، نيتي تكون طفلة بكاءة كبيرة. روز تدفعني جانبًا. تريد أن ينظر إليها الجميع، طوال الوقت".

"كيف تتصرف سيلينا تجاهك؟".

"آه، كانت الأسوأ. دائمًا تناديني بألقاب. دائمًا تستهزئ بي وتشد شعري". توقفت للحظة وفكرت. لم أقاطعها. "الآن قد يكونون ألطف. حقًّا قد يكونون كذلك".

"هل كانت تعاملك أنت فقط بشكل سيئ فقط؟".

"لا، بل مع الجميع. معنا جميعًا. مع كل الفتيات. ومع إيما. ومع كاج. كانت تستهزئ بنا وتضربنا وتسرق...". صوت أديل أصبح أعلى بينما تعرض موضوعها.

t.me/yasmeenbook

حذرت صديقتي الصغيرة: "شششش". استيقظت روفينا واتكأت على ذراع واحدة، فركت عينيها، نظرت حولها دون تركيز حقيقي، ثم نامت مرة أخرى، ساحبة الغطاء على رأسها.

"لكن السيدة ثورستون كانت تحب سيلينا أكثر؛ لذلك كانت تستطيع فعل أي شيء تريده. أي شيء!". بهذا استدركت أديل: "لكنها ذهبت، أليس كذلك؟ هي ميتة!".

أمسكتُ يديها بيدي. "بلى. إنها ميتة. لندعُ لها لترقد روحها في سلام".

بدأت أديل بالبكاء: "لكنها لا ترقد! أعلم أنها لن ترقد! ستعود لتطاردنا! ستتسلل حولنا وتمسكنا عندما ننام! هذا ما ستفعله! أنا أعلم!".

t.me/yasmeenbook

الفصل ٢٧

سألتها أخيرًا: "هل تلقيت تهديدًا من أي شخص؟ أي شخص على الإطلاق؟".

"نعم، نعم، طوال الوقت".

"بالكتابة؟".

قامت بنزع يديها من يدي وقفزت من السرير. توجهت إلى دولابها وفتحت درجًا، وفتشت فيه، وأخرجت ورقتين، كانت كلتاهما ذات وزن ونوعية مشابهين لورقة التهديد الموجودة في جيبي. كانت الرسالة الأولى تقول: "يجب أن تهلكي أنتِ وشعبكِ الفرنسي! الموت لكم جميعًا! لك أيضًا!".

وكانت الرسالة الأخرى تحمل هذا النص: "يجب أن تُرسلي إلى المقصلة! سيتدحرج رأسك في بركة من الدماء!".

شهقت بصوت عالٍ: "هل أريت هذه الرسائل لأي شخص؟".

t.me/yasmeenbook

"فقط للسيدة ثورستون. قالت إنني أحاول أن أثير المشكلات، ولكنني لم أكن أفعل ذلك!".

لن أسامح في هذا. سيدفع شخص ما الثمن، وسيدفع ثمنًا باهظًا، ولكن من؟ في حين قالت الآنسة ميلر إنه لا أحد هنا يتحدث الفرنسية جيدًا، فإن هذه الجمل اعتيادية ليست متقدمة ولا معقدة. أي شخص، حتى الأطفال، يمكن أن يكونوا قد كتبوها.

قد تكون فراولين هيرتسزوغ كتبتها قبل أن تغادر.

"يجب عليك...". توقفت وتراجعت عما كنت أعتزم قوله. بدأت من جديد. "أديل، أنا وأنت سنلعب لعبة، عندما يكون لديك شيء مهم لتقوليه، تحدثي إليّ فقط باللغة الفرنسية في جميع الأوقات. فقط الفرنسية، حسنًا؟ أيضًا، لا تذهبي إلى أي مكان بمفردك. ابقي مع الفتيات الأخريات في مجموعة. مثل سرب من الطيور. دائمًا. هل يمكنك فعل ذلك؟".

أمالت وجهها إلى الجانب، ونظرت إليّ بفضول شديد. "مدام، هذه لعبة غريبة جدًّا!".

"نعم، أعلم. أطلب ذلك لأنها ضرورية. هل يمكنك الوثوق بي؟".

كنت أنوي أن نغادر بعد الإفطار. لن تستيقظ لوسي حتى العاشرة. سيمنحني ذلك عدة ساعات لأرى ما يمكنني أن أعرفه عن وفاة سيلينا، وربما لجمع ما يكفي من المعلومات لمواجهة

t.me/yasmeenbook

السيدة ثورستون. كنت أعتزم أن أعبر عن رأيي في النهاية. على الرغم من أنني أنوي أن أخرج أديل من المدرسة -فلن أذهب دون أن أخبر المشرفة بأنني أجد أساليبها مذمومة- وسأصر على أن تعاقب صاحب رسائل التهديد لأديل.

رن جرس، مشيرًا إلى وقت الاستيقاظ.

وجهتها قائلة: "اذهبي ورتبي سريرك. تذكري؟ فقط الفرنسية".

"بالتأكيد"، قالت وألقت بذراعيها حولي وقبلتني.

ركزت انتباهي على جمع المواد التعليمية التي جلبتها الآنسة ميلر لي الليلة الماضية، حيث كنت أعتزم إعادتها إليها.

ببطء، بدأت الفتيات في سحب أنفسهن خارج شرانقهن. وقفن حول أسرتهن، يتثاءبن ويمددن أجسادهن. على مضض، قمن بغمس أيديهن في حوض الماء البارد. وأخيرًا، عندما لم يعد هناك مفر، رششن وجوههن بالماء.

أدارت نيتي ظهرها لي، وانزلقت حمالة قميص النوم عن كتفيها الرقيقين وكشفت جزءًا من عمودها الفقري.

يا للرعب! كانت هناك أربعة خطوط حمراء داكنة تشوه جسدها. كانت العلامات طويلة ونحيلة، تتقاطع بعضها مع بعض، مع وجود كدمات على كلا الجانبين. كانت قد شفيت، لكنها كانت ملتهبة.

t.me/yasmeenbook

لقد تعرضت لضرب بعصًا.

طارت يدي إلى فمي، محاولة كبح رغبتي في الصراخ بصوت عالٍ.

من الذي ضرب نيتي؟ ولماذا؟ كيف يمكن لكائن لطيف أن يثير غضبًا كهذا؟ هل تسمح السيدة ثورستون بالعقوبات الجسدية؟

يجب أن أعرف ذلك. لا يمكن تجاهل هذا الأمر.

"أديل!". طلبت منها بالفرنسية أن تقترب مني، ثم سألتها بلطف. هل سبق لأحدهم أن ضربها؟ هل تعرف إذا كانت المدرسة تسمح بالضرب بالعصا؟

قالت ونظرت إلي بدهشة واضحة: "كلا!".

أرسلتها لتكمل ترتيب سريرها.

من الشخص الذي استخدم الضرب بالعصا؟ بالطبع، السيدة ثورستون كانت في المقدمة، ولكن هل هي مذنبة؟ كان هذا السؤال يشغلني.

لم أر فائدة في العقاب الجسدي. ومع ذلك، يعتمد العديد من زملائي على مثل هذه الأساليب العنيفة. يستشهدون بمبدأ الكتاب المقدس الذي يقول إن تجنب استخدام العصا يفسد الطفل. نظرًا لأن المعلمين يقومون بدور الوالدين، أي في

مكان الوالدين، فإن واجبنا يتضمن تقديم الثواب والعقاب على حد سواء.

ولكن العلامات على جسد نيتي تتجاوز نطاق التوبيخ الخفيف. العلامات الطويلة المحفورة على جسدها بعمق لا يمكن أن تكون إلا نتيجة لتطبيق قوة غير مقيدة. عندما أفكر في الغضب الذي يجب أن يرافق مثل هذه الضربات، تنقلب معدتي. أي نوع من "الجرائم" يستحق مثل هذا العقاب؟ هل نسيت نيتي واجبًا ما؟ أم أهملت الانتباه خلال الدرس؟ أم كانت تثرثر عندما كان يجب أن تكون صامتة؟

جرائم تافهة حقًّا.

بينما أكبح عواطفي، كانت الفتيات يتابعن طقوسهن الصباحية. تذمرت روفينا من روز قائلة: "رششت الماء على لحافي".

ردت روز لمواجهة متهمتها: "كلا، لم أفعل ذلك".

رن الجرس مرة أخرى، ما جعل الفتيات يتحركن بشكل أسرع. ساعد بعضهن بعضًا بربط مآزرهن. وقفن لتفحص بعضهن بعضًا. في ترتيب سريع، شكلن طابورًا للنزول إلى الطابق السفلي.

مشيت خلف الفتيات، وعقلي يفكر في هذه المعلومات الجديدة مرارًا وتكرارًا. الرغبة في إبلاغ السيدة ثورستون

t.me/yasmeenbook

بأنها قد أساءت إلى زوجة السيد إدوارد روتشيستر، المحترم، كانت قوية، لكن شعورًا جديدًا بالهدف قام بإخماد تلك النيران واستبدال عزم بارد بها. ما الذي سأكسبه من مثل هذا الإفصاح؟ قليلًا من الارتياح فقط؟

لن يساعد هذا الأمر هؤلاء الفتيات على الإطلاق!

الرغبة في إهانة تلك العجوز المروعة تتلاشى بجانب الحاجة لكشف الحقيقة.

وبخت نفسي: كلا، انتظري، فكري جيدًا في ذلك.

الخيار الأفضل بالنسبة لي سيكون تجاوز مود ثورستون تمامًا. يمكنني جمع الدلائل وتقديم نتائج بحثي للسيدة كينغسلي. سيضعني ذلك في وضع يمكنني فيه أن أطالب بطرد مود ثورستون!

لكن ماذا لو كانت هي القاتلة؟ إذا كانت مود ثورستون قد قتلت سيلينا بيلتمور، فإن فصلها قد يعطيها سببًا معقولًا للهروب من لندن. إذا اختفت في الريف، فقد لا تضطر أبدًا لدفع ثمن جرائمها. أبطأت خطواتي وأنا أفكر في هذا الإدراك الجديد. لا يمكنني كشف الجرائم الأخرى حتى أستطيع أن أثبت هوية القاتل.

قبل أن أقترب من السيدة كينغسلي، كان عليّ أن أعرف من كتب التهديدات ومن قام بتعذيب نيتي ومن قتل سيلينا بيلتمور.

أنا مدينة بهذا للفتيات. تلاشت خطتي للرحيل مع أديل، بينما نما داخلي غضب غير معتاد.

سأحمي هؤلاء الفتيات. يجب عليّ أن أفعل ذلك!

كما لو أنها تعلم ما أفكر فيه، أعطتني أديل عناقًا سريعًا عندما توقفنا عند الطابق الأول. تبعتها نيتي. مدت روز يدها لتصافح يدي، ثم ضغطت عليها وقالت بصوت خافت: "أنا سعيدة جدًّا بأنك هنا يا آنسة".

قالت روفينا بصوت خافت: "أنا أيضًا".

نظرت روز إليّ بعينين مليئتين بالثقة وقالت: "هل ستبقين يا آنسة؟ ألن تغادري مثلما فعلت الآنسة فراولين؟ رحلت في منتصف الليل!".

أجبتها قائلة: "سأبقى طالما تحتجنني".

كنت صادقة في كل كلمة.

كان هناك المزيد من الظلم يجري بخلاف التهديد الذي تسبب في زيارتي. شيء شرير بدأ. لم تشبع رغبته بموت فتاة واحدة. لقد ضرب جلد الطفلة الرقيق واستفاد بشكل كامل من عمى السيدة ثورستون، تغلغلت هذه القوة الشريرة إلى نخاع هذه المدرسة.

هل هذا مجرد تجسيد لشخصية المشرفة نفسها؟ أم أنه شيء أكثر غرابة وشرًّا؟ عليّ أن أبحث عن أصل هذا الأمر لأستطيع أن أنتزعه من هذه الأرض الخصبة.

كل خطوة تقربني من السيدة ثورستون ومن قرار.

هل يجب أن أكشف عن هويتي الحقيقية أم لا؟

t.me/yasmeenbook

الفصل ٢٨

بدأت الصلوات عند الساعة السادسة والنصف صباحًا في غرفة الطعام مقدمة لوجبة الإفطار. تبعتُ الفتيات، ولكن بمجرد أن عبرت العتبة، أشارت الآنسة بارثينا جونز إليّ للانضمام إلى المعلمات في رأس الطاولة. جلست بين الآنسة جونز والآنسة ميلر. جلست السيدة ثورستون على يمين نان ميلر.

وقفت شرائح الخبز المحمصة مستقيمة في حاويات فضية. رائحة الخبز الطازج المخمر حديثًا جعلت لعابي يسيل وبطني يقرقر. زُيّنت الطاولة البيضاء بأوانٍ وفخارات سخية من المربى والجبن والزبد.

حركت الكراسي بينما تجلس الفتيات في أماكنهن المحددة. فتحنا كتاب الأدعية المشترك. تمتمت السيدة ثورستون ببعض الأدعية، بالإضافة إلى الدرسين الأول والثاني.

عندما انتهت السيدة ثورستون، انتظرنا جميعًا بترقب لنسمع ما ستقوله المرأة.

t.me/yasmeenbook

قالت: "سنحترم الحداد بأقصى درجة على صديقتنا المرحومة، سيلينا بيلتمور". وأضافت: "ستتم إعادة رفاتها إلى هنا في مدرسة ألدرتون. الليلة، خلال وقت فراغكم، ستقوم الخياطة بأخذ قياسات كل طالبة لصنع ثيابها البيضاء، كما يليق عند مرور رفات الطفلة. يا معلمات، لقد وجهت الأمر بخياطة الثياب بقياس كل واحدة منكن لصنع فساتين بيضاء من نسيج مناسب. سيُتوقع أيضًا منكن شراء حذاء الحداد. بينما أنا أتحدث ستقوم إيما بتغطية المرايا والنوافذ بالقماش. خلال ذلك الوقت أتوقع منكن جميعًا التصرف بجدية ولياقة مناسبتين".

بدأت السيدة ثورستون بالجلوس، وهي تلقي نظرة حولها في أثناء ذلك. أدارت الآنسة ميلر وجهها باتجاهي وأخذت تحرك شفتيها قائلة: "تعريف؟". بهذا، تجمدت المشرفة في منتصف طريقها للجلوس وأضافت: "تنضم الآنسة إير إلينا لتعليم الألمانية والرسم".

لم يصحب هذا الإعلان بأي كلمات ترحيب، ولم يُطلب مني أن أقف وأحيي الجميع. ربما كانت مود ثورستون تعتقد أن الآنسة ميلر قد قدمتني في الليلة السابقة. أو ربما كانت وقاحتها لا تعرف حدودًا. اعتقدت أنه الخيار الأخير.

رائحة وجبة الإفطار تصبح أكثر إغراءً مع كل ثانية. كم هذا مختلف عن لوود، حيث تسبب رائحة الطعام السيئة تقلبات في معدتنا حتى إن كنا جوعى! على الرغم من أن الآنسة ميلر

حذرتني أن الحياة في مدرسة ألدرتون ستكون مختلفة، إلا أن تعليقاتها لم تمهد لي بأي حال من الأحوال مفاجأة وجود الطعام الوفير.

ومع مجهود شاق يتمثل في حملها لصينية ثقيلة، جلبت إيما أولًا إبريق الشاي الساخن وأباريق الحليب البارد ذي الرغوة. انتقلت الفتيات بالتناوب من صب الشاي لزميلاتهن، وأخيرًا قمن بخدمة أنفسهن. آداب الطالبات كانت تنافس آداب الطبقة النبيلة، حاملات الكؤوس بالشكل المناسب، مع مد أصابع الإبهام. تحريك الشاي دون رش أو إصدار أي ضجيج. تمرير السكر والقشدة فيما بينهن. عند الضرورة، رفع مناديل الطاولة البيضاء كالثلج من فوق حجورهن والتربيت على أفواههن.

امتلأ طبق الآنسة ميلر بالمأكولات الشهية، واختفت كميات كبيرة بشكل أسرع مما كنت أتخيل. كنت أشرب الشاي وأراقب زميلتي القديمة من حين لآخر.

كانت تمضغ براحة، تحدق صامتة في صحنها.

هكذا تعيش الفتيات الثريات في المدرسة. مدللات ومحاطات بالرفاهية.

يمكن لمديرة المدرسة أن تخصص ميزانية فخمة للطعام في حين تقدم الطعام شبه غير الصالح للاستهلاك. كنت أتوقع الشيء نفسه من السيدة ثورستون. قبولها لتوصية لوسي والراتب المتدني الذي عرضته علي يثبتان جشعها.

t.me/yasmeenbook

ولكن السيدة ثورستون كانت أذكى مما كنت أعتقد. بتزويد الفتيات بوجبات غذائية جيدة وإسعاد أسرهن، تقوم السيدة ثورستون بإعداد طالباتها لسوق الزواج، حيث تعتبر القوام المستدير علامة على الجاذبية. بعد التفكير في الأمر، كانت تعتمد استراتيجية: "إطعام الفتيات وإسعاد الآباء والأمهات".

حذرت الآنسة جونز طفلة قائلة: "إليزابيث تحلي بالأدب"، عندما مدت فتاة من مجموعة الأطفال الصغار للسيدة ميلر يدها نحو إبريق الحليب.

سحبت الطفلة يدها بسرعة واعتذرت.

أبدت الطالبات الأخريات استياءً واضحًا. ابتسمت الآنسة جونز للفتيات. "تذكرن، الآنسة إير انضمت لنا للتو. نرغب جميعًا في ترك انطباعٍ جيد".

ما الانطباع الجيد؟ خاصة بعد أن رأيت زميلتكن ميتة وباردة محمولة على نقالة؟

هذا دفعني إلى التساؤل، هل الآنسة جونز مدركة للخطر مثلي أنا والآنسة ميلر؟ كان عليّ أن أسأل، ولكن ماذا لو لم يجب علينا أن نثق بالآنسة جونز؟ ماذا لو كانت هي القاتلة؟

ذهبت أفكاري في دوامة واسعة، اتبعت كل فكرة وانجرفت في التفكير فيها الواحدة تلو الأخرى. بعد وقت وجيز، وجدت

نفسي أشكك في كل شخص قابلته في مدرسة ألدرتون ما عدا السيدة ديلغاتو المسنة.

هل هناك أي فائدة من بقائي؟ ماذا لو كان حقًّا حادثًا عشوائيًّا؟ إذًا قد يكون من المستحيل تتبع أفعال القاتل.

ثم حذرت نفسي: هذا لن يكون جيدًا! يجب أن تبحثي عن المعلومات ويكون لديك سبب منطقي لهذا التفكير.

وضعت الخبز الذي كنت أتناوله وقمت بتدليك مؤخرة رأسي. على الرغم من السيناريوهات المختلفة، لم أتمكن من التخلص من قناعة عميقة بأن سيلينا كانت الهدف من البداية.

إذا كان ما عرفته عن الفتاة صحيحًا، فإن هناك العديد من المشتبه بهم المحتملين!

ياسمين
قصص
وروايات
t.me/yasmeenbook

t.me/yasmeenbook

الفصل ٢٩

بعد الدعوات الصباحية والغناء جاءت وجبة الإفطار. صوت روز الصادح النقي أعادني إلى حزن ذلك اليوم. الطبقات الحلوة لصوتها انخفضت وارتفعت وخلقت مساحة مقدسة، تذكرنا بأن الجنة تنتظرنا جميعًا.

عندما غادرنا غرفة الطعام لبدء يومنا الدراسي، بدأت الفتيات يتزاحمن ليمسكن بيدي. عبَسَتْ أديل عندما احتلت روفينا مكانها المعتاد.

"هي سيدتي. أنا فقط". قالت أديل ودفعت روفينا دفعة قوية بكتفها. روفينا، السمينة مثل العارضة في السقف، استقبلت الضربة وواصلت، دون أن تفلت قبضتها عني.

توقفت وهمست بالفرنسية: "أديل، سأكون دومًا (سيدتك)، ولكن في الوقت الحالي، عليكِ أن تشاركيني".

هذا التأكيد أحدث انزعاجًا فرنسيًّا متجاهلًا ووقفة حازمة لقدمها.

t.me/yasmeenbook

قالت نيتي: "أنا سعيدة جدًّا بأنكِ جئتِ يا سيدتي".

أذعنت نيتي لنفسها بلف أصابعها حول طرف شالي المتدلي غير قادرة على المنافسة مع روفينا وأديل على الإمساك بيدي. روز ابتعدت عنا ومشت أمامنا قليلًا، لكن نظرة عابرة فوق كتفها أثبتت أنها أيضًا ترغب في البقاء قريبة.

وجدت هذه الإيماءات مؤثرة، ومحبة الفتيات تعزز نيّتي في التحقق من سلامتهن. صعدنا الدرج معًا أنا والأطفال نحو الفصول الدراسية.

ودّعتُ الفتيات بينما ذهبن إلى صفهن الأول. نظرًا لقراري بالبقاء، كان عليّ أن أجهز درس الألمانية، لذا حملت الكتاب والمفكرة تحت ذراعي وأنا أبحث عن غرفة هادئة.

غرفة الموسيقى كانت غير مشغولة. هناك، احتل البيانو المكانة الفخرية، محروسًا بمجموعة من حوامل الموسيقى السوداء. انغمست في الكرسي المريح، وبدأت تصفح النص الألماني. فُتح الباب ودخلت السيدة ديلغاتو مع مجموعة من الطلاب الصغار الجاهزين لدروس البيانو.

"ابقي. من فضلك، ابقي. طلابي موهوبون جدًّا". أبرز الضوء الصباحي ملامح وجه المرأة التي تضررت من العمر بقسوة، وكانت تنبعث منها رائحة قوية لشعر غير نظيف. كان المشي صعبًا بالنسبة لها، وكانت تسير ببطء وبصعوبة عبر غرفة الموسيقى. كان من المستحيل تخيلها وهي تقتحم المدرسة،

t.me/yasmeenbook

وتصعد الدرجتين وتُخضع الطالبة.

"سأكون سعيدة بالبقاء للاستماع. ومع ذلك، يجب أن أستعد لتدريس دروسي". وقلت: "ربما في وقت آخر؟". بهذا، حملت كتاب الألمانية إلى سكن الطالبات الكبيرات وجلست على سريري وحاولت التركيز، ولكن ظهرت إيما لتفريغ الحوض وأواني الفضلات. كانت هيئتها الصغيرة غير متناسبة مع هذه المهام الثقيلة، لكن أسلوب عملها كان يدل على الكفاءة. توقفت لمراقبتها، وأنا أفكر في كمية الخيارات المتاحة للشابات، خاصة أولئك اللواتي ينتمين إلى الطبقة غير المحظوظة.

قالت: "آسفة لإزعاجك، سيدتي"، لاحظت انتباهي، ولكنها قرأت أفكاري بشكل خاطئ. "إذا لم أنجز هذا الآن، فلن تكون السيدة ثورستون سعيدة. عليّ تنظيف غرفتها، وغرفة الرضع والصغار. كما يفترض أن أنزع الأغطية عن سرير سيلينا وآخذ كل شيء إلى غرفة الغسيل".

أجبتها: "نعم، بالطبع". وحنيت رأسي إلى النص الألماني، ولكن للحظة واحدة فقط. أدركت أن إيما ربما تلاحظ المزيد من الأحداث أكثر من أي شخص آخر في المدرسة. سألتها: "إيما، كيف كانت سيلينا بيلتمور؟".

تجمدت الخادمة في منتصف سحب الملاءة من السرير المجاور لي. بينما كانت تنزعها، انطلقت نافورة من الغبار

الأبيض، دار حولها واستقر أخيرًا بلطف على الألواح الخشبية للأرض، تشبه سقوط الثلج حديثًا.

بودرة الاستحمام. سيلينا تحب الفخامة.

لكن معظم المساحيق تتميز بالروائح الزهرية، وهذا النوع لا يحتوي على أي رائحة، على الأقل لا يمكنني اكتشافها.

ناديت الخادمة: "إيما؟". ظهرها لا يزال يواجهني، ظلت وضعيتها صارمة كظبي أحمر في الغابة. أدارت وجهها لي، وعيناها تحملان نظرة قلقة. "سيدتي؟".

"كنت أتساءل عن رأيك بها. عن سيلينا بيلتمور".

"ليس من حقي أن أتحدث". التفتت بعيدًا، ركعت، ومسحت المسحوق من الأرض حول سرير سيلينا.

"ولكن من المؤكد أنك قد كونت انطباعًا. هل كانت تتفاهم مع الفتيات؟".

توقفت إيما مع قطعة قماش في يدها. تمتزج بالمسحوق الأبيض مع الماء في الدلو لتشكل معجونًا كثيفًا. ببطء، غطست إيما القطعة في الدلو ثم عصرتها بقوة. "لا يمكنني أن أجزم ذلك".

"سمعت أنها سرقت أغراضهن".

حكت إيما رأسها، ثم نظرت إلى الغرفة وأخذت دلوها. "ربما سمعت شيئًا من هذا القبيل أيضًا".

t.me/yasmeenbook

"هل كانت لطيفة معهن؟ ومعك؟".

لم تلاحظ أنها لم تنظف بعض المسحوق، لكن ذلك لم يكن مهمًّا. ليس حقًّا.

أثار ذلك رد فعل أقوى. ضاقت عينا إيما وانسد فمها ليتحول إلى خط رفيع ومستقيم وقالت: "لا يمكنني أن أقول كيف كانت".

"هل تعتبرينها قاسية؟ أنا أسأل فقط لأنني أشعر بأنها لم تكن محبوبة، وأتساءل لماذا. كانت الفتيات خائفات الليلة الماضية. بدون كأنهن يخشين أن سيلينا ستعود لتطاردهن".

عبر وجه إيما عن مجموعة متنوعة من المشاعر. كنت أمسك أنفاسي.

قالت: "الآخرون كانوا يخافون منها. أعتقد أن ذلك لا يتغير فقط لأنك ميت، أليس كذلك؟ أعني، لم تكن أفضل ما يمكن. لأنها كان لديها شعر رائع، وكانت أكبر سنًّا قليلًا، تعلمين، كانت تعرف كيف تحصل على ما تريد. خاصة مع الفتيات الصغيرات".

أومأت برأسي قائلة: "نشأت في مؤسسة خيرية. رأيت كيف تتنمر بعض الفتيات على زميلاتهن. ربما فعلت سيلينا الشيء نفسه".

"كوني حذرة فيما تقولين يا سيدتي". خفضت إيما صوتها وألقت نظرة على الباب المفتوح جزئيًّا وأضافت: "سيلينا كانت المفضلة لدى السيدة ثورستون. لا ترغبين في أن تكوني في جانب السيدة ثورستون السيئ. الآن، إذا لم يكن لديك مانع، فأعتقد أنني أفضل أن أكمل أعمالي". بهذا، بدأت تفرغ وتغسل وتمسح بنشاط غاضب.

كانت إيما تحذرني، تحاول مساعدتي، ولم تفتني غرابة الوضع. هنا كنت، زوجة رجل نبيل، بينما تحذرني خادمة بخصوص الجانب السيئ لمشرفة متدنية. بدلًا من القلق بشأن إرضاء السيدة ثورستون، كان يمكنني أن أكون في المنزل، في فيرندين، سيدة بيتي.

أزعجتني تلك الكمية الصغيرة من المسحوق المتبقية على الأرض. يبدو لي كأنه مجرد عمل غير مكتمل. أمسكت بمنشفة مبللة بالقرب من مغسلتي، وسرت نحوها وبدأت مسح الغبار الأبيض الرقيق. فضولي غلبني -صفة يمكن أن تكون نعمة ونقمة في الوقت نفسه- قمت بتبليل طرف إصبعي، ولمست المسحوق بحذر. وبحذر، قربته من أنفي. وعلى الرغم من محاولاتي، لم أتمكن من اكتشاف أي رائحة، وكان قوامه غير زلق كما تكون بودرة الحمام عادةً.

كم هذا غريب!

لا شيء في هذا المكان أو في ساكنيه يخضع للمنطق. قاتلت رغبة قوية في إلقاء كتاب الألمانية على الأرض،

والإمساك بيد أديل والخروج من هذا المستودع المشؤوم للأطفال المهجورين. الأسوأ من ذلك كله، تركت ابني من أجل مساعدة مجموعة من الفتيات الغريبات عني.

يجب أن أغادر.

يجب علي ذلك.

كلمات بروس دوغلاس ترددت في عقلي. كيف سأتمكن من رفع رأسي عاليًا إذا سرت وابتعدت عن هؤلاء الأطفال؟ خاصةً أنهم الآن يثقون بي بشكل كبير؟ ماذا لو كان أحدهم من لحمي ودمي؟ هل كنت سأختار بشكل مختلف في تلك الحالة؟

إيما سحبت وعاءً فارغًا آخر من تحت السرير، ذراعاها النحيفتان محنيتان تحت وزن الجرة الخزفية ومحتوياتها. ثوبها كان يتدلى على هيكلها النحيف. العظمتان في كتفيها تبرزان من قماش مريلتها.

سألتها: "كم عمرك يا إيما؟".

واصلت عملها، وهي تتنهد وتقول: "سأبلغ ستة عشر عامًا في نهاية العام يا سيدتي".

خمسة عشر عامًا. بالكاد أكبر سنًّا من معظم الفتيات في صف الكبيرات. إذا كان القاتل يستهدف الشابات الصغيرات، فإن هذه الفتاة المسكينة معرضة للخطر أيضًا.

يجب أن أبقى. على الأقل لفترة قصيرة. ألم الشوق للوطن كان مؤقتًا، ولكن الأثر الذي سيتركه رحيلي وتجاهل هذا الوضع سيظل إلى الأبد.

تساءلت عما إذا كان ابني قد لاحظ غياب أمه. تساءلت كيف حال السيدة فيرفاكس. في الآونة الأخيرة، كانت متعبة، تتحرك ببطء أكثر، مثل ساعة متعبة بوجود القليل من الطاقة المتبقية فيها. وإدوارد؟ كيف تسير حال زوجي؟ هل اتبع نصيحة السيد كارتر وأخذ قسطًا من الراحة؟ هل يشتاق إليّ بالقدر نفسه الذي أشتاق إليه به أنا؟

إذا حالفني الحظ، فسأعود إلى البيت خلال يوم أو يومين. بالتأكيد لن يستغرق الأمر وقتًا طويلًا لكي تعثر الشرطة على قاتل سيلينا. كم يمكن أن يكون الأمر صعبًا؟

فكّري يا جين! هذه ليست سوى مشكلة يجب حلها. ركزي تفكيرك عليها. كيف يمكنك المساعدة في كشف من قتل سيلينا؟ لماذا تم قتلها؟ إذا لم يكن القتل عشوائيًّا، فبالتأكيد كان هناك سبب، وتحريض على الحادث. ربما إذا عثرت على ذلك السبب، فستشيرين إلى الجاني.

أولًا، سأحتاج إلى معرفة المزيد عن سيلينا.

كيف؟ الحديث مع كل شخص يزيد من خطر كشف أمري. حتى إيما بدت حذرة عندما طرحت عليها أسئلة.

t.me/yasmeenbook

يجب أن يكون هناك طريقة أفضل.

يمكنني أن أكلف الطالبات الكبيرات بكتابة مقالة لاختبار مهاراتهن في اللغة الألمانية. سيكون موضوعه صديقتهن سيلينا. سيكتبن أفكارهن عنها وسيمكنني ذلك من رؤية مستوى مهارتهن... وسأشارك ملاحظاتهن مع السيد دوغلاس.

مع وجود خطة في عقلي، عاد تفكيري إلى إدوارد. نهت السيدة ثورستون صراحة عن المراسلة معه، لكن سلطتها لا تعني شيئًا بالنسبة لي. سأكتب له وسأعطي الرسالة للوسي لترسلها. حتى إن كان سينضم إليّ في القريب العاجل، وعلى الرغم من أنه قد لا تصل الرسالة قبل أن يغادر فيرندين، أعلم أنه يمكنه الاستمتاع بها لاحقًا. وكتابتها ستساعدني كثيرًا في ترتيب أفكاري.

بهذه النية، وضعت القلم على الورق... ولكن تحرك إيما شتت عقلي.

في يأس، سحبت حاجز تغيير الملابس حولي. الخصوصية الناتجة أسعدتني على الرغم من أن الكتلة في سريري لا تزال تمنع جميع محاولاتي للراحة. "جدراني" المؤقتة سمحت لي بفصل بيئتي. وبعد ذلك، أخبرتني خطوات إيما بأنها قد غادرت الغرفة. ومع ذلك، قدم لي الحاجز شعورًا بالانفصال عن محيطي. وبعقلي الحر من هذه القيود، كتبت:

زوجي الحبيب،

آمل أن تصلك هذه الرسالة وأنت بأفضل حال. أثق بأنك تحرص على الراحة من أجل بصرك.

أشتاق إليك أكثر مما يمكن التعبير عنه بالكلمات. في الليل، أمد يدي نحوك، وعندما أكتشف -يا للأسف!- أنني وحيدة، أعتقد أن قلبي سينفطر من الألم. أشتاق لمحادثاتنا، لطقوسنا اليومية، وبالطبع، أشتاق لمحبتك. إنه من المريح أن أعلم أنك ستكون هنا في لندن قريبًا.

عندما جئت لزيارة أديل، فوجئت بأن نان ميلر، معلمة من لوود، تعمل هنا الآن بمثابة مشرفة مدرسية. قد يظن المرء أن ذلك سيخفف مخاوفنا، لكني أعترف بأن الوضع يربكني. المشرفة الجديدة، السيدة ثورستون، ليست المرأة التي تضفي نغمة مناسبة للمدرسة. بسبب لقائنا في ظروف صعبة، أجد صعوبة في أن أكون عادلة معها. ومع ذلك، حتى الآن لم تنجح في إبهاري.

تعقيدات كثيرة. اختيار خليفة السيدة ويبستر ليس سوى مشكلة واحدة. والمشكلة الأخرى -وأتردد في أن أخبرك بها خشية أن تنزعج أكثر- تتعلق بوفاة فتاة من المدرسة.

في الوقت الحالي، لا يوجد خطر على أديل. وإذا تغيرت الحالة، فثق أنني سأتخذ التدابير اللازمة لضمان سلامتها ورفاهيتها.

t.me/yasmeenbook

أرجو أن تخبر نيد بأن والدته تشتاق إليه بشدة.

كل حبي...

محبوبتك جين

ملحوظة: أخبر السيدة فيرفاكس بأنها كانت على حق. في المرة القادمة سأنتبه لاقتراحاتها بشأن أهمية الملابس العصرية عندما يكون الإنسان في لندن. ربما نذهب أنا ولوسي للتسوق بينما أنا هنا.

طويت الورقة ووضعتها في ثوبي.

نجحت الرسالة في جعلي أشعر بأني أقرب إلى إدوارد، ولكنها أيضًا جعلتني أشعر بتأنيب الضمير. هل كنت حقًا واثقة لهذا الحد من سلامة أديل؟

وبعد ذلك، ظهر القلق الذي كنت أتناساه: ما الذي سأفعله بشأن مجوهرات روتشيستر المفقودة؟

t.me/yasmeenbook

t.me/yasmeenbook

الفصل ٣٠

رن الجرس ونزلت الدرج لأبدأ مهامي بصفتي معلمة. تتابعت الطالبات الصغيرات وهن يمررن أمامي، رؤوسهن مرفوعة وأكتافهن مستقيمة. بسبب ألواح السبورات التي يحملنها ضمنت وقوفهن المستقيم. احتلت خمس طالبات مقاعدهن في غرفة المحاضرات. طلبت منهن تقديم أنفسهن في حين أسجل أسماءهن.

إليزابيث مورو هي قائدة صف الطالبات الصغيرات، عيناها الذكيتان تتنافران مع خديها المنتفخين مثل السنجاب. ماري توليفر كانت تتلوى في مقعدها، غير قادرة على إبقاء جسدها النحيل ثابتًا وهي تلف شعرها الأشقر حول إصبعها مرة تلو أخرى. وينيفريد دالتون - جيمس تبدو مبتهجة، وابتسامتها الساطعة نادرًا ما تتزعزع. فيكتوريا فالموث ترتدي ابتسامة حزينة تحت رشة من النمش. باتينس تشيسترفيلد تجلس كقطعتين حجريتين مرصوصتين بعضهما فوق بعض، صلبة وسميكة، فقط يقطعها وجود شعرها الأسود الكثيف المتدلي.

t.me/yasmeenbook

كانت كتب اللغة الألمانية على خزانة الكتب قرب المكتب الأمامي. طلبت من إليزابيث توزيعها، ثم طلبت من الفتيات إعداد لوحاتهن السوداء.

الفتاة الأخيرة في الصف، باتينس، نظرت إليّ بيديها الخاويتين وهدوء ثوري.

سألت عندما تساقطت سحابة الغبار المعتادة من الطباشير: "هل تنقصنا واحدة؟". ملأت رائحة الطباشير الرطبة للسبورات السوداء الهواء حيث وضعت الفتيات سبوراتهن على أرجلهن.

قالت إليزابيث: "سيدتي؟ أعتقد أن سيلينا وضعت كتابها في خزانتها".

"ولكنها لم تكن في صفكن. فكيف تعرفن ذلك؟".

قالت ماري: "الجميع يعرفون كيف كانت سيلينا يا سيدتي!".

"كانت سيلينا تكره السيدة هيرتسوغ وتكره الألمانية أيضًا. كانت دائمًا تخبئ الكتب عن المعلمات. لأننا جميعًا نستخدم الكتب أنفسها، كان ينقصنا دائمًا كتاب واحد، لكن لا يهم يا آنسة إير. يمكن لباتينس أن تأخذ نسختي. يمكنني أن أتشارك أنا ووييني نسختها".

سلمت ماري نسختها إلى باتينس، واقتربت من ويني وأمسكت بحافة غلاف الكتاب.

سألت: "إذا كانت سيلينا قد خبأت كتاب الألمانية، فأين يمكن أن يكون؟".

"عادةً ما تحتفظ بالكتب المدرسية في خزانتها تحت أشيائها. ربما لا يزال هناك، بجوار زجاجة العطر التي كانت تعجبها ومسحوق الاستحمام. تلك الرائحة التي تشبه زهرة الكاميليا. كانت السيدة هيرتسوغ ترسلها لتحضر كتابها من خارج الفصل. كانت سيلينا تأخذ وقتها وتزور المطبخ أو تتجول هنا وهناك".

أضافت باتينس: "كانت تحب سرقة البسكويت من المخزن، لكنها لم تكن الوحيدة التي تفعل ذلك. كانت الطباخة تغضب جدًّا لكنها لم تستطع أن توقفها". كانت تتكلم ببطء حتى إنني أرغب في أخذ قيلولة بين الكلمات.

ظلت الطالبة الأخرى، فيكتوريا، صامتة وتحدق أمامها خلال هذا السرد لسلوك سيلينا السيئ. عندما أعطيت الطفلات جملة لترجمتها، وصوت خرير الطباشير على السبورات يصاحب محاولات الطالبات، استمرت فيكتوريا في الجلوس بهدوء. لاحظت عينيّ عليها، وقالت: "لا أستطيع الكتابة. إنها يدي، انظري"، ورفعت يدها اليمنى ورفعت كُمها لتكشف عن ضمادة بيضاء.

سألتها: "ماذا حدث لك؟".

t.me/yasmeenbook

طارت النظرات السرية من طالبة إلى أخرى. وتسللت ضحكة خفيفة.

"تعرضت للإصابة".

"نعم، ولكن كيف؟".

توقفت لحظة: "تعرضت للعض".

ورفعت إصبعين على يدها اليسرى: "مرتين".

"عض؟ من ذلك القط في المطبخ؟".

"لا يا آنسة إير. السيد ميفيستو العجوز يبقى مع الطباخة. إنه يعض ويجرح الجميع ما عدا الطاهية ونحن الفتيات. تعرضت للعض من قبل شخص".

"تقصدين شخصًا؟ يا إلهي. من هو؟".

خفضت فيكتوريا رأسها لتفحص الثنيات على مريلتها قبل أن تهمس بشيء.

سألتها: "عفوًا، ماذا قلت؟".

أرسلت باتينس، الطالبة التي تجلس بجانبها، تعبيرًا عن التعاطف مع فيكتوريا. من وراء اللوحة، أمسكت بيد فيكتوريا السليمة وعصرتها. كانت اللمسة الجسدية الجلد بالجلد تبدو كأنها تعزز روح فيكتوريا.

قالت باتينس ببطء: "قامت سيلينا بذلك يا سيدتي".

t.me/yasmeenbook

رجفت الشفة السفلية لفيكتوريا: "سيلينا غضبت وعضتني، ثم عضتني مرة أخرى. للتأكيد".

"يا إلهي!". في سنوات تدريسي، لم أسمع قط أن الأطفال الأكبر سنًّا من الرضع يعضون بعضهم بعضًا. "أنا واثقة أن السيدة ثورستون كان لديها شيء لتقوله حيال ذلك!".

وضعت إليزابيث قبضة على وركها وعبست، صوتها كان مثل والدة أكثر منه أن يكون لفتاة في الحادية عشرة. "لا لم يحدث لها شيء! لم يحدث أبدًا شيء لها! سيلينا لم يتم معاقبتها أبدًا! كانت المفضلة للسيدة ثورستون!".

أبعدت الفتاة نظرها وعبست بفمها كتعبير عن الاشمئزاز. الآن، خرج الأمر عن السيطرة، وكان لدى إليزابيث الكثير لتقوله: "اعتقدت السيدة ثورستون أن سيلينا تجعل الشمس تشرق في الصباح والقمر يلمع في الليل، بالتأكيد. سيلينا كانت المفضلة لديها. كانت تستطيع أن تفلت من العقاب ومن أي شيء. لأن لديها صديقًا خاصًّا".

كررتُ العبارة: "سيلينا كان لديها صديق خاص؟". أخيرًا، معلومة تستحق أن أشاركها مع السيد دوغلاس.

قالت ماري وهي ترفع حاجبيها: "صحيح، بريني".

تساءلت عن هوية بريني، وكنت أعتزم أن أسأل السيد دوغلاس ولوسي إذا كانا يعرفانه.

t.me/yasmeenbook

"هل حقًّا؟". حاولت استعادة سلطتي، لكن يجب أن أعترف، هذه المعلومة الجديدة جعلت رأسي يدور. ألم يكن هناك أحد في هذه المدرسة يواجه سيلينا؟

بكت فيكتوريا قائلة: "قالت السيدة ثورستون إنني مذنبة، قالت إنه إذا عضتني سيلينا، يجب أن يكون هناك سبب فظيع لذلك، ويجب أن أخجل من نفسي، ولكنني لم أستحق ذلك. أقسم لك، يا آنسة! لقد طلبت فقط بأدب من سيلينا ألا تأخذ كل مربى الفراولة. وقلت لها من فضلك أيضًا. وقالت لي: ‹لماذا؟ هل لأنك جائعة؟ أنا أيضًا جائعة. سأريك›، ثم قامت بالكشف عن أنيابها، وأمسكت ذراعي وعضتني بقوة. عندما بكيت، قالت: ‹سأعطيك سببًا لتبكي عليه›، وعضتني مرة أخرى".

قلت: "يا إلهي!"، هذا كان أفضل ما استطعت قوله.

لماذا سمحت السيدة ثورستون للفتاة بالتصرف بهذه الطريقة البشعة؟ التفضيل يحدث بشكل طبيعي في كل محيط، ولكن بشكل خاص عندما يتعامل البالغون مع الأطفال. من تجربتي الخاصة، الأطفال الذين يسعون عن قصد للحصول على التمييز يحصلون عليه، ولكن في جميع الأحوال، سيلينا كانت تتجاهل الآداب الأساسية.

"أعتقد أننا تحدثنا بما فيه الكفاية عن سيلينا، رحمها الله. هيا نبدأ العمل". قمت بالتبديل من اللغة الإنجليزية إلى الألمانية وأعطيت الفتيات بعض الأوامر الصغيرة.

t.me/yasmeenbook

في وقت قصير، استنتجت أن المعلمة السابقة في المنصب كانت إما مهملة أو غير كفء. لم تتمكن أي من الطالبات من الاستجابة لأي من طلباتي. ولم يستطعن تصريف الأفعال. عندما طلبت منهن ترجمة جملة يسيرة من الإنجليزية إلى الألمانية، فشلن بشكل فظيع.

قلت، مقدمة لهن تحية صغيرة: "لنبدأ من البداية، جوتن تاج" (صباح الخير).

من دون الحاجة لإظهار مهارات لا تتوافر لديهن بوضوح، ردت الفتيات بالعمل الجاد. مر باقي وقتنا بوتيرة مُرضية. عندما دقت الساعة الثانية عشرة، تبعت طالباتي إلى غرفة الطعام لتناول الغداء. كان كرسي نان ميلر فارغًا. أدت السيدة ثورستون صلاتها بصوت مرتفع لشكر الله على الطعام. أثناء ذلك، اعتقدت أنني شممت رائحة كحول خفيفة.

قلت لنفسي: بالتأكيد لا. خيالك يأخذك بعيدًا.

قطع اللحم الباردة والجبن موضوعة على الرفوف الجانبية. الخبز الطازج ذو القشرة البنية أرسل رائحة دافئة في الهواء. أخذت الجزء الأخير من الخبز، بالإضافة إلى شريحة من الجبن وقطعة صغيرة من التفاح، وعدت لمقعدي لحظة وصول الآنسة ميلر إلى الغرفة. كانت عيناها منتفختين وحمراوين، وكان سلوكها مضطربًا. من بعد نصف الطاولة، سمعت صوت إبريق الشاي يصطدم بفنجانها أثناء صبه لنفسها.

اقتربت السيدة ثورستون من صديقتي وهمست سؤالًا.

تراجعت الآنسة ميلر. هزت رأسها بشكل قاطع ووضعت ملعقة مليئة بالسكر في الشاي، لكن السيدة ثورستون لم تستسلم بعد. كانت الكلمات غير مسموعة بالنسبة لي، لكن المغزى كان واضحًا. كانت المشرفة تتحلى بالتعبير نفسه الذي يظهر على الكلب عندما يمسك بالفأر بين أسنانه. صديقتي تبدو كأنها الفأر.

تساءلت من جديد: إذا كانت سيلينا هي المفضلة لديها، فأين علامات حزن السيدة ثورستون الظاهرة؟

الآنسة جونز اقتربت مني وهمست قائلة: "جاء السيد ويفرلي مرة أخرى. استجوب السيدة ثورستون مرة أخرى وطلب أن يرى المكان الذي عثر فيه على جثة سيلينا. سمعته يتجول في الطابق العلوي بينما كنت أشرح".

لا بد أن يكون ذلك حدث أثناء إلقائي لأول درس لي في اللغة الألمانية.

"هل سأل السيد ويفرلي السيدة ثورستون؟".

"نعم، لكن أعتقد أنه جاء في المقام الأول لمقابلة الآنسة ميلر مرة أخرى. أخذها مباشرة من الصف. كانا في مكتب السيدة ثورستون لمدة ساعة. من المؤكد أن ذلك كان أمرًا مرعبًا بالنسبة لها".

t.me/yasmeenbook

"هل استجوب أي شخص آخر؟".

رفعت الآنسة جونز حاجبيها قائلة: "لا. أعلم أنه يعتزم التحدث إلى أديلا، ولكنه اضطر للمغادرة بشكل مفاجئ. لا أعرف لماذا. طرح عليّ بعض الأسئلة، بالطبع، ولكن ليس لدي شيء جديد لأخبره به. كنت أعاني بشكل فظيع من الصداع في ليلة وفاة سيلينا، كنت قد تناولت الدواء ونمت بسرعة. باب غرفة نوم الطلاب الصغار بقي مغلقًا طوال الليل. الأطفال يعرفون أنهم يجب أن يوقظوني إذا احتاجوا إليّ أو أن يذهبوا لأحد المشرفين الآخرين، ولكن لم يفعلوا ذلك؛ لذا لست مثيرة للاهتمام بالنسبة له، ولكن الآنسة ميلر مهمة".

"حقًّا؟".

"هذه ليست المرة الأولى التي يموت فيها أحد طلابها".

"لكن كانت النتيجة التيفوس!". تدفقت إلى عقلي صور مؤلمة لزملائي وهم يموتون. أضفت بسرعة: "إصابة العديد من الطلاب بالعدوى في لوود بسبب الظروف المعيشية السيئة أدت فعلًا إلى وفيات أكثر مما يمكن أن نتوقع عادة، ولكن هذا لا يزال ظاهرة طبيعية. بالتأكيد لا يمكن أن تلوم الشرطة الآنسة ميلر على ذلك".

"تقولين التيفوس؟ في المؤسسة الخيرية؟ يا له من موقف رهيب، ولكن لا، لم يكن هذا هو سبب تحقيقه معها. أقصد الحادثة الأخرى".

حادثة أخرى، اختنقت بلقمة من الخبز. بعد سعال متكرر، تمكنت أخيرًا من طرد القطعة. عن ماذا كانت تتحدث الآنسة جونز؟ لا بد أنني سمعت بشكل خاطئ. لا يمكنها أن تكون ترجح أن الآنسة ميلر تورطت في وفاة طالب آخر بالفعل. هل يمكن؟

والأهم من ذلك، ما الذي لم أكن أعرفه عن ماضي نان ميلر والذي كان يتعين عليّ معرفته؟

كما يحدث في كثير من الأحيان، شعرت الفتيات بأن هناك محادثة غير مناسبة لهن. أمسكت كوب الشاي بيدي الاثنتين للسيطرة على رعشة يدي، وبعد أن شربت رشفة، غيرت الموضوع وتحدثت إلى الفتيات مباشرة: "يا فتيات، أنا أخطط أن نأخذ حصة الرسم في الهواء الطلق، حيث يمكننا دراسة حياة الطيور. ما رأيكن في ذلك؟".

هتفت روفينا بحماس وقالت: "هل يمكننا الذهاب إلى حديقة هايد بارك؟".

"هذا هو بالضبط ما كنت أفكر به، ولكن سيتعين عليكن مساعدتي في رعاية الفتيات الصغيرات. هل يمكنكن فعل ذلك؟".

تمتمت نيتي: "لدي أخ صغير في المنزل، عندما تسمح لي أمي، أساعدها في رعايته. الفتيات الصغيرات لن يسببن أي مشكلات يا آنسة".

t.me/yasmeenbook

تحركت الفتيات بحماسة.

عبست الآنسة جونز قائلة: "يا لك من محظوظة لديك سبب لأخذ الفتيات إلى الخارج. أنا أستمتع كثيرًا برسم المناظر الطبيعية بالألوان المائية، لكن نظرًا لواجباتي هنا، نادرًا ما تتاح لي الفرصة لذلك".

تحدثت أديل بسعادة لصديقاتها: "أنا والآنسة إير كنا نحب أن نراقب الطيور في ثورنفيلد. كانت أوضاع الغربان في حقول المزارعين مضحكة للغاية. جون -خادمنا- يحتفظ بعشش طيور في أحد الأبراج. طيور صاخبة جدًّا. وذكية للغاية!".

ألقت الآنسة بارثينا نظرة إلى أديل: "يا لك من صبور!. هل كانت طائشة حينها كما هي في الفصل؟".

قلت: "في بعض الأحيان" حيث شعرت بشعور قوي بالولاء لطالبتي ما جعل وجنتي تحترق.

"هؤلاء هم الفرنسيون. أمة متعجرفة تفتقر إلى ضبط النفس. مغرورون، يطالبون بالأخوة والمساواة، لكنهم في الواقع يجلسون على ركبهم ليعبدوا البابا -الذي ليس سوى عجوز خرف يرتدي رداءً أحمر- من الصعب أن نصدق أنهم يفهمون الوصية الأساسية لله بأن نحبه في المقام الأول، ونتجاهل وصيته الثانوية بأن نحب بعضنا بعضًا. وكل هذا الحديث عن المساواة؟ هل القطة ليس لها فقط الحق في النظر إلى الملكة، بل يمكنها أيضًا أن تطمح أن تكون ملكة؟ ما هذه السخافات؟

نحن نولد في طبقة ولا يمكننا أن نرتقي فوقها. وبخلاف القيود التي يفرضها المجتمع علينا بسبب وضعنا الاجتماعي المنخفض، يجب علينا نحن النساء أن نحمل عبء نزوات الرجال المخزية. إذا لم يكن لدينا الجمال أو الجاذبية، فليس لدينا شيء لمقايضته".

قلت: "نعم، حسنًا..."، لم أستطع صياغة رد مناسب. آراء الآنسة جونز كانت مبالغًا فيها مثلها تمامًا.

لحسن الحظ، لم يتطلب بقية الحديث مشاركتي. استمرت في الثرثرة دون أن تشغل انتباهي، بينما تركت عقلي يتجول في الأحداث الغريبة في المدرسة، حتى إن تعليقًا من الآنسة جونز كاد يطيح بي من فوق الكرسي.

خفضت صوتها، على ما يبدو احترامًا لحضور الفتيات: "أعتبر نفسي محظوظة لأنني معلمة في مدرسة بدلًا من معلمة خاصة. غالبًا ما تكون المربية ليست سوى لُعبة لسيد المنزل أو أبنائه. يستخدمون النساء الشابات ويتخلصون منهن كما لو كنّ أوراقًا لامتصاص الحبر. أمر مثير للاشمئزاز تمامًا".

كم تمنيت أن أوضح الحقيقة لـ بارثينا جونز!

الفصل ٣١

بعد ظهيرة هذا اليوم، انطلقنا إلى الحديقة، أنا وتسع طالبات -خمس من صف الصغيرات وأربع من الكبيرات. عندما لاحظت لوسي بريتون، وشقيقها بروس دوغلاس، والكلب الصغير المرح راغز جالسين على مقعد في هايد بارك، لوحت لهم بيدي مرحبة. قفز راغز من مقعده ونبح بسعادة، جسده الصغير انتفض من الفرح بينما يظهر بزيه الأنيق الذي يتفوق على زيي. لا سيما طوقه الجلدي الأزرق الداكن اللامع، الذي أثار إعجاب الجميع. ازدحمت الطالبات حوله.

كانت لوسي قد التقت بأديل والفتيات الأخريات مرة واحدة من قبل، عندما دعت زميلات أديل إلى منزلها لتناول الشاي عندما جاءت أديل إلى لندن للمرة الأولى، ولكن مرت فترة منذ ذلك الحين، لذلك كانت الطالبات مترددات قليلًا، خجلات في البداية.

قدمت لوسي شقيقها رسميًّا. جذب السيد دوغلاس اهتمام الفتيات عن طريق تقديم يده وتحية كل واحدة منهن بعبارة

t.me/yasmeenbook

"كيف حالك؟". راقبته روز عن قرب وبإعجاب لا يحجبه أي شيء. وعندما حان دورها لتقول: "مرحبًا"، قدمت روز ابتسامة ساحرة للسيد دوغلاس وانحنت بانحناء عميق.

قررت أننا إذا أعطينا لها بضع سنوات، ستصبح محبوبة في المجتمع.

سرعان ما تحول اللقاء إلى مسابقة ومنافسة. كان نصف الفتيات في ذهول واضح من لوسي وملابسها الفاخرة. انهالت عليها الثناءات بكثافة.

أما النصف الآخر من الفتيات، فكنّ مولعات براغز، الذي رد بلطف باللمسات واللحسات المبهجة.

ألقت جميع الفتيات أنظارًا سرية إلى السيد دوغلاس، وكنَّ واعيات بشدة لحضوره وخجلات في الوقت نفسه. كان ذلك يدل على استيقاظ أنوثتهن، عندما يثير وجود رجل مشاعر متناقضة.

أعطت لوسي كل اهتمامها للفتيات، وبسرعة كبيرة، شعر الأطفال الأصغر سنًّا بالارتياح، معجبات بمظلتها ويقمن بتلمس التطريزات الحريرية على فستانها. قامت فيكتوريا بالتمايل حتى وجدت مكانًا مباشرة بجانب لوسي. رائحة عطرة حاوطت روز: "ما هذا العطر الجميل؟ هل هو زهرة الغاردينيا؟ أمي تحبها أيضًا. أنا أحب الليلك أكثر".

t.me/yasmeenbook

سألت لوسي: "هل حقًّا، يجب أن ننتظر حتى الربيع المقبل لرؤيتها. يبدو أنها بعيدة جدًّا، أليس كذلك؟".

غمرت نيتي وجهها في فراء راغز. ونجحت روز في الجلوس بجوار ركبة السيد دوغلاس.

تألقت لوسي بحنانها، بينما تحدثت مع فتاة ثم أخرى. كانت تعشق الأطفال بوضوح -كم هو غير عادل أن ليس لديها أطفال لتحبهم- قررت في ذلك الحين أن أجعل لوسي أمًّا ثانية لابني. إذا لم يكن القدر قد منحها طفلًا لتحبه، فسأفعل ذلك. فقد رأيت أنها امرأة مليئة بالحب، امرأة كانت ستصبح أمًّا مثالية رائعة. تخيّلها جزءًا من حياة ابني أعطاني شعورًا فجائيًّا بالارتياح.

صفقت بيدي لجمع الفتيات وبدء درس الرسم الخاص بنا: "يا فتيات، انتباه، من فضلكن". علقت دفتر الرسم، وقمت بتقديم عدة حركات بقلم الرصاص: سميكة، رفيعة، ضغط قوي، ضغط خفيف والتظليل، ثم أشرت إلى طائر يقفز على الأرض، واستعدادًا لرسم الطائر، سألت عن الأشكال المكونة لظله.

قالت فيكتوريا: "إنه يشبه الكرة الأرضية، يبدو أنه يمكنه أن يتدحرج إلى الأسفل دون أي مشكلة".

سخرت روفينا قائلة: "تمامًا مثل السيدة ثورستون".

هذا القول أثار نوبة من الضحكات.

وجهت لهن تعليمات لرسم طائر الروبن وأن يتضمن المشهد المحيط بالطائر. بمجرد إعطائهن المهمة، انحنت تسعة رؤوس فوق دفاتر الرسم وبدأن في العمل بجد. وأثناء تنقلي من طالبة إلى طالبة، قدمت اقتراحات وتصحيحات.

جعلني انشغالي بالتدريس أنتفض عندما وضع بروس دوغلاس يده على كتفي واقترب ليقول: "سيداتي، هل يمكنني أن أقاطعكن؟ أحتاج للحديث مع معلمتكن".

رفعت لوسي حاجبيها إليّ بمجرد أن جلست بجانبها على المقعد: "كيف تسير الأمور مع الفتيات؟".

"هن ممتنات جدًّا لوجودي ما يجعلني أشعر بالحيرة والارتباك لأنني أقوم بتنفيذ هذا الدور. وللأسف، لم أعرف شيئًا قيمًا. هذه قائمة بأسماء جميع المدرسين، والتي حصلت عليها من جدول الحصص الذي أعطتني إياه الآنسة ميلر".

"سأجمع رجالًا للتحقيق في هؤلاء النساء في أقرب وقت ممكن. ربما نتمكن من اكتشاف شيء مفقود بحثنا عنه. أي معلومة صغيرة ستكون مفيدة". وضع السيد دوغلاس القائمة في جيبه.

"بخلاف ذلك، ما رأيته وسمعته يزيد من ارتباكي! الأهم من ذلك، كانت سيلينا تخرج سرًّا. كان لديها حبيب، أو هكذا

قالت إحدى الفتيات لي. أطلقوا عليه اسم (صديقها الخاص)".

حك السيد دوغلاس ذقنه قائلًا: "هذا يحتاج إلى مزيد من البحث".

"هل أعطيت اسمًا؟".

"لا شيء مناسبًا. مجرد لقب".

"هذا لن يكون ذا فائدة كبيرة لنا. حاولي أن تعرفي أكثر، من فضلك".

"سأفعل ذلك. يبدو أن سيلينا كانت المفضلة للسيدة ثورستون، ومع ذلك كانت الفتاة قاسية تجاه الجميع. هذا ليس منطقيًّا".

قال السيد دوغلاس: "أنا آسف، ولكن أخشى أنني سأزيد من حالة الارتباك لديكم. كما قلت لكم من قبل، أعرف ماركوس بايبر، الطبيب الشرعي، منذ سنوات عديدة، وغالبًا ما يتشاور معي عندما يشعر بالحيرة إزاء ما يجد. ومع ذلك، للمرة الأولى في صداقتنا الطويلة، رفض التحدث إليّ".

قالت لوسي: "تعني أنه رفض مناقشة وفاة سيلينا بيلتمور معك؟".

هز السيد دوغلاس رأسه قائلًا: "لا يا أختي، رفض التحدث إليّ على الإطلاق. وصلت إلى مكتبه، وأخبرني ذلك مساعده،

t.me/yasmeenbook

ثم هرب بايبر من الباب الخلفي. ولحسن الحظ، من خلال إعطاء بعض النقود لمساعده الثاني، لا يزال بإمكاني تتبع قضيتنا. أعرف الآن كيف تم قتل الفتاة".

قلت: "كنت حاضرة عندما فحص السيد ويفرلي النسيج، ولاحظ وجود بقعة من الدم على غطاء الوسادة، أفترض أنها استخدمت سلاحًا؟".

"نعم. وجدوا ريشة داخل فم الفتاة. كما كان لديها عظمة مكسورة صغيرة هنا"، ثم لمس حنجرته.

قلت: "ماذا يعني ذلك؟".

"تم وضع ضغط على وجهها. لا بد أن يكون القاتل شخصًا قويًّا بما فيه الكفاية لإخضاع الفتاة. إصابات جثة سيلينا بيلتمور نجمت عن كفاحها للبقاء على قيد الحياة. قد يكون القاتل مصابًا بكدمة أو خدش نتيجة لهذا الاشتباك".

كنت جالسة للأمام، وأنا أراقب الفتيات وهن يرسمن الطيور الجميلة. الآن، صعقني كلام السيد دوغلاس بشدة، ورجعت إلى الوراء على مقعد الحديقة. دفتر الرسم مفتوح أمامي، وبدأت أرسم المهمة نفسها التي أعطيتها للفتيات. حركة القلم على الورق ساعدتني على الهدوء.

سألتني لوسي: "هل عرفت شيئًا آخر؟ هل لاحظت أي شيء يمكن أن يشير إلى قاتل مشتبه به؟ على الرغم من أنه من

المثير للاهتمام أن سيلينا كانت تتسلل خارج المدرسة، هل ما زلنا نعتقد أنها قد قتلت من قبل شخص داخل المدرسة؟".

فكرت في ذلك. "أجد صعوبة في تصديق أن شخصًا ما دخل المبنى من الشارع، صعد إلى غرفة النوم في الطابق العلوي، وغادر دون أن يثير انتباه أي شخص".

قال السيد دوغلاس: "أنا أتفق معك، قد يكون الأمر سهلًا إذا تم تخدير الفتيات، ولكن الأمر مختلف تمامًا إذا تم تخدير الخدم".

"زارنا السيد ويفرلي مرة أخرى اليوم -للمرة الثالثة في يومين!- وقضى أكثر من ساعة يستجوب الآنسة ميلر. كما تحدث أيضًا إلى السيدة ثورستون، لكن لفترة وجيزة".

هز السيد دوغلاس رأسه وقال: "ويفرلي يولي اهتمامًا زائدًا لصديقتك الآنسة ميلر. لو كانت هي القاتلة، فلماذا ستشركك في الأمر؟ وجودك يعقد الموقف فقط".

قررت ألا أشارك الاتهام الذي وجهته الآنسة جونز بأن نان ميلر تورطت في وقت ما في وفاة طالبة أخرى. حتى أتحدث إلى الآنسة ميلر مباشرة وأؤكد هذه الشائعات، لا يوجد سبب لإلقاء الشبهات.

أضفت طائرًا ثانيًا إلى الطائر الأول في رسمتي.

t.me/yasmeenbook

قال السيد دوغلاس: "وهناك سؤال آخر يراودني، هذا لا يتوافق مع ملف الحالات التي يتم تكليف ويفرلي بها عادة".

سألته أخته: "ماذا تقصد؟".

قال السيد دوغلاس: "حتى أعرف لماذا يحقق أحد رجال منظمة بو ستريت في وفاة طالبة مدرسة، هناك فجوة كبيرة في معلوماتنا. هذا الجهل يجعل من الصعب تقريبًا تحديد هوية القاتل، ماذا رأيت أو سمعت بالإضافة إلى ذلك؟".

"ليس كثيرًا. لا شيء يبدو مهمًّا. لقد حاولت أن أكون متنبهة جدًّا لكل التفاصيل، لكنني لا أعرف ما يجب أن أبحث عنه!". بهذا، قبضت على قلمي بشكل أكثر من اللازم بسبب الإحباط وانكسر جزء من الرصاص.

اقترب السيد دوغلاس، وهو يشبك يده ذات القفاز باليد الأخرى، ويستند بمرفقيه إلى ركبتيه. "هل تعرفين مفهوم التفكير العقلاني؟ إنه يشير إلى أننا نبحث عن تناقضات في الكلام والسلوك. الأكاذيب والمصادفات. والأهم من ذلك، انتبهي إلى الانحراف أو الشيء غير الطبيعي الذي قد يشير إلى الجاني. وفكري في من يرغب في قتل هذه الفتاة ولماذا. كما عليكِ أن تأخذي في الحسبان التوقيت. لماذا كان من المهم أن يتم قتلها الآن؟".

"أنت تطلب مني حل لغز ومعظم قطع اللغز مفقودة".

t.me/yasmeenbook

ابتسم السيد دوغلاس وقال: "مرحبًا بك في عالم العمل كمحقق. نادرًا ما يعرف المرء حتى ما هي القطعة المفقودة. أو كيف سنعرف إيجادها؛ لذا، نراقب ونسأل ونبحث عن التناقضات، ونحاول تجميع نسيج من قطع القماش والخيوط".

قامت لوسي بتربيتة خفيفة على كتفه: "ألا يمكنك مشاركة أي شيء مفيد يا أخي العزيز؟ أي خدع تعلمتها؟".

"فقط هذا... في معظم الجرائم، نرى ثلاثة متغيرات، ثلاثة ظروف يجب تحقيقها. الفرصة والدافع والطريقة. فكري في ذلك وستفهمين بسرعة لماذا هذه الأمور ذات أهمية".

سألت لوسي: "هل من الممكن أن القاتل خنق الفتاة الخطأ؟ ما مدى قرب سرير أديل من سرير سيلينا؟، لم أذهب أبدًا إلى غرف النوم".

"الأسرة متجاورة تمامًا. نعم، ربما القاتل أخطأ الفتاة. ربما كانت أديل الضحية المقصودة من البداية. في الواقع، قد يكون لدي دليل على ذلك". توجهت إلى جيبي وأخرجت مجموعة التهديدات الجديدة التي أعطتها لي صديقتي الصغيرة. أعطيته أيضًا الورقة الأصلية لكي نقارن بين الخطوط الكتابية.

قال السيد دوغلاس: "يبدو لي أن هذا متطابق، ولكنني لست خبيرًا تمامًا".

"كل هذه التهديدات تجعلني أتساءل عما إذا كان يجب أن آخذ أديل وأغادر؟ ولكنني أقلق على بقية الفتيات!".

قالت لوسي بعد قراءتها للرسائل: "تلك الرسائل مشينة للغاية".

عبس وجه السيد دوغلاس ونظر في اتجاه الفتيات. "أتساءل عما إذا كانت أديل هي الوحيدة التي تعرضت للتهديد. ربما تتمكنين من معرفة ذلك".

بينما كنا نتحدث، تحرّكت أصابعي بلا هوادة تعبيرًا عن انفعالاتي، واستكملت رسم الطيرين اللذين كنت أرسمهما. لقد لاحظ السيد دوغلاس رسمي.

"سيدة روتشيستر، أنت موهوبة للغاية. أتساءل هل لديك القدرة على رسم صورة شخص؟ إذا كان الأمر كذلك، فهل يمكنك رسم المُعتدي الذي كان في النزل؟ لم أنس موضوع سرقة مجوهراتك. إذا قدّمت لجليب رسمة، ربما يحفز ذلك العمل. تمت إضافة الأغراض المفقودة إلى قائمة المتعلقات المسروقة التي يحتفظ بها رجال بو ستريت".

شكرته وأكدت له أنني سأقوم برسم اللص الذين هاجمني هذه الليلة وأحضر الرسمة غدًا. كنت سعيدة لأنه أشار إلى مشكلة المجوهرات. المجوهرات كانت ثانوية بالنسبة لمشكلة المدرسة، لكنني كنت سعيدة بأنه تذكّر محنتي.

ثم شاركت ما عرفته عن سيلينا من طالباتي. "كان الجميع لا يحببنها. يبدو أنها كانت قاسية جدًّا وكانت تسعى بوضوح لإلحاق الأذى بالفتيات الأصغر سنًّا... والأدهى من ذلك،

أخذت منهن الأشياء التي يحببنها". أخبرتهما عن الدرج الممتلئ بالأشياء المسروقة. "على كل حال، يبدو أن سيلينا تعرف بالضبط ما تحبه كل فتاة، تعلم بالضبط أي شيء صغير يجعل تلك الفتاة بعينها تشعر بالحب".

ذكرت أن فيكتوريا تحمل آثار عضات سيلينا على معصمها، فهمست لوسي: "يا لها من طفلة بغيضة!".

تنهد السيد دوغلاس قائلًا: "غير محبوبة بشكل عام؟ هذا يجعل من الصعب تحديد القاتل"، ثم ابتسم ابتسامة لطيفة عندما قامت روز بالوقوف لتهز قطعة من العشب من التنورة. بالرغم من أن جميع الفتيات يرتدين الزي المدرسي نفسه، تمكنت روز من الظهور وكأن الزي تمت خياطته من قبل مصمم في باريس. كان شعرها يلمع ببريق ونعومة تفتقدهما الأخريات. كان هناك توهج فيها، جمال طبيعي. تساءلت ماذا ستكون حياتها لاحقًا. هل سيكون هذا الجمال نعمة أم نقمة؟

"يبدو أن سيلينا قامت بازدراء قاسٍ للأخريات. عندما سألت إيما، الخادمة، عن سيلينا، شحب وجه الفتاة المسكينة ورجفت خوفًا".

كانت روفينا تحث نيتي وأديل ومعظم الفتيات الصغيرات أمامنا على لعب "الغميضة" باستخدام منديل نيتي كعصابة على العينين. كان يجب أن أطلب منهن أن يجلسن وينهين دروسهن، ولكنني استمتعت بمشاهدتهن يلهون، وكانت هذه

t.me/yasmeenbook

مشاهدة ممتعة تشتتنا عن مناقشتنا المظلمة. الهواء النقي له تأثير صحي على الصغار والكبار على حد سواء. رائحة البلوط العطرة تعطر الهواء، فضلًا عن الرائحة الغنية والداكنة لأوراق العشب المتحللة.

ربما عن طريق السماح للفتيات بالجري واللعب الآن، سيتمكنّ من النوم بشكل أكثر هدوءًا الليلة، غير مثقلات بالخوف من عودة سيلينا لتطاردهن.

قال السيد دوغلاس: "الخلاصة، لدينا وفاة فتاة غير محبوبة كونت الكثير من الأعداء. لدينا أفضل محققي بو ستريت يحقق في القضية. هناك شخص ما نصح الطبيب الشرعي بالاحتفاظ بالمعلومات لنفسه. نعلم أن الوسادة تم استخدامها كسلاح. لا نعلم ما إذا كان القاتل هاجم الشخص الصحيح، أم إذا كان القاتل قد يعود مرة أخرى. شخص ما كان على الأقل يهدد أديل على ما يبدو".

قلت: "هناك المزيد". وأخبرتهما عن العلامات التي على ظهر نيتي وعدم معرفة أديل عن الضرب. "بالطبع، تلك الندوب تحسنت مع مرور الوقت، وربما لا يكون الضرب له علاقة بوفاة سيلينا".

قالت لوسي: "لكن يمكن أن يكون كذلك، بالتأكيد يمكن".

فجأة، أدركت الوقت. "يا فتيات، قلن وداعًا للسيدة بريتون والسيد دوغلاس. يجب أن نعود إلى المدرسة".

t.me/yasmeenbook

عاد الخجل إلى الجميع، باستثناء أديل. لفت ذراعيها حول لوسي أولًا ثم حول السيد دوغلاس. أثنت عليهما بالفرنسية، وقالت إنها تحبهما، وتتمنى أن تراهما مرة أخرى قريبًا.

انتابتني لمحة من القلق. كيف سأفسر ذلك عندما نراهما هنا مرة أخرى غدًا؟

كما لو أنها تقرأ أفكاري، جاءت لوسي للإنقاذ: "سأكون أنا والسيد دوغلاس هنا كل يوم بعد الظهيرة هذا الأسبوع. يحتاج راغز لتمارينه في الهواء الطلق؛ لذا نأمل أن نراكن مرة أخرى غدًا".

"هذا رائع". اقتربت منها وعانقتها، ووضعت في يدها خطابي لإدوارد.

ابتسمت لي وقالت: "آه، الارتجال. إنها مهارة أساسية، أليس كذلك؟ للأسف، لا يعلمونها في مدارس البنات"، ثم التفتت إلى أديل وقالت بالفرنسية: "إلى اللقاء يا صغيرتي".

قال السيد دوغلاس لي بالهندوستانية: "ثقي بغرائزك، ينتظر رجلي إشارتك للمساعدة".

"فهمت".

مع نباح راغز وسرعته لمواكبتنا، توجهت لوسي وأخوها إلى المنزل.

t.me/yasmeenbook

بدأت أنا والفتيات بالعودة إلى المدرسة، لكننا لم نذهب بعيدًا عندما ألهمني حدسي بالتوقف والنظر خلفي. كانت لوسي والسيد دوغلاس على تلة عشبية، يراقبانني أنا والفتيات ونحن نذهب في طريقنا إلى مدرسة ألدرتون. أختي أومأت لي، إيماءة خفية تعبر عن الكثير. حتى من هذه المسافة، يمكنني قراءة المودة في عينيها.

انتابني شعور بالحماس. أيًّا كان ما سيحدث في هذه المغامرة، لست وحيدة. لدي صديق حقيقي، ذو موارد هائلة... بما في ذلك أخ متعقل وحكيم.

أمسكت نيتي وأديل في يدي: "تعالا، يا فتاتيَّ".

لديَّ قاتل يجب أن أمسكه.

t.me/yasmeenbook

الفصل ٣٢

دخلنا من الباب الأمامي وكادت السيدة ثورستون، بقامتها القصيرة، أن تصطدم بي، كانت تبدو كتمثال مقزز في وسط القاعة الأنيقة.

تحدثت بغضب: "آنسة إير؟ أين كنتِ؟ وماذا كنتِ تفعلين مع طالباتي؟".

"كنا نؤدي درس الرسم الخاص بنا في الهواء الطلق، وهذا...".

قاطعتني المشرفة بفرقعة من أصابعها قائلة: "فارينز" بإشارة غاضبة إلى أديل. "تعالي معي. السيد ويفرلي هنا، ولديه بعض الأسئلة لكِ".

انكمشت أديل ورائي، أصابعها تتشبث بي بشدة تؤلمني.

سألتُ وأنا ألتفت وأضع ذراعي حول كتف أديل بطريقة حماية: "هل هناك خطب ما يا سيدة ثورستون؟".

t.me/yasmeenbook

"خطب ما؟ فتاة ماتت! تحت سقف مدرستي. وأديل وجدت الجثة! المحقق من بو ستريت هنا للتحقيق. هذا هو ما يحدث، فسلمي لي أديل!".

بسبب رعبها من وجه المرأة المروع وصوتها العالي، بدأت أديل تتكلم بلغة فرنسية بسرعة. قاطعتها ورددت عليها بلغتها الأم، مذكرة إياها بالتحدث بالفرنسية وعدم التحدث بالإنجليزية مع أي شخص حتى آمرها بذلك. لاحظت الفتيات سلوك السيدة ثورستون الشرس. تجمعن معًا وابتعدن تقريبًا ككائن واحد، في محاولة للانسلال.

أعطيتهن تعليمات: "سيداتي، علقن معاطفكن. انتظرنني في الفصل الأول في الطابق العلوي. أكملن رسومكن. ساعدن بعضكن بعضًا إن لزم الأمر. روفينا، كوني المسؤولة، من فضلك".

قد تكون السيدة ثورستون هي الرئيسة الرسمية لهذه المؤسسة، ولكن تصرفاتها المبالغ فيها تظهر ضعف قيادتها. لم يكن يهمني أنني تجاوزتها. في الواقع، اجتاحني شعور بالسرور داخليًّا. استجابت الفتيات على الفور لطلبي، متحركات بنشاط وهدف.

لم يدم انتصاري طويلًا، حيث صاحت السيدة ثورستون من خلفنا: "فارينز؟ تحدثي الإنجليزية!".

t.me/yasmeenbook

انحنيت وهمست في أذن أديل باللغة الفرنسية: "لا تفعلي ذلك. على الإطلاق لا تفعلي ذلك. إذا كنت تحبينني يا أديل، فستفعلين كما أقول".

تلعثمت الفتاة بالفرنسية قائلة: "حسنًا سيدتي".

نظرتُ ببرودة إلى السيدة ثورستون قائلة: "لقد أرعبتها إلى حد الجنون، إنها مرعوبة وغير قادرة على استخدام لغتها الثانية. إذا أصر السيد ويفرلي على لقائها بأي حال، فأنا قادرة على الترجمة".

قالت السيدة ثورستون: "إذًا، تصرين على وضع نفسك في هذا؟ أنت فقط ترغبين في التدخل؟ إنها تتكلم بسرعة تجعلني غير قادرة على متابعتها، لذا اذهبي. خذي الفتاة إلى مكتبي. اذهبي، اختفي من أمامي".

أديل كانت تتشبث بي بقوة حتى أنني تعثرت في قدميها. استطاعت أن تقول: "أنا خائفة، هل يعتزم إرسالي إلى المقصلة؟ إنه المكان الذي ينتمي إليه جميع الفلاحين الفرنسيين. هل أنا من الفلاحين؟".

عانقت كتفيها النحيلين وقلت: "بالطبع لا، يا صغيرتي".

طرقت على باب المكتب فرحب السيد ويفرلي بدخولنا. رفع حاجبه عندما رأى مظهري. "المعلمة الجديدة، أليس كذلك؟ عينك تبدو أفضل الآن. اتركيني مع الفتاة". كان صوته

خشنًا. بعد أن رفع نظارته حتى وضعها على جبينه، وضع أصابعه في جيوب سترته وتمايل على كعبيه. هذا الوقوف غير العادي أعطاه بعض الثقة.

لم أكن مرتابة منه. "سيدي؟ إنها فرنسية. لغتها الإنجليزية غير جيدة. اقترحت السيدة ثورستون أن أتطوع للترجمة لك". خفضت عيني وأنا أنظر بأدب إلى السجادة وأخذت أحبس أنفاسي وأنا أخبره بهذه الكذبة الصغيرة.

"للترجمة؟ إنها لا تجيد الإنجليزية؟".

"لا، سيدي. ليس بشكل جيد".

على الفور، بدأت أديل تثرثر كالسنجاب باللغة الفرنسية. قالت لي إنها خائفة، وإنها تريد العودة إلى المنزل، وسألت لماذا أنفه منحنٍ، وأخيرًا قلت لها بالفرنسية: "أغلقي فمك يا عزيزتي".

فعلت كما أمرت وأغلقت فمها. ومع ذلك، فإنها كانت قد أدت الغرض. ويفرلي أدار ظهره للموقد وحدق بنا قائلًا: "حسنًا إذًا. اجلسا، كلتاكما" ثم سأل: "آنسة فارينز، هل صحيح أنك وسيلينا تشاجرتما في اليوم الذي سبق وفاتها؟".

قالت لي أديل بالفرنسية: "أخذت شريطي. الشريط الذي أعطاني إياه صديقي عندما أرسلني إلى هنا. لم ترده لي. طلبته منها مرارًا وتكرارًا. كنت غاضبة جدًّا". وهنا قامت بدعس قدمي. "أخبرتها أنها شريرة وقاسية وأني أكرهها".

t.me/yasmeenbook

قمت بترجمة ذلك: "أديل تشعر بالاستياء من حقيقة أنك تستجوب علاقتها بالآنسة بيلتمور. كانتا صديقتين عزيزتين. نعم، استعارت الآنسة بيلتمور شريطًا لأديل، ولكن هذا كل شيء. الفتيات يتشاركن غالبًا الأشياء الشخصية".

قام السيد ويفرلي بمسح ذقنه وتأمل ذلك. وبعد أن أخذ نظارته لينظفها، قال: "حقًّا؟ هل صحيح أن الآنسة بيلتمور رفضت أن تستيقظ في الصباح؟ وأن الآنسة فارينز كانت مسؤولة عن إيقاظ الآنسة بيلتمور من الفراش؟".

قمت بترجمة أسئلته.

قالت أديل: "هذه بقرة كسول وعديمة الفائدة، كانت سيلينا تتسلل خارجًا في الليل. كانت تتسلق الشجرة. لا أحد يعلم مع من كانت تلتقي، ثم تكون مرهقة للغاية على أن تستيقظ صباحًا. كانت كلتانا ستتأخر، ولكن سيتم عقابي أنا فقط. كان ذلك يثير غضبي جدًّا".

"كانت الآنسة بيلتمور مسؤولة أيضًا عن إيقاظ أديل من الفراش. أديل تكره الاستيقاظ في الصباح".

"حقًّا؟". أمال رأسه وعدل نظاراته. "هل يمكنك أن تسألي الآنسة فارينز إذا كانت قد خنقت الآنسة بيلتمور بوسادة؟".

فتحت فمي. لا يمكن أن يشتبه في أديل! لكنها فهمته.

أديل ضربت قدمها بقوة حتى ارتفعت كل الأشياء على الرف ورقصت. بدأت تقول أشياء باللغة الفرنسية لم أستطع ولن أترجمها. أنا واثقة أنها تعلمتها من والدتها. لا شيء منها لائق.

بغض النظر عن مدى انفعالها، فإنها لن تؤذي أي كائن حي آخر. ستبكي لساعات عندما نصادف أرنبًا رضيعًا ميتًا في الغابة أو طائرًا صغيرًا سقط من عشه. بالتأكيد يمكن لأي شخص أن يرى مدى صدقها وبراءتها.

صاحت أديل: "كلا! كلا!". وعندما انخفض صوتها، قالت إنها كانت تود أن تخنق سيلينا عدة مرات. نعم، كانت تود ذلك، ولكنها لم تفعل ذلك فعلًا. إذا فعلت ذلك، فسترتكب خطيئة جسيمة، ومن ثم، فلن تذهب إلى الجنة أبدًا؛ لذلك، بالطبع، لم تقتل تلك البقرة الغبية. كيف يمكنه أن يتهمها بظلم؟ بسرعة عاصفة صيفية، انهارت في بحور من الدموع.

سأل السيد ويفرلي مباشرة بلغة فرنسية مثالية: "لكنك أردت قتلها. هل أنت واثقة من أنك لم تفعلي ذلك؟".

قبل أن أتدخل، قالت أديل: "لكن لا! أنا لست فتاة سيئة. لن أفعل ذلك أبدًا". أديل نظرت إليه واتجهت إليه وتكلمت بطريقة لا تسمح بأي أسئلة.

"أبدًا. هل تفهمني؟".

قال ويفرلي: "بشكل مثالي".

t.me/yasmeenbook

أشرت إليه بإصبعي قائلة: "أنت! أنت تتحدث الفرنسية؟!".

رد علي: "وأنت يا آنسة، أنت متسللة وكاذبة!".

"كيف تجرؤ؟ بالطبع، سأحمي هذه الطفلة منك. هل هكذا يعمل رجال بو ستريت؟ يستخدمون قوتهم ويخيفون الفتيات الصغيرات؟ يجب أن تكون فخورًا بنفسك هكذا!".

انفجر بالضحك، "أقول، بالنسبة لطائر منزلي صغير، أنتِ تهاجمين مثل صقر مدرب. اذهبي، آنسة فارينز. أحتاج للحديث مع (مترجمتك)".

تجمد جسمي من الغضب. انحنيت، عانقت أديل، شممت رائحة الشمس على شعرها، وقبلتها. "اذهبي إلى الفصل مع صديقاتك، حبيبتي. أنتِ على ما يرام. لقد قمتِ بأداء جيد جدًّا".

ألقت نظرة عتابية على السيد ويفرلي من فوق كتفها.

همهمتْ وخرجت من الغرفة وهي تسير بخطوات ثقيلة.

"أتحدى أنها تفسد الكثير من الأحذية الجلدية". راقبها ويفرلي وهي تغادر. "كل تلك الخطوات تؤدي إلى تآكل النعل".

عندما التفتُّ لأرى ما إذا كان جادًّا، حرك كتفيه. "والدي كان صانع أحذية. اجلسي يا آنسة إير. نحن بحاجة للتحدث".

t.me/yasmeenbook

تراجعت للخلف واصطدمت بكرسي محمل بأوراق. جمعتها بسرعة وجلست بلا تكلف.

قال وهو يملأ أنبوب الغليون بالتبغ ورفع قدميه على طاولة الشاي الخاصة بالسيدة ثورستون. "أقول، كنت مخدوعًا تمامًا بك، يجب أن أعترف أنني اعتبرتك فتاةً عادية، ولكنك خدعتني. أنت تدركين أن لدي مهمة جادة، أليس كذلك؟ تدخلك لن يسهل الأمور. ولن أعثر على القاتل بشكل أسرع إذا قمت بالتلاعب بشهودي. حتى ذلك الحين، أنتِ وهي على حد سواء في خطر".

انحسر غضبي وخلّف مكانه انزعاجًا. كما أن رؤية الوضع من وجهة نظره ردعتني. "أنا مدينة لك بالاعتذار، سيدي. كنت أريد فقط حمايتها".

أومأ هو. "هكذا سمعت. أفهم رغبتك في حمايتها. ومع ذلك، قد تكونين حميتها ولكنك وضعت الفتيات الأخريات في خطر".

"أنت تثق بها، أليس كذلك؟ أديل لديها أرق قلب. إنها طيبة ومحبوبة بشكل لا يصدق".

"إنها تمتلك أيضًا غضبًا قويًّا. الآنسة فارينز لديها العديد من الأسباب لرغبتها في رؤية الآنسة بيلتمور ميتة. على الأقل، هذا ما قيل لي، وما يجب عليّ استكشافه".

t.me/yasmeenbook

إنه يشتبه بها! حقًّا يشتبه بها! انقبض قلبي بشكل غريب في صدري. بشكل لا إرادي، ضغطت يدي على فمي. إدوارد كان يثق بي. لا يمكنني أن أخذله هو أو أديل. "لديها غضب فتاة في المدرسة. بالإضافة إلى دمها الفرنسي العاطفي. تعطي رد فعل مفاجئًا. تشتعل وتنطفئ بسرعة. لم أرها تفرغ غضبها على الآخرين. قد تهاجم وتعبث، لكنها لن ترفع يدها بغضب. وعلاوة على ذلك، تشعر بندم حقيقي عندما تتكلم خارج دورها أو عندما تؤذي مشاعر الآخرين، فهي طفلة ذات قلب حساس". أنهيت حديثي بنداء. "هل تبدو كأنها قاتلة بالنسبة لك؟".

"على الإطلاق، لكن تدخلك قد يكون قد كلفني القاتل".

وأشار بجذع الغليون نحوي بشكل اتهامي. وكانت كتلة التبغ تظهر حمراء في الكوب الأسود.

"ماذا تعني؟".

"لو لم تتدخلي، كان من الممكن أن تكون الآنسة فارينز قد أخبرتني بشيء مفيد. شيء يقودني إلى القاتل. الآن ليس لدي شيء. على الأقل منها".

من الممكن الانغماس في الذنب ومع ذلك الشعور بالفضيلة. حماية أديل كانت أولويتي. حل جريمة القتل كانت أولويته. كلانا يرغب في حماية الفتيات في هذه المدرسة. هدفنا مشترك؛ ولكن أساليبنا مختلفة. قال السيد دوغلاس إن

t.me/yasmeenbook

ويفرلي هو الأفضل بين رجال المنظمة، وإنه أكثرهم خبرة. في حين أنني كنت هاوية، وهو يعرف ما يفعله.

"بالتأكيد لديك شيء ما؟ فكرة عن المشتبه به؟". لم أستطع أن أصدق أنه لا يمتلك شيئًا، وأعرف أنه ماكر.

رفع الغليون إلى فمه وأخذ نفسًا عميقًا، ثم أغلق عينيه وهو يهز رأسه. "لا يوجد لدي شيء. ليس هناك علامات على اقتحام. ولا دافع. ليس لدي شخص مشتبه به بعينه. فقط طريقة. وفتاة ميتة. وربما مجتمع مدرسي بأكمله في خطر".

"لا تشتبه في الفتيات، أليس كذلك؟".

فتح عينًا ونظر إليّ بتأنٍ. "أشتبه في الجميع. هذه طبيعة عملي. لا أتهم أحدًا. أحافظ على عقل يقظ وأراقب. أنظر إلى الأدلة وأحاول تكوين قصة معقولة منها. أطرح الأسئلة وأستمع بعناية. في بعض الأحيان، يشير الاختلاف إلى اتجاه معين. عندما يخفف القاتل من حراسته، أضاعف جهودي. بفضل الله، أنجح في ذلك".

"ما الذي كنت تأمل في معرفته من أديل؟".

أغلق عينيه مرة أخرى ووضع أصابعه على شكل هرم فوق صدره، وكان يستلقي في الكرسي، ويبدو كرجل مسترخ. ومع ذلك، تخيلت أنني أستطيع رؤية تحركات عقله، واختبار السرعة، والتحرك مرة أخرى. طوال ذلك الوقت، كان يمضغ التبغ ويتحرك به من أحد جانبي فمه إلى الآخر.

"هذا شأني وليس شأنك".

تنهدت وانتظرت حتى يطلب مني المغادرة. ترك الصمت يطول بيننا قبل أن يتحدث.

"أحتاج إلى معرفة أي نوع من الفتيات كانت الآنسة بيلتمور. أحتاج إلى معرفة نوع العواطف التي أثارتها. هدفي كان القضاء على أديلا فارينز كمشتبه بها. أترين؟ كان لدى الآنسة فارينز دافع وفرصة ووسيلة، ولكن العثور على ربطة شعرها تحت الوسادة يبدو أمرًا مرتبًا للغاية. إذا كانت الآنسة فارينز ترغب في ربطة شعرها بشدة بما فيه الكفاية للقتل من أجلها، فلماذا تركتها وراءها؟ أترين الحيرة التي أواجهها؟ كل العلامات تشير إلى أنه يجب أن أشتبه في صديقتك الصغيرة".

"ومع ذلك، كما أوضحت ببراعة، كانت ترغب في تلك الربطة. كان لها معنًى بالنسبة لها؛ لذا أكرر، لماذا قتلت الآنسة بيلتمور ونسيت أخذ الربطة؟".

أومأتُ ببطء. "السيناريو غير مكتمل كما هو. لا يمكنني التوصل إلا إلى استنتاج واحد فقط: القاتل أراد أن يجعل أديل تبدو مذنبة، وبذلك ارتكب خطأ".

ارتفع دخان خفيف من الغليون وكان يحمل رائحة الكرز. "نعم".

"كان القاتل يعرف عن الفتاة والربطة".

t.me/yasmeenbook

"نعم".

"إذًا، القاتل هو شخص من مجتمع المدرسة".

"على الأرجح".

فتح عينيه. "أنت ذكية جدًّا بالنسبة لكونك امرأة. إلمامك بالحقائق والاستدلالات التي يمكن استنتاجها مثير للإعجاب. للأسف، الكثير من رجال الشرطة الذين أعمل معهم ليسوا بذلك الذكاء. لم أكن صادقًا تمامًا معك سابقًا. لدي شكوكي". وأشار نحوي، عيناه كانتا رماديتين، خاليتين من الحيوية، مليئتين بالندم والحزن. جعلتاني أفكر في لون حجر القبر بعد أن يبلله المطر.

"أخبريني، ما مدى معرفتك بـ نان ميلر يا آنسة إير؟ أو يجب أن أناديكِ سيدة روتشيستر؟".

t.me/yasmeenbook

الفصل ٣٣

توقفت للحظة ثم استطعت أن أقول: "كيف عرفت لقبي بعد الزواج؟".

دخن السيد ويفرلي غليونه. "مهمتي هي أن أعرف مع من أتعامل. لن أكون مؤثرًا إذا لم يكن لدي ذاكرة حادة للوجوه والأسماء والأوصاف. كل يوم، أقرأ التقارير الواردة، بالإضافة إلى Gazette Hue and Cry and Police، ذكرتِ أنك أبلغتِ عن سرقتكِ إلى الحارس جليب، وتذكرتُ تقريرًا لحارس يذكر امرأة تدعى السيدة روتشيستر. لاحظت أنها حصلت على كدمة في عينها في نزاع مع لص في نزل. يبدو أن احتمال وقوع حادثين من هذا القبيل يتضمنان امرأتين مصابتين بالإصابة نفسها، في الأسبوع نفسه، غير محتمل. للتوضيح يا سيدتي، تسلم معظم السيدات حقائبهن باستسلام. قليلات هن اللاتي يجرؤن على مقاومة اللص؛ لذا استنتجت أنكِ السيدة روتشيستر من جراء إصابتكِ... وشيء آخر... اسم 'جين إير' كان مكتوبًا بالقلم وظهر في نهاية قائمة مدرسي السيدة ثورستون؛ لذلك،

t.me/yasmeenbook

استطعت استنتاج أنكِ إضافة جديدة، وهذا يتوافق مع أنكِ مسافرة تعرضت للسرقة".

كان منطقه لا تشوبه شائبة واستمتعت بسماعه وهو يشرح كيف يقوم بالاستدلال من حقيقة إلى أخرى. كان أسلوب التفكير سهلًا وأنيقًا في الوقت نفسه.

دخان خفيف سبق السؤال التالي: "ما الذي حفزكِ على استخدام البريد السريع للوصول إلى هنا؟ فهو أكثر تكلفة من الحافلة الاعتيادية ويوفر راحة أقل. أتوقع أن هناك شيئًا ألهمكِ القدوم إلى لندن بسرعة. هل أنا على حق؟".

"أديل هي وصية زوجي السيد روتشيستر. عندما وصلت رسالتها الأخيرة، أصبح واضحًا أنها غير سعيدة هنا".

"لماذا لم يتحقق زوجك من الفتاة بنفسه؟".

"نصحه طبيبه بعدم السفر".

"لذا أرسلكِ؟ فتاة بمفردها؟".

"السيدة بريتون شجعتني على الزيارة. زوجي يخطط للانضمام إليّ لاحقًا".

"أنا أعرف شقيقها السيد دوغلاس. بطل عسكري حقيقي. أخبريني مجددًا، كيف تعرفين الآنسة ميلر؟".

أخبرتُ السيد ويفرلي عن لوود وكيف صارت الآنسة ميلر رئيستي وأصبحت فيما بعد زميلتي. "بعد أن غادرتُ لوود،

t.me/yasmeenbook

راسلنا بعضنا بعضًا مرة أو مرتين، وأنا نادمة على أننا فقدنا الاتصال بيننا. لقاؤنا هنا كان مصادفة. عندما وصلت لأجد المدرسة في حالة من الفوضى بسبب وفاة سيلينا بيلتمور، فكرت في البداية أن أقوم بإبعاد أديل على الفور، لكن الآنسة ميلر أقنعتني بأنني يمكنني فعل المزيد من الخير هنا. قالت إنك كنت قد حثثتهم بشدة على إضافة مرافقة في غرفة نوم الفتيات الكبيرات، لذا دعتني لتعويض منصب مدرسة الألمانية المفقودة، وكما تعلم، فإن الفرصة كانت مناسبة لي. إنها لفترة قصيرة فقط. اعتقدتُ أنها ستتيح لي فرصة مراقبة العمل الداخلي لهذه المدرسة والتحقق مما إذا كانت مناسبة لأديل. ستعمل الخدعة فقط إذا استخدمت اسمي العائلي قبل الزواج".

"السيدة ثورستون لا تعلم أنكِ متزوجة؟".

"الوضع معقد. افترضت السيدة ثورستون بشكل متسرع من أنا. كنتُ أنوي في الأصل أن أخبرها بحقيقة هويتي، ولكنها لم تعطِنا الفرصة". توقفت قليلًا. "بالتأكيد لاحظتَ أنها تتمسك بقوة بآرائها دون الاستماع بحرص إلى ما يقوله الآخرون؟ ودون جمع الحقائق؟".

ضحك.

"لذلك قررت استخدام سلوكها المتهور لمصلحتي. بالإضافة إلى ذلك، المنصب شاغر مؤقتًا فقط. أنتَ بنفسك

أقنعت الآنسة ميلر بأن الفتيات في جناح الكبيرات بحاجة إلى مرافقة وأنه يجب ملء هذا المنصب بسرعة. نظرًا لتاريخنا المشترك، علمت الآنسة ميلر أنها يمكنها الثقة بي".

لم يقل شيئًا، وهذا جعلني أشعر قليلًا بعدم الارتياح.

"أنا هنا فقط لبضعة أيام. السيدة ثورستون لا تحتاج إلى معرفة أنني امرأة متزوجة. أنتَ وأنا سنتفق على أن الفتيات في أمان أكبر بوجودي هنا". كنتُ مدركة تمامًا أن كلامي يبدو كطلب.

جلس السيد ويفرلي هناك، يبدو غير مهتم تمامًا، وضعه مسترخٍ ووجهه خامل، كما لو كان على استعداد كي يغط في النوم. رغبتي كانت في مواصلة مناشدته، والطلب منه أن يسمح لي بالبقاء. كم هو غريب: قبل ساعات فقط كنت عازمة على مغادرة منزل ألدرتون. الآن أنا مصممة بالقدر نفسه على البقاء على المسار نفسه.

فجأة، انتبه الرجل بشكل مفاجئ. "لقد أخذت قراري".

بدلًا من التأمل، كان يدرس جميع الخيارات المتاحة له.

"سأحتفظ بسرك يا سيدة روتشيستر، لسبب واحد فقط. إنه يخدم هدفي. أقر بأنكِ تقدمين خدمة جيدة من خلال البقاء هنا".

"شكرًا لك". توقفت ثم أكملت: "يا، سيدي".

t.me/yasmeenbook

أملت أنني قد أقنعته، لكنني كنت قلقة أنني قد أكون جعلت الوضع أسوأ فعلًا. الذعر ينتابني؛ فمي أصبح جافًّا. لاحظت جرة وكأسًا على طرف مكتب السيدة ثورستون، لذا اقتربت وصببت لنفسي مشروبًا. للأسف، كان السائل كحولًا خالصًا.

سعلت واختنقت وسعلت بشدة. ظننت أنني لن أستعيد أنفاسي أبدًا.

راقبني السيد ويفرلي بابتهاج. "قويّ قليلًا بالنسبة لك، أليس كذلك؟".

لحظة الإحراج التي مررت بها أعطتني فرصة للتفكير في تركيزه على الآنسة ميلر. ما الذي أعرفه عنها؟ لم تفتني الفجوة الكبيرة في معرفتي بالماضي الحديث لنان ميلر. ماذا تعني الآنسة جونز عندما قالت إن طالبًا آخر توفي تحت رعاية الآنسة ميلر؟ ماذا حدث؟

أملت أن أتجنب السقوط في دائرة جهلي، لكن الهاوية العميقة أثارت قلقي. بمجرد أن أسقط فيها، قد لا أكون قادرة على الخروج مرة أخرى.

"ليس لدي عادة شرب الكحوليات القوية"، تمكنت بصعوبة من قول ذلك.

"أفهم". ضرب على ركبتيه وضحك مرة أخرى. "أقول، أنتِ فتاة مثيرة! هل لديك أي شبهات حول الآنسة ميلر؟ أو أي من المعلمين الآخرين؟".

t.me/yasmeenbook

"لا يا سيدي". جلست هناك، متعمدةً ترك يدي ترقدان براحة في حضني بدلًا من أن أعتصرهما، وهو ما سيكون عرضًا واضحًا لقلقي. "يبدو أن كل واحد منهم كفء. لم أشهد أي سلوك غير لائق. الشخص الوحيد الغاضب في المدرسة هو السيدة ثورستون، وأشك أنها ستضر بسمعة مدرستها بارتكاب جريمة قتل. بالإضافة إلى ذلك، استمعت إلى العديد من المعلومات التي تشير إلى أن سيلينا بيلتمور كانت محبوبة بشكل خاص لديها".

"هممم. لم تسمعي عن أي خيبات أمل قد تكون السيدة ثورستون تعرضت لها بشأن الفتاة المتوفاة؟".

"لا يا سيدي". لم أكن أعرف ماذا يقصد بذلك.

"دعوات ملغاة؟ اتفاقات تمت وتم نسيانها؟ خلافات بينهما؟".

لا بد أن الحيرة كانت ظاهرة على وجهي. "هل تقترح أنهما تشاجرتا، وأن ذلك أدى إلى...".

"لا، سيدتي. لا أقترح شيئًا على الإطلاق. لا شيء على الإطلاق. أنا مجرد..."، لكن تعليقه انقطع فجأة. جاء من خارج الغرفة صوت الطرق على الباب الأمامي.

t.me/yasmeenbook

الفصل ٣٤

أجابت إيما على الطرق المستمر على الباب الأمامي، ولكن ترحيبها الخجول سرعان ما تمت مقاطعته عندما اجتاح صراخ غاضب المبنى.

"أين السيدة ثورستون؟ أحضريها لي! قومي بإحضارها الآن!".

"سيدي، اهدأ!"، كانت نداءات السيدة ثورستون تصل من بعيد في الرواق.

صاح الرجل: "حمقاء! حمقاء وغبية ومتهورة! كيف يمكنك السماح بحدوث هذا؟ أنت... أنت حمقاء!".

"سيد وسيدة بيلتمور، أرجو قبول تعازيّ الخالصة"، لكن قبل أن تتمكن السيدة ثورستون من تقديم تعازيها، قاطعها بكاء امرأة: "لم يسمحوا لي برؤيتها!". انخنقت المرأة بالبكاء وأكملت: "أريد أن أحملها، لكنهم رفضوا".

t.me/yasmeenbook

اعتُصرت معدتي عندما سرد والدا سيلينا مأساتهما. ماذا لو فقدت نيد؟ ابني العزيز والحبيب؟ حاولت بكل قوتي أن أبقي عقلي ولكن جسدي تذوق مرارة ألم الحزن. اجتاحتني قشعريرة هزت أسناني.

هز ويفرلي رأسه وتنهد. عبس وجهه بشدة. وراء نظارته، ضاقت عيناه وأصبحتا حادتين.

"يمكنك المغادرة يا سيدة روتشيستر. أو آنسة إير، كما تفضلين. انتهينا هنا. الآن".

خرجت مسرعة من مكتب المشرف وركضت صاعدة السلالم، توقفت للحظة عند الدور الأول، محاولة عدم لفت الانتباه إليّ. خرج وايفرلي من مكتب السيدة ثورستون لتعريف نفسه لعائلة بيلتمور.

قال: "سيد وسيدة بيلتمور، هل يمكنني أن أقدم تعازيّ الشديدة؟ أنا هنا في خدمتكما". قال ذلك قبل أن ينحني بعمق. "أنا آسف لإزعاجكما، لكن لدينا الكثير لنناقشه".

صاح السيد بيلتمور: "هذا دمر كل شيء! سيغضب!، وأنتِ، أنتِ شريك في الجريمة أيضًا. جلبها إلى هنا كانت فكرتكِ".

كان هذا الهجوم الأخير موجهًا لزوجته، التي استمرت في البكاء بشدة.

قالت السيدة ثورستون:"حقًّا يا سيدي، هل لديك أي فكرة عما حدث هنا؟ أخبره يا ويفرلي!".

قال ويفرلي: "هذه المسألة تتطلب الخصوصية، تعال. يمكننا أن نتحدث في غرفة مغلقة".

رافق ويفرلي السيد والسيدة بيلتمور إلى مكتب السيدة ثورستون. وقفت المشرفة في الخلف، تبكي بصوت عالٍ في منديل متسخ.

سأل السيد بيلتمور: "أين هو كاج؟ أين هو؟ سأمزقه بيدي! كان من المفترض أن يعتني بها!".

ثم أغلق الباب محدثًا صوتًا عاليًا.

أدهشني هذا التبادل للغاية، لكن هذا لم يكن الوقت المناسب للتوقف والتأمل فيه.

تحدثت الآنسة جونز بصوت متكرر: "Laboro Laboras Laborat". عبرت عن أشكال الفعل اللاتيني.

امتلأت رؤوس الطالبات بانتباه وهن يحاولن فهم أصوات الصراخ القادمة من الطابق السفلي، لكنهن تحولن جميعًا عند سماع خطواتي، ووجوههن ابتهجت عند رؤيتي، على الرغم من أنها كانت مليئة بالارتباك كطبقة ثقيلة مرمية على أجسادهن الصغيرة.

t.me/yasmeenbook

تابعت الآنسة جونز قراءتها بصوت ثابت ومتناسق مثل عقارب الساعة. يبدو أنها تمتلك قدرة تركيز تفوق قدرتي، لأنها استمرت في الحديث عن أشكال الأفعال اللاتينية كما لو أن شيئًا غير عادي أو مشوشًا لم يحدث في الردهة بالطابق السفلي.

ولكن لا بد أنها قد سمعت الضجيج! أو شعرت بالاضطراب الذي تسبب به!

وجه نيتي كان مغطًّى بالدموع. كانت روفينا تحك نقطة ما على ركبتها. كانت روز تلف خصلة من شعرها بسرعة تفوق سرعة أجنحة بعوضة. وأصبح لون بشرة أديل شاحبًا غير صحي كالطباشير.

أشرت باتجاه الفصل الثاني وقلت: "تعالين معي أيتها الفتيات الكبيرات، شكرًا لك، يا آنسة جونز، لاهتمامك بطالباتي الصغيرات بينما كنت مشغولة".

أومأت برأسها: "بالطبع".

بدت الطالبات عالقات في مكانهن وهن يبدون غائبات الذهن ومرتبكات. بدلًا من تعنيفهن، مددت يدي وأخذت يد أديل. وبالمقابل، أخذت أديل يد نيتي، واستلمت نيتي يد روز، التي بدورها أمسكت بأصابع روفينا. وهكذا تحركت هذه السلسلة البشرية إلى طرف الفصل الثاني. انتظرن بينما أغلق

الفاصل المنزلق وأقفل الحواجز المشتركة. "اجلسن يا فتيات. اجعلننا نتحادث لحظة". كان أي افتراض بأننا يمكن أن نبدأ العمل على الفور سخيفًا. بدلًا من ذلك، اخترت أن أتحدث عن الضجيج الذي سمعنه.

قلت، وأنا أوجه تلميذاتي للتجمع: "تعالين، اجلسن بجانبي"، بينما جلست في المنتصف قلت: "أنا هنا. لا تخفن".

قالت روز: "ذلك الرجل الذي كان يصرخ، لا بد أنه والد سيلينا".

قالت روفينا: "وأمها كانت هنا أيضًا. أتذكر اليوم الذي جاءت فيه. جاءت في عربة سوداء كبيرة يجرها حصانان".

وأكملت بتنهد: "كانت الخيول جميلة. أردت أن ألمسها".

بدأت شفة نيتي ترتعش: "من الطبيعي أن يحزن والداها يا فتيات، فقدا طفلة يحبانها، يا لحظ سيلينا".

"عفوًا؟". نيتي لا تبدو طفلة من النوع الذي يستخدم أو يفهم السخرية.

"يحبها والدها. إنه محطم للغاية بسبب رحيلها. أتمنى أن يهتم والدي بي بالقدر نفسه. إنهما لا يريدانني هناك. ولا تهتم أمي أيضًا. منذ ولادة أخي الصغير. إنهما يهتمان به فقط لأنه لديه شعر".

أعتقد أنها تقصد أن والديها سعيدان لأن الصبي هو "الوريث"، لكن هذا كان الوقت الخاطئ تمامًا لمناقشة الكلمات المتشابهة في النطق.

قرَّبتُ نيتي مني: "قد يبدو الأمر هكذا، ولكن أنا واثقة أنهما يحبانك جدًّا. ولديكن جميعًا أب في السماء يحبكن جميعًا. تذكرن ذلك. الآن، هل يمكنكن أن تريني رسوماتكن، من فضلكن؟".

رسومات الفتيات تنوعت بين متقنٍ (روفينا)، وكارثي (أديل). بعد نظرة سريعة على الرسومات، قلت: "أريد من كل واحدة منكن أن تكتب لي فقرة باللغة الألمانية. الموضوع هو سيلينا. أجد أنه من المفيد أحيانًا تدوين أفكاري ومشاعري على الورق. أعتقد أنكن ستجدن فائدة في ذلك. من فضلكن، ابدأن الآن".

انشغلت الفتيات بالكتابة، وتركن صوت الأقلام على الورق يقطع الصمت بيننا. وبينما كن يعملن، رسمت مخططًا تقريبيًّا لمهاجمي في نزل العربات. ومن ثم، انشغلت عقولنا حتى بدأ الضجيج وأصوات الخطوات تخبر بأن السيد والسيدة بيلتمور والسيد ويفرلي يغادرون.

لم تلتفت طالباتي تقريبًا إلى مغادرتهم. استمررن في عملهن حتى دق جرس العشاء، ثم اصطفت الفتيات وراء روفينا التي قادتنا إلى الطابق السفلي.

t.me/yasmeenbook

ماذا كان يقصد السيد بيلتمور عندما قال: "هذا أفسد كل شيء؟". وعندما وجه حديثه إلى كاج بشكل خاص؟ لقد أقسمت أن أضغط على الآنسة ميلر للحصول على إجابات حول هذا الأمر وعن العلامات على ظهر نيتي.

ومع ذلك، عندما وصلنا إلى غرفة الطعام، كان كرسي نان ميلر فارغًا مرة أخرى، وكذلك كرسي السيدة ثورستون. قادتنا الآنسة جونز في أداء صلواتنا على الطعام.

بعد الطعام، عملت الفتيات على أعمال الحياكة الخاصة بهن. بمجرد أن بدت الفتيات مشغولات، جلست قرب الآنسة جونز وهمست: "هل يمكنني التحدث إليك على انفراد؟".

انتقلنا إلى زاوية في الغرفة وقلت: "هل يُسمح بالعقاب القاسي هنا؟".

ضحكت تقريبًا: "يا إلهي! فقط إذا كنت تعتقدين أن نسخ آيات الكتاب المقدس عقابٌ شديدٌ. لماذا تسألين؟ هل إحدى الطالبات تثير غضبك؟".

"لا. هذا الصباح عندما كانت الفتيات يرتدين ملابسهن، لاحظت ندبًا على ظهر إحدى الفتيات. ليس لدي خبرة للحكم على هذه الأمور، لكنها بدت لي كعلامات الجلد بالعصا".

رفعت حاجبيها، وقالت: "حقًّا! إذًا لا بد أنها تعرضت لتأديب في المنزل، لأن كلًّا من السيدة ويبستر والسيدة

ثورستون لم تسمحا بشيء من هذا القبيل هنا. أعتقد أن أسوأ عقاب تم تنفيذه هو إرسال أديل للنوم دون عشاء".

أومأتُ، وأنا أتساءل إن كانت هذه هي الحال حقًّا. انحنت الآنسة جونز وقالت: "إحدى الفتيات أطلعتني على الواجب الذي أعطيتهن، وهو رسم طائر الروبن. أتوق لتحسين مهاراتي الفنية. هل يمكنك أن تقيّمي بعض أعمالي؟".

قلت: "بكل سرور". خلال بقية الجلسة، استعرضنا رسوماتها الفنية. كان لديها عين جيدة للألوان، ولكن أساليبها بحاجة للتحسين. قدمت بعض الاقتراحات، التي بدت كأنها أخذتها على محمل الجد.

أعترف بأنه كان من الصعب التركيز. كنت أصب نظري نحو الباب، في انتظار عودة الآنسة ميلر في أي لحظة. طرحت أفكاري بعض الاتهامات، متذكرة أنها لم توضح شيئًا عن حياتها خلال تلك الفترة التي انقطع فيها التواصل.

"تغيرت الظروف"، هكذا قالت. تفادٍ بارع.

هل هناك جزء من حياتها له علاقة بالوضع الحالي؟

هل صديقتي القديمة قاتلة؟

المقالة الخاصة بروز:

سيلينا كانت صديقتي. كانت تخبرني بالأسرار. قالت إننا

جميلتان، لكنني لست جميلة بقدرها، والجميع يلتفتون إليها. أخذتْ وشاحي لأنها أعجبت به وبدا جيدًا على أحد فساتينها الجديدة. لم تكن تحب المدرسة أو المعلمين. قالت إن ذلك إهدار للوقت والعمر. سوف أشتاق لها، لكنني لا أرغب في عودتها وزيارتي لأنها ميتة.

المقالة الخاصة بنيتي:

صديقتنا سيلينا توفيت. أصلي وأدعو لها أن يدخلها الله الجنة. سأصلي لها هذه الليلة. كانت تحب الحلوى. كنت أتمنى لو أنني شاركتها الحلوى الخاصة بي. قالت إنها مميزة و(هنا الكتابة كانت مشوشة) إنه يحبها. سيُرسل عربات لها.

المقالة الخاصة بروفينا:

كانت سيلينا قاسية خاصة مع الصغار. ذات مرة دفعت وجه روز في حوض الماء. لم أكن أحب سيلينا. قالت إنه لن يقع أحد في حبي لأنني قبيحة. هذا جعلني أبكي. لا يهمني إن كانت ستكون ملكتنا المقبلة، لقد كرهتها.

المقالة الخاصة بأديل:

لن أشتاق إلى سيلينا. كانت غبية مثل البقرة. الآن ستتعفن.

t.me/yasmeenbook

t.me/yasmeenbook

الفصل ٣٥

دخلت السيدة ثورستون بصحبة امرأة شاحبة تبدو متعبة إلى وسطنا. "هذه السيدة جروفر. هي هنا لأخذ قياس ملابس الحداد". قامت الضيفة الهزيلة بأخذ قياس كل واحدة منا في صمت، بزوجين من العيون الحمراء المتورمة.

بدأت روفينا، بصفتها رئيسة الفتيات، وقفت على درج صغير وخضعت لخدمة السيدة جروفر السريعة بشريط القياس، وانتظرت بصبر حينما توقفت المرأة السريعة لتسجيل الملاحظات على قطعة ورقة متسخة. سيجلس أطفال ليسوا أكبر من هؤلاء الطلاب مُستيقظين طوال الليل يخيطون ملابس الحداد على ضوء الشمع، وستكون الملابس جاهزة للارتداء غدًا.

هذه الصناعة جعلتني أتوقف للتفكير. تَسَبَّبَتِ العديد من التغيرات المفاجئة في الثروة في حياتي الشخصية في أن أشكك في ما يحدد مصايرنا. أي يد غير مرئية قرَّرت أن

يخيط طفل واحد طوال الليل في مأوًى فقير ويُدفع لينام في سرير مع مجموعة أطفال آخرين، ثم يلقى في الشارع في الصباح، بينما الفتيات في منزل ألدرتون يتثاءبن ويتمددن ويتحممن في أحواض مياه نقية، ويتناولن وجبة الإفطار على مائدة مليئة بالطعام؟ أين العدل؟ لماذا هذا الاختلاف الهائل؟

ما هو الأب الذي يتجاهل معظم أطفاله ليدلل ويرضي البعض الآخر؟

انفتح الباب فجأة وعادت السيدة ثورستون تمشي إلى وسط الغرفة. ابتعدت السيدة جروفر المسكينة جانبًا، ما تسبب في سقوط بعض الدبابيس من فم الخياطة.

"تركيز!".

لحقت الآنسة ميلر خلف السيدة ثورستون، لكن صديقتي القديمة لم تنظر إليّ. ظلت عيناها على الأرض.

قالت المشرفة: "سيعود رفات سيلينا بيلتمور إلى ألدرتون هاوس، نظرًا لأن العائلة من بريتون، فسيسمح للأصدقاء في لندن بتقديم واجب العزاء قبل أن تبدأ سيلينا رحلتها الأخيرة إلى المنزل. سيكون العزاء في الصالون الأمامي. ليس لديكن أي سبب لعدم الحضور، وسأعطي تعليمات صارمة للقابلة المرافقة بأن أي شخص يتباطأ هناك سيتم الإبلاغ عنه لي".

t.me/yasmeenbook

الآنسة جونز رأت الارتباك على وجهي، فتكلمت بصوت منخفض: "القابلة تحمي الجثة لمنع اختطافها من قِبل نابشي القبور، هذه ليست مشكلة خارج المدينة، أليس كذلك؟".

بلى، بالتأكيد ليست كذلك. اختتمت المشرفة حديثها بأنه: "لن يكون هناك سبب لأي منكن لاستخدام الصالون الأمامي إلا لتقديم التعازي".

عندما نظرت السيدة ثورستون إلى المعلمة الأمازونية نظرة غاضبة، معتبرةً أن الآنسة جونز تتحدث معي بصوت منخفض، تكلمت زميلتي: "كنت أخبر الآنسة إير أنني سأكون سعيدة لعمل دبوس جنائزي من شعر سيلينا. يستغرق الأمر بعض الوقت، ولكنه ذكرى جميلة. عملت واحدًا العام الماضي عندما توفي أخي".

قالت السيدة ثورستون: "افعلي ذلك"، ثم التفتت وغادرتنا.

"تقبلي تعازيّ بشأن شقيقك. لا بد أن ذلك كان مروعًا". لم أستطع إلا استرجاع مشاعري العميقة تجاه أبناء عمي ريفرز، على الرغم من أنني افترضت أن العلاقة بين الأشقاء أقوى بكثير.

قامت الآنسة جونز بلمس عينيها وقالت: "أنا أنتمي إلى عائلة من العلماء. كان شقيقي أدونيس مؤرخًا، سافر إلى فرنسا للقيام بأبحاث. للأسف، وقع في حب امرأة سيئة السمعة،

وقُتل على يد أحد عشاقها الغيورين. كنا نأمل في فتح مدرستنا القروية الخاصة. كان حلمنا خدمة الأطفال الفقراء، أترين؟".

هذا يفسر كلماتها القاسية حول الشعب الفرنسي.

"الكلمات لا تكفي؛ ومع ذلك، أنا آسفة لخسارتك. يبدو أنه كان شخصًا رائعًا".

"أكثر عقل مشرق قابلته على الإطلاق. روح حنون لم يدافع عن نفسه أو ينتقم. غالبًا ما كنا نتجادل بشأن ما إذا كان يجب على المسيحي أن يعطي دائمًا الخد الآخر أم أن فلسفة 'العين بالعين' هي الفلسفة الأكثر صحة. كان أكثر الأشخاص الذين أعرفهم تسامحًا وقبولًا".

فهمت المعضلة. "إلى ماذا توصلتما؟".

ابتسامتها لم تصل إلى عينيها. "أومن بقوتنا في الرد على أولئك الذين يؤذوننا هم وأتباعهم. وإلا فسيهربون ليقوموا بالشر مرة أخرى ومرة أخرى. يفتقر الضعفاء بيننا إلى أبطال يدافعون عنهم، إلا إذا قام كل واحد منا بالوقوف ضد الظلم".

استمرت الليلة، واندلع خلاف طفيف بين طالبتين من الصغيرات. كانت فكرة "عودة جثة سيلينا إلى المدرسة" تسبب قلقًا في أذهاننا جميعًا، مما جعل التركيز أمرًا صعبًا.

حاولت إعادة توجيه أفكاري، وعدت إلى رسم اللص الذي سرق حقيبتي. ركزت جهودي على رسم عينيه، حيث

t.me/yasmeenbook

جعلتهما كبيرتين وجاحظتين. كلما وضحت الصورة، تشكل لدي إحساس غريب بأنني أعرف هذا الشخص.

قال صوت في رأسي: بالطبع يبدو مألوفًا؛ لقد سرقك. ومع ذلك، لاحظت أن بروز العينين هذا يثير في ذاكرتي. هل كنت أعرف شخصًا آخر لديه ملامح مشابهة؟

بينما أنهيت الرسم على نحو مرضٍ، ذكرت نفسي أن حياتي بأكملها قد انقلبت رأسا على عقب. ربما أرى تشابهات غير موجودة.

لم تظهر الآنسة ميلر إلا في منتصف ساعة القراءة. كان حذاؤها مرفوعًا على نعال مغطاة بالطين، وقطعة من القماش الرطب سحبت ثوبها للأسفل. كانت قبعتها مائلة على رأسها، ويخرج بعض الشعر من تسريحتها واحمر خداها بسبب الجهد.

همست لها وهي تجلس على كرسي بجواري: "أين كنت؟ يجب أن نتحدث" قضمت قطعتيْ خبز مع شريحة سميكة من جبن الستيلتون بينهما.

"نعم"، تمكنَت من قولها وهي لا تزال تمضغ الطعام. "لكن ليس الآن". على الرغم من فمها الممتلئ بالطعام، فقد دخلت في محادثة مع السيدة جروفر حول تكلفة ملابس الحداد.

لقد أدركت بالنظر إلى الساعة فوق الموقد أنني بحاجة لإعطاء الأولوية لأسئلتي. أبعدت الآنسة ميلر عن مجموعة الطالبات اللاتي كن يحكن مناشف يدوية.

t.me/yasmeenbook

"هل السيدة ثورستون تسمح بالضرب بالعصا؟".

"عفوًا؟". استغربَت وقلقها تحول إلى صدمة. "بالطبع لا. قد يكون هناك ضربة خفيفة على المعصم أو الأصابع، هذا كل شيء".

"نيتي لديها علامات على ظهرها. خطوط في لحمها".

احمر وجهها وتحول إلى قرمزي. "من المؤكد أنك تخطئين. أقول لكِ يا آنسة إير، إنك تقفين على أرض خطرة. مثل هذا الاتهام مثير للفتنة!".

"رأيت الخطوط بأم عيني!".

"أجل، أعتقد أنك كنتِ متعبة للغاية. عيناكِ خدعتاكِ".

قطعَتِ المحادثة بسرعة، ثم قامت الآنسة ميلر بقيادة الفتيات في الصلاة وقراءة المزامير، وحرصت على الجلوس بحيث لا يمكننا التحدث بشكل خاص. في داخلي، غضبت، لكن تهربها لم يقم إلا بتعزيز عزمي. بالنظر إلى انغلاق المدرسة، لا يمكنها تجنبي لفترة طويلة.

في تلك الليلة، أخذت وقتي في تغيير ملابسي وراء حاجز تغيير الملابس. على الرغم من الأخبار بأن سيلينا ستعود إلى مدرسة ألدرتون، يبدو أن الفتيات تمكن من النوم بسهولة أكبر مما كن عليه في الليلة السابقة. أُرجع ذلك إلى التأثير الصحي للهواء النقي والجهد البدني. ربما في النوم سيجدن هناك

t.me/yasmeenbook

سكينة قلوبهن وسيتركن وراءهن الهموم والمخاوف التي تربطهن بهذا المكان. ربما ستتركهن سيلينا بمفردهن.

على عكس الفتيات، لم يكن نومي مريحًا. استغرقت الكثير من الوقت لأنام. كانت الكتلة التي تكمن على طول سريري تزعجني. في الليلة الماضية، كانت تلك مشكلة مزعجة قليلًا، لكن الليلة كانت تطعنني بلا رحمة. ومع ذلك، لم يكن هناك شيء يمكنني فعله مع هذا الإزعاج من دون أن أزعج الفتيات. كنت أعرف من الخبرة أن نومهن خفيف. تذكرت صوت الخطوات خارج بابي الليلة الماضية، كان لدي فكرة. لقد ذكرت الفتيات أن سيلينا تحتفظ بمسحوق الاستحمام في خزانتها. أضأت شمعة ووجدت المسحوق بسرعة، ثم خرجت من الغرفة بهدوء، تحركت بصمت إلى الأسفل، وهناك رششت بعض المسحوق على الأرض. انبعثت رائحة الكاميليا لترحب بي. إذا كان هناك شخص يتجول حقًّا في الليل، يجب أن يكون هناك آثار أقدام في الصباح.

وهكذا، بعد أن شعرت بارتياح على الأقل لأنني قمت بشيء للمساعدة في القبض على قاتلنا، استلقيت على سريري غير المريح. استعرضَ عقلي أحداث اليوم -الصور التي وصفها السيد دوغلاس بخصوص جروح سيلينا؛ أصوات بكاء والدتها واتهامات والدها الغاضبة؛ الإصابات بين الأطفال- جروح نيتي، وآثار علامات العض على فيكتوريا؛ جهل السيد ويفرلي

الزائف باللغة الفرنسية. بعد التمايل والتدحرج، غططت أخيرًا في نوم متقطع.

"جين!".

انتفضت جالسة في سريري. أضاء ضوء القمر الخافت الأرض الخشبية لغرفة النوم. تحركت الظلال بصمت. حاولت تحليل الظلام، ثم من بين الظلال، تكون شكلٌ، على الرغم من أنه في البداية بدا أنه لا يزال مجرد اضطراب في الهواء، وضباب لبعض الأشكال.

سألت: "من أنت أو ما هذا؟".

بشكل تدريجي، كشفت نفسها لي: "هذه أنا، صديقتك هيلين". كما كانت من قبل. كنت واثقة الآن أنني أحلم! ولكن كان حلمًا سعيدًا جدًّا أن أرى صديقتي القديمة مرة أخرى، تلك الفتاة الجذابة ذات الشعر الداكن الطويل. ابتسمت بهدوء، بشكل مألوف، وانحسرت مخاوفي. رائحة خفيفة من البنفسج عطرت الهواء. إنها الزهور المفضلة لهيلين. كانت غالبًا تضعها بين صفحات كتاب الصلاة الخاص بها. لا تخافي، قالت صورة الحلم. استمعي بعناية. هناك ألم هنا ومعاناة كبيرة. استكشفي جحيم كل فرد. لا تتوقعي الأمان. كوني في حالة تأهب. كما قال فيرجيل: "الثعبان يكمن في العشب".

"هيلين، أشعر بالخوف. الفتيات! كيف يمكنني حمايتهن؟ إنهن معرضات للخطر، وأنا واحدة فقط".

"ستجدين طريقة. أعلم أنك ستجدين. بارك الله فيك يا صديقتي العزيزة. أشاهدك من بعيد وأرسل لك حبي الأبدي".

تحول شكلها إلى صورة غير ثابتة، وأصبحت الحواف غير واضحة، وتلاشت أمام عيني. ومع اختفائها، غططت في نوم مظلم وخالٍ من الأحلام.

بعد فترة، استفقت فجأة. عادت إلى ذهني على الفور صورة صديقتي العزيزة من الطفولة هيلين بيرنز، التي توفيت بسبب السل عندما كنا طالبتين معًا في لوود. ربما هذه البيئة أعادت ذكريات حية. ربما أصوات الزفير الهادئة والتنهيدات للطفلات النائمات أعادتني إلى تلك الفترة القصيرة عندما كانت هيلين تسير على هذه الأرض.

أزحت الغطاء جانبًا وأدخلت قدمي في نعالي. لاحظت مرة أخرى أن عضلاتي أصبحت متيبسة وحركتي تسبب لي ألمًا. ومع ذلك، تنقلت من سرير إلى سرير، متحققة من أوضاع الفتيات اللاتي تحت رعايتي. كنّ نائمات ببراءة، بلا اهتمام بالتحفظ أو المظهر، تمامًا كما تفعل الحيوانات الصغيرة. في الليل نتخلى عن تلك الادعاءات التي فرضت علينا من قبل التحضر. نصبح من نحن حقًّا.

كان هناك سريرٌ فارغٌ.

فكرت: "من كانت؟ ولماذا توفيت؟".

t.me/yasmeenbook

لم تأتِ إجابة، لذا تحققت من أديل. كان نبضها ثابتًا وتنفسها منتظمًا. جلست في سريري لفترة طويلة، وظللت أراقب. في ضبابية بين النوم واليقظة، تخيلت لمسة يد زوجي الباحثة عني ووزن الطفل الجميل في ذراعي. كنت في فيرندين، وكنت سعيدة.

في إحدى المرات التي استيقظت بها، استفقت بسرعة، معتقدة أني سمعت خطوات. خارج النافذة، بدأت الأمطار، قطرات ثقيلة وبوتيرة ثابتة ترتطم بقوة بالزجاج، ثم جاءت أصوات منخفضة وعاجلة خارج باب حجرة النوم. وفي النهاية، لم أعد قادرة على فتح عيني أكثر، وعدت للنوم.

t.me/yasmeenbook

الفصل ٣٦

قمت بارتداء ملابسي في الظلام، قبل طرق إيما، وأضأت شمعة ونظرت إلى الممر. وجدت هناك طبعات لنوعين من آثار الأقدام على البودرة، بحجمين مختلفين. النوع الأول كان كبيرًا وعريضًا، وكان يؤدي إلى الغرفة العلوية حيث تنام إيما، ولكنه لم ينزل إلى الأسفل. على نحو ما خلال النهار، سأضطر لرؤية قدمي الخادمة للمقارنة. بدت الطبعات كبيرة للغاية بالنسبة لفتاة صغيرة مثلها.

النوع الثاني من الآثار كان يشير إلى أقدام طويلة ونحيلة، وهذا النوع كان يؤدي إلى الطابق السفلي. باستخدام منشفة، مسحت البودرة بعناية.

لم يكن هناك أي شيء يمكن القيام به في هذا التوقيت سوى تأمل هذه المعلومات.

نظرًا لأن ذلك كان باكرًا جدًّا، أردت أن أكتب رسالة أخرى إلى إدوارد، أشرح له مهمتي وأفكاري. قد يساعدني هذا في تنظيم أفكاري وإعداد نفسي بشكل أفضل لليوم، ولكن

t.me/yasmeenbook

الكلمات لم تأت بسهولة. وضعت قلمي جانبًا بشعور من الإحباط من هذه الفوضى الداخلية في ذهني...

كانت أسئلة السيد ويفرلي حول نان ميلر محيرة بشكل خاص. على الرغم من أنني أكدت له أنها لا يمكن أن تكون مذنبة، إلا أن هناك تناقضات تحتاج إلى حل. قد تساعد كتابة قائمة. على مضض كتبت أسماء جميع الفتيات الكبيرات، بالإضافة إلى أسماء جميع المعلمين وطاقم الخدم في المدرسة.

ربت بنهاية القلم على ذقني. ماذا قال السيد بيلتمور؟ "سيكون غاضبًا".

عمن كان يتحدث؟

أمر آخر أثار فضولي. نيتي في مقالتها عن سيلينا، ذكرت شخصًا يرسل عربة للفتاة. من هو ذلك؟

أضفت: "شخص غير معروف" إلى قائمة المشتبه بهم ثم توقفت. قمت بمسح اسم واحد: أديل. كنت أعلم أنها لا يمكنها ولن تتسبب في إيذاء سيلينا. يبدو أن السيد ويفرلي يتفق معي في ذلك، لكن جميع الفتيات الكبيرات كانت لديهن الفرصة؛ لذا يمكن أن تكون أي واحدة منهن قد قتلت زميلتها. بينما يبدو ذلك غير محتمل في أحسن الأحوال ومشينًا في أسوأ الحالات، اتبعت شعار السيد ويفرلي: "أشتبه في الجميع، ولا أتهم أحدًا".

t.me/yasmeenbook

كانت قائمتي على النحو التالي:

١. روفينا. أخذت سيلينا طائرتها.

٢. روز. سرقت سيلينا وشاحها.

٣. نيتي. أخذت سيلينا الحلوى الخاصة بها.

(في هذه النقطة كنت أرجح وضع خط على أسماء الفتيات جميعًا. إذا قتلت أي واحدة منهن سيلينا، فبالتأكيد ستعلم الأخريات. بالإضافة إلى ذلك، كيف يمكنهن إخضاعها؟ وعلاوة على ذلك، كان من الأسهل استعادة الأشياء المسروقة بدلًا من قتل زميلتهن!).

١. الطباخة. لا يمكنني استنتاج دافع واضح، ولكن بالتأكيد أحتاج إلى معرفة المزيد عنها.

٢. كاج. الأمر نفسه مثل الطباخة، ولكن ماذا كان يقصد السيد بيلتمور عندما استدعاه بالاسم؟

٣. إيما. كانت سيلينا قاسية تجاهها، ولكن ما مدى قسوتها؟ وإيما ضئيلة، على الرغم من كونها قوية جدًّا.

٤. معلمة اللغة الألمانية، فراولين هيرتسوغ. لماذا غادرت فجأة؟ هل كان ذلك بسبب سيلينا؟

٥. بارثينا جونز. هناك شيء غريب في تصرفها. لا أستطيع أن أقول لماذا، لكنه ترنح داخلي مثل صوت خاطئ يصدر عن البيانو. ربما كان ذلك لمجرد حزنها على وفاة أخيها حديثًا.

t.me/yasmeenbook

٦. سيدة ديلغاتو. اعترفت بأنها سعيدة لأن سيلينا ماتت. لماذا؟ لكني قمت بوضع خط على اسمها. المرأة كانت ضعيفة جدًّا لتصعد الدرج.

٧. نان ميلر. بالرغم من كرهي لإضافتها، فإن تصرفاتها في الآونة الأخيرة كانت غريبة للغاية. ماذا حدث في وظيفتها السابقة؟ لماذا لم تكن أكثر صراحة حول ماضيها؟

٨. السيدة ثورستون. هل من الممكن أن يكون هناك حدث ما جعل المشرفة تنقلب ضد التلميذة المفضلة لديها؟

٩. شخص غير معروف. الشخص الذي أرسل العربة لسيلينا.

طرق صوت قوي على الباب ما قطع عملي. طويت قائمتي على عجل، وأدخلتها في جيبي. قلت بينما تدخل الخادمة بسرعة: "صباح الخير يا إيما".

"صباح الخير يا آنسة. ملابس الحداد هنا. يجب أن أُرتب أشياء كل فتاة. في هذه الصناديق أحذية الحداد. هذا لك".

سحبت من الكومة فستانًا أبيض مصنوعًا من نسيج رخيص. كان مثبتًا عليه قطعة من الورق مكتوب عليها اسمي.

بينما كانت إيما توزع ملابس الحداد عن طريق وضعها على خزانة كل فتاة، حاولت أن ألقي نظرة على قدميها، لكن المهمة اتضح أنها مستحيلة دون الكشف عن دوافعي.

t.me/yasmeenbook

دق جرس الصباح، وبدأت الفتيات بالاستيقاظ ببطء. خلعت الواحدة تلو الأخرى ملابس الليل. عندما خلعت روز قميصها أثناء سحبها له فوق رأسها، كتمت صوت شهيق عاليًا. خطوط بلون الصدأ تتشابك على كتفيها وتنزلق على ظهرها، تبدو نتيجة غضب فظيع. كانت أسوأ بكثير من العلامات المماثلة على ظهر نيتي.

إما أن الآنسة ميلر كذبت عليّ بشأن استخدام الجلد كعقاب، أو أنها لم تكن على علم بهذا الظلم. هل من الممكن أن فراولين هيرتسوغ، المعلمة الألمانية السابقة والمشرفة العامة للطالبات الكبيرات، كانت هي من نفذت الجلد؟ ولماذا لم تصرخ الفتاة التي تلقت الضرب؟ كيف يمكن أن يكون المعلمون الآخرون لا يعلمون شيئًا عن هذه الإهانات؟

أردت أن أقول شيئًا لروز ولكنني قررت عدم فعل ذلك. أي فعل مبالغ به قد يجعل من الصعب عليّ الوصول إلى الحقيقة. الفتيات يثقن بي ببطء. عندما يحين الوقت المناسب، يمكنني طرح أسئلتي والاطمئنان بأنها سيجاب عنها بصدق.

وقفت الفتيات في صف وجوههن جادة، تبدو كأنها طيور بيضاء على غصن شجرة. الفساتين البيضاء الرخيصة لا تناسبهن بشكل جيد، والنعال كانت واسعة قليلًا على أقدامهن، ولكن تم التأكيد على النقطة: رسميًّا نحن في حداد على وفاة فتاة شابة غير متزوجة.

t.me/yasmeenbook

بعد صلواتنا الصباحية، أعلنت السيدة ثورستون أن جثة سيلينا ستصل خلال الحصة الأولى.

"عندما يكون كل شيء جاهزًا، ستقفن في طابور وتتوالين لتقديم واجب العزاء. سيداتي، أذكركن بأن هذه مناسبة رسمية. يجب أن لا يبقى أحد منكن في الصالون أو ينظر إلى الزوار المهمين الذين سيأتون بلا شك لتقديم واجب العزاء. أتوقع منكن أن تنتعلن حذاء الحداد داخل المدرسة، وأن تحافظن على أصواتكن منخفضة كما يليق بمكان العزاء. تمت تغطية المرايا جميعها. من الأفضل ألا أرى أي واحدة منكن تحاول أن تلقي نظرة على انعكاسها في الملاعق وما شابه ذلك، فهذا هو الوقت المناسب للتفكر في أرواحكن الخالدة وليس في الدنيويات. من التراب إلى التراب ومن الرماد إلى الرماد، لا يمكن لأحد الهروب من الموت".

مع هذه البداية المرحة لليوم، غرقت السيدة ثورستون في كرسيها برشاقة كزجاجة حليب تتدحرج. حثت الآنسة جونز الفتيات على "تناول الطعام" وهجمت على طعامها بشوكتها كما لو كانت تحفر حفرة.

في الساعة التاسعة، أخبرتنا أصوات الأحذية في البهو بوجود حاملي تابوت سيلينا. بعد بضع دقائق، دخلت السيدة ثورستون الفصل، وطلبت منا أن نصطف بشكل منتظم، مع وجود روفينا التي تحتل مكانها في المقدمة، حيث كانت رئيسة

t.me/yasmeenbook

الفتيات الكبيرات. ترنحت الطفلة، حيث تحول لون بشرتها الصحي إلى لون أخضر شاحب، فقلت لها: "اجلسي". ثم وضعتُ كرسيًّا تحتها. "ضعي رأسك بين ركبتيك".

"إنها رائحة زهرة الزنبق يا سيدتي، تذكرني بوقت فقدان أمي".

تناثرت أواني الزهور في الصالون وملأت الردهة. لا بد أن قيمة الهدايا الزهرية هائلة. كمية وجودة الهدايا تشيران إلى أن جميع أفراد المجتمع الراقي في لندن يشاركون في وداع ابنة بيلتمور -على الأقل، غيابيًّا- رائحة الأزهار تصل إلى ذروتها اللزجة التي تغمر الحواس، وتغطي الأنف والفم. كان كل نفَس معركة للبقاء على قيد الحياة. بالتزامن مع رائحة الذبول القوية، أثار ذلك غثياني. أوصيت الفتيات بأن يستخدمن مناديلهن للتنفس من خلالها، وكما كان متوقعًا، كان منديل روفينا مفقودًا، لذا أعرتها منديلي. لم تستقم على قدميها بثبات، لذا ربطت ذراعي بذراعها. بذلك، قمنا بدورنا كثنائي وانطلقنا، نقود الأخريات عبر منطقة العرض بوتيرة مهيبة.

عندما وصلنا إلى التابوت عند كتف سيلينا، توقفت أنا وروفينا لـ "نودعها". أدرنا وجهنا قليلًا لنواجه رفات سيلينا بيلتمور.

ما هذه الصدمة؟!

سيلينا بيلتمور لم تكن طفلة... كانت امرأة ناضجة تمامًا!

t.me/yasmeenbook

قالت الآنسة ميلر إن سيلينا في سن السادسة عشرة فقط، لكن نظرة واحدة أكدت لي أنها كانت ناضجة جدًّا بالنسبة لعمرها. على الرغم من أن الموت أفسد ملامح وجهها، فإنه من الواضح أن سيلينا بيلتمور قد وُهبت ملامح جميلة. أما بالنسبة لقوامها، فقد كشفت منحنيات الكفن أنها تميل إلى البدانة. توقفت للحظات، ظللت فيها أحاول فهم هذه الشابة بشكل أفضل، ولكن يد روفينا طارت إلى فمها وأصدرت صوت تهوّع. أسرعتُ خشية أن تتقيأ.

لا عجب أنها كانت ناجحة جدًّا في التنمر على الآخرين. سيلينا كانت ناضجة في عالم مليء بالأطفال.

***

بعد أن أعددت دروس اليوم، عدت إلى قائمة المشتبه بهم الخاصة بي، وقررت أن أبدأ من الطابق السفلي ثم إلى الأعلى.

"انظر مَن هنا! عالِمتنا! أراهن أنكِ جئتِ للتفتيش عن شيء تأكلينه، أليس كذلك؟". ظهرت هالة من الطحين حول الطاهية، يحيط بها ضباب أبيض.

قلت: "من فضلك يا سيدتي"، واستقررت على كرسي المطبخ. هذا سبب جيد لوجودي.

وضعتْ قطعة كيك على طبق، ودهنتها بكريمة الحليب المكثف بسخاء، ووضعت كمية من المربى إلى جانبها. أخذَتْ

t.me/yasmeenbook

إبريقًا من فوق الموقد، وصبت الماء في إبريق الشاي الصيني الخاص بها. الزينة الذهبية على الغطاء وزهور النسيان الرقيقة المرسومة على الإبريق تشير إلى مصدره الرفيع -على الرغم من أن رقاقتين كبيرتين أتلفتا جماله- الرقاقة المكسورة من الفوهة جعلت صب الشاي تحديًا، لكن الرقاقة على المقبض المدبب للغطاء كانت عيبًا جماليًّا أكثر من كونه عيبًا وظيفيًّا.

"إبريق الشاي الخاص بك جميل".

قالت بصوت خشن بينما صبت لي فنجانًا: "نعم، إنه هدية من ابنتي. أصحاب القصر الأثرياء حيث كانت تعمل كانوا يعتزمون التخلص منه. طلبته لاريسا. أخذوا جزءًا من راتبها. هم الذين كانوا سيتخلصون منه! بسبب كسرة في الفوهة! ابنتي العزيزة عرفت كم أحب الشاي، إنه كل ما تبقى لي منها. بالإضافة إلى خصلة شعرها. ابنتي العزيزة. أستخدم هذا الإبريق كل يوم، ويجعلني أشعر بقربها مني. لا يمكنني زيارة قبرها، أتعلمين؟ إنه بعيد جدًّا. يشعرني ذلك كأنها بعيدة أيضًا".

قلت: "ربما، لكن أعتقد أنها قريبة منك، أقرب مما تتخيلين".

"آمل ذلك". بينما كانت تمسح بظهر يدها على عينيها، وضعت الطاهية المزيد من الدقيق على جبينها البارز، وانصرفت بعيدًا عني.

"أنا آسفة لخسارتك".

t.me/yasmeenbook

"شكرًا لك. ليس فقط فقدي، ولكن العالم فقد ملاكًا".

قلت بصدق: "إنه أمر محزن، أنا نادمة على أنني لن تتاح لي الفرصة لمقابلتها. لا أحد يفكر بهذه الطريقة حول سيلينا، أليس كذلك؟".

كانت ضحكة الطاهية شبيهة أكثر بنباح قصير من الاستهزاء بدلًا من كونها تعبيرًا عن فكاهة حقيقية. "تلك الإنسانة؟ ربما هي مشغولة بالرقص مع الشياطين!".

كانت هذه فرصة جيدة فاستغللتها. "السيد ويفرلي يستجوب الناس بشأن وفاة سيلينا. من الصعب تصديق ذلك، لكن يقولون إنه قد تم قتل الفتاة".

كانت الطاهية تتحرك بنشاط في المطبخ، وتدير ظهرها لي. وأخيرًا، قالت: "وإذا كان كذلك؟ من قام بهذا سيكون قد تخلص من واحدة من أتباع الشيطان. يجب أن يشكروا من قام بهذا، هذه حقيقة".

"أنت لم تحبي سيلينا؟".

"لم يكن أحد يحب تلك الفتاة".

وضعت الطاهية كتلة كبيرة من العجين على الطاولة المقابلة، وقامت بتقليبها مرتين وأكملت: "كان هناك طابع شرير فيها يا سيدتي. أشك في أن والديها كانا يأملان أن تستطيع السيدة ثورستون أن تعالجها من ذلك، أن تقوم بتأديبها

وإزالة ذلك منها، لكن هذا أمر غبي، أليس كذلك؟ لا يمكنك تحويل قطة إلى كلب، أو كلب إلى فأر، ولا يمكنك تحويل شخص إلى عكس طبيعته. بالإضافة إلى ذلك، مود ثورستون ليست غبية. إنها تغلق بابها في الليل وتترك الفتيات يعتمدن على أنفسهن، أليس كذلك؟".

كانت الطاهية منشغلة بالعجين. لم تدر وجهها إلي، ولكن كلماتها كانت واضحة ومسموعة. "بذرة سيئة. ثمرة شجرة مريضة. تسببت تلك الفتاة في الكثير من الألم والحزن خلال حياتها القصيرة، ولو استطاعت لقامت بالمزيد من الأذى! كان والدها يعتقد أن الشمس تشرق وتغيب بسبب طفلته الغالية. لم تكن ترتكب أي خطأ في نظره. إذًا، كان رجلًا أعمى". وبهذا، قامت بضربة قوية على العجين وقالت: "العالم أفضل دون تلك الشيطانة". لكمت الطاهية العجين بقوة حتى مزقته. "حقًّا... أقول لك الحقيقة".

t.me/yasmeenbook

الفصل ٣٧

استمرت الآنسة ميلر في تجنبي. حاولت اصطيادها في الممرات، لكنها كانت أكثر تملصًا من شبح حلم هيلين بيرنز. إحدى المرات أدخلت رأسها في فصلي، واستعارت روفينا للمراقبة على الأطفال الرضع "لفترة قصيرة". عندما وصلت على مقربة منها، دارت واختفت. على طاولة الغداء، جلست بشكل متجمد، ولعبت بطعامها. طوال ذلك الوقت، بذلت جهودًا كبيرة لتفادي نظراتي.

غيرت الفتيات حذاء الحداد الخاص بهن إلى الأحذية العادية لكي نذهب إلى الهايد بارك. في طريقنا إلى الخارج، صادفنا الآنسة جونز، قادمة من الصالون وتحمل بيديها حزمة سميكة من الشعر الكستنائي الطويل. شعر سيلينا.

قالت المعلمة الطويلة: "من أجل مجوهرات الحداد، لدي إطار مضفر مصنوع من قبعة رجل، ونمط جديد لتصميم نهائي لبروش يشبه القوس. سيبدو جميلًا جدًّا، أعتقد ذلك".

t.me/yasmeenbook

توجعت ولمست جبينها بأصابعها.

قالت: "صداع مزمن، يهاجمني بانتظام ويبقيني مستيقظة طوال الليل. أعتقد أنني سأضطر إلى أخذ قليلٍ من الدواء والاستلقاء. هل يمكنكِ أن تطلبي من السيدة ديلغاتو أن تتولى صفي عند عودتكِ من الحصة في الهواء الطلق؟ أخشى أنني سأكون نائمة طوال الليل. ربما حتى أثناء العشاء. إنه أثر جانبي للدواء لا يمكنني الهروب منه".

"نعم، بالطبع. سأفعل ذلك عندما نعود. أثناء ذلك، اسمحي لي بأن أساعدكِ في الصعود إلى الطابق العلوي. روفينا؟ قودي الفتيات إلى الخارج، من فضلك".

تحملت وزن المعلمة بأفضل ما يمكنني بينما أصعد السلالم مع الآنسة جونز. بسبب فارق الطول بيننا، كانت أطرافها تمثل عبئًا ثقيلًا على ذراعي. بعد ما استقرت في سريرها، طلبت مني البحث في الدرج العلوي. هناك وجدت زجاجة بنية اللون مدونًا عليها اسم "لودانوم". كما وجدت قطرة عيون وعلبة صغيرة من العسل. وفقًا لتعليماتها، أضفت الشراب وملعقة صغيرة من العسل إلى كوب من الماء. بينما كانت تشرب، قمت بترتيب وسادة النوم لها وساعدتها في خلع حذاء الحداد، فلفت انتباهي طول قدميها -قد يكونان بمثل حجم آثار الأقدام التي نزلت على السلالم لأنهما طويلتان ونحيلتان. بينما كنت أضع حذاء الحداد بجوار حذائها، اصطدمت أصابعي بالجلد المبلل للحذاء. لا بد أنها انتعلت حذاءها في الخارج!

t.me/yasmeenbook

كان عقلي يعمل بسرعة. ربما في الليل، قد غادرت بارثينا المبنى... وبما أن آثار الأقدام نزلت فقط إلى أسفل السلالم وليس للأعلى، فمن الممكن أن تكون قد عادت بعد ما قمتُ بتنظيف البودرة من الأرض.

"من فضلك، هل يمكنك الاهتمام بشعر الفتاة الميتة؟".

بتوجيهاتها، بدأت في لف شعرها في مربع من القماش النظيف.

سألتْ: "هناك قطعتا شعر كبيرتان هناك، هل أنا محقة؟".

"أرى واحدة فقط".

"آه، إذًا قد أسقطت الأخرى. أكره أن أطلب لكن...".

"سأذهب إلى الطابق السفلي وأحضرها". سرت على خطواتنا أنفسها إلى الممر، ثم إلى السلم، وعبرت القاعة، لكنني لم أر قطع الشعر المفقودة. كان هناك مكان واحد فقط للبحث. فتحت الباب بهدوء ودخلت الصالون. كان غطيط القابلة العجوز يهز الحلي على رفوف الخزانة. كل هزة تشتمل على صوت غطيط في نهايتها كعلامة ترقيم. نظرة على المرأة ذات الفك المتراخي أخبرتني بأنني لا أحتاج أن أقلق بشأن رؤيتها لي. كانت نائمة بعمق، ورائحتها كانت تدل على أنها ثملة جدًّا على أن تلتفت لوجودي.

t.me/yasmeenbook

تجولت حول التابوت ولكن لم أجد أي شعر على الأرض. كان هناك مكان واحد فقط حيث يمكن أن تكون لفافة الشعر قد سقطت. شددت أعصابي للفحص الذي كنت أعتزم إجراءه. دون الالتفات إلى الإحساس غير المريح للجلد البارد، قمت بسحب القماش الذي يلف رأس الفتاة الميتة بلطف للحفاظ على فكها في مكانه. عندما تمت إزالة القماش، كشفَ عن نقطتين عاريتين تمامًا من الشعر، واحدة على كل جانب من جانبَي الجبهة. كانت المناطق المجردة من الشعر ضخمة! تم قص الشعر تمامًا! قامت الآنسة جونز بقص الشعر، وبذلك سلبت الجثة زينتها الطبيعية. هذا صدمني. على الرغم من أنني لا أعرف الكثير عن صنع مثل هذه الحلي الجنائزية، يشير المنطق إلى أن أي شعر يجب أخذه يمكن قصه من الجزء الخلفي لفروة الرأس، وبالتالي يكون أقل تشويهًا لمظهر الميت. بالطبع، يمكن الجدل بأن السرقة لن تكون ملحوظة، باستثناء تحرياتي، ولكن على الرغم من ذلك. يبدو أن هناك شيئًا قاسيًا ومتعمدًا في هذا.

بعيني، تتبعت طول جسم سيلينا. مرة أخرى، أذهلني حجمها. ربما تزن تقريبًا وزنَ إدوارد نفسَه. على الرغم من أن الموت بدأ مهمته الحتمية في التدمير، إلا أنه كان واضحًا أن بشرة الفتاة ناعمة كالبورسلين، وشكل وجهها بيضوي مثالي، وشعرها كثيف وداكن وملفوف في تموجات واسعة، وفمها مرسوم بشكل مثالي.

t.me/yasmeenbook

تنهدت القابلة في نومها. سن واحدة متبقية في سقف فمها، وسال القليل من اللعاب من شفتها السفلية الطليقة. كنت بحاجة إلى العثور على الشعر المفقود بسرعة والذهاب.

انحنيت لألقي نظرة تحت التابوت، وأخيرًا وجدت الخصلات ملتفة في ظل إحدى الزهور الكبيرة المهداة.

تسللت خارج الصالون بخطوات خفيفة، وأخذت غنيمتي معي إلى غرفة الطالبات الصغيرات. فتحت الآنسة جونز عينًا نعسة لتتابعني وأنا أضع لفافة الشعر الثانية بجوار أختها.

قالت: "لطفك يغمرني". انتابتها نوبة الألم، لكنها استطاعت أن تضيف: "شكرًا لك يا صديقتي. لن أنسى لك هذا".

كانت بالكاد قادرة على البقاء مستيقظة عندما ودعتني.

نزلت الدرج مجددًا وأنا أفكر فيما رأيته وفي السرعة التي نامت فيها الآنسة جونز. هل من الممكن أن الآنسة جونز قد أعطت سيلينا جرعة من اللودانوم؟ لديها إمكانية الوصول إلى غرفة الطالبات الكبيرات. كان بإمكانها بسهولة وضع بضع قطرات من اللودانوم في شاي سيلينا المسائي، ولكن ما هو دافعها إلى ذلك؟

أسرعت في السير في البهو، نزلت الدرج الأمامي وعدة أمتار على جانب الرصيف حيث كانت الفتيات يتجمعن حول كلب صغير، كانت تمسك بزمامه سيدة مسنة. نجحت روفينا

في جعل الجرو يرقص من أجل قطعة صغيرة من الخبز. التفتت الفتيات إليّ بترقب.

"أوه، اللعنة!". قلت وأنا أمد يدي في جيبي عندما اكتشفت أنني لدي قفاز واحد فقط. "روفينا، استمري في مراقبة البقية".

داخل منزل ألدرتون، مررت دون إصدار صوت خلال الرواق للدخول مرة أخرى. كانت حركاتي هادئة، كما يبدو أن الموتى يطلبون منا تقديم تعظيم خاص. ربما نشعر بالالتزام بتجربة هدوء القبر. لم أصدر أي صوت وأنا أتسلل إلى الصالون.

السيدة ديلغاتو كانت واقفة بظهرها لي، مائلة قليلًا فوق تابوت مصقول. تجمدت هناك في المدخل، حتى لا أربك السيدة المسنة، التي حكت حلقها، وسعلت، وبصقت. سقط البصاق على وجه سيلينا بيلتمور محدثًا صوتًا.

تحدثت السيدة ديلغاتو مباشرة إلى الجثة قائلة: "أيها الوحش الخبيث من نسل الشيطان".

شهقت. التفتت معلمة الموسيقى لتحدق فيّ، عيناها لا تعكسان أي شيء عن روح المرأة.

"هل جئتِ لتتجسسي عليّ؟".

"لا يا سيدتي. فقدت قفازي. هل هو على الأرض؟ ليس لديّ المقدرة على الحصول على غيرهما". كذبة صغيرة جدًّا، تلك التي خرجت بسهولة من شفتي.

t.me/yasmeenbook

"هل ستخبرين السيدة ثورستون بما رأيت؟".

"لا".

"لماذا لا؟".

"لماذا أفعل ذلك؟".

"دعيني أخبرك عن هذه، هذه الشيطان". أشارت إلى الجثة. "هل سمعت عن الآنسة هيرتسوغ؟ المعلمة التي تحلين محلها؟ كانت ضيفة تعاني طويلًا. المرأة تحملت كثيرًا، واستطاعت أن ترى تلك المعاناة فيّ. مثل هذه الصداقة! هناك الكثير من التشابه! نادرًا ما تجدين روحًا أخرى تربطك بها علاقة مماثلة. كانت الآنسة هيرتسوغ تحب الغناء، بيد أن الله حرمها من الصوت، ولكن يا لها من مُحبة للموسيقى؛ لذلك في يوم ما عندما كنا نتجول في السوق، اشترت عصفورًا. سمته فيغارو. كم كان مغنيًا بارعًا! رائعًا بحق! جلب لصديقتي الكثير من الفرح".

بسبب انفعالها الزائد، فتحت السيدة العجوز ذراعيها، وكادت تفقد توازنها. وضعت يدي تحت مرفقها، ومشيت بها إلى كرسي، وسهلت عليها الجلوس على المقعد.

"هل تعلمين ما فعلته سيلينا؟ هذه الفتاة الشريرة كسرت عنق الطائر وأطعمته للقطة! فعلت ذلك فقط لإيذاء فراولين هيرتسوغ التي كانت تحب حيوانها الصغير".

t.me/yasmeenbook

سألت: "لماذا؟، لماذا يمكن أن تفعل ذلك؟".

"فعلت ذلك للانتقام. بسهولة ووضوح. لقد أمسكت فراولين سيلينا وهي تخرج من المبنى. مرتين. أخبرت فراولين السيدة ثورستون... فحدثت مشاجرة".

"بين السيدة ثورستون وسيلينا؟ أم بين سيلينا وفراولين هيرتسوغ؟".

"بين السيدة ثورستون وسيلينا. صرختا بعضهما في وجه بعض. قررت السيدة ثورستون معاقبة الفتاة".

"هل فعلت ذلك؟".

"طلبت السيدة ثورستون من فراولين أن تجعل سيلينا تنسخ آيات من الكتاب المقدس، لكن الفتاة رفضت. واستمرتا هكذا".

رفعت السيدة ديلغاتو منديلًا رثًّا إلى عينيها ومسحت دموعها. وأكملت: "ثم جاء رجل في عربة فارهة لزيارة السيدة ثورستون. تحدثا سرًّا، وفجأة تغير كل شيء!"، ثم حركت المرأة أصابعها بقوة. "بهذا، أصبحت سيلينا المفضلة لدى السيدة ثورستون. لم أستطع أن أفهم لماذا. ولا أحد استطاع ذلك".

"وصديقتك؟ فراولين هيرتسوغ؟".

"قيل لها أن تترك سيلينا وشأنها. بالطبع، فهمت الفتاة أنها حصلت على هذه السلطة الجديدة... فأصبحت كل الأمور

أسوأ بعد ذلك. كان يمكنها أن تفعل ما تشاء. استهزأت سيلينا بفراولين بشأن الطائر الميت. وضعت الريش على وسادة فراولين! وفي طعامها! صديقتي المسكينة أصيبت بالجنون من الحزن. وماذا فعلت السيدة ثورستون للمساعدة؟ لا شيء. لا شيء على الإطلاق!".

"إذًا غادرت فراولين؟".

"عادت إلى ألمانيا".

"أنا آسفة". كلماتي بدت غير كافية، لكني كنت أكافح لإيجاد تفسير لهذا الانقلاب العجيب للأحداث. من هو، تساءلت، الرجل الذي زار السيدة ثورستون، وماذا قال ليغير توازن القوى؟

أمسكت سيدة ديلغاتو ذراعي وأظافرها تنغرس في جلدي. "استمعي إلي، غادري هذا المكان. اتركيه الآن. هؤلاء الأطفال لا يهتمون بنا على الإطلاق. هل تعلمين ما فعلت هذه الفتاة لمعلمتها الخاصة؟ دفعت تلك السيدة في بئر! كسرت ذراعها! تركتها هناك لمدة يومين وهي تصرخ محاولةً الحصول على المساعدة".

قلت: "يا إلهي، يا له من أمر فظيع!".

"هذا ليس كل شيء، ثم وجدت سيلينا ثعبانًا وألقته على المعلمة فقط لتسمع صراخها! أخيرًا، سمع أحدهم المعلمة

وتم إنقاذها، ولكن بعد بضعة أيام، أصيبت الفتاة المسكينة بالجنون، وشنقت نفسها بحبل في مستودع العربات".

ثم جذبتني السيدة ديلغاتو إلى مستواها، ونظرت في عينيّ وقالت: "ابحثي عن طريقة أخرى للعيش، ولكن لا تسلمي حياتك لأطفال الآخرين! خاصة أطفالًا مثل هؤلاء! لديهم الكثير ولا يعطوننا شيئًا بالمقابل! لا شيء! إنهم لا يعاملوننا مثل بشر. إنهم يعاملوننا أسوأ من الحيوانات!".

سمعنا صوت الخيول وهي تتوقف خارجًا. حررت نفسي من قبضة السيدة ديلغاتو، وركضت نحو النافذة الأمامية لأرى عربة في الشارع.

قلت للسيدة الإيطالية: "أسرعي! شخص ما قادم! يجب أن نذهب"، وأمسكتها من ذراعها، وتوجهت بها نحو الباب. "آه! إنه هناك! أرى قفازي. تحت التابوت".

تركتها عند إطار الباب، وركضت لآخذ قفازي الذي فقدته. في أثناء انتظاري، هبط كتفا السيدة ديلغاتو النحيلان، وظلا يتمايلان في ثوب الحداد، وقالت "أنت لا تسمعين. أنت لا تفهمين".

"على العكس، لقد استمعت وفهمتك. وأشعر بحزنك، ولكن سيلينا بيلتمور ستجابه قاضيًا أعظم يا سيدة ديلغاتو. هذا ما أعتقده. الآن، من فضلك، يجب أن نذهب".

t.me/yasmeenbook

معتمدة عليّ بشدة، سارت بعصاها في الممر. هناك ودعتها وتوجهت إلى الخارج، حيث ألقيت نظرة على عائلة بيلتمور بينما كانوا ينزلون من العربة. لحسن الحظ، لم يروني. توجهت بخطًا سريعة في الشارع حيث كانت الفتيات لا يزلن يستمتعن مع الكلب الصغير.

قلت وأنا أقود تلميذاتي بعيدًا عن منزل ألدرتون: "حسنًا، الآن يا سيدات. قلن وداعًا للكلب".

بعيدًا عن الأجواء المروعة للمدرسة، تضحك الفتيات فيما بينهن. بعد فترة، أضافت روفينا قفزة إلى خطواتها، وتخطتنا نحو الحديقة. بعد وقت قصير، انضمت الأخريات إليها. فرحهن أسعد قلبي، لذا اخترت عدم توبيخهن لعدم التصرف كسيدات.

سرت بخطًا سريعة لمواكبة الطالبات. ربما كانت الآنسة جونز لديها سبب صحيح لقص شعر سيلينا إلى هذا الحد. لم أكن أعرف شيئًا عن المجوهرات الجنائزية. هل كان من الممكن أن الآنسة جونز بحاجة إلى أجزاء محددة الطول أو الكثافة؟ هل هذا هو السبب في تشويه جمال سيلينا؟ أم هل كانت الآنسة جونز تعتزم توجيه إذلال نهائي للجثة؟ هل كانت هي أيضًا عازمة على الانتقام كما كانت السيدة ديلغاتو؟

على الرغم من تعقيد هذه الأسئلة، ستساعدني لوسي والسيد دوغلاس على التفكير فيها. كانت هناك الكثير من

t.me/yasmeenbook

المعلومات التي كنت متشوقة لمشاركتها! بدايةً من آثار الأقدام على السلم وحتى المعلومات الجديدة التي حصلت عليها عن سيلينا. خاصة زيارة الرجل الغامض الذي توسط لسيلينا، وكيف غيرت زيارته الامتيازات الخاصة بالفتاة.

على حدة، قد لا تعني هذه المعلومات الكثير، لكن عندما توضع بعضها مع بعض ، قد تشكل تسلسلًا. السؤال هو، هل يمكننا رؤية هذا التسلسل؟

t.me/yasmeenbook

الفصل ٣٨

جلست لوسي والسيد دوغلاس على المقعد نفسه، ينتظران وصولنا. يمكنني أن أرى وأنا أقترب أن لوسي تنبض بالحماس. اليوم ارتدت فستانًا كستنائيًّا مزينًا بالأسود. انتشرت الفتيات حولها أولًا ثم حول السيد دوغلاس والكلب راغز ليقلن مرحبًا. توقفن ليمررن أيديهن على النسيج القطني الناعم لفستانها.

همست لوسي في أذني وهي تعانقني: "الحمد لله أنك هنا، لدي أخبار هامة".

قلت: "وأنا كذلك، دعيني أبدأ للفتيات درسهن".

أخذت الفتيات بعيدًا بضعة أمتار، وشرحت لطالباتي أشكال مناقير الطيور المختلفة، وكيف تتناسب تلك المناقير مع حركة الفصائل. في مكتبة المدرسة، وجدت نسخة من كتابي المفضل القديم "History of british birds" لبيويك، واستخدمته بمثابة مرجع. تم تكليف الفتيات بمهمة رسم وكتابة مقالة تقارن بين أربعة أنواع أو أكثر من الطيور. من

t.me/yasmeenbook

خلال تشجيع طالباتي على الانغماس في عملهن، سأتمكن من التحدث بحرية مع صديقيّ، مع الحرص على أن نتصرف كأننا نجري أحاديث اعتيادية، على الرغم من أننا في الواقع نناقش مسألة حياة أو موت.

"هل تشعرين بالأمان يا جين؟ أحتاج إلى معرفة ذلك. إذا شعرت في أي وقت بالخطر، فلا تترددي في استدعائنا. بروس يقيم في بيتي خلال الفترة الانتقالية. هيغينز وويليامز قد لا يبدوان كما لو أنهما كفؤان، لكنهما خدما أوغي في مومباي. إنهما مختبران وموثوق بهما".

بمجرد أن تحققت من سلامتي، أخذت لوسي نفسًا عميقًا وقالت: "لقد كنت أطرح أسئلة عن عائلة بيلتمور أثناء جولاتي الصباحية. ما علمته يضع كل ما حدث في إطار جديد... وقد يؤثر بشكل كبير على كل ما اكتشفته منذ آخر مرة تحدثنا فيها".

"رجاءً استمري. كلي آذان مصغية".

"كما تعلمين، عائلة بيلتمور من بريتون. في الواقع، باع السيد بيلتمور أرض المزرعة لملكنا حيث بنى قصره البحري".

حتى في فيرندين المنعزلة، سمعنا كيف قرر ملكنا الحالي، عندما كان أمير ويلز، تحويل مزرعة متواضعة على الساحل الجنوبي إلى قصر، مكانٌ رائعٌ لعرض تشكيلته من ورق الحائط الصيني والأثاث وقطع الفن. بحلول عام ١٨١٥، بدت الفيلا مزدحمة للغاية، لذا استأجر الأمير جون ناش لتحويلها إلى

قصر. بينما بدأت رحلات جلالته إلى بريتون كوسيلة لتحسين صحته، أصبح المنتجع الساحلي -سريعًا- معروفًا بتشجيع صاحب السمو الملكي على الانغماس في عادات تدمر صحته: الشراهة والسُّكْر والتسكع.

قالت لوسي: "يبدو أن عائلة بيلتمور كانت تسعى جاهدة للحصول على دعوة لإحدى حفلات الملك جورج الرابع العديدة. وكانوا هناك حيث لفتت سيلينا انتباه جلالته".

دفنت وجهي في يدي. يا له من شيء مخزٍ أن يكون هناك رجل مثل هذا على عرشنا! لكن قبل أن أستعيد هدوئي، جاءت فكرة أخرى. "لوسي، لا يمكن أن تعني... أن سيلينا وسيدي...".

قال السيد دوغلاس بجدية: "لا، لم تكن عشيقته، ولكني سمعت شائعة تفيد بأن والدتها كانت عشيقته".

قلت وأنا أدرك كامل أهمية هذا: "إذًا فهذا يعني أنه من الممكن أن سيلينا كانت... ابنته؟".

وفقًا لكل الحسابات، عندما كان أمير ويلز في سن صغيرة، كان ذكيًّا وساحرًا واجتماعيًّا، لكنْ لديه أيضًا ضعف كارثي: كان يقع في حب الكثير من النساء بكل حماسة ودون تمييز، وكان يطاردهن بشكل مستميت عندما يرفضنه. في الواقع، كلما رفضنه أكثر، زاد إصراره في مطاردتهن، حتى وصل إلى قرار الزواج من امرأة واحدة، ماريا فيتزهيربرت، في طقس

t.me/yasmeenbook

غير قانوني تم تنظيمه من قبل كاهن أطلق سراحه من سجن المدينين خصيصًا لهذا الحدث. بالطبع، والده جورج الثالث غض الطرف عن هذا الأمر، واعتبر ذوو المناصب العليا أن زواجه مزيف. فقبل كل شيء، تعتمد أُمتنا على وريث العرش لأداء واجبه كملك في إنجاب وريثه الملكي الخاص، ولتحقيق ذلك، يجب على الأمير المشاركة في زواج شرعي مع أميرة ملكية. كارولين من برونزويك أصبحت زوجته، وبعد ذلك بوقت قصير، أصبحت عدوته. عندما تدهورت حالة جورج الثالث وأصبح مجنونًا، أصبح أمير ويلز، ابن جورج أوجستس فريدريك، ولي العرش، ثم توفي جورج الثالث وولي العرش أصبح الملك جورج الرابع. الآن كان ملكنا الجديد وزوجته المنفصلة عنه، كارولين، محبوسين في صراع يتجلى في البرلمان البريطاني حيث يتهمها بارتكاب الزنى.

صححت لي لوسي: "سيلينا قد تكون واحدة من العديد من أبنائه غير الشرعيين".

جلسنا ثلاثتنا هناك في صمت، كل واحد منا غارق في أفكاره، حتى بدأ راغز يتذمر ويطلب المداعبة.

قلت: "لكن إحدى الفتيات قالت لي إن سيلينا كان لديها صديق خاص، اسمه بريني".

غطت لوسي فمها وكبتت ضحكة. "هذا هو اللقب الذي أطلقته ابنة السيدة فيتزهيربرت المتبناة على الملك".

t.me/yasmeenbook

قلت: "هذا يفسر الكثير، خاصة لماذا كانت (صداقة) سيلينا سرًّا مكشوفًا".

أكد السيد دوغلاس: "نعم، وأيضًا يفسر لماذا كان ماركوس بايبر مترددًا في التحدث معي، ولماذا يشارك السيد ويفرلي في التحقيق".

"لا عجب أن السيدة ثورستون قد تراجعت وسمحت للفتاة بأن تتصرف كما تشاء. في البداية، لا بد أن المشرفة لم تكن تعلم عن نسبها، ثم قبضت فراولين هيرتسوغ على الفتاة وهي تتسلل، وحاولت أن تفرض عقابًا عليها. انتقامًا منها، قتلت سيلينا طائر الكناري المحبب للمرأة، واستخفت بها ونثرت ريشه في كل مكان".

قالت لوسي: "كم هذا أمر مشين!".

"هناك المزيد. اكتشفت اليوم أن سيلينا دفعت معلمتها الخاصة إلى بئر، وألقت ثعبانًا على المرأة. يبدو أنها كانت فتاة شريرة حقًّا"، وأكملتُ: "لكن دعونا نَعُدْ إلى وضع سيلينا في المدرسة. يبدو أن السيدة ثورستون ألغت العقوبة التي فرضتها على الخروج سرًّا بعد زيارة رجل للمشرفة. أفترض أن الرجل من الممكن أن يكون ممثلًا عن الملك، لكنني لا أفهم لماذا تم تسجيل سيلينا في مدرسة ألدرتون على الإطلاق. ألم يكن ينبغي للملك أن يوفر لها مسكنًا مناسبًا ومعاشًا؟".

t.me/yasmeenbook

قال السيد دوغلاس: "يا لها من فكرة سخيفة! من المرجح أن يدفع لها لترحل بدلًا من تحمل تكاليف إعالتها!".

أصررت: "ولكن أن يسكن أحد أبناء الملك في مدرسة؟".

قالت لوسي: "دعوني أقترح سببًا استنادًا إلى ما سمعت، عائلة بيلتمور مدينة بشكل كبير. ومنزل في لندن يكلف دائمًا الكثير. خاصة خلال المواسم. وتوفير موظفين لمسكن مناسب يزيد فقط من التكلفة. ومع ذلك، كانت التكلفة التي تدفعها سيلينا للسكن في المدرسة هنا، بالمقارنة، أمرًا زهيدًا. وهذا الموقع المتميز سمح لابنتهما بالتواصل مع جلالته بسهولة".

"ما الذي كان يأمل والداها تحقيقه؟".

قالت لوسي وهي عابسة: "أتخيل أنهما كانا يأملان أن يرضى الملك عنها وربما يمنحها معاشًا أو مكانًا في البلاط".

ظهرت ابتسامة خافتة على شفتي السيد دوغلاس: "أيٌّ من هذه الخيارات كان سيحسن من ثروة بيلتمور، تذكري أننا قلنا إن السيد بيلتمور كان مقامرًا. أعتقد أنه كان يقامر بأن ابنته يمكنها الفوز بالجائزة. ليس تاجًا، ولا مكانًا في خط الوراثة إلى العرش، ولكن تسوية. لقد حدث ذلك من قبل".

هزت لوسي رأسها: "هذا هو الجزء الأكثر حزنًا في هذه الخطة، بريني لم يعترف بأي من أبنائه غير الشرعيين. حتى ابنته الشرعية الأميرة شارلوت، لم يكن يوليها اهتمامًا، ثم توفيت".

نعم، لقد سمعت عن ذلك من قبل. توفيت الأميرة شارلوت عند الولادة. كانت الفتاة المسكينة قد تعرضت لإجهاض مرتين بالفعل قبل هذه الثالثة القاتلة. شعرت بمرارة في حلقي. "إذا كانت هكذا علاقة عائلتنا الملكية بأطفالهم، فأنا لا أرغب في الانتماء إليهم! إذا ولد الطفل في السرير الخطأ، فإنه بالتأكيد ليس ذنب الطفل!".

قال السيد دوغلاس: "يجب أن تفهمي ما هو الشيء على حافة الخطر هنا، من واجب جلالته توفير وريث شرعي. يضمن نقل السلطة بترتيب طبيعي. مع وفاة ابنته الوحيدة، وعدائه تجاه زوجته، فقد فشل، وهو على دراية تامة بهذا الأمر. أحد الأسباب التي تجعله يود الاستغناء عن الملكة كارولين من برونزويك هو لكي يتمكن من الزواج مرة أخرى وأن يوفي مسؤولياته. ربما إذا حدث ذلك، فقد يكون أكثر عرضة للاعتراف بذريته غير الشرعية".

لا بد أن انزعاجي من ملكنا كان واضحًا تمامًا. وضعت لوسي يدها اللطيفة على يدي وقالت: "جين، تم إجبار سيادته من قبل والده على الزواج من امرأة غير مناسبة تمامًا لتكون زوجته. لم يكن لديه خيار في هذا الأمر. في الواقع، تم إجباره على التخلي عن المرأة التي أحبها حقًّا. هل هذا لا يبدو مألوفًا لك؟".

ردًّا على ذلك، ضغطت قليلًا على يدها. قلت: "نعم، أعتقد أنه كذلك"، متذكرة زواج إدوارد الأول.

t.me/yasmeenbook

قالت لوسي بهدوء: "أتخيل أن السيدة بيلتمور كانت تأمل أن يتم منح سيلينا مستوطنة تشكل مهرًا رائعًا، ربما كانوا يعتقدون أن ملكنا قد يجد لها زوجًا مناسبًا".

قال السيد دوغلاس: "من المعروف أن بريني سخي بشكل غير عادي في بعض الأحيان، وبغض النظر عما إذا كان يعترف بسيلينا أم لا، فإنه يعشق الأطفال بلا شك".

قلت -مقاطعة- لتوضيح سوء الفهم هذا: "ولكنها -ليست- لم تكن طفلة"، وشرحت كيف رأيت جثة امرأة شابة ناضجة وقوية إلى حد ما.

قال السيد دوغلاس: "لا عجب أنها كانت تستطيع ترويع صديقاتها، الآن بعد أن انتهينا من قسم الفضيحة، ماذا لديك لنا بعد يا سيدة روتشيستر؟".

أخبرتهما عن زيارة عائلة بيلتمور. "قال والد سيلينا إنه من المفترض أن يراقب كاج ابنته. يبدو أن بينهما نوعًا من الاتفاق".

قامت طالباتي بتمرير نسخة من كتاب بيويك بينهن وهن يتحدثن فيما بينهن. كنت أرى الفتيات يتعجبن، كما فعلت في يوم من الأيام، من الرسوم الصغيرة التي تصف ساحلًا قاحلًا بعيدًا. في ذلك المكان، يمكن للشخص أن يكون باردًا ومشردًا تمامًا، لكنه يخلو من جميع الاتصالات الإنسانية المؤلمة. إن الإعدادات المشؤومة جذبتني وأفزعتني في الوقت نفسه،

حيث تتنبأ بمستقبل محزن لأولئك الذين كانوا متواضعين ومجهولين ومنعزلين.

ولكني لم أحلم أبدًا بأن امرأة جميلة شابة ولديها عائلة محبة قد تواجه مستقبلًا غامضًا.

"بعد قضاء الليلتين الماضيتين في غرفة الفتيات، أصبحت واثقة أكثر بأن جميع طالباتنا تعرضن للتخدير باللودانوم. هذه هي الطريقة الوحيدة التي يمكن من خلالها أن ينام الجميع خلال صراع سيلينا". شرحت كيف رأيت تأثير الدواء على أديل ومؤخرًا على بارثينا.

"للأسف، هذا أمر شائع بما فيه الكفاية حتى يكون من الممكن لأي شخص الحصول عليه".

ركضت روفينا إليّ لتريني عملها. أشدت به وأعدتها إلى زميلاتها في المدرسة حتى أتمكن من مشاركة اكتشاف آخر. "هناك فتاة أخرى لديها علامات على ظهرها. روز تعرضت أيضًا لضرب بالعصا".

نظر بروس دوغلاس فورًا إلى الفتاة وهي تجلس مع زميلاتها على العشب وقال: "من سيُشوِّه مثل هذا الجمال، مثل روز الصغيرة؟ هذا أمر غير معقول".

فتحت لوسي فمها تعجبًا، ووجهت الكلام إلى شقيقها: "إذن يُسمح بضرب الفتيات غير الجميلات، لكن احذر أن تُشوه الجميلة؟".

t.me/yasmeenbook

وافقتُ لوسي، وكنت منزعجة من تعليق شقيقها. فمن المؤلم بما فيه الكفاية أن يتجاهلك الآخرون بسبب قلة جمالك، ولكن الأكثر من ذلك أن يراك الناس على أنك تُعتبر ذا قيمة أقل؛ لأنك لم يكن لديك الحظ الكافي من الجمال. من ناحية أخرى، كانت وفاة سيلينا تذكيرًا قويًّا بأنه حتى أكثرنا إشراقًا لا بد أن يلقى في النهاية الفناء.

أمسك السيد دوغلاس صدره كما لو أنه تعرض لطعنة في القلب، وسعل بصوت عالٍ. "أختي لوسي، أنت جرحتِني في أعماقي. أنا مجرد إنسان، وبصفتي رجلًا، أنا أقل من هذا!". ثم واصل بصوت هادئ: "تحدثت مع مصدري في مكتب الطبيب الشرعي. كان ظهر سيلينا بيلتمور أيضًا مشوهًا".

عبس وجهي وقلت: "تزعم الآنسة ميلر أن العقاب لم يحدث. توافق الآنسة جونز على ذلك. لا تعرف أديل شيئًا عن ذلك".

ناقشت لوسي: "ولكن لا شك أن هناك عقابًا، وإلا، فلماذا توجد علامات مماثلة على أكثر من فتاة واحدة؟".

سألتُ: "هناك ثلاثة أسئلة: من قام بهذه الضربات؟ لماذا لم يسمع أحد أي شيء؟ هل كانت هذه الضربات سببًا للقتل؟".

قال السيد دوغلاس بتثاقل: "مجرد طريق آخر يستحق الاستكشاف". سردت للوسي وشقيقها لقائي مع السيد ويفرلي، ومقابلته لأديل، وإتقانه الخفي للغة الفرنسية. لم يتمكن السيد

t.me/yasmeenbook

دوغلاس من إخفاء ابتسامته من وجهه، واعتذر عن ذلك. "أنا آسف يا سيدة روتشيستر، ولكنني أُعجب بويفرلي. إنه لا يتوقف أبدًا عن مفاجأتي".

"وبالحديث عن المفاجآت". سلمت السيد دوغلاس الرسمة التي رسمتها. "إنها تشبهه إلى حد كبير".

"قد تكون هذه أداة قوية للعثور على السارق". قام بطي منديل الجيب الخاص به حول الرسمة. "ربما أحد المخبرين الخاصين بي سيتعرف عليه".

"آمل ذلك بصدق". بشكل عام، حاولت تجاهل تلك المشكلة المحزنة. العودة إلى التدريس وأحداث مدرسة البنات ساعدتني كثيرًا في ذلك، لكن ليس بشكل تام. أشعر بالرهبة من الحديث مع إدوارد عن فقدان أملاك عائلته. الآن، بصيص من الأمل رفع معنوياتي.

t.me/yasmeenbook

t.me/yasmeenbook

الفصل ٣٩

عندما عانقتني لوسي لتودّعني، مررت لي غلافًا صغيرًا وهمست: "رسائل من فيرندين". ثم صافحتُ السيد دوغلاس، وتوجهت نحو منزل ألدرتون مع تلميذاتي.

مشيت مع الطالبات الصغيرات بينما كانت روفينا وأديل ونيتي وروز يطارد بعضهن بعضًا باتجاه شجرة قد تكون واحدة من الشجر الأصيل الذي زرع في الحديقة منذ ما يقرب من مائتي عام. تحت آخر بقايا غطاء أوراقها الرقيقة، كانت الطالبات الكبيرات يدرن في دوائر حولها حتى شعرن بالدوار. كانت الضحكات والصياح يعمان حتى تعثرت نيتي وسقطت. سقطت بقوة ولفت قدمها تحتها. ركضت إليها.

قالت الفتاة بتلعثم وأنا أمد يدي لمساعدتها على النهوض: "لست مصابة يا آنسة. ليس كثيرًا"، لكن بمجرد أن وقفت على قدميها، تحول لون وجهها إلى لون شاحب.

همست: "آه! إنها تؤلمني جدًّا".

t.me/yasmeenbook

أسرعت روفينا إلى جانب زميلتها. "نيتي، ضعي ذراعك على كتفي. أديلا؟ اذهبي إلى جانبها الآخر".

قدمت روز قبلة سريعة على خدها، لكنها لم تقدم لها مساعدة جسدية.

لفترة من الوقت، عانت أديل وروفينا ونيتي وهن يتقدمن عبر العشب الأخضر لحديقة هايد بارك، لكن بعد ذلك، تخلصت روفينا من مساعدة الفتاة الفرنسية. "أعلم أنك تحاولين المساعدة، لكن أعتقد أن نيتي يمكنها القفز بشكل أفضل مع مساعدة واحدة منا فقط، وأنا بخير، صدقيني. إنها ليست ثقيلة. حقًّا".

تمكنت روفينا ونيتي من التعامل دون تدخلي. كانت الفتاتان تقريبًا بالطول نفسه، لكن قدرة روفينا على التحمل أدهشتني. كانت روفينا قوية، ولكن القوة التي أظهرتها أذهلتني، وكذلك قيادتها، لأن الأمور كانت تسير بسلاسة تحت قيادة روفينا.

في الأمس، كنت أشك في أن لا واحدة من الفتيات تستطيع خنق سيلينا. لم أكن أعتقد أن لديهن دوافع، وشككت في أن لديهن القوة. وتساءلت هل يمكنهن التعاون كفريق.

الآن أعرف عكس ذلك، وتشير الندوب الناتجة عن الضرب بالعصا إلى سبب جديد للبغض. راودتني فكرة مزعجة أكثر: ماذا لو عملت الفتيات معًا؟ ماذا لو كانت اثنتان أو أكثر منهن قد ضغطن الوسادة على وجه سيلينا؟ وماذا لو كانت سيلينا هي

t.me/yasmeenbook

المسؤولة عن الضرب بالعصا وقررن وقف التعذيب؟ خاصة أنه لم يكن هناك أي شخص بالغ لمراقبتهن. ما قدرات طالباتي بالضبط؟

لم يكن لدي وقت للتفكير كثيرًا في هذا الأمر. وصلنا إلى منزل ألدرتون تمامًا عندما كان السيد ويفرلي يغادر. قال: "آه، آنسة إير". أكد على اسمي الأخير لإرسال رسالة: أعلم سرك.

أومأت برأسي: "سيد ويفرلي" ."اذهبن يا بنات. سأكون هناك قريبًا. روفينا؟ اعتني بنيتي، من فضلك".

انتظرت حتى أغلقت الباب الأمامي خلف الفتيات: "كيف يسير التحقيق؟".

لم يضيع وقته في التودد. "هل كنتِ تعلمين أن فتاةً أخرى توفيت في مدرسة كانت الآنسة ميلر تشرف عليها؟".

قلت وأنا أتذكر محنتنا في لوود: "أطلقوا عليه اسم التيفوس، ولكن القاتل الحقيقي كان الجوع".

"هل حقًّا؟ حسنًا، لقد علمت أيضًا أنها تخرج في الليل".

حيرني هذا. نعم، لاحظت أنها غابت لفترات طويلة من يوم أمس، لكن... هل يمكن أن تكون آثار الأقدام الطويلة والنحيلة كانت للآنسة ميلر، وليس للآنسة جونز؟

بذلت جهدي للحفاظ على صوتي هادئًا: "ما الذي تعتزم فعله؟".

قال بطريقة غامضة: "سوف ترين قريبًا"، وأخرج الغليون من فمه ونفث دخانًا. "لدي شخص آخر في المدرسة يجب عليّ مقابلته. ذلك الخادم الشاب. اللعنة. إنه ينجح في الهروب في كل مرة آتي فيها. لا بد أن هناك شخصًا يساعده في الهرب مني، ولكن سألحق به!".

بهذا، أدار وجهه ورحل.

باستقامة، وصلتُ إلى داخل الباب قبل أن أنهار عند الإطار. ماذا تعني أسئلته عن نان ميلر؟

بعد أن صعدت إلى الطابق الأول، رأيت الفتيات الصغيرات يتسابقن نزولًا على السلالم من مسكنهن بعد وضع قبعاتهن وتبديل أحذيتهن إلى أحذية الحداد.

حذرتهن بصوت جاد: "سيداتي، هذا لا يزال مكان حداد".

في الصف الرئيس، قامت روفينا بإجلاس نيتي ورفع قدمها على مسند القدم من الجلد. أخذت روز قبعة وعباءة صديقتها المصابة، وذهبت لاستعارة قطعة قماش من الطباخة. عندما عادت بقطعة القماش القطنية، قمت بلف قدم نيتي بإحكام بقدر الإمكان.

بعد أن تحققت من راحة المصابة، طلبت من أديل جمع مقالات الفتيات التي تقارن بين مناقير الطيور. بينما كانت تأخذ الأوراق، كتبت كلمات باللغة الألمانية على السبورة، ووجهت

الفتيات لاستخدام هذه الكلمات في جمل يسيرة. وبدلًا من تصحيح واجب الفتيات، قمت بفتح رسائلي وقرأت:

عزيزتي جين،

آمل أن تصلك هذه الرسالة وأنتِ بصحة جيدة. السيد روتشيستر ونيد على ما يرام، وأنا كذلك. سيسرك معرفة أن السيد روتشيستر قد اتبع تعليمات السيد كارتر على نحو جيد. بقي مستلقيًا فترة أطول مما أستطيع أن أتذكر، وأنا أعرفه منذ طفولته، وقد كان مخلصًا في وضع الكمادات الساخنة على عينيه بانتظام. لا تمثل حلًّا نهائيًّا للتفاقم، لكنه ملتزم بتحسين وضعه. في هذه الأثناء، يلتقي بالعمال ويستمع إلى اقتراحاتهم بشأن إعادة بناء ثورنفيلد. أعتقد أن المشروع له تأثير إيجابي على روحه.

نيد يتناول طعامه بشهية جيدة. أمس، ابتسم لي عندما حملته. أعتقد أن لديه لون شعرك وأنف السيد روتشيستر. سيكون مزيجًا رائعًا؛ نيد سيصبح شابًّا وسيمًا عندما يكبر.

ستجدين رسالة من السيد روتشيستر مرفقة مع هذا الخطاب. على الرغم من أنني سعيدة جدًّا بأن أكون سكرتيرته، لقد توصلنا إلى خطة جديدة. عن طريق تثبيت ورقة واستخدام القلم، قمنا بإنشاء خطوط بارزة، تشبه الخطوط المطبوعة على الورق للطالبات اللاتي يتعلمن الحروف. قام جون بتثبيت قطعتين من الخشب بزوايا قائمة لتكوين نصف إطار.

المشبك أكمل اختراعه.

قدمنا هذا للسيد روتشيستر الذي كان سعيدًا جدًّا بجهودنا. بتثبيت الورقة داخل الإطار ذي الجانبين واستخدام حاسة اللمس لديه لمتابعة الخطوط البارزة، يستطيع السيد روتشيستر الكتابة إليك دون مساعدة، على الرغم من أنني أعتقد أنك ستجدين خطه متذبذبًا قليلًا.

أرسل لك أطيب التحيات.

مخلصتك المتواضعة،

أليس فيرفاكس

ابتسمت وأعدت وضع الرسالة في جيبي. تشكّل تجمع في حلقي عندما قرأت عن نيد وإدوارد. كم كانت أليس فيرفاكس لطيفة عندما عملت مع جون على إنشاء آلة لمساعدة إدوارد في الكتابة! قلبي امتلأ بالحب تجاه تلك السيدة الكبيرة. كم كنا محظوظين بوجود أليس فيرفاكس في حياتنا! يا إلهي، كم أشتاق لعائلتي في فيرندين!

في الورقة الثانية وجدت خطًّا متذبذبًا، يتداخل في بعض الأحيان، ولكن بشكل عام يسهل فهمه.

حبيبتي جين،

يا إلهي، كم أشتاق لك يا زوجتي العزيزة. فراقك عذاب

t.me/yasmeenbook

لي! أشعر كأن قلبي نُزع من جسدي. أتوهم سماع خطواتك. أنتظر لمسة يديك. أستيقظ في الليل وأشعر بشعور فراغ لم أشعر به من قبل.

أمقت هذه العين العاجزة وقلة حيلتي! لا ينبغي أن يكون الرجل تحت رحمة ضعفه، كما هي حالي. أدعو الله ألا نفترق مرة أخرى يا حبيبتي جين، أريد أن أخبرك بأنني لا أستطيع أن أتنفس بسبب الألم الذي أشعر به جراء فقدانك.

على الأقل، أُصبِّر نفسي أننا سنكون معًا قريبًا!

سآتي إلى لندن بأسرع ما يمكن يا حبيبتي. أشتاق لك كثيرًا!

زوجك المحب،

إدوارد

مسحت الدموع من عيني بمنديلي. لماذا أنا هنا وهو هناك؟ ما الجدوى الحقيقية لوجودي بين هؤلاء الفتيات؟ لوقت طويل، حملت الرسالة وقلبتها بين أصابعي. يربطني بحياتي الحقيقية خيط كخيط عنكبوت، وأشعر بالقلق بأنه في أي لحظة يمكن أن ينقطع هذا الخيط وأجد نفسي وحيدة تمامًا.

t.me/yasmeenbook

t.me/yasmeenbook

الفصل ٤٠

في العشاء، كانت الآنسة ميلر مفقودة. طرقت السيدة ثورستون على كأس الماء بالسكين، ثم نظرت إلى الفتيات. "لقد تصرفتن بشكل جيد هذا الصباح. أرجو أن تستمررن على هذا المنوال. سيكون هناك زوار هامون يترددون، بلا شك. أتوقع منكن الاستمرار كالمعتاد. بالإضافة إلى ذلك، تم إحجام حركة الآنسة ميلر واقتصارها على غرفتها. أيتها المعلمات؟ يرجى الاهتمام بطالباتها. تذكرن، أنا لا أتسامح مع النميمة أبدًا! هل هذا واضح؟ حسنًا، تابعن". همست في صلاة وختمت كلمة "آمين" بلكمة قوية على الطاولة حتى ارتفعت كل أدوات الطعام وتصاعد الحليب من البراد وانسكب على المفرش، معطيًا رائحة لاذعة للمكان.

عندما جلست على كرسيّي، شممت رائحة النبيذ. بعد لمحة سريعة عليها اكتشفت الحقيقة. لقد شربت!

أمسكت حافة مقعدي بإحكام لتثبيت نفسي. استمري. نعم، هذا هو ما يجب عليّ فعله.

t.me/yasmeenbook

كانت تعابير الآنسة جونز غامضة بشكل كبير؛ بدا أن اللودانوم قد أخمد استجاباتها. تبادلت الطالبات نظرات استفهامية، حيث لم يفهمن على الفور أهمية كلام السيدة ثورستون، لكن روفينا فهمت وقالت بشكل مفاجئ: "لا بد أن الآنسة ميلر في ورطة! هل هو ذلك الرجل الذي يستجوبها؟ من هو؟ هل هو شرطي؟".

قلت: "كفى يا روفينا".

"حسنًا يا آنسة"، ولكن تجمعت الدموع في عينيها، وسقطت واحدة على وجهها.

ظلت روز تحدق في طبقها، وبكت نيتي قليلًا، وبدت أديل غير مهتمة تمامًا. همست الفتيات الصغيرات بعضهن لبعض. بالنسبة للطفلات الصغيرات، دون أستاذتهن، بدَون ضائعات. وبشكل عام، كن غير متيقنات من معنى كل هذا الضجيج، لكن بعد الكثير من الهمس، قالت كارولين الصغيرة: "سيقومون بوضعها في السجن، أليس كذلك؟". وانفجرت بالبكاء، ثم انضمت الأخريات إليها حتى بدأت الفتيات الكبيرات يمسحن عيونهن من البكاء. كنا نحن البالغات كجُزر من الجدية وسط طفلات يبكين.

تابعت السيدة ثورستون أكلها كما لو أنه لا يحدث شيء غير عادي. مسحت طبقها بقطعة خبز.

قدمتُ كل الطمأنينة التي أستطيع تقديمها عن طريق الحديث مع الطالبات. بدت الآنسة جونز غير متأثرة بشكل غريب. لم يتوقفن عن البكاء. أخيرًا، دفعت السيدة ثورستون طعامها بقوة، ودفعت كرسيها إلى الوراء بانزعاج، وانصرفت إلى مكتبها، على ما يبدو لتغرق همومها في الخمور القوية.

لم يتم تقدير الدجاج المطبوخ الرائع الذي أعدته الطاهية بشكل كبير؛ حتى رائحة الريحان والبقدونس لم تستطع إغراء الجميع. لاحظت أنني لا أشعر بشهية كبيرة.

قالت الآنسة جونز مع تنهيدة طويلة: "أشعر بتشتت كبير، حقًّا، الآنسة ميلر ساعدتني في التطور، وكنت أحترمها كثيرًا، ولكن إذا كان رجل الشرطة يعتقد أنها مذنبة، فهذا دليل قاطع، أليس كذلك؟ أعني، ماذا عن تخدير الفتيات وما إلى ذلك؟".

لعبت بقطعة من الدجاج وسألت: "أي تخدير؟".

هزت الآنسة جونز كتفها وقالت: "إنها الشخص الذي يقوم بتخدير الفتيات. كمشرفة للمدرسة، فإن هذه مسؤولية الآنسة ميلر. سواء كنَّ يعانين التهابًا في الحلق أو حمى، تقوم هي بإعطائهن الأدوية. وبما أنه لم يستيقظ أحدٌ من الطالبات الكبيرات، لا بد أن السيد ويفرلي يفترض أنه تم إعطاء سيلينا جرعة من اللودانوم قبل النوم. وربما تم تخدير جميع الفتيات".

جلست مذهولة. كانت الآنسة جونز تتحدث بطريقة عابرة، ولكنها وصلت إلى الاستنتاج نفسه الذي وصلت إليه. هل

كان هناك المزيد مما تعرفه؟ قررت أن أشجعها على التحدث بحرية. من يدري ماذا قد تشاركه معي؟

"أجد هذا... مذهلًا. هل تعتقدين حقًّا أن الآنسة ميلر ستقتل إحدى الطالبات؟ ولماذا؟ ما أسبابها؟".

"من يعرف؟ إنه لغز بالنسبة لي. بسبب اختفاءاتها المفاجئة وتاريخها السابق".

أزعجني ذلك. هل يجب أن أخبر الآنسة جونز بأنني اشتبهت أنها تتسلل أيضًا؟ ربما كان الأسلوب غير المباشر هو الأفضل. "لقد سمعت أصواتًا في الطابق السفلي في الليل".

قالت الآنسة جونز: "وأنا أيضًا، في الواقع، أستيقظ كثيرًا وأفحص المكان، ولكن دون جدوى. أفهم ما تشعرين به. يؤرقني هذا الوضع أيضًا. لقد واجهت صعوبة في النوم، وأستطيع أن أرى من خلال الهالات تحت عينيك أنك تقلقين أيضًا. أعتقد أننا متشابهتان كثيرًا بهذا الشأن. تعبيرًا عن المودة، قمت بإعداد هدية صغيرة لك".

مدت يدها إلى جيبها، سحبت الآنسة جونز مستطيلًا صغيرًا ملفوفًا بورق بني ومربوطًا بخيوط. "يرجى مراعاة أنني مبتدئة فقط، ولكنني آمل في التحسن. ربما حتى بمساعدتك؟".

فتحت الهدية لأجد رسمًا مائيًّا صغيرًا لطائر الروبن. "إنها مفاجأة. لا أعرف ماذا أقول سوى أنني أشكرك". تعجبت علنًا

من التفاصيل الجميلة. كانت النسب غير متناسقة قليلًا، لكن الجهد يظهر الموهبة. "إحساسك بالألوان رائع".

"قمت به أثناء عمل الفتيات على مسائل الرياضيات. آمل أن تعجبك".

"أنا سعيدة جدًّا".

اندلعت مشادة في الطرف الآخر من الطاولة. انهارت فيكتوريا بالبكاء، دفعت طبقها جانبًا، ووضعت وجهها على الطاولة لتبكي. توجهت إليها: "حاولي ألا تقلقي. هيا الآن، كوني فتاة جيدة. ارفعي رأسك"، وربت على ظهرها.

قلت وأنا أعود إلى مقعدي: "آمل أن يتمكنّ من الهدوء، كنت أتمنى أن تكون السيدة ثورستون أكثر تعاطفًا. ربما لو تحدثت بمزيد من... الحذر أو الرأفة. انظري كم هن مضطربات الآن! إنهن صغيرات جدًّا لتحمل مثل هذه الهموم".

ألقت الآنسة جونز نظرة سريعة على الفتيات، لكنها حافظت بشكل رئيس على انتباهها على الخبز الذي كانت تدهنه بالزبد: "أعتقد ذلك، لكن تذكري يا آنسة إير، هؤلاء طفلات محظوظات من الطبقة الراقية. لن يعرفن الحرمان أو الجوع أو العطش. ستزعجهن هذه الأمور فترة قصيرة، وسينسين أنها حدثت. لا تعني الآنسة ميلر أو أنت أو أنا شيئًا لهن. نعم، الآن يشعرن بالصدمة، لكن التوتر سيتلاشى. إن لم يحدث ذلك، فقد يكون ذلك حتى مفيدًا. قد يحسن من طباعهن".

t.me/yasmeenbook

هزت كتفها وأخذت قضمة من طعامها وبفم ممتلئ أضافت: "ربما يعلمهن هذا درسًا".

"نعم، لكن هؤلاء فتيات. إنهن خائفات!".

"ربما، ولكن ليس لديهن سبب للخوف".

"يتم استجواب معلمتهن، وقد قتلت زميلتهن في المدرسة، وليس لديك إحساس بالشفقة تجاههن؟ أو حتى تجاه الطفلة الميتة؟".

"إنها ليست طفلة، إنها مجرد فتاة مشاكسة وقاسية مع زميلاتها والمعلمين. بسبب علاقتها بالملك الفاسق، تم منحها امتيازات خاصة". وأضافت الآنسة جونز: "نعم، توقعت أنك ستكتشفين علاقاتها الملكية. لم يكن سرًّا كبيرًا، أليس كذلك؟ من الواضح أن الملك تعب منها. أنا واثقة أنه وجد الفتاة مزعجة كما نجدها جميعًا. يمكن الافتراض بكل ثقة أنه قام بالتخلص منها بدلًا من أن يتعامل معها أو يدفع لها. أما بالنسبة لبقية الطالبات، فلدي تعاطف محدود تجاههن، وهو أكثر مما يشعرن به تجاهي. أو تجاهك. سيستأجرن ويطردن نساءً مثلنا عندما يكبرن. سيدفعن لنا أقل مما سينفقنه على ثوب جميل. سيطردننا بعد نزواتهن. سيتهمننا بمغازلة أزواجهن. سيغضبن عندما يلجأ أطفالهن إلينا للراحة. في الوقت نفسه، سنعتني بأطفالهن، وسنمسح دموع أطفالهن الصغار، سنضمد جروحهن، وعندما يكبرن، يطردننا إلى الخارج. على عكس

إيما أو كاج، حياتنا العملية قصيرة، خدماتنا مطلوبة لفترة زمنية قصيرة. ولا نحظى بالتقدير على ما نقوم به، لأننا لا نحسن حياة أصحاب عملنا. على العكس، نثير استياءهم. ينظرون إلينا على أننا شر لا بد منه. نشجع أطفالهن على التفكير...".

وهنا أشارت إلى رأسها بإصبعها: "... وعلى التعلم، على التطور خارج حياتهن المحدودة والمعينة بدقة. باختصار، نهددهن".

"من المؤسف أن أقول لك إنك على حق". في ثورنفيلد، عندما كنت لا أزال معلمة أديل، استضاف السيد روتشيستر جمعًا من الأثرياء المحليين، بمن في ذلك بلانش إنجرام وشقيقتها ماري ووالدتهما السيدة إنجرام. قالت بلانش إنها وشقيقتها كانتا تمتلكان على الأقل عشرات المعلمات، نصفهن مقززات والباقيات سخيفات. انضمت والدتها لتقول إنها تعاني من "فئتنا". عندما أشار ضيف آخر إلى أنني، بسبب قربي، قد سمعت هذه التعليقات القبيحة، بدأت بلانش وأختها في مناقشة الطرق المختلفة التي قد عذبتا بها واستصغرتا واضطهدتا معلماتهما. وعلى الرغم من أنهما رأتا ذلك سلوكًا مرحًا، إلا أنه يكشف لي عن طبائعهما القاسية وطبيعتهما الفاسدة، قاسيتان للغاية ومتعجرفتان أيضًا.

بالطبع، كانت القسوة التي عرضتها عائلة إنجرام أمرًا طفيفًا مقارنةً بدفع معلمة إلى بئر وإسقاط ثعبان عليها! خدمت ابنتا

t.me/yasmeenbook

عمي، ماري وديانا ريفرز، لفترة وجيزة بمثابة معلمات، وقد كانت كلتاهما سعيدة بالتخلي عن وظائفهما عندما قمت بمشاركة إرثي معهما. بمجرد توفير الدخل لهما، اختارتا التخلص من العبودية التي فُرضت عليهما بسبب الفقر.

استمرت الآنسة جونز: "عالمنا أوسع من عالمهم، ومن ثم نسبب للآباء والأمهات إزعاجًا شديدًا. يردون لنا ذلك بتجاهلنا. نحن ما يتجنبونه، ونحن أيضًا ما يطمحون لأن يكونوا مثله: مثقفين. لذا، نحن نُنقل إلى هامش مجتمعهم. نحن المنبوذات، الخارجات عن القانون... نساء لا نتاجر فقط بمظهرنا، بل نطمح إلى مكانة أعلى، لأننا نمتلك عقولًا مثقفة".

بهذه الطريقة، كان الاتحاد بيني أنا وإدوارد فريدًا. على الرغم من أنه أعجب بمظهري، بغض النظر عما قد يعتقده الآخرون، أشاد بذكائي الذي أسر قلبه. لقد كانت روحي -إرادتي وطاقتي وفضيلتي وطهارتي- ما أراد أن يمتلكه. هذه الصفات مجتمعة كانت ما جذبته إليّ، وربطت أوتار قلبينا.

"الأمهات اللاتي يستخدمن نساءً مثلنا هنّ نماذج عقلية فارغة، يُثمّن فقط لأنهن صغيرات وجميلات وثمينات، سواء كنَّ يجلبن الكثير من المال إلى الزواج أو يمنحن بعض المكانة. لا يهم. هذا هو طريق العالم. يفعلن ما يولدن ويتربين للقيام به دون التفكير".

أنهت كلامها قائلة: "لست أشعر بأي تعاطف تجاه الأمهات... وفقط القليل تجاه بناتهن. هذا جيل جديد من النساء السخيفات والمشوشات. يمكننا أن نصب كل التعليم في هذه الأوعية قدر ما نشاء، ولكنها معيبة. بفضل وضعهن الاجتماعي، لا يهمهن كثيرًا ما يتعلمن. فما يحدث هو أن هذه الأوعية تحديدًا تعاني شقًّا كبيرًا مما يجعل المعرفة تتسرب مباشرة على الطاولة".

ثم طوت منشفة المائدة، ونظرت إليّ بفضول. "أنت تعتقدين أنني باردة ولا أشعر، أنا واثقة. هذه ليست الحال. أقبل حظي في الحياة وأستمتع بتلاميذي خلال تلك الفترة القصيرة التي تتقاطع بها طرقنا. من يعلم ما يمكن أن يحمله المستقبل؟".

"نعم، أعتقد أنه من الجيد أن نعيش اللحظة".

"لا يوجد شيء يمكننا فعله بشأن وضعنا يا آنسة إير. سنظل دائمًا نقف بقدم واحدة على الدرجة السفلى من الحياة، محاولين التشبث بحياة أفضل!".

أخيرًا، غلب الجوع الفتيات. انشغل معظمهن الآن في مهمة تناول الطعام. وبما أننا كنا غير ملحوظتين، استغللت الفرصة لطرح سؤال آخر على الآنسة جونز. "ما رأيك فيما حدث لسيلينا؟ ومن تشتبهين به؟".

"أنا واثقة تمامًا بأنه كان كاج".

t.me/yasmeenbook

"لماذا؟". اتهامها أدهشني، خاصةً في ضوء الاقتراح البشع الذي قدمه السيد بيلتمور بأنه كان يجب أن يراقب كاج ابنته بعناية أكبر. ربما كان عليّ أن أنتبه أكثر إلى الشاب، وبالتأكيد أن أعتبره بشكل أكثر مشتبهًا به.

"سيلينا كانت تغازله بلا حياء. لا أشك أنه تعب من ألاعيبها القاسية. نظرًا لأنه ينام على فراش في مطبخ المدرسة، يمكنه بسهولة أن يتسلق الدرج الخلفي ويدخل إلى غرفة نوم الكبيرات".

هذا كان شيئًا لم أفكر فيه. الشاب كان هادئًا جدًّا، وغير لافت للنظر بحيث تجاهلت وجوده بشكل كبير.

ولكن لم يعد الأمر كذلك.

t.me/yasmeenbook

الفصل ٤١

بقية المساء مرت ببطء. كانت الفتيات هادئات جدًّا خلال ساعة القراءة. عندما توفيت سيلينا، شعرن بالراحة والخوف معًا، ولكن احتمال فقدان الآنسة ميلر هزّ أسس عالمهن. كانت هي ملاذهن الآمن أكثر من السيدة ثورستون. بقيت الآنسة ميلر بعد رحيل السيدة ويبستر، وكان لها تأثير مستقر ساعد الفتيات في التكيف مع السيدة ثورستون. الآن، هن مشوشات. تجولن حول الغرفة بلا هدف، غير قادرات على التركيز في المهام الموكلة إليهن.

في هذا المساء، كنت أول من غادر غرفة الجلوس، وعندما فعلت ذلك، لمحتُ سريعًا نان ميلر وهي تندفع خلف الباب وتدخل منطقة نوم الرضع. كانت أطراف ملابسها رطبة، وكانت ورقة خضراء معلقة بها.

كنت محتارة. كنت أعلم أنه قيل للطباخة أن تغلق الباب إلى تلك المنطقة، حتى لا يستطيع أحد الدخول من هناك إلى المبنى. عندما غادرنا طاولة العشاء، رأيت شخصيًّا إيما وهي

t.me/yasmeenbook

تدير المفتاح لتغلق الباب الأمامي كما تفعل كل ليلة قبل أن تعيده إلى السيدة ثورستون. كان من المفترض أن تكون الآنسة ميلر محتجزة في غرفتها. إذًا أين كانت؟

قررت أن أسألها بنفسي. "روفينا؟ أنت المسؤولة. سأعود بسرعة. لدي مهمة أنجزها". بهذا، تسللت عبر الردهة. حذاء الحداد جعل خطواتي بلا صوت. فتحت باب غرفة نوم الطفلات بهدوء، ووقفت جانبًا مشاهدة الآنسة ميلر دون أن تلاحظني. بدت متراجعة ولكن هادئة وهي توجه الطفلات للتجهيز للنوم. تحدثت بأصوات مهدئة، لكن الفتيات تقريبًا ابتعدن عنها. أخيرًا، ألقت نظرة نحوي وتحركت شفتاها، قائلة: "في الوقت المناسب".

عدت إلى غرفة الفتيات الكبيرات، كان واضحًا أن السيدات الكبيرات كن أيضًا مشتتات ومنزعجات، لذا جمعتهن حولي على فراشي، حيث سردت لهن قصة قصيرة عن أميرة عادية. كما كان متوقعًا، اعتقدتْ جميع الفتيات أن القصة تتحدث عنهن، باستثناء روز. كنت أشك في أنها شعرت يومًا بالقبح، على الرغم من أنها وجدت القصة مسلية، قالت: "أن تكون قبيحة سيكون مروعًا! مروعًا جدًّا! أنا أفضل الموت على ذلك!". يجب على روز أن تظهر المزيد من التعاطف، ولكن... لماذا يجب عليها؟ فهي لن تكون أقل من رائعة أبدًا.

لفت روفينا عينيها بسخرية إلى صديقتها، وأخفيت أنا ابتسامتي. كنت مبتهجة بشخصيتها القوية وثقتها بذاتها. أثبتت

نفسها أنها قوية ويعتمد عليها وذكية. ومع ذلك، كانت قوتها البدنية تجعلني أتساءل عما إذا كانت قد خنقت سيلينا. ربما كانت روفينا قد تعبت من مراقبة الفتاة الكبيرة وهي تتنمر على زميلاتها؟ كلما عرفت المزيد عن وحشية سيلينا، كان من الصعب أن أشعر بالاشمئزاز تجاه قاتلتها.

طلبت منهن: "اذهبن إلى السرير"، وعندما دخلت كل فتاة تحت غطائها، غطيتهن جيدًا، ووضعت قبلة على جبينهن. كانت الحركة طبيعية، فأنا أنظر إلى كل منهن بمحبة. ومع ذلك، كانت مرافقة أديل تستحق أن أبقى لبعض الوقت، وأنا أهمس لها ببعض الوعود باللغة الفرنسية. كانت هذه اللحظات مفيدة لي، بقدر ما كانت مفيدة لها، فوعدت نفسي بأنني سأعود إلى المنزل قريبًا، وسأتمكن من الإغداق على ابني بالحب والعاطفة أنفسهما.

بعد أن استقر الغطيط الخفيف والتنهدات المألوفة في الغرفة، أغلقت النافذة التي تطل على شجرة الكستناء. وتركت الباب مفتوحًا، عبرت الممر، ودخلت غرفة الطفلات، حيث كانت الآنسة ميلر جالسة على كرسي بجوار النافذة، وذراعاها متقاطعتان تحت ذقنها، وهي تحدق إلى خارج المدينة. لمست كتفها برفق فنظرت إليّ.

"آنسة إير، كنت أعرف أنك ستأتين. حان الوقت لنودع بعضنا بعضًا يا صديقتي العزيزة".

t.me/yasmeenbook

"آنسة ميلر! هل تقولين إنك مذنبة بهذه الجريمة؟ لا يمكنني تصور ذلك".

في ضوء القمر الشاحب، كانت تضع ابتسامة تكاد تكون كذلك ولكنها لم تكن، ولكن الأهم من ذلك، كانت الدموع تتألق في عينيها، واللتين لم تحملا أي أمل.

"أنا مذنبة".

"ماذا؟ هل قتلت سيلينا بيلتمور؟ لا يمكنني أن أصدق ذلك! لماذا إذًا كنت تصرين على أن آتي لحماية الفتيات الكبيرات؟ هذا لا يبدو منطقيًّا".

بدأت إحدى الطفلات بالأنين.

"اهدئي". نهضت الآنسة ميلر وربتت بيدها على ظهر الطفلة. انتظرت أن تعود وتجلس مرةً أخرى. جلستُ على حافة فراشها حتى أتمكن من رؤية غرفة الفتيات الكبيرات بوضوح وبابها المفتوح.

"بالطبع لم أقتل سيلينا. ومع ذلك، فأنا مذنبة على الرغم من ذلك. قلت لك إن الظروف تغيرت، أتتذكرين؟ وهذه التغيرات هي التي دفعتني لأترك التدريس في المدرسة القروية وآتي إلى لندن؟ هذه هي الحقيقة. لقد خدمت في وظيفة مشابهة لوظيفتك، أو على الأقل هكذا قلت، ولكنك غادرتِ وتزوجتِ السيد روتشيستر. قصتي لم تنتهِ بنهاية سعيدة".

t.me/yasmeenbook

قلت: "أخبريني بها، أنت مدينة لي بذلك. جئت إلى هنا بناءً على طلبك".

تنهدت قائلة: "مثلك، كنت أُدرس في مدرسة صغيرة في ليفربول. ومثلك، وقعت في الحب. كنت أحب القس الإنجيلي فرانسيس جيلبرت. بشكل ما سمحت لنفسي بالاعتقاد أنه يبادلني المشاعر، لذا عندما تدفقت مجموعة كبيرة من المهاجرين الإيرلنديين إلى مدينتنا، عرضت مخاوفي عليه. لقد كنت قلقة، تفهمين؟ لأن الأطفال كانوا جائعين بوضوح".

ثم توقفت، وحكت أنفها. بعد لحظة، استأنفت قصتها: "القس جيلبرت رفض أن يفكر في تقديم الإغاثة الإنجيلية للمهاجرين الإيرلنديين. في الواقع، رفض أن يسمح لي بتوزيع سلال الطعام عليهم، على الرغم من أن سيدات الكنيسة كن يعددن هذه السلال بانتظام لهذا الغرض. أردت أن أحظى بمعروف لديه، لذلك فعلت كما أمر. أترين؟ غضضتُ الطرف عن معاناتهم. قلت لنفسي إن أهلهم سيساعدونهم. في بعض الأحيان، كنت أترك قليلًا من الخبز الزائد الخاص بي على درج المدرسة حتى يتمكن الأطفال من تناول شيء يسير إذا حضروا إلى المدرسة باكرًا، لكنني لم أشك أبدًا أنهم يأخذون ذلك الطعام القليل الذي أتركه إلى منزلهم ليشاركوه مع ذويهم. أو أنهم يطعمون الأصغر سنًّا أولًا. لم يخطر ببالي مدى معاناتهم. كنت أكذب على نفسي! ولكنهم كانوا جائعين جدًّا.

يومًا ما بعد المدرسة، رأيت فتاتين إيرلنديتين تأكلان التراب والعشب. وفي وقت آخر وجدتهما تأكلان قطعة ورق تم التخلص منها، وكان غلاف غداء طالبات أخريات. تحدثت عن كل هذا مع القس جيلبرت، لكنه كان حازمًا. إذا اخترتِ تغذية أجسادهم -قال-: 'فأنا سأحكم على أرواحهم بنار جهنم'. وأنا انحنيت لرغباته، لأنني اعتقدت أنه سيرى طبيعتي المطيعة، وسيعلم كم سأكون زوجة صالحة!".

لقد كافحت لأمتنع عن إدانتها، ولكنني أردتُ أن أصرخ: "أنت تعرفين أفضل من أي شخص آخر!". هذه القصة تشبه الخرافات الدينية التي سمعناها كثيرًا في شبابنا. كيف لم تكن قادرة على اكتشاف ذلك؟

قالت بتردد: "ثم في يوم ما، جئت إلى المدرسة مبكرًا، كما هي عادتي، ووجدت طفلة ذات عينين مغمضتين متكئة على الباب الأمامي. ماري أوبراين الصغيرة كانت ميتة وباردة تمامًا. ماري كانت تحب المدرسة، ولكن المشي لمسافة ميلين في ذلك اليوم كان صعبًا جدًّا على قلبها المرهق. بالطبع، لم أكن مسؤولة، لكن ليس في نظر القانون... ولكن في نظر الله؟ هذا أمر مختلف".

ثم التفتت إليّ وأمسكت كلتا يدَيّ بيديها اللتين كانتا باردتين كأنها كانت تمسك ثلجًا. "لهذا السبب جئت واستدعيتك. لم أستطع أن أقف عاجزة هذه المرة. عرفت أنني لا أمتلك

الشجاعة أو الذكاء لحماية هؤلاء الفتيات، لكن بعد زيارتك صباح الاثنين، بدأت التفكير... جين إير تستطيع ذلك!".

لم أقل شيئًا، خوفًا من أن أقول أكثر مما ينبغي. دائمًا ما كنت أعطي الآنسة ميلر مكانة طيبة في قلبي، لكن الآن أشك في تقييمي لها. إنها، التي تعرف بشكل أفضل، ورأت بالفعل المعاناة تحت غطاء ضمير ديني، كانت تقف مكتوفة الأيدي في حين يتعرض طفل للجوع.

ثم... تذكرت ما قاله السيد كارتر لي. عن جوع الناس العاملين في أراضي إدوارد. هل أنا حقًّا بلا خطيئة؟ هل لدي الحق في رمي الحجر الأول؟

كلا، أنا مذنبة مثلها على قدر المساواة. وكذلك إدوارد. سيتعين علينا تصحيح الوضع... وسريعًا، سحبت يدي من يديها، وحافظت على تجميعهما تحت تنورة ثوبي لكيلا أظهر ضيقي.

"بعد ذلك بوقت قصير، جئت إلى هنا. واكتشفت أن آلاف الإيرلنديين قد جاؤوا أيضًا إلى لندن بسبب فشل محصول البطاطس. ترتكز حياتهم بشكل كبير على البطاطس. كانت هناك آفة في القرن الماضي ومعاناتهم مستمرة. عائلاتهم كبيرة جدًّا، ولا يوجد عمل آخر سوى العمل في الحقول؛ لذلك يأتون إلى هنا، على أمل إيجاد وظائف في المدينة".

لندن كانت كسيدة أنيقة تجذبك لتقترب، عندما تنظر إليها من بعيد، تبدو رائعة، ولكن عند فحصها عن قرب، تلاحظ قروحها الملتهبة وقذارتها وثيابها المتسخة.

"توفّر الطعام هنا بهذا الشكل المفرط صدمني تمامًا، لذا أمسيت أغادر عندما أستطيع وأحمل الطعام للفقراء قدر المستطاع، في كل فرصة تتاح لي".

"ولكن إيما تغلق الباب الأمامي. وغرفة الطباخة بجوار باب المطبخ. كيف تتمكنين من ذلك؟".

ظهرت ابتسامة خفيفة على شفتيها. "الطباخة امرأة طيبة. تحب الخمور، كالسيدة ثورستون. تركت مفاتيحها بالخارج في يوم من الأيام، وأخذتها لصنع نسخة منها، ولكن أنا واثقة بأنها تعلم، وأعتقد أنها متعاطفة معي. بالتأكيد فهي لا تعلق أبدًا على الطعام الذي أضعه في جيوبي، وغالبًا ما تترك خبزًا وجبنًا ملفوفين في ورق".

وأضافت: "يجب أن تفهمي" -قالت وهي تأخذ يدي بيدها وتقترب مني- "أحتاج إلى التكفير عن ذنبي! يجب أن أنقذ روحي! أترين، كنت غبية لأعتقد أن رجلًا مثل القس جيلبرت يستطيع أن يحب امرأة مثلي. لو لم أكن بهذا القدر من السذاجة، لو كنت أكثر صدقًا مع نفسي، لكنت اتبعت ضميري. بدلًا من ذلك، استمعت إلى رغباتي، وأردته أن يحبني. أردت... منزلًا و... عائلةً".

قالت هذا وبدأت بالبكاء.

كانت قصتها يمكن أن تكون قصتي. أنا فهمت قوة الحب، وكيف هو مقترن برغبة المرأة في الإعجاب بها، ويمكن أن تضلّ الإنسان عن الطريق الصحيح.

قالت: "هل تعتقدين أن الله سيغفر لي؟ أنا لا أستحق!".

كانت تبدو جادة للغاية، ولكني لم أجد في نفسي الأهلية الكافية أن أمنحها الغفران. ليس عندما أفكر في ذلك الطفل الذي مات جوعًا! "عليك أن تطلبي مغفرته، ليس مغفرتي".

"لا أستطيع أن أومن بمن يريد أن يجوع الأطفال الصغار، أليس كذلك؟". أمسكت بيدي، ووضعتها بين يديها مجددًا.

"كلا. بالطبع لا".

"أخبريني يا آنسة إير. هل تكرهينني؟".

"لا". لم تكن كراهية. كانت حيرة وخيبة أمل.

كان هذا المكان يبدو كأنه يظهر الجانب الأسوأ في جميع سكانه.

أتوق جدًّا لمغادرته!

ولكن أولًا، سأنهي ما كنت قد بدأته: العثور على القاتل.

"أنا لا أكرهك، ولا أعتقد أنك قمت بإيذاء سيلينا بيلتمور. لم يكن هناك دافع لك لكي تؤذي تلك الفتاة، أليس كذلك؟".

t.me/yasmeenbook

"لا، لم أكن أحبها، لكنها لم تزعجني. أعتقد أنني بطريقة ما كنت غير مثيرة للاهتمام بالنسبة لها. ربما لأنني غير جذابة. كانت لديها طبيعة تجذبها إلى الأشخاص اللامعين أو المثيرين للاهتمام. أما بقيتنا فكانت تتجاهلنا".

"لقد لاحظت علامات الجلد بالعصا على أكثر من فتاة. هل تعلمين شيئًا عن ذلك؟ من قد يكون قام بهذه الضربات؟".

"فتاتين؟".

"في الواقع ثلاث. لدي معلومات موثوق بها تفيد بأن سيلينا كانت مصابة بعلامات الجلد بالعصا".

"السيد دوغلاس؟ لديه مصادره".

"نعم".

"أنا... أنا لا أعرف ماذا أقول. إلا أنني أشعر بالفزع".

لم تقل شيئًا، وأعادت وجهها إلى ظلام الليل العميق.

"أخبريني عن فراولين هيرتسوغ. هل يمكن أن تكون هي من قامت بتلك الضربات؟".

فكرت الآنسة ميلر في ذلك وأجابت: "أعتقد أنه ممكن، ولكنه غير مرجح. أحيانًا كنت أسمع النحيب من ذلك المسكن. هذا أيضًا سيكون ذنبًا عليّ، أليس كذلك؟ لقد كنت دائمًا أحد الأشخاص الذين يلتفتون بعيدًا بدلًا من مواجهة ما

يزعجني. ولهذا السبب تقول الصلاة: (اغفر لنا يا رب، ما فعلنا وما لم نفعل)".

لم يكن لدي صبر على تحمل الآنسة ميلر وتلاوتها لصلاة الاعتراف الإنجيلية. ليس الليلة. كانت هناك مسائل أكثر أهمية تشغل بالي. "أنا أعرف الظروف التي غادرتْ فيها. هل من الممكن أنها ظلت قريبة من هنا؟ هل يمكن أن تكون فراولين هيرتسوغ قد دخلت عن طريق النافذة لتنتقم لخسارتها؟".

"من الممكن، ولكنه غير مرجح. نعم كانت مدمرة بسبب وفاة طائرها، لكنها كانت تخطط للعودة إلى ألمانيا. أعتقد إلى سترتغارت. انتظري!". قامت الآنسة ميلر بتفتيش خزانتها وعادت بورقة. "هذه معلومات عنها. ربما يمكن للسيد دوغلاس أن يعثر عليها".

أخذت الورقة ووقفت للمغادرة. "تصبحين على خير يا آنسة ميلر".

تنهدت وقالت: "آنسة إير، أسألك مرة أخرى، هل تكرهينني؟، كنت حمقاء، أعلم ذلك، لأنني تخيلت يومًا أن مثل هذا الرجل يمكنه أن يحبني!".

حجبت الظلال عيني المرأة التي كانت لطيفة معي في طفولتي، لكن صوتها ارتجف بحزن، وهذا الشوق الذي لم يتحقق يشع من شخصها.

t.me/yasmeenbook

فهمت حاجتها للحب. حاولت أن أرفض مشاعري تجاه السيد روتشيستر، وأعترف بصدق بأنني لم أكن أملك الكثير. كان هناك مظهري غير المرتب. قلة علاقاتي الاجتماعية أو السياسية. وبالتأكيد، في ذلك الوقت، لم يكن لدي ثروة لأقدمها.

ولكن على الرغم من عيوبي، لا يزال شغفي يترسخ في داخلي. لا يزال لدي حب. فعلًا، لا يمكنني أن أتوقف، مهما حاولت بجد!

كم كانت بهجة لروحي عندما قال إدوارد روتشيستر: "أعتقد أنكِ طيبة، موهوبة، جميلة؛ شعلة عاطفية مهيبة تشكلت في قلبي". عندما زعم أنه وجد فيّ كل ما كان يريده ويحتاجه.

لذا، نعم، أفهم ماذا يعني أن ترغب في أن تشعر بالحب، ولكنني لا أفهم كيف يمكنها أن تدع طفلًا يجوع. ولا يمكنني أن أتخيل حب رجل سيُسَرُّ برؤية المعاناة الواقعة على الضعفاء بيننا.

قالتْ بلطف: "لا يوجد شيء آخر يمكنك فعله هنا. خذي أديلا واذهبي إلى البيت. اذهبي الآن قبل أن تتعرض للمزيد من الخطر".

"وماذا عن الأخريات؟ والقاتل الحقيقي؟".

"أنا... أنا لا أعرف ماذا أيضًا يمكن فعله لهن. دعي السيد ويفرلي يحلها. أرجوك. رجاءً، اذهبي، وخذي حبي معك. لقد

t.me/yasmeenbook

كنتِ صديقة حقيقية. إذا بقيتِ، فقد يتسبب ذلك في تلويثك. هذا سيكون أكثر مما أستطيع تحمله. اذهبي، فقط اذهبي".

وقد فعلت.

t.me/yasmeenbook

الفصل ٤٢

كنت آمل أن أنام، لكن أفكار الآنسة ميلر واعترافها كانت تتجول بلا هوادة في رأسي. كان هناك ثلاثة طرق للدخول إلى المدرسة: الساحة، الباب الأمامي، ونافذة غرفة الطالبات الكبيرات عن طريق شجرة الكستناء. بالنظر إلى ميل السيدة ثورستون والطاهية لشرب الكحوليات، كانت الطرق الثلاثة متاحة. نظريًّا.

لقد تخلصنا من فكرة أن القاتل من خارج مجتمع المدرسة. ربما كان علينا إعادة النظر في ذلك. هل من الممكن أن يكون القاتل قادمًا من الخارج ولديه شريك هنا في المبنى؟ يمكن أن يكون الشريك قد قام بتخدير الفتيات وسمح للقاتل بالدخول. إذا كان هناك شريك، فمن سيكون؟ ولماذا سيساعد أحد هنا القاتل؟

أثناء تفكيري في كل ذلك، غططتُ في النوم أخيرًا لكنني استيقظت بصدمة. كان هناك صوت يأتي من السلم. بذلت

t.me/yasmeenbook

مجهودًا لسماع الأصوات. قمت ببطء من سريري، وأدخلت ذراعي في ثوبي وربطت الشريط.

تحدث شخصان بأصوات منخفضة على الجانب الآخر من الباب. توقفت للاستماع. لم تكن الأصوات شبحية.

بعد سماع بضعة أنفاس مستقرة، فتحت الباب بقوة.

قفز كاج وإيما بعيدًا، قاطعين عناقهما. كانت إيما تحمل شمعة مضاءة في يدها الممدودة، قطعة صغيرة ومتذبذبة، لكنها تلقي ما يكفي من الضوء لإظهار وجوههما المرعوبة.

قال كاج: "يا آنسة، رجاءً. لا تشي بنا. أرجوك! ستطردني السيدة ثورستون بالتأكيد يا سيدتي". ارتجفت إيما، لكنها رفعت ذقنها بثبات فوق كتفيها النحيلين في رداء النوم، كانت ترتدي لحافًا رثًّا، مستطيلًا صغيرًا مخيطًا من قطع باهتة ومرقعة.

وقف كاج أمامي بتحدٍّ، مرتديًا ملابسه بالكامل، باستثناء الأحذية. كان يلبس جوارب مَخيطة كثيرًا فقط. وقف بيني وبين إيما بأسلوب حماية. كان من الواضح أن آثار الأقدام الكبيرة التي رأيتها في المسحوق الذي رششته على السلم كانت له.

"سأقرر كيفية التعامل مع هذا لاحقًا. بعد ما نتحدث. إذا كنتما صادقين معي". قررت أن أستغل هذه الفرصة. ربما يمكن أن يساعداني في معرفة من قتل سيلينا، إذا استطعت أن

أجهز الأسئلة المناسبة لطرحها. "لنذهب إلى غرفتك يا إيما. ليس هناك داعٍ لإيقاظ الجميع".

صعدنا الدرج المظلم إلى غرفة صغيرة بسقف مائل وسرير ضيق تحت نافذة سقفية يتسرب منها الهواء البارد.

قال كاج وهو يقف برأسه منحنيًا بسبب السقف المنخفض: "سأخبرك بكل ما ترغبين فيه يا آنسة. هذا خطئي. انظري، أنا أحب إيما. أحبها من كل قلبي. أنا أدخر حتى نتمكن من الزواج".

أخذت الخادمة مكانها بجواره وأمسكت ذراعه بذراعها: "وأنا أحبه، من كل قلبي".

جلست على حافة سريرها وراقبتهما.

تبادلا نظرات شوق، عيونهما تقول أكثر مما تستطيع أفواههما قوله.

تنهدت إيما وقالت: "ولكن إذا فصلتنا السيدة ثورستون الآن، فلن نستطيع أن نتحمل تكاليف الزواج، بضعة أشهر فقط يا آنسة. هذا كل ما نطلبه".

كنت أعرف بالضبط بم تشعر، الأمل، الحب، وضغط الانتظار.

ظن كاج أن تنهيدتي تعني إدانة له فقال: "أنا لم ألمس إيما. أعني، ليس بهذه الطريقة. لقد كنت سيدًا شريفًا... وهي فتاة

t.me/yasmeenbook

طيبة. طيبة، من الداخل والخارج يا آنسة. ليس ذنبنا أننا وقعنا في الحب".

"في غضون ثمانية أسابيع، سأكون في السادسة عشرة. سيحصل كاج على وظيفة في المرافئ. وعده رجل بذلك. هذا كل ما نحتاجه، بضعة أشهر، ثم يمكننا الذهاب إلى غريتنا غرين والزواج، بالطريقة الصحيحة، هناك في اسكتلندا".

أحزنني اليأس. لماذا يجب أن يكون الوقوع في الحب خطرًا عليهما؟ أزحت مخاوفهما بحركة يدي. "لست هنا لأستجوبكما بشأن ذلك. في الواقع، أتمنى لكما الأفضل، ولكن لدي أسئلة حول سيلينا. كاج، سمعت السيد بيلتمور يقول إنه يجب أن تهتم برعايتها. ماذا يقصد بهذا؟".

نظر كاج إلى قدميه، وكانت يداه المتشققتان تنقبضان وتتراخيان على جانبه.

قالت إيما: "أجب"، حاثةً إياه على التحدث. "يمكنك الوثوق بها. إنه لا يحب التحدث كثيرًا يا آنسة".

بتردد، قال: "عملت لدى السيد بيلتمور في بريتون. عرض عليّ هذه الوظيفة. قال لي أن أراقب ابنته لأنها شخصية خاصة. دفع لي مبلغًا إضافيًّا مقابل ذلك".

"هل كانت السيدة ثورستون تعلم ما كان عليك القيام به؟".

t.me/yasmeenbook

"لا، في البداية لم تعلم. عينتني لأنني قلت إنني سأعمل بأجر منخفض".

قالت إيما: "عائلة بيلتمور خدعوا السيدة ثورستون بالفعل، ولكنها عرفت الأمر في وقت لاحق... ويا إلهي، لقد كانت مستاءة للغاية يا آنسة. ثم أرسل الملك ذلك الرجل ليتحدث معها، فلانت فورًا. تخيلي! تلك الفتاة تكون جزءًا من العائلة الملكية! لا عجب في أن سيلينا تتصرف بهذه الطريقة".

قال كاج: "ولكن والدتي لا تزال تعمل لدى عائلة بيلتمور، ولم أكن أرغب في أن أجعلهم غاضبين مني، من أجل أمي، لذا أبقيت فمي وعيني مغلقين".

"هل أخبرت السيد ويفرلي بهذا؟".

توجهت عيناه بحركة هستيرية نحو إيما وعادتا إليّ. "لا، كان من المفترض أن يتحدث معي، ولكن حتى الآن تمكنت من مراوغته".

قالت إيما وزادت قبضتها الواقية على ذراع كاج: "قلت لكاج (لا يمكنهم فعل شيء لك!)، لأنه كان فقط يفعل ما أُمر به، أتفهمين؟ كان يعمل لمصلحة السيد بيلتمور والملك على حد سواء، بطريقة ما".

"إذًا، كانت سيلينا تزور الملك فقط؟".

t.me/yasmeenbook

تبادل هو وإيما تعابير مؤلمة. دفعته للأمام وسحبت صندوقًا فارغًا له ليجلس عليه وقالت: "احكِ لها".

قال كاج وهو يجلس: "حسبما أعرف، في البداية، لا أعتقد أنه كان يصدق أنها قريبته. استغرق بعض الوقت للاقتناع، أعتقد ذلك. عندما جاءت هنا لأول مرة، كان عليّ أن أساعدها في الحصول على عربة، ثم التحقق من أن الباب الأمامي مفتوح حتى تتمكن من العودة. ثم، في يوم ما، جاء رجل من بريتون. أعطاني حزمة من الرسائل لأعطيها إياها. من والدتها. أعتقد أنها أرتها للملك، لأنه بعد ذلك بوقت قصير، بدأ يرسل عربته الخاصة لها. يمكنني معرفة ذلك من خلال الألوان، تعلمان. صفراء مع ستائر كستنائية. بعد ذلك، كانت تستطيع أن تذهب وتأتي كما تشاء". فرك كاج عينيه بقبضة يده وتثاءب بصوت عالٍ. يا إلهي، لا شك أنه كان متعبًا جدًّا. وإيما أيضًا.

ربتُّ على السرير بجانبي، جلست إيما بحذر. كان عليهما أن يستيقظا قبل الفجر ويظلا مستيقظين بعد أن ينام الجميع في المنزل. اجتماعهما في منتصف الليل بالتأكيد كان كلاهما يدفعان ثمنه.

استمر كاج: "لا، لم تكن ملاكًا، ولكن لم يكن كل شيء ذنبها. إخوتها. كانوا مجموعة سيئة. علموها الحيل. تعلمت منهم كيف تحصل على ما تريد من الناس".

"أي نوع من الحيل؟".

t.me/yasmeenbook

قالت إيما: "حيل قبيحة. كانت تستبدل الملح بالسكر، وكادت الطباخة تفقد وظيفتها تقريبًا بسبب تعفن اللحم وفساد الشاي أيضًا. عندما لا تكون الفتيات منتبهات، كانت تُفسد عملهن؛ لأن سيلينا تكره هذا المكان".

"كانت تعتقد أنها يجب أن تعيش في منزل فاخر مع الكثير من الخدم وتكون سيدة"، قال كاج بصوت أكثر إلحاحًا: "كان والدها يعتقد أنها لا ترتكب أخطاء. على الأقل من وجهة نظره. عندما وُلدت، كانت طفلة متأخرة... على الأقل هذا ما قالته والدتي. كان الجميع يعشقونها، خاصة بعد كل هؤلاء الإخوة الذكور. ثم مرضت بشكل مروع وكادت تموت. بعد ذلك، قام السيد بيلتمور بتدليلها بشكل لا يصدق؛ لأنه كاد يفقدها، لكن إخوتها كانوا قاسين معها، وكانت دائمًا ترغب في مواكبتهم. أعتقد أن هذا هو ما جعلها تكون شريرة بهذا الشكل، بسبب التنمر عليها من قبلهم".

كنت أفكر بصوت عالٍ: "ولكن الملك لن يؤذيها، أليس كذلك؟".

"لا أرى لماذا أو كيف. لا بد أنه أعجب بها، إذ كان لا يزال يرسل عربته إليها، أليس كذلك؟".

أومأتُ برأسي وسألت: "هل يمكن للقاتل أن يتسلق تلك الشجرة ويدخل الغرفة؟".

هزت إيما رأسها رافضة: "كانت الأمطار تهطل طوال الليل قبل وفاة سيلينا. لم أرَ أي ماء يحتاج إلى التجفيف على الأرض بجوار السرير عندما دخلت للتنظيف. إذا كان القاتل قد تسلق ودخل، فلماذا لم يترك أثر ماء؟".

كانت إيما على حق: كانت الأمطار غزيرة. أي اقتحام من الخارج سيكون قد ترك بقايا ماء على الأرض بناءً على غزارة الأمطار. لا يمكن لشخص أن يتسلل داخل مدرسة ألدرتون دون أن يبتل. أو دون أن يترك آثارًا على طول الطريق.

لذا، عدت إلى الاعتقاد أن القاتل يجب أن يكون شخصًا من داخل هذا المبنى، شخصًا لديه وصول إلى اللودانوم. شخصًا قويًّا.

قلت للثنائي الشاب تصبحان على خير، وعدت إلى سريري غير المريح. وأنا مستلقية هناك، أحاول الشعور بالراحة، وأنظر إلى السقف، أعيد التفكير مرارًا وتكرارًا في ما أعرفه، وفي ما علمته.

فجأة، بدأت أشعة الشمس تتسلل خلف الستائر وتضيء الزينة الثقيلة. استيقظت الفتيات ببطء، ورشَشن وجوههن بالماء.

دخلت إيما وتجنبت النظر إليّ.

قلت لها بنبرة صوت تدل على أنني لا أحمل لها ضغينة:

"صباح الخير".

رفعت عينيها بخجل نحوي: "لن تخبري أحدًا، أليس كذلك يا آنسة؟".

"بلى".

أظهرت ابتسامة خفيفة، وسلمتني حقيبة سفر جلدية رائعة.

"تريد السيدة ثورستون منك أن تجمعي أغراض سيلينا من خزانتها وتضعيها في حقيبتها".

حاولت أن أجلس. بدلًا من ذلك، لم أستطع سوى أن أنهض وأصرخ لأن ظهري يؤلمني جدًّا من محاولتي للنوم على فراشي غير المريح. على الرغم من أنني لم أتوقع أن يكون لدي الكثير من الليالي هنا، إلا أن هذا لا يمكن أن يستمر. "إيما، هل يمكنك مساعدتي؟ أريد أن أقوم بتبديل هذا الفراش إلى ذلك الفراش، فراش سيلينا".

ساعدتني في رفع الفراش القديم عن سريري وإمالته على الحائط. التفتُّ ونظرت إلى أسفل، ورأيت عصًا مستندة إلى حبال السرير.

"هذه سبب مشكلتك يا آنسة"، أشارت إيما نحو الشيء الذي تسبب في معاناتي في الليل. عصًا بطول قدمين، وقطرها ثلاثة أثمان بوصة. التقطتها، وضعتها جانبًا، وأشرت إلى إيما أننا يمكننا أن نعيد الفراش إلى موضعه الأصلي.

t.me/yasmeenbook

قلت لها: "شكرًا جزيلًا"، ثم سألتها بصوت هامس: "هل لديك أي فكرة كيف وصلت هذه إلى هنا؟".

قالت: "لا" بثبات وصدق في نظراتها. وبعد ذلك، غادرت الغرفة.

التفتتِ الفتيات لمتابعة جهودنا في ترتيب الغرفة، والآن كن يحدقن إلى العصا.

"هل هذه هي التي استخدمت لضربكما؟ نيتي؟ روز؟". أخذتها من الأرض وأظهرتها في يدي. "هل تعرضتن جميعًا للضرب بهذه العصا على ظهوركن؟".

لم تتحدث أيٌّ منهن. حدقن جميعًا إلى أقدامهن وفي الأرض بتركيز شديد.

قالت أديل بالفرنسية: "أنا لا أعرف". وأضافت محركة كتفها: "لم أرها من قبل".

"سيداتي؟ طرحت عليكن سؤالًا. هل هذه هي الأداة التي سببت آثار الضرب على ظهوركن؟". عندما لم ينظر أحدٌ إلي، قلت: "روفينا؟ أنتِ رئيسة الفتيات. قولي لي. هل تم استخدام هذه العصا لمعاقبتكِ أنت وصديقاتكِ؟".

"نعم يا آنسة".

"هل ضربتكما السيدة فراولين هيرتسوغ يا نيتي؟ أو أنتِ يا روز؟". تبادلت الفتاتان نظرات مذنبة، ولكن لم تتحدث أيٌّ

t.me/yasmeenbook

منهما. قامت نيتي بترتيب الطيّات على فستانها، وهي العادة التي تستخدمها كإشارة تمهيدية للتهرب ثم قالت بصوت منخفض: "إنه سرّ".

"فتياتي، هذا ليس سرًّا يجب عليكن أن تحتفظن به. إما أن تخبرنني بما حدث هنا، أو سنذهب جميعًا لنتحدث إلى السيدة ثورستون حول هذا الأمر". لم أكن أعتزم القيام بأي شيء من هذا القبيل، ولكن لم يكن لدي أي وسيلة للضغط، وفي أي لحظة قد تعود إيما وتسأل لماذا لم نكن في الطريق لننزل إلى الإفطار. كنت أعلم أن أفضل فرصة لجعل الفتيات يتحدثن كانت الآن.

ولكن لا واحدة تكلمت.

"روفينا؟ أنا أعتمد عليكِ. تحدثي إلي. لا أنوي معاقبة أيٍّ منكن أو مشاركة سركن، إذا استطعت الصمت بضميرٍ مرتاح. هل ضربتِ زميلاتكِ يا روفينا؟".

روفينا قامت بلف طرف فستانها في عقدة غاضبة ضيقة وقالت: "لا يا آنسة! أبدًا! لم يحدث أبدًا! لقد كانت سيلينا! انظري، سمحت لنا بالانضمام إلى ناديها، ولكن بعد أن عاقبتنا بالعصا".

رفعت نيتي ذقنها: "كان الضرب هو طريقة الانضمام، ولكن فراولين هيرتسوغ أمسكت بنا وأخذت العصا".

وجدت هذا أمرًا محيرًا: "لكن فراولين هيرتسوغ لم تخبر السيدة ثورستون؟".

"لا يا آنسة إير. كان ذلك مباشرةً بعد أن قالت لها السيدة ثورستون أن تترك سيلينا وشأنها؛ لذلك، كانت لا تستطيع فعل الكثير، إلا أن تخفي العصا. لهذا السبب وضعتها تحت فراشها".

"هل كان والد سيلينا يضربها؟".

قالت روفينا بعينين واسعتين: "لا، كان إخوتها يُظهرون لها كيف يحضرون العصا إلى المدرسة، هكذا انضموا إلى نواديهم! وأردنا أن نكون في نادٍ أيضًا".

"ولكن لم تصرخ أيّ منكن؟".

"سيلينا ربطت جوارب معًا -نظيفة- ووضعتها في أفواهنا لنعضها. إخوتها علموها كيف يتم ذلك. مثلما يفعل المدير عندما يضربهم. يعضون شيئًا. بقوة".

شعرت بشعور مريض فاضطررت للجلوس. كان إدوارد قد أخبرني بمثل هذا السلوك وعواقبه البشعة. في شبابه في المدارس الداخلية، تعرض إدوارد وأوغي للضرب عدة مرات. قال: "بعض الجروح تلتئم، والبعض الآخر لا يلتئم أبدًا".

عبست أديل وقالت: "لم تعاقبني سيلينا أبدًا. أكره أن أُضرب".

t.me/yasmeenbook

قالت روفينا بصوت عالٍ، ولكن مع مظهر صبور: "لأن سيلينا قررت أنكِ صغيرة جدًّا لتنتمي إلى نادينا".

أعطت روز إيماءة برأسها تدل على المعرفة وقالت: "ولكن الرجال يحبون النساء اللواتي يخضعن لهم. تقول والدتي ذلك، شرحت لنا والدتي أنه يجب علينا أن نفعل ما يأمرنا به أزواجنا، بغض النظر عن مدى سوء ذاك. على كل واحدة منا مسؤولية تنفيذ واجبها كامرأة إنجليزية".

"لا بد أن يكون لدى سيلينا معرفة بما تتحدث عنه لأن الملك كان معجبًا بوالدتها". قدمت نيتي هذا كحقيقة لا يمكن إنكارها. ارتجفتُ: "إذًا هذا هو الأمر".

كان هذا مفاجئًا ومقززًا على حد سواء.

كنت مرتبكة بسبب هذه الاكتشافات، ومذهولة من خليط الارتباك والمعلومات الخاطئة والهراء العام تحت غطاء الحكمة، قلت: "لن نتحدث عن هذا الآن. روفينا، اصطحبي البقية لتناول الإفطار. سأنضم إليكن لاحقًا".

لم يتحركن. نظرت الفتيات إليّ بترقب.

"لا تقلقن بشأن العصا. سأحفظ سركن. يمكننا أن نتحدث أكثر عن أفكاركن حول الزواج والرجال لاحقًا. الآن، يجب أن تثقن بي: سيلينا كانت على خطأ. اذهبن إلى الإفطار يا فتياتي".

t.me/yasmeenbook

بنظرات جانبية، أشرن بعضهن لبعض أن الأسوأ قد مر. خرجت تنهيدة جماعية من تلميذاتي، الواحدة تلو الأخرى، سرن بجانبي وبجانب العصا المهيبة. عندما أغلقت نيتي الباب وراءها، جلست على حافة سريري، وفركت جانب رأسي بأطراف أصابعي.

كانت عظامي تؤلمني، كنت متعبة، قلبي يؤلمني، ولم أستطع التفكير بوضوح.

من الأفضل أن أبقى مشغولة. قمت بالوقوف وأخذت نفسًا عميقًا وفتحت خزانة سيلينا؛ نظرًا لأنه تم أمري بجمع أغراض الفتاة، لا يمكن أن يلومني أحد لفحص أشيائها.

كما خططت للاستفادة من الفرصة لإعادة العناصر التي لم تكن تنتمي لسيلينا إلى الفتيات الأخريات.

كم كانت فتاة غريبة وماكرة!

عندما فتحت الدرج، وجدت مجموعة كبيرة من الجوائز من أفعالها السيئة: النص الألماني المفقود، عدة شوكات من الفضة تحمل شعارًا ملكيًّا، قطعتي شريط، مجموعة من الأوراق، مقبضًا خزفيًّا مكسورًا بزخرفة ذهبية ولمسة من اللون الأزرق، علبة ورقية بها بسكويت الشيكولاتة، ومجموعة من الريش الأصفر، الذي لا بد أنه يعود لطائر فراولين المحبوب. تحت كل هذا كانت هناك حزمة صغيرة من الرسائل، مربوطة

بشريط أزرق ملكي. نظرة سريعة واحدة أخبرتني بأنها من صاحب الجلالة.

بأيدٍ مرتجفة، قرأت الرسالة الأولى، وتخطيت بسرعة عبارات الحب، وانتقلت مباشرةً إلى جوهر الرسالة.

سرعان ما أدركت أنه لا يوجد سبب للاحتفاظ بهذه الرسائل.

اطلعت على الرسائل الأخرى، وكانت المشاعر متشابهة.

الواحدة تلو الأخرى، ألقيتها في النيران، ولكن الرسالة الأخيرة لفتت انتباهي:

عزيزتي بانسي،

أشتاق إليك أكثر مما يمكنني أن أعبر عنه. حبي لك يوشك أن يفجر قلبي! لم ألتقِ بامرأة مثلك أبدًا! يا لك من كنز! يقلقني أن أسمع أنك حامل. هل سيعاملك زوجك بشكل جيد؟ آمل ذلك، لأنه كما قد تخمنين، فإنه خارج نطاق قدرتي التدخل نيابةً عنك في الوقت الحاضر. ليس أثناء كون وضعي الخاص مثقلًا بالمحن!

ربما تكونين قد سمعتِ أنني انفصلت عن تلك الكائنة البغيضة التي تتظاهر بأنها زوجتي. يعلم الله أن زواجنا ليس سوى خدعة. لو لم أكن في يأس تام مع دائنين يحاصرونني من كل جانب، لما وافقت أبدًا على هذا المشهد العلني، ولكن

كان والدي في غاية الجنون، كما تعلمين، لذا لم يكن لدي خيار سوى المضي قدمًا والخضوع لرغباته، من أجل مصلحة الإمبراطورية، من خلال الموافقة على تحالف سيساعدني في الحفاظ على صعودي إلى العرش، حتى إن كلفني ذلك روحي الخالدة. كم أنا عبد خاضع لأمتنا! ولكن كما قلت لك من قبل، وكما تعلمين جيدًا، لقد أقسمت بصدق أمام الله وبحضور كاهن على أن أحب وأكرم امرأة أخرى. امرأة قابلتها في أيامي الشابة قبل أن يلقى والدي حتفه، موت لم يتمكن من التنازل فيه لي عن العرش بسرعة كافية.

معًا، لقد أنجبنا ابنة، فتاة جميلة، التي هي فرحة حياتي. على الرغم من أن الظروف أجبرتني أنا وتلك السيدة على العيش منفصلين، إلا أنها هي وحدها زوجتي الحقيقية؛ لذا، كما تستطيعين الرؤية، بقدر ما أهتم بك، فأنا مقيد بأخرى.

لو لم يكن ذلك صحيحًا، لكنت بالتأكيد سأستخدم كل الموارد المتاحة لدي لرفعك إلى المكانة التي تستحقينها وتوفيرها (تم شطب هذا وكتبت بخط صغير بجانبه) لك.

على الصفحة الأخيرة، نزل إلى وسط الصفحة وكتب بضعة أسطر أخيرة ووقّع اسمه.

بعض الشفقة للشخص الذي يلبس التاج! لا أحد يمكنه أن يتخيل ما يواجهه من أخطار وضغوط من كل جانب. الأحلام التي أتوقعها لفترة حكمي في ساحة المعركة! الرعب الذي

أعيشه من جديد! في بعض الأحيان أخشى أنني قد أكون مجنونًا تمامًا مثل والدي!

جورج

ترددت. هذه الرسالة مختلفة. لقد أرست أساسًا متينًا. وضعتها فوق اللهب. انثنت حافة الرسالة من الحرارة... وبعد ذلك، تردَّدَت خُطًا في الممر.

أخفيت تلك الرسالة الأخيرة في جيبي. فيمكنني أن أحرقها لاحقًا.

t.me/yasmeenbook

t.me/yasmeenbook

الفصل ٤٣

قلت وأنا أضع الحقيبة على أرضية مكتب السيدة ثورستون: "لقد قمت بجمع أغراض سيلينا بيلتمور". ذهبت هناك مباشرة بعد التحقق من الخطوات على الدرج. اتضح أنها فتاة من صف الصغيرات، بيشنس، جاءت لإحضار درس التاريخ الذي تركته في خزانتها.

دون أن ترفع نظرها من فوق مكتبها، قالت المشرفة: "جيد. قولي لـ كاج أن يأتي ويأخذها إلى جوار التابوت. سيأتون لأخذها إلى بريتون للجنازة في وقت لاحق. غريب. كنت أعتقد أنه سيكون هناك زوار سيأتون للعزاء، لكن لم يأتِ أحد". رفعت كوب الشاي إلى شفتيها وشربت منه، ثم توقفت، ثنت صفحة الكتاب التي كانت تقرؤها، وأخيرًا اعترفت بوجودي. "هذا يذكرني. بعد حصص اليوم، لن يعود هناك حاجة لخدماتك، وستحتاجين إلى إيجاد مكان إقامة آخر".

خفق قلبي... وكانت تراقب ردة فعلي. بقدر ما أردت أن ينتهي كل هذا، كنت واثقة أن ويفرلي لم يعثر على القاتل. قد

t.me/yasmeenbook

تكون نان ميلر مذنبة بالتقصير، لكنها لم تقتل سيلينا بيلتمور. ستكون مهمة حل هذه الجريمة من خارج المدرسة أكثر تعقيدًا بكثير، إن لم تكن مستحيلة خاصةً الآن بعد أن بدأت بوضع خطة لكشف القاتل.

كانت كومة الأوراق المتناثرة التي وجدتها في خزانة سيلينا مليئة بالملاحظات السيئة التي كتبتها عن زميلاتها في المدرسة. وأثناء فحصي هذه الأوراق، بدأت فكرة تتشكل في ذهني. بغض النظر عن كل شيء، كانت رسالة أديل هي التي جلبتني هنا، فلماذا لم ترسل لي مجموعة أخرى من الرسائل؟ وأثناء طي الملابس الداخلية الثمينة لسيلينا، تساءلت، وماذا لو كتبت مذكراتها؟ كانت بالتأكيد تعرف كيف تثير جروح الآخرين. هل كان حقًّا عليّ أن أجد مثل هذه اليوميات؟ هل يمكنني أن أتنصل من الأمر؟ أليس من الكافي أن تعتقد طالبات المدرسة أن هناك يوميات موجودة وأنني أملكها؟

"أرسلت فراولين شوبنكوتر رسولًا برسالة. ستصل عربتها إلى فندق (بول أند ماوث) في الساعة الثامنة مساءً".

تكلمت العجوز بصوت لطيف. "هل لديك مكان تذهبين إليه؟".

قلت دون حراك: "نعم".

عادت إلى قراءتها ولكنها تراقبني بأطراف عينها.

t.me/yasmeenbook

نظرت للأعلى، وأضافت: "بالطبع، السيدة بريتون ستمنحك شهادة توصية؟".

"نعم".

"هل هناك أي شيء آخر يا آنسة إير؟".

"لا".

ودعت السيدة ثورستون، وبينما أغلق بابها خلفي، سمعتها تتنهد. كانت الآنسة ميلر على حق: لم تكن المشرفة سيئة تمامًا.

وأنا أسير مستعجلةً في الممر، تسابقت أفكاري مع خطواتي. ستقصر فترة وجودي! يجب أن أرى لوسي والسيد دوغلاس على الفور. يمكنهما تنفيذ الخطوة الثانية الهامة في خطتي... التحقق من موافقة السيد ويفرلي.

أحتاج إلى عذر مقبول لزيارتهما، ولكن ماذا يمكنني أن أقول؟

سأضطر للخروج من نافذة مسكن الطالبات الكبيرات، وعليّ أن أفعل ذلك بسرعة بينما تتناول فتياتي وجبة الإفطار ويحضرن درسهن الأول. ليس هناك خيار آخر. إذا علم أي شخص بمغادرتي، فإن هذه الخطة ستفشل. علي أيضًا تجنب رجل دوريات بو ستريت ذي السترة الحمراء الذي يقوم بجولاته.

لم أتسلق شجرة من قبل. النظر من فوق فرع شجرة الكستناء أثار رهبتي، لكني لم أتردد. يمكنني القيام بذلك. على الأقل،

t.me/yasmeenbook

ستساعدني الجاذبية، حيث إن مهمتي حاليًّا هي النزول للأسفل وليس التسلق للأعلى. بعد رفع النافذة، انحنيت بنصف جسدي حيث كان نصفه في الداخل ونصفه من الخارج.

حذرت نفسي: لا تنظري إلى الأسفل، ولكن بالطبع، نظرت، ويا إلهي! الأرض كانت على بُعد ثلاثين قدمًا على الأقل! كم كانت تبدو الأعشاب صغيرة ورقيقة!

يمكنك فعل ذلك يا جين. خطوة تلو أخرى.

مددت ذراعي قدر ما استطعت لأمسك بأقرب فرع. أصابعي أمسكت ببروزٍ صغير، كان كافيًا فقط للاستعانة به للتوازن. سحبت نفسي للخارج على الغصن، واسترحت هناك على بطني، ممددة على الفرع الكبير ومتعلقة بفرع أصغر بقليل فوق رأسي. بجهد، استدرت حتى استندت أحذيتي إلى الجذع. ما جعلني أحدق في المسكن وقدماي مثبتتان بشكل غير مريح في إحدى زوايا تقاطع الفرع مع جذع الشجرة.

كانت الأغصان متشابكة تحتي.

كانت قدمي تبحث بطريقة عمياء عن الغصن الذي أعرف أنه تحتي، لكن التنورة تعوق حركتي. أين هو؟

يمكنني رؤية فرع آخر في الأسفل قد يفي بالغرض كدرجة للنزول. أدرت نفسي نحو الجذع، ومددت يدي اليمنى لأمسك بفرع رفيع قبل أن أنزل قدمًا، ثم الأخرى.

t.me/yasmeenbook

تسارعت نبضات قلبي من الإرهاق والخوف. إلى أين الخطوة التالية؟ إذا تمكنت من تغيير اتجاهي إلى الجانب الآخر من الشجرة، فإنني سأكون أقل وضوحًا. للأسف، بسبب فستان الحداد الأبيض الرقيق، يمكن بسهولة التمييز بيني وبين جذع الشجرة الرمادي.

وأثناء استشعاري الطريق بقدم واحدة، لامست فرعًا آخر على يميني. بعد اختباره، لم يبدُ أن هناك مشكلة في تحمله لي. ولاستعادة وضعي، سيتعين عليّ الإمساك بفرع فوق رأسي والتأرجح للعبور.

وهذا ما فعلته. في لحظة مثيرة لضربات قلبي، تعلقت قدماي في الهواء دون دعم، وكفاي تستغيثان لإفلات الغصن، لكنني استمررت في التمسك به. بعد العديد من الأنفاس المتسارعة، استرحت على هذا الفرع الجديد. شكل فرعان حرف V تحتي.

شعرت بسعادة نسبية بقدراتي، ثم نزلت سريعًا إلى المكان الجديد. من هناك، كانت هناك خطوة أخرى سهلة، فرع على يميني ينحدر أكثر باتجاه الأرض، ولكن هذا الموقع الجديد يمكن الوصول إليه فقط من خلال قفزة إلى الأمام.

هل يمكنني أن أفعلها؟

يجب أن أفعل ذلك. أغلقت عيني وانطلقت.

لكني سحبت بقوة للوراء في منتصف الطيران.

t.me/yasmeenbook

تعلقت تنورتي في الأغصان التي فوقي وسحبتني للوراء!

انزلقت يدي اليسرى وأفلتت قبضتها عن الفرع الجديد. زاد ذلك من رعبي، كنت متدلية هناك، أتأرجح ذهابًا وإيابًا، وتنورتي فوق رأسي. غير قادرة على الرؤية. وعلى علم تام بأن ملابسي الداخلية ظاهرة.

ببطء، فقدت أصابعي الشعور بالكامل في اليد اليمنى. مع ذلك، تزايد صوت تمزق القماش. حزام التنورة ضغط بشدة على ضلوعي، يعرقل تنفسي. لا يمكنني الرؤية. لا يمكنني التنفس. لا يمكنني الصمود فترة أطول.

تحركت هنا وهناك، أهز نفسي يمينًا ويسارًا، آمل أن ينقطع القماش.

كم يستغرق هذا القماش الرخيص للتمزق؟ وعندما يتمزق، هل سأكون حرة؟ كيف سأشرح أنني مستلقية على الأرض بملابسي الداخلية؟ قويت جهودي للتمسك بالشجرة، لكن أصابعي تحترق. وصلت بيدي الأخرى لأعلى، ولكن القماش حجب رؤيتي.

أصبحت أشعر بدوار وأصابعي متشنجة من الألم.

قال لي صوت صادر من الحديقة: "فقط أفلتي يدك!".

ففعلت ذلك.

وسقطت.

t.me/yasmeenbook

الفصل ٤٤

وأمسكني إدوارد.

سقطت بين ذراعيه. لف ذراعيه حولي، ورددت بقبلات على وجهه. "زوجي العزيز! كم اشتقت إليك!".

هتف جون، خادم إدوارد، وهو يضحك: "كان ذلك وشيكًا يا سيدتي! لقد وضعتُ السيد في المكان المناسب تمامًا!".

"جين، لم أكن أعلم أنك تتمتعين بقوة بدنية بهذا القدر!". قام إدوارد بتمرير أصابعه في شعري وقبّلني. "هذه قبلة مبدئية. يجب أن تنتظري المزيد. ويليامز جهز العربة لنا. كما أن لوسي لا تطيق الانتظار لرؤيتك".

أشرت إلى النسيج الممزق محبوسًا في الشجرة وقلت: "ولكن تنورتي!". اتجه بعينيه وفقًا لاتجاه إصبعي. هل كان ذلك من وحي خيالي أم يبدو أن إحدى عيني إدوارد ترى أكثر وضوحًا؟

t.me/yasmeenbook

"اللعنة... ذلك الفستان الغبي. أفترض أننا لا يمكننا المغادرة وترك تنورتك ترفرف كأعلام القراصنة، أليس كذلك؟ اللعنة".

وضعني برفق على قدمي، ولمس وجهي بلطف، ولف عباءته حولي. "جون، هل يمكنك نزع هذا؟ عصفورتي الجريحة المسكينة. يمكنني أن أرى أن عينك لا تزال منتفخة".

مرر أطراف أصابعه بلطف حول الكدمة: "هل تؤلمك كثيرًا؟ عندما أمسك اللص الذي ضربك، سيتمنى لو لم يولد أبدًا".

قام جون بسحب ثوبي الممزق حتى انفصل النسيج بحرية. ارتجفت وأنا أرتدي ثيابي الداخلية وعباءة إدوارد. توجهنا نحو الشارع والنسيج معنا؛ حيث كان ويليامز يجلس في مقعد السائق. "أسرع!".

بمجرد إغلاق باب العربة وانضمام جون إلى السائق في صندوق العربة الخلفي، قدمت لزوجي كل الحنان الذي كان يفتقده. بدوره، لمسني وعاملني بلطف حتى انتشر الدفء في جسدي. "متى وصلتَ هنا؟ وكيف عرفت أنني أحتاج إليك في هذه اللحظة؟".

"غادرت أنا وجون بعد عدة أيام من مغادرتك، لكن تلك العربة اللعينة كانت تعلق في الطين في طريقنا إلى ميلكوت، ثم أدركت: يمكن لجون أن يقود حصاني، ويمكننا الوصول بسرعة أكبر. يا لها من حماقة عدم التفكير في ذلك في وقت

t.me/yasmeenbook

سابق! وصلت هذا الصباح إلى منزل لوسي. أخبرتني لوسي بما تقومين به في المدرسة والسبب وراء ذلك".

"هل أنت غاضب؟". لم يمض وقت طويل منذ زواجنا. على الرغم من أنني أعرف إدوارد وأفهمه، فقد أدركت منذ زمن بعيد أنه قد تختلف آراؤنا أحيانًا. ربما يكون هذا واحدًا من تلك الأوقات.

"بالطبع لا. أعرف لماذا قمتِ بهذا التصرف الخطير. لم أكن أتوقع منك أقل من ذلك، الخروج لمساعدة هؤلاء الفتيات. وعدتني لوسي بأنها ستأتي معي لرؤيتك، ولكن في وقت لاحق...".

"لم تستطع الانتظار".

"نعم، لم أستطع. اشتقت إليك كثيرًا. عندما توقف ويليامز بالعربة، رأى أنك على الشجرة تمامًا".

"في الوقت المناسب". مررت يدي على نسيج بدلته الخشن، وأدخلت يدي في جيوبه. ضغطت وجهي على حنجرته واستنشقت رائحته، التبغ والويسكي والرجولة. قبلته ولففتُ ذراعيه حولي. "شكرًا لك على تفهمك لي بشكل جيد. كيف حال ابننا؟".

"إنه رائع. كبير وسمين ومبتهج. أعتقد حقًّا أنه يحاول أن يصدر صوتًا مثل صوت الحمام. السيدة فيرفاكس سعيدة لوجودها بمفردها معه خلال هذه الأيام القليلة".

t.me/yasmeenbook

"وأنت كيف حالك؟".

"بالإضافة إلى أنني أشتاق إليك بكل ذرة في كياني، أنا بخير. في الواقع، لقد تحسن بصري بشكل كبير. كانت السيدة فيرفاكس كالغول فوق رأسي، فقد أجبرتني على وضع الكمادات الدافئة تقريبًا كل ساعة. لقد أمضيت معظم الوقت منذ رحيلك مستلقيًا. على الرغم من أنني لا أرى بالوضوح نفسه الذي كنت أرى به قبل الحريق، إلا أنني دهش مما يمكنني تمييزه. حتى دون مساعدة جون، كنت أستطيع رؤية صورتك وأنت تتدلين من تلك الشجرة كقرط سيدة".

رفع وجهي وقبلني بلطف. "سأكون دائمًا هنا بجانبك يا عزيزتي. دائمًا. ليس عليك الخوف أبدًا. أنت لست وحدك. لن يحدث ذلك مرة أخرى".

لم تدم الخصوصية التي استمتعنا بها داخل العربة طويلًا. في منزل لوسي، حيينا صاحبة المنزل والسيد دوغلاس، ثم انتقلنا إلى الصالون. شرحتُ خطتي وقلت: "لوسي، هل يمكنك الاحتفاظ بهذه الرسائل معك؟ سأحتاج إليها قريبًا، ولكن من الأفضل ألا أحملها بنفسي".

سلمتها الرسائل التهديدية، بما في ذلك تلك التي أثارت كل شيء في البداية.

"سيد دوغلاس، هل يمكنك إقناع السيد ويفرلي بمساعدتنا؟".

t.me/yasmeenbook

كان هذا أمرًا هامًّا لنجاح مخططي.

قال السيد دوغلاس: "أنا واثق من أنني يمكنني ذلك، ليس لدى رجال بو ستريت الكثير ليخسروه ولكن كل شيء ليكسبوه".

"لوسي؟ هل يمكنك إرسال هيغينز أو ويليامز ليعترضا طريق الآنسة شوبينكوتر؟ لست واثقة كيف يمكنك التعرف عليها، ولكنني أعلم أنها ستصل إلى بول أند ماوث في الساعة الثامنة مساءً".

قالت: "يمكن لأحد رجالي أن يذهب إلى هناك ويحمل لوحة عليها اسمها. ينجح ذلك في كل مرة".

ثم شرحت خطتي خطوة خطوة. وختمت بتحذير: "لا يمكن تأجيل خطتي. لا يمكننا أن نبقي الآنسة شوبينكوتر محتجزة فترة طويلة. لم يتم اتهام الآنسة ميلر بأي جريمة بعد. يقوم السيد ويفرلي بجمع كل المعلومات، وسيصدر الاستدعاء من القاضي. عندما يحدث ذلك، سنكون متأخرين جدًّا في مساعدة نان ميلر، وسيظل القاتل الحقيقي حرًّا".

قال إدوارد: "أفهم ما تقومين به، ولكنني لا أحبذ ذلك يا جين. من قبل، كنتِ مجرد مراقبة، ولم تكوني تشكلين تهديدًا على القاتل. هذه الخطة الجريئة تضعك كهدف! دعي السيد ويفرلي يقدم التهم. هذا هو عمله. لقد قمت بدورك، لكن هذا أمر خطير جدًّا!".

t.me/yasmeenbook

قال السيد دوغلاس: "أعتقد أن لديَّ طريقة لحماية السيدة روتشيستر". ثم رفع كمه ليظهر سكينًا صغيرًا وغلافه المثبت على ساعده. "خذي هذا الخنجر. ثبتي الأداة عند المرفق وبالقرب من المعصم. يعتقد السيخيون أنه يمكن استخدام الخنجر فقط في الدفاع عن النفس أو لحماية أولئك الذين لا يستطيعون حماية أنفسهم. في تعاليمهم، يجب ألا يقف الشخص عاجزًا ويسمح لآخر بالتعرض للضرر. عليك معرفة أن الشفرة حادة للغاية. لقد أنقذت حياتي أكثر من مرة. أقترح ألا تبعديها عن نظرك أبدًا. لا أحد يجب أن يعرف أنك تحملت هذا".

أومأت برأسي، وأدركت حجم المهمة الضخمة الموكلة إليّ.

"يجب أن تضعيه عند النوم هذه الليلة. خاصة أثناء تنفيذ خطتك! إذا كنتِ تستطيعين التدرب على الوصول إلى الشفرة وسحبها من ذراعك، فذلك أفضل بكثير. بالإضافة إلى ذلك، يمكنني أن أتسلق الشجرة وأكون خارج النافذة التي تحدثتِ عنها. إذا فتحت السيدة روتشيستر الشباك، فلن يكون هناك مشكلة في الدخول. سأكون على بُعد بضع أقدام".

أومأ إدوارد. "هذا يبدو أفضل بكثير".

لمست الغلاف الصغير، وسحبت الأداة من غلافها. تعجبت من حجمها... الشفرة لا يمكن أن تزيد على ثلاث

بوصات في الطول. سلمت السلاح لإدوارد حتى يتمكن من فحصه من كثب. "يا للعجب! إنها رائعة".

قال السيد دوغلاس: "لقد خدمتني حقًّا، أنقذت حياتي عدة مرات. آمل ألا يزعجك أنني أعطيتها لزوجتك. أنا مثلك، أقدر شجاعتها، ولكنني أعتني بسلامتها. أعتذر إذا أزعجتك أفعالي".

رد إدوارد بينما كان يسلمني الخنجر: "الاهتمام بزوجتي لن يزعجني أبدًا. أشكركما على تقديم المساعدة لها ولأديل". ثم أعدت وضعه وسحبت كمي ليغطي الأداة.

قال إدوارد وهو يجذبني قربه: "ومع ذلك يا جين، ليس عليك أن تقومي بهذا، يمكننا أن نأخذ أديل ونعود إلى البيت. أنا أفهم أنك تشعرين بالقلق تجاه الفتيات الأخريات، ولكن حقًّا يا عزيزتي، هذه ليست مسؤوليتك".

"أنا مُسلحة، أنا مستعدة. وستكونون جميعًا في الخارج وقادرين على الاستجابة لندائي. لا توجد طريقة أخرى لاستخراج القاتل".

حذر السيد دوغلاس: "دعيني أوضح لك هذا: خصمك قاتل، وأنت تمثلين تحديًا مباشرًا لهذا القاتل، بمجرد أن ينتهك الشخص هذا العهد المقدس مع المجتمع، ويأخذ روحًا واحدة، فإن تجاوز الخط مرة أخرى أسهل بكثير. إذا تعرضت للتهديد أو شعرت بالخطر، فأنصحك بالتصرف. لا تكوني

ضحية للقواعد التي يفرضها المجتمع على جنسك. لا تدعي أهواء المجتمع تقف عقبة مقابل حكمتك. لديك واجب حماية نفسك وحماية الآخرين".

"أنا أفهم".

كانت حياتي، وربما حياة الآخرين أيضًا، بين يدي.

لا بد أن مظهري كان غريبًا، مسلحة بالسكين ومرتدية ثوب إدوارد حول خصري بينما تصلح بولي تنورتي. لم أجرؤ على العودة إلى مدرسة ألدرتون وأنا أرتدي فستانًا آخر. فذلك سيثير أسئلة غير مرغوب فيها، وقد يشتبه شخص ما بأنني غادرت المبنى.

أضاف إدوارد بابتسامة مفتعلة: "لوسي، ألن يستمتع أوغي بسماع كل هذا عندما يعود إلى البيت؟".

"سيعتقد أننا جميعًا جريئون جدًّا أو مجانين جدًّا. لست واثقةً أيهما سيعتقد. هل تم إصلاح تنورة جين؟ أعتقد أننا بحاجة لإعادتها إلى المدرسة".

تابعت لوسي بولي وهي تثبت تنورتي التي تم إصلاحها حديثًا وأنا أقف في منتصف غرفة النزلاء. "كنت أتمنى لو أنني أستطيع الخروج اليوم. بصدق أتمنى ذلك. لأول مرة، سيكون ذلك مسليًا. فكّري في جميع الشائعات والنميمة التي يمكنني أن أنشرها اليوم. وبدلًا من ذلك، يجب عليّ أن أكتفي بمساعدتك في القبض على القاتل. يا للحظ!".

t.me/yasmeenbook

بمجرد أن اكتملت تجهيزاتي، عدت أنا ولوسي إلى الصالون، حيث كان الرجلان يتحدثان بأصوات منخفضة. "هل لديكم أي أفكار حول كيفية إعادتي إلى منزل ألدرتون؟ إذا كان أحد يشتبه في أنني غادرت، فإن خطتي ستصبح بلا جدوى".

ابتسم إدوارد للسيد دوغلاس وهو مستلقٍ على الكرسي ذي الظهر المرتفع واضعًا ساقيه بعضهما على بعض، وقال: "أنتِ لستِ مدبرة المكايد الوحيدة بيننا. نحن بحاجة أيضًا لإخراج أديل للتحقق من أنها في أمان. هذا ما يدور في خاطري أنا والسيد دوغلاس...".

انحنيت في الفراغ بين المقعد وجدار العربة. مال إدوارد نحوي: "هل تشعرين بالتوتر؟ لحسن الحظ، ليس أمامنا الكثير لنصل".

لم أستطع أن أمنع نفسي من الضحك على سخافة أفكارنا البائسة وموقعي في أرضية العربة. إن إمكانية اكتشافي وطردي من منزل ألدرتون في هذه المرحلة الأخيرة من مهمتي كانت جذابة ومرعبة في الوقت نفسه. لولا الفتيات في الداخل، كنت سأرحل بسعادة.

توقفت العربة... وقبل أن تخرج إلى الشارع، جذب زوجي سترته الزرقاء القاتمة إلى مكانها، وسوّى سترته، وأعطاني ابتسامة خفيفة. "هل أنت جاهزة يا جين؟".

أجبت بهمس: "نعم!".

t.me/yasmeenbook

"لنذهب!".

قال جون وهو يتبع إدوارد: "أنا هنا يا سيدي".

كنت سعيدة لأن إدوارد لم يلحظ تعابير جون المستاءة؛ فالخادم القديم لم يكن معتادًا الحيل، وكان يقدر الوضوح كثيرًا، ولكنه يحب الفتى الذي ساعد في تربيته، ولذا كان على استعداد للمشاركة، حتى وإن فعل ذلك رغمًا عنه.

تظاهر ويليامز بإغلاق الباب بعد نزول إدوارد وخادمه، ولكنه في الحقيقة تركه مفتوحًا قليلًا، حتى أستطيع أن أتابع تقدمهما. استخدم زوجي عصاه وكتف جون كدليل له لصعود الدرج الأمامي لمدرسة ألدرتون. وعندما وصلا هناك، طرق الباب برأس عكازه. وعندما لم يأتِ أحد على الفور، طرق مرة أخرى بشدة. وأخيرًا، فتح كاج، فصاح إدوارد قائلًا: "أين هي؟ ماذا فعلتم بأديل؟ أين مشرفتكم؟ قولوا لتلك المرأة أن تحضر إلى هنا الآن! فورًا! تحركوا! سأجعلكم تفقدون جميع من في هذه المدرسة السخيفة!".

دفع جون الباب بقوة حتى ارتد إلى الجدار الداخلي: "سمعتم ما قاله! لا تقفوا هناك فقط! اذهبوا وأحضروا أديل فارينز! أحضروها هنا، الآن!".

وقف الرجلان عند الباب وهما يصرخان بأعلى صوت ممكن. من الداخل جاء صوت أديل عاليًا وهي تصرخ بالفرنسية: "صديقي العزيز! يا إلهي! إنه هنا! أنا حرة!".

t.me/yasmeenbook

ابتسمت لنفسي. في حياة مليئة بالمفاجآت، يمكن الاعتماد على بعض الأمور.

ظهرت أديل على الفور.

تحدث إليها إدوارد بالفرنسية السريعة، مطالبًا إياها بعدم قول كلمة أخرى. خاصةً عني، ثم قال بلغتها الأم: "اذهبي واركبي"، وأشار إلى العربة، وقال لها أن تبقى هناك بغض النظر عما يحدث، وألا تتحدث إلى أي شخص لأنهم سيذهبون إلى منزل السيدة بريتون على الفور.

توقفت أديل لتسأل: "وجين؟".

قال لها: "كل شيء على ما يرام. أغلقي فمك".

على أثر أديل، سارت السيدة ثورستون وهي تنادي الفتاة قائلة: "عودي إلى هنا!". ثم التفتت لتواجه إدوارد قائلة: "أنت يا سيدي! ماذا يعني هذا؟".

قام ويليامز بلف الزمام، وقفز من عربة النقل وركض إلى الباب الخلفي للمدرسة. فتحه وساعدني على النزول. قفز السيد دوغلاس من الخلف، حيث قام بدور سائق العربة الطويل القامة إلى حد ما. ركضنا معًا إلى جانب المنزل بجوار شجرة الكستناء. في تلك الأثناء، كان إدوارد وجون داخل منزل ألدرتون يثيران ضجة استغلا فيها اندفاع أديل من فرحتها بـ "الإنقاذ" من قبل صديقها الحبيب.

"تذكري أن تتركي النافذة مفتوحة لي. سأتسلق هذا الفرع الصغير الليلة، وأبقى خارج غرفة النوم في حال احتجت للمساعدة".

قلت: "حسنًا".

"حظًّا سعيدًا. اصعدي". رفعني السيد دوغلاس حتى وصلتُ إلى فرعٍ منخفض، تسلقتُ فرعًا تلو آخر وهو يراقبني حتى توازن خصري مع حافة نافذة الغرفة. دفعت نفسي بشكل غير أنيق من ذلك الفرع الأخير لأعود إلى النافذة التي خرجت منها سابقًا. نزلت على الأرض بيدي سرت بضع خطوات على كفوفي داخل الغرفة حتى وصلت ساقي إلى الداخل، ثم تدحرجت على ظهري.

كنت ما زلت على الأرض ألتقط أنفاسي عندما اقتحمت إيما الباب. "يا سيدتي! هناك ضجة فظيعة في الطابق السفلي، والسيدة ثورستون تريدك أن تأتي على الفور".

"عفوًا؟ لقد أسقطت زرًّا تحت السرير. هل يمكن أن تنتظري حتى أجده؟".

"سأساعدك". بدأت إيما في التقدم باتجاهي.

قلت: "ها هو". بتكلفة كبيرة، قمت بادعاء أنني وضعت زري "المفقود" في جيبي. "يا إلهي! من يحدث كل هذا الضجيج؟".

t.me/yasmeenbook

على الرغم من "توسلاتي" بأن يسمح لها بالبقاء، غادرت أديل مع وصيها في غضون دقائق. بذل إدوارد قصارى جهده لينظر إليّ باستصغار، بينما أديت دوري كمربية سابقة تنتحب في البكاء بأفضل ما لدي. عندما مر بجانبي، غمز لي. كان من العذاب بالنسبة لي عدم الذهاب إلى العربة معهم. سماع صوت إغلاق الباب الأمامي وراءهم جعل قلبي ينبض بشكل هستيري.

يجب أن ينجح هذا. يجب!

تابعت الدروس المتبقية في الصباح كما لو أن لا شيء غير عادي يحدث. افتقدت الفتيات أديل، لذا اقترحت عليهن أن يكتبن رسائل لها باللغة الألمانية.

كنا نتجه إلى الأسفل لتناول الغداء عندما ظهر طفل متشرد بملابس متهالكة وقبعة تغطي معظم وجهه عند العتبة الأمامية للباب. سمعته يتفاوض على إعطاء رسالة مقابل شلن. استدعت إيما السيدة ثورستون لإجراء التبادل. أعطته السيدة ثورستون نصف بنس وهرب بأسرع ما يمكنه على أحذيته المصنوعة من ورق الجرائد الملفوف بواسطة حبل.

صاحت السيدة ثورستون عليَّ من البهو: "آنسة إير؟". كانت الاضطرابات قد أثرت على السيدة ثورستون بشكل سلبي. تراجعت لديها اللباقة الاجتماعية.

قلت: "نعم يا سيدتي؟". وانحنيت نصف انحناءة.

t.me/yasmeenbook

وأكملت: "لقد حزمت أمتعتي وأنا جاهزة للمغادرة، فور انتهاء الدروس".

قالت وهي تهز الرسالة التي في يديها: "هناك تغيير في الخطط، يمكنك البقاء فترة أطول".

"حسنًا يا سيدتي"، ثم انحنيت للسيدة ثورستون: "شكرًا لك يا سيدتي".

"يا إلهي، ما هذا الذي على ثوبك؟".

نظرت إلى الأسفل ورأيت الأتربة التي جمعتها أثناء تسلق الشجرة.

قالت السيدة ثورستون: "غيري ملابسك فورًا، وارتدي شيئًا مناسبًا".

"سأفعل ذلك".

كنا في منتصف تناول الغداء عندما طرق السيد ويفرلي الباب الأمامي، مطالبًا برؤية السيدة ثورستون. بعد اجتماع عاجل في مكتبها، دخلت غرفة الطعام. كانت جميع الفتيات هناك بالفعل، بالإضافة إليّ وإلى الآنسة جونز. ظلت الآنسة ميلر معزولة في غرفة الرضع. ومع ذلك، استدعى السيد ويفرلي أيضًا كاج، وإيما، والطباخة.

استقر طاقم العمل في آخر الغرفة.

t.me/yasmeenbook

طلب السيد ويفرلي من الشرطي: "اذهب وأحضر الآنسة ميلر، واصطحبها إلى العربة التي تنتظر خارجًا".

بدأ السيد ويفرلي بإلقاء كلمة: "أنا آسف لإخباركن أننا نعتقد أن الآنسة ميلر هي قاتلة سيلينا بيلتمور. ولذلك، نحن نأخذها الآن تحت حراستنا. إذا كان لديكن أي دليل يشير إلى ذنب الآنسة ميلر، فمن واجبكن بوصفكن مواطنات مخلصات للمملكة أن تقدمن لي هذه الحقائق. لا تشاركنهن بعضكن مع بعض. أكرر: لا تشاركن أي معلومات تمتلكنها. سأعود غدًا، عند وجبة الإفطار. يمكنكن تقديم أي معلومات لديكن مباشرة إليّ. هذا كل شيء".

غادر السيد ويفرلي، ثم انتهت وجبتنا بعد وقت قصير. في الفصل، سيطر على الطالبات مزاج كئيب. كانت الفتيات هادئات بشكل غريب. عقدت روز حاجبيها وقالت: "هل سيشنقون الآنسة ميلر؟ لنصلِّ من أجلها". كان هذا تهربًا، ولكنه أرضى جميع احتياجاتنا.

استمرت الدروس في فترة العصر. بدأت أمطار خفيفة تتساقط، وتزايدت قوة الأمطار مع مرور الوقت، حتى انفجر الرعد مثل دقّ الطبول المطالبة بالانتباه. قلت: "أعتقد أننا سنعمل في الداخل اليوم".

مرة أخرى، قاطع دقّ قوي على الباب الأمامي دروسنا. هذه المرة، كان متعهد الجنازات ينقل جثة سيلينا. كان مساعدوه

أيضًا يحملون جميع التكريمات الزهرية إلى عربة الجنازة المنتظرة. للمرة الثانية، غادرتْ هذا المبنى وسط الأمطار. ولكن هذه المرة، كنت أعلم أنها لن تعود.

أغرق هذا الحدث المحزن روح طالباتي بشكل أكبر. قمت بإلقاء محاضرة عن الطيور الجارحة. حتى وصفي المثير لكيفية عثور البومة على فأر الحقل فشل في إثارة أدنى اهتمام لديهن. توجهت انفعالات الفتيات نحو الداخل بدلًا من التعبير عن قلقهن. كانت نيتي تعض أظافرها، وكانت روز تلف خصلة من شعرها حول إصبعها مرارًا وتكرارًا. كانت روفينا تعبث في تورم على ركبتها. بينما كانت الصغيرات جالسات متجمعات، مستديرات الظهر، كئيبات مثل تلك الصخور الصغيرة ذوات النتوءات.

انقطع الدرس مرة أخرى بسبب ضجيج قوي، لكن هذا الصوت كان يأتي مباشرة من فوقنا. تركت روفينا في الحراسة، وخرجت لأسأل إيما عن الأمر. "طلبت السيدة ثورستون من كاج تثبيت النوافذ بالمسامير".

"ماذا؟!". كانت خطتي تعتمد على إمكانية دخول السيد دوغلاس إلى غرفة النوم من خلال فرع الكستناء.

"نظرًا لأن الآنسة ميلر لن تكون هنا في غرفة الرضع، فلا يمكن لأحد أن يتسلل داخلًا أو يخرج". سيكون هذا عقبة، ولكن ليس هناك ما يمكنني فعله. سأستمر على أي حال.

بحلول العشاء، استعادت الفتيات عافيتهن إلى حد ما. كلامهن الحيوي أعطاني راحة. يبدو أن الأطفال غير قادرين على إخماد حماسهم الطبيعي لفترات طويلة. بحلول وقت الاجتماع في غرفة الجلوس، عادت الحياة الطبيعية قليلًا. نظرًا لعدم وجود الآنسة ميلر، اضطرت السيدة ثورستون للانضمام إلينا خلال ساعة الخياطة، كما كنت آمل.

همست الآنسة جونز في أذني: "إنها تخطط للنوم مع الرضع، أعتقد أن السيد ويفرلي أخبرها بشكل خاص أنه يجب أن لا تترك الفتيات دون مرافق مرة أخرى. كان مصرًّا على هذه النقطة!".

كان لوجود المشرفة تأثير ممل وكئيب، على الرغم من أنها تجاهلت الفتيات إلى حد كبير. يجب أن تكون الرواية التي كانت تقرؤها مشوقة، لأنها دفنت أنفها في الكتاب، ولم تتحدث إلى بقية الحضور. بعد فترة من الزمن، سقط الكتاب من يدها، وانحنت في الكرسي الكبير ذي الجوانب المنسوجة البنية، وهي تغط بصوت عال. عندما أحضرت إيما الشاي والخبز، ربتت الآنسة جونز على كتف السيدة ثورستون. استيقظت المرأة الممتلئة في الوقت المناسب لتكدس صحنها بالمقبلات.

اخترت مكانًا بعناية في وسط الغرفة، حيث كنت محور الاهتمام. بينما كانت الفتيات يسكبن الشاي، قمت بتصفح

عدد قليل من الأوراق التي وجدتها في خزانة سيلينا. كانت لا تحوي سوى واجباتها السيئة التنفيذ وأفكارها المروعة عن زميلاتها، ومع ذلك، كانت تناسب غرضي تمامًا. انتظرت حتى أحضرت إيما صينية ثانية من الجبن ثم تنهدتُ بصوت عالٍ.

"يا إلهي!".

وضعت السيدة جونز كوب الشاي على الطاولة: "ما الذي حدث؟".

"هذه مذكرات لا شك أن تكون سيلينا قد بدأتها".

أثار هذا ابتسامة ساخرة من السيدة ثورستون.

"سيلينا؟ مذكرات؟ أشك في ذلك بشدة. سيلينا لم تكن مهتمة كثيرًا بالتفكير الداخلي".

"ومع ذلك، وجدت هذه الأوراق في خزانتها في وقت سابق. كنت أعتزم التخلص منها، ولكن قررت أنني يجب أن ألقي نظرة عليها أولًا". قمت بتمثيل أنني ألقي نظرة سريعة على الأوراق قبل أن أضمها إلى صدري بشكل دراماتيكي. "تحمل تواريخ قريبة من وفاتها. ما الوقت الذي سيصل فيه السيد ويفرلي غدًا؟ سيرغب بالتأكيد في قراءة هذه الأوراق. أعتقد أن هناك معلومات تشير إلى دوافع قتلها".

طرقت السيدة ثورستون بأصابعها لتجذب انتباهي وقالت: "أعطيني تلك الأوراق".

"لا أستطيع. لقد سمعت المفتش". ثنيت الأوراق وأخفيتها في جيبي. "أخبرنا بأننا يجب أن نحتفظ بأي معلومات لأنفسنا، أليس كذلك يا فتيات؟".

أومأت الوجوه الصغيرة، فنظرت إليَّ ثم إلى السيدة ثورستون، ثم عادت إليّ مرة أخرى.

"كيف سأواجهه وأخبره بأنني كنت غير مطيعة؟ سأحتفظ بها لهذه الليلة. سأحتفظ بها بقربي. أنوي أن أنام وهي تحت وسادتي".

ثارت المشرفة ومدت يدها البدينة: "اللعنة عليك! أقول، أعطينيها!".

"كلا. نظرًا لكل ما حدث، أنوي الالتزام بالتعليمات. القيام بغير ذلك سيعكس سوءًا بالغًا على الجميع!".

كان هذا آخر ما قلت. ثم قامت السيدة ثورستون من كرسيها وغادرت الغرفة وهي تنفجر بالغضب وتتلفظ بكلمات نابية. تنهدت الآنسة جونز. "سأذهب إلى المطبخ للطلب من الطاهية إعداد الشيكولاتة الساخنة. قد تهدئ أعصابنا".

"نعم، أوافق. في ليلة كئيبة كهذه، أنا واثقة أن الجميع سيقدرن ذلك".

بعد بضع دقائق، ظهرت الآنسة جونز مرة أخرى بصينية، فارتفعت روح الفتيات بشكل كبير عندما ملأت رائحة

الشيكولاتة الغنية الغرفة. كما توقعت، عمل هذا على تحسين مزاج الجميع. بعد ذلك، ذهبنا إلى غرف النوم. وصل صوت السيدة ثورستون من خلال الحائط وهي تلوم الفتيات الصغيرات بسبب مسألة صغيرة.

دفعت الستائر جانبًا وتحققت. نعم، تم تثبيت النوافذ بإحكام. ليس أمامي سوى المضي قدمًا. بينما كنت خلف حاجز تغيير الملابس المتواضع، تمسكت بالخنجر. لم تغطِّه أكمام رداء نومي جيدًا. ولكن أمسك المطاط عليه بإحكام. بعد ذلك، أخذت الخنجر من غلافه. عندما خرجت من وراء الشاشة، أخفيته بسرعة تحت وسادتي.

على الرغم من توقف المطر، غطت الغيوم القمر. لم أكن قد عرفت ليلة أظلم من هذه. نبضات قلبي تسارعت. هل ستعمل خطتي الذكية؟ السكون ابتلع كل الضوء ولم يعده.

نادتني روز: "آنسة؟ هل ستخلدين للنوم؟".

أخبرتها وأنا أمسك بشمعتي وأتجه نحوها: "بالطبع سأفعل. هذا هو أفضل جزء في عملي". على الرغم من شوقي لابني، سأفتقد أيضًا هؤلاء الفتيات. رفعت الغطاء وقبلت كل طفلة على خدها. فاجأتني روز عندما تمددت لتعانقني بقوة. "أنت أطيب معلمة حظينا بها على الإطلاق". كانت كلماتها مشوشة قليلًا.

حاولت روفينا التحدث فتعثرت أيضًا في كلماتها. لم يكن هناك سوى تفسير واحد: تم خلط الشيكولاتة الساخنة باللودانوم.

بسرعة كبيرة، غطت الفتيات في نوم عميق. تحركت من سرير إلى سرير للتحقق من أنه قد تمت تغطيتهن بإحكام. صوت الغطيط والتنهيدات المنتظمة تأتي من كل صديقاتي الصغيرات. مع القليل من الحظ، في هذه الليلة سأكشف عن القاتل، ولن تكون أي من الفتيات على علم. سيستمررن في النوم خلال أي ضجة. في الصباح، يمكننا أن نؤكد لهن أن المدرسة آمنة مرة أخرى.

أخيرًا، صعدت إلى سريري، ونظرت إلى السقف وأنا أنتظر إشارة... دقة بروس دوغلاس على زجاج النافذة. هذا الضجيج سيخبرني بأنه على الشجرة وفي مكانه. كنت أعتزم أن أقوم بتمثيلية تشير إلى عدم إمكانية فتح الشباك.

ربما يمكنني استخدام الخنجر لفك المسامير بطريقة ما. خرجت من السرير، وأشعلت الشمعة، وحاولت، ولكنني لم أنجح. بدأ الصراع يبدو أنه يجهدني، وأصبحت أكثر غرابة. بعد بضع محاولات غير جادة، انهرت وعدت إلى السرير.

كانت آخر فكرة أثناء اليقظة هي: لقد تم تخديري!

وفي محاولة مقاومة نداء النوم، غططت في نوم عميق.

t.me/yasmeenbook

الفصل ٤٥

كان الجزء الأول من خطتي يسيرًا: سأقوم بإعداد سيناريو يوحي بأن لديَّ وثائق ملموسة تدين القاتل. ومن ثم، سيحتاج القاتل إلى أن يأتي إليّ ليأخذها.

كان الجزء الثاني أكثر تعقيدًا: بمجرد أن يحاول القاتل أن يأخذ الوثائق مني، سنقبض عليه.

سيكون السيد دوغلاس خارج نافذتي مباشرة، حيث يمكنه سماع أي شجار والتدخل مباشرة للمساعدة. أحد رجاله سيكون موجودًا تحت الشجرة، وسيطلق إنذارًا لجلب الآخرين بسرعة.

كان إدوارد في انتظاري مع جون في عربة لوسي، واقفة في الشارع، على بُعد منزلين، لكيلا يلفتوا الانتباه. ويليامز سيكون جالسًا في مقعد السائق، مسلحًا ومستعدًّا للتحرك. تم إخبار ويفرلي بأن يطلب من الشرطي الجوال تقصير جولاته، مبقيًا مدرسة ألدرتون ضمن مجال رؤيته في جميع الأوقات.

t.me/yasmeenbook

كانت خطتي أن أتظاهر بأنني نائمة، لكن الكاكاو المخدر كان قويًّا جدًّا لأقاومه.

حلمت بمنزلنا في فيرندين. كان نيد على ركبتي، يراقبني بابتسامة، ينظر من خلال أشعة الشمس. والسيدة فيرفاكس تتحرك حولنا بنشاط وتصب لي المزيد من الشاي. أديل ترقص وتدور حتى يسيطر عليها الدوار. إدوارد يقف بجانبي بيده على كتفي. نحن نتشمس تحت شمس الربيع اللطيفة، نستمتع بتأرجح زهور التوليب الحمراء المرحة. اخترت واحدة أرجوانية وأريتها لنيد، الذي ضحك بصوت عالٍ.

ثم نظرت لأسفل ورأيت ثعبانًا.

كان وجهي مضغوطًا تحت الوسادة.

كافحت بصعوبة. فهناك ثقل على ظهري جعلني مثبتة على الفراش.

لم أستطع التنفس. تحركت وحاولت تدوير وجهي للتخلص من الضغط على مؤخرة رأسي، لكن الثقل عليّ كان هائلًا جدًّا.

الخنجر!

كانت يدي بجوار رأسي عندما ضغط المتسلل عليّ. الآن، حركت أصابعي تحت وسادتي. رئتاي تصرخان بحاجة

للأُكسجين! كان الألم لا يطاق! ثم ظهرت صورة نيد في ذهني وقمت بحركة عنيفة كالحصان البري.

هل نجحت خطتي بشكل جيد لدرجة أن القاتل قرر أنني تهديد بالنسبة له؟ لماذا لم يكن من الكافي سرقة الوثائق المدينة له؟

تسببت الحركة غير المتوقعة في اختلال وزن المتسلل. رفعت رأسي بما يكفي لأتنفس. استنشاق كمية من الهواء أفاد تفكيري. يدي اليمنى حفرت تحت الوسادة، لكن الشخص الذي يضغط على كتفي أبقاني مأسورة. قمت بحركة ثانية كالصاعقة، لكن هذه المرة كان المهاجم مستعدًّا لصعودي. ولم يخف الضغط قط.

أمسكت بالسكين من المقبض، ولكن لم أتمكن من تحرير يدي.

تم ضغط شفتي على أسناني. أعطى مهاجمي دفعة قوية نحو الأسفل. تنفست تيارًا من الدفء يخبرني بأن شفتيّ تشققتا. الدم جرى نحو أنفي، مبللًا غطاء الوسادة. القماش المبلل اندمج مع أنفي.

كنت أغرق في دمي!

بحالة من الذعر، رفعت خصري، وتمكنت من الاستدارة على ظهري. سقطت الوسادة على الأرض. بيد واحدة حرة، مددت يدي لأعلى وأمسكت بحزمة من الشعر. قمت بسحبها بشدة.

سمعت امرأة تبكي وهي تضع الوسادة فوق وجهي مرة أخرى، همست قرب أذني وهي تضغط بقوة: "كلا، توقفي. لا أريد أن أوذيك!، نامي! عودي للنوم!".

هل كان من الممكن أنها لا تقصد أن تؤذيني حقًّا؟

تلاشى العالم. تدور النجوم في مجال رؤيتي. الظلام يحاصرني.

سحبت الشعر مرة أخرى، واستخدمت قوة ساقي للتمايل جانبًا... ولكي تظل في يدي، كان على مهاجمتي تحويل وزنها. كنا قريبتين من السقوط من على حافة السرير. بسحبة واحدة قوية، حاولت بكل قوتي سحب يدي التي تحمل الخنجر... ونجحت! كانت يدي حرة!

رفعتها فوق رأسي وطعنت بها مهاجمتي.

صرخت بألم واندفعت بعيدًا عني، وسقطت بقوة على الأرض، لا تزال تمسك بالوسادة. قمت ووقفت على قدمي ووقفت فوقها، مع شفرة سكين تقطر بالدم في يدي.

ثم هاجمتني. أمسكت بكاحلي، وسحبت قدمي من تحتي. اصطدمت بالأرض بشدة.

فكرت قائلة لنفسي: إدوارد! ساعدني!

ثم أصبح كل شيء أسود.

t.me/yasmeenbook

الفصل ٤٦

صاح إدوارد من بعيد: "جين؟ فتاتي العزيزة، عودي إليّ".

قالت لوسي: "جربوا أملاح الشم".

هاجمتني رائحة قوية، ما جعلني أتنفس بصعوبة وأختنق.

حثني إدوارد: "هكذا يا عزيزتي. تعالي. تنفسي! أتوسل إليك يا جين! عودي إلينا!".

أنا أتنفس بصعوبة وأكافح، على الرغم من الألم في صدري، أستنشق الهواء النقي.

قال السيد دوغلاس: "لا أشك في أن لديها كسرًا في ضلوعها".

ربما كان على حق. كان كل نفَسٍ مؤلمًا، ألمٌ حادٌّ جدًّا لم أكن أرغب أبدًا في أن أتنفس مرة أخرى. أردت فقط الراحة، أن أنام وأنسى العذاب وأعود إلى تلك الحالة المبهمة، إلى العدم.

t.me/yasmeenbook

بجهد جبار، أخذت نفسًا مؤلمًا ومن ثم نفسًا آخر. صوت غريب قال: "عمل جيد. استمري يا سيدة روتشيستر".

كافحت من أجل فتح عيني. كان إدوارد يحملني في ذراعيه بالطريقة نفسها التي تحمل بها الأم الرضيع. وجهه كان ينظر إليّ ونحن نجلس شبه جالسين وشبه مستلقيين على صوفا في الصالون.

عقد إدوارد جبينه في قلق وقال: "اعتقدت أنني فقدتك!"، ثم قبّل جبيني.

قال رجل شاب ذو مظهر جاد دفع نظارته ذات الإطار المعدني إلى أعلى أنفه: "سيدي، أعتقد أنها قد تتنفس بشكل أفضل إذا ربطت ضلوعها. التجبير يثبت العظام". كانت الحقيبة السوداء في يده تدل على أنه طبيب.

"ما... ماذا؟"؛ كان هذا أفضل ما استطعت قوله.

ضغط إدوارد على يدي وقال: "أنتِ بأمان يا جين".

مال فوقي السيد ويفرلي: "سيدة روتشيستر، هناك طبيب يهتم بالآنسة جونز في أحد الفصول. يوجد شرطي معهما".

قال إدوارد: "هجمنا عليها عندما كانت تحاول خنقك".

قلب السيد دوغلاس قبعته مرارًا وتكرارًا في يده وقال: "كان ذلك وشيكًا جدًّا، لقد طرقت على النافذة، ولكنك لم

تستجيبي". وقفت لوسي بجانبه، مرتدية ملابس فتى الشوارع، كان يعتري وجهها تعبير يدل على الذعر، والذي كان معظمه مغطًّى بقبعة كبيرة تغطي معظم وجهها. هذا الزي كان ناجحًا عندما سلمت الرسالة إلى السيدة ثورستون بأن الآنسة شوبينكوتر تأخرت مرة أخرى.

أوضحتُ: "طلبت السيدة ثورستون من كاج إغلاقها، والكاكاو الذي شربته كان مُخدرًا. كان يحتوي على كمية قليلة من اللودانوم، لكنها كانت كافية لجعل الفتيات نائمات بعمق. هن لم يشعرن بالشجار، أليس كذلك؟".

قالت لوسي: "بلى، تحققت من ذلك. هن نائمات، وكذلك السيدة ثورستون. إيما وكاج مستيقظان. إنهما يحضران الشاي في المطبخ. الطاهية نائمة أيضًا. شرح كاج أنها تتناول جرعة في الليل وقد يكون من الصعب إيقاظها".

قلت: "لم أستطع أن أبقي عيني مفتوحتين، أين توجد الآنسة جونز؟ وكيف حالها؟ هل جرحتها بشدة؟".

قال السيد ويفرلي: "لا، كنت تمسكين بها بشكل ضعيف، لكن ذلك كان كافيًا لجعلها تصرخ. سمعها السيد دوغلاس. صاح لخادمه، الذي أنذر بقية الناس. لقد أعاقنا الباب الأمامي حتى قرر السيد دوغلاس أن يفتح القفل".

ابتسم السيد دوغلاس بابتسامة ماكرة: "مهاراتي قد بدأت تصبح متهالكة، كذلك القفل! استغرقت أكثر من الوقت الذي

كنت أتوقعه. وفي غضون ذلك، بمساعدة خادمه جون، كسر زوجك الباب. بطريقة ما، استطاع أن يركض للطابق العلوي مباشرة إلى جانب سريرك. الحمد لله أنك ناديته!".

بالطبع، لم أفعل ذلك على الإطلاق. على الأقل، ليس بصوت عال، لكن قلبي نادى على إدوارد. وقد سمعني.

وجهت حديثي للجميع: "هناك مشكلة واحدة فقط، لم تقتل الآنسة جونز سيلينا. ولم تكن تنوي قتلي".

قال إدوارد: "لكنني أبعدتها عنك، وجاء جون خلفي وساعدني في إسقاطها على الأرض. إنها امرأة كبيرة وقوية أيضًا. لا تزال شفتك تنزف".

"كانت مجرد محاولة للحصول على أوراق سيلينا من تحت وسادتي... وبسبب كونها امرأة كبيرة، كادت تخنقني". قاطعني إدوارد: "ولكنها كانت تحمل وسادتك في يدها..." .

"نعم، ولكن أعتقد أنها قد أصابها الذعر. لا أعتقد أن نيتها كانت أن تلحق الضرر بي. قبل كل شيء، لقد خدرتنا بالكاكاو الساخن. كان لديها كل الأسباب لاعتقاد أنني سأكون غائبة عن الوعي. كان هدفها منعي من مشاركة يوميات سيلينا... يوميات غير موجودة".

سأل السيد ويفرلي: "إذًا هي قامت بقتل سيلينا بيلتمور، أهو كذلك؟".

"كلا".

اعترفت لوسي: "أنا مشتتة". وقامت بنزع قبعتها وتمرير يديها خلال شعرها.

"شخص آخر قام بقتل سيلينا، ولكن خطتي كشفت الآنسة جونز لأنها كانت قلقة بشأن اليوميات التي اخترعتها لتنفيذ هذه الخطة. تعلمون، كانت الآنسة جونز تغادر في الليل. كانت تلتقي بشخص ما، واكتشفت سيلينا ذلك".

سأل إدوارد: "كيف عرفت كل هذا؟".

"رششت مسحوقًا على السلم، ورأيت آثار قدمها. في وقت لاحق، فحصت حذاءها وكان مبتلًّا. ولهذا السبب، كان على الآنسة جونز أن تلقي نظرة على اليوميات الوهمية. كانت تشعر بالقلق من أن سيلينا لاحظت اختفاءاتها... والآنسة جونز خشيت أن تفصلها السيدة ثورستون دون أن تتمكن من الحصول على خطاب توصية. ومن ناحية أخرى، تتحمل الآنسة جونز مسؤولية كتابة رسائل التهديد".

قال السيد ويفرلي: "ما رسائل التهديد؟ لم يذكرها أحد لي".

مدت لوسي يدها في جيبها وسلمته الرسائل التي أعطيتها إياها في وقت سابق للحفاظ عليها. شرح إدوارد قليلًا للسيد ويفرلي حول التهديد الذي سقط من رسالة أديل التي أرسلتها لنا.

قُلت لصاحب منظمة بو ستريت: "لقد امتنعت عن إخبارك بالتهديدات، وكان تفكيري صحيحًا، بالنسبة للتهديد الأول، كنت أشعر بالقلق من أنه قد يكون مكتوبًا بواسطة أديل في محاولة لفت انتباهنا. بسبب ظروف مختلفة، لم نقم بزيارتها منذ فترة طويلة، ورسائلنا لم تصل إليها أيضًا. كانت أديل غاضبة لأننا تجاهلناها. وكتابة مثل هذه الرسالة كانت طريقة سهلة لمعاقبتنا. لو كنت قدمتها لك، فسيجعلها ذلك تبدو سيئة. لقد كنت تشتبه بها بالفعل".

كان دور ويفرلي في الارتباك؛ فقال: "ولكن الآن تقولين إن أديل لم تكتبها؟ ألم تكتب تهديدًا لنفسها صراحة لإجباركم على الزيارة؟".

"لا، سيدي، لم تفعل ذلك. الآنسة جونز هي من قامت بذلك".

قال إدوارد: "ولكن لماذا؟ أديل لم تكن تشكل تهديدًا على الآنسة جونز. ما الذي يمكن أن يكون قد أثار غضب المرأة؟".

تقدم السيد دوغلاس وقال: "أعتقد أن الآنسة جونز كانت مصممة على أن تجعل أديل تعاني بسبب خطايا والدتها، تعلمون، قدمت السيدة روتشيستر لي أسماء جميع أعضاء الطاقم فور وصولها. ووجهت زملائي للبحث وإيجاد ما يمكنهم معرفته. اليوم ظهرًا، أخبرني أحدهم بأنه العام الماضي، سافر أخو بارثينا جونز الأكبر، أدونيس، إلى فرنسا،

t.me/yasmeenbook

بهدف تحسين قدرته على التحدث باللغة الفرنسية. ومع ذلك، عندما وصل إلى هناك، أعجب براقصة أوبرا".

سأل إدوارد، متحدثًا عن والدة أديل: "سيلين فارانز؟".

"آخر مرة سمعت أنها في إيطاليا".

"لا، ليست السيدة فارينز، ولكن فتاة شابة غالبًا ما تظهر في المكان نفسه مع والدة أديل. يبدو أن هذه الراقصة بالأوبرا كانت بالفعل لها حبيب... وقد تعرض هذا الرجل لنوبة غيرة، وقام بطعن أدونيس حتى الموت. تسببت جريمة القتل في فضيحة كبيرة في باريس".

سألت لوسي: "ولكن لماذا ترغب الآنسة جونز في تهديد أديل؟".

"كانت الآنسة جونز تؤمن بالقصاص. كانت ترغب في جعل أديل تعاني. عندما غادرت إلى الهند، أدركت الآنسة جونز أن الفتاة ليس لديها أحد يحميها، لذا، زادت هجماتها".

هزت لوسي رأسها: "أوه لا، ما هذا التصرف السيئ؟!".

قال الطبيب، حاثًّا أصدقائي على الابتعاد: "اسمحوا لي بأن أساعد السيدة روتشيستر، من الواضح أنها تعاني من الألم".

قلت: "من فضلك، قم بذلك، وبعدها يجب أن نذهب لمواجهة قاتل سيلينا بيلتمور".

t.me/yasmeenbook

سمحت للطبيب بإجراء فحوصاته، وبمجرد أن انتهى من ربط ضلوعي، أكملت: "أقترح أن نذهب أنا والسيد ويفرلي معًا. أعتقد أنها ستخضع دون مقاومة كبيرة". خففت الضمادة الملفوفة حول ضلوعي من الوخز الحاد الذي يرافق كل نفس. إذا استطعت نزول الدرج، فأنا واثقة بأنني يمكن أن أقنع قاتل سيلينا بيلتمور بالاستسلام.

سأل إدوارد: "ولكن هل ستكونين بأمان؟".

أنا متيقنة من ذلك. ليس لديها سبب لإيذائي. في الواقع، أشك في أن هذا الشخص سيقوم بالقتل مرة أخرى. كانت الظروف استثنائية".

قدم السيد دوغلاس عرضه: "سأذهب معك وأحرسك".

قال السيد ويفرلي: "سيدة روتشيستر، أنت تقولين إنه لا يوجد شيء يدعو للخوف، أعتذر عن الاختلاف. إن هذا كان عملًا بدم بارد، وليس قرارًا متهورًا مفاجئًا. فكيف يمكن أن تنبع منك مشاعر تعاطف لقاتلة؟ امرأة قامت بخنق طفلة نائمة ببراءة في سريرها".

أشرت بإصبعي إليه قائلة: "سيدي، سيلينا ليست طفلة. ولم تكن بريئة. هيا، سأريك القاتلة. عندما تسمع قصتها، ستغير رأيك بالجريمة، أعدك بذلك".

سار السيد ويفرلي في المقدمة، بينما ساعدني السيد دوغلاس على نزول الدرج.

t.me/yasmeenbook

على الرغم من الضجيج، ظلت الفتيات نائمات، وكذلك السيدة ثورستون. تقدم كاج لمقابلتنا عندما دخلنا المطبخ، وجهه كان يعكس الحزن والتفهم. "هناك سبب واحد فقط لمجيئك إلى هنا. للوصول إليها".

وقفت إيما وراءه، تتمسك بكمه، عيناها مليئتان بالدموع. "إنها امرأة طيبة، سيدتي. حقًّا هي كذلك".

قلت: "أعلم ذلك".

كان سرير ميفيستو فارغًا. القطة لم تكن في أي مكان. أكد ذلك ما كنت أشتبه فيه. ما كنت أعلمه. طرقت على الباب وانتظرت. رد صوت: "أهلًا، هذه أنت يا آنسة إير. كنت أنتظركِ. كنت أتظاهر بالنوم سابقًا. ادخلي، الباب غير مقفل".

"سأحضر السيد ويفرلي معي".

قالت: "أنا محتشمة". جلست الطباخة تواجهنا، ظهرها ملتصق بالحائط. كان ميفيستو مستلقيًا في راحة يدها وهي تقوم بتدليكه بشكل منتظم. فتح عينيه الصفراوين الباردتين اللا مباليتين، ثم أغلقهما مرة أخرى. على صندوق خشبي، تم استخدامه كطاولة، كانت شمعة مضاءة. كان لهبها يرقص ويتمايل، مرسلة ظلالًا شبحية على السقف والحائط.

بيدٍ واحدة متشققة من العمل، كانت الطاهية تُغلق غطاءً أزرق باهتًا وممزقًا. كان شعرها ملفوفًا ومرتبًا في كعكة، ويبدو

أنها قد بكت. امتد لحاف مهترئ ومرقع عبر أحد طرفي السرير، ربما كان ملونًا في وقت ما، ولكن الآن ألوانه باهتة وشاحبة، بجانبها كان الكتاب المقدس مفتوحًا، وكرسيٌّ خشبي مع مقعد من الجلد. ملابس الطاهية كلها معلقة على أربعة خطافات على جدار.

"أنت الضابط من شرطة بو ستريت؟ نعم، كنت أظن ذلك. تفضل بالجلوس يا سيد. يا آنسة إير، يمكنك الجلوس على سريري إذا أردتِ". بتحرك حذر، فعلت ذلك.

"كنتُ أعلم أنكِ ستأتين، مجرد مسألة وقت. إنك ذكية جدًّا. تشبهين حبيبتي العزيزة لاريسا، نعم. هل يمكنني البقاء هنا أثناء حديثنا؟ قدماي تؤلمانني بشدة في نهاية اليوم. بالطبع، هذا سينتهي قريبًا، أليس كذلك؟".

تذبذب صوتي قليلًا: "يجب على السيد ويفرلي أن يعرف ما حدث".

بهمس، قالت: "توقعت ذلك".

قال السيد ويفرلي متطلعًا إلى قائمة أعضاء طاقم العمل التي قدمتها له السيدة ثورستون: "أيتها الطاهية، هل اسمك الحقيقي هو بلينداكونيلي؟ يجب أن تأتي معي. سيكون هناك جلسة أمام القاضي".

"ومحاكمة، ثم تقتلني بالمقصلة، أليس كذلك؟ لن أكذب عليك. قتلت تلك الفتاة الشريرة. أعطيتها وبقية البنات

t.me/yasmeenbook

جرعات من المخدر لجعلهن ينمن. صعدت إلى الطابق العلوي. ضغطت بالوسادة على وجهها، لكنها قاومتني. كانت ضخمة، وأعتقد أنها لم تحصل على ما يكفي من المخدر لجعلها تنام".

أومأت برأسي. في اليوم الأول لوصولي، أعادت الطاهية سبب الخدوش على ذراعيها للقط ميفيستو، ولكن في وقت لاحق، قالت الفتيات لي إنه لم يخدشها أبدًا. كان هناك سبب وحيد كي تكذب بشأن تلك العلامات.

قالت الطاهية وهي تبدو مُرهقة: "استمررت في الضغط على تلك الوسادة حتى أنهيتُ المسألة تمامًا، لم أستطع تركها تعيش مثل الأميرة بكل هذا التكبر، أليس كذلك؟".

وقف ويفرلي وقال: "صحيح، لذلك يجب أن نغادر".

"حتى تأخذوني إلى تايبرن، وتضعوني في العربة، وتدعوني أرقص من المقصلة القصيرة؟".

حاولت أن أبدو حازمة، لكن الألم في ضلوعي جعل الكلام صعبًا: "كنت ستسمحين بأن تواجه الآنسة ميلر الإعدام بسبب ذنوبك؟".

"كلا، لن يصل الأمر إلى ذلك أبدًا".

أضفت القليل من القوة لكلامي: "ولكنه كاد يحدث!".

"كنت فقط أنتظر حتى تأتي عائلة بيلتمور لرؤية تلك الفتاة في تابوتها. كان عليّ أن أتحقق أنهم يعانون... كما عانيتُ أنا. كانوا يستحقون ذلك!".

بدأ ميفيستو يصدر طنينًا، صوتًا ضخمًا يتنافى تمامًا مع هدفنا.

نظر السيد ويفرلي ببرود إلى الطاهية: "العدالة مهمة للقاضي والمحلفين ليقرروا ذلك".

ابتسمتْ للسيد ويفرلي ابتسامة نصف خبيثة ونصف قبيحة: "قدمت خدمة للعالم، هذا ما فعلت. يجب أن تشكروني، أما بالنسبة لمعاقبتي، فأخطط أن أموت في سريري الخاص!".

ثم أرخت قبضتها، فانزلقت زجاجة بنية اللون من يدها على الفراش، حتى استقرت بجانبها. كان على الزجاجة مسجلًا: لودانوم. سلمتها للسيد ويفرلي، الذي قرأ التسمية وسبَّ في نفسه، ثم وضع الزجاجة في جيبه، وتقدم وأمسك بالطاهية بقوة من ذراعها. "هيا!".

قالت الطاهية، متجاهلة حقيقة أن السيد ويفرلي كان يُمسك ذراعها: "سيدي، ليس لدي وقت طويل! ألن تستمع على الأقل إلى حكايتي؟ يا آنسة إير، يقولون إن لاريسا سقطت في البئر. لم يحدث ذلك. لقد سألت سيلينا. واجهتها يومًا ما. كانت تحب النزول إلى هنا وسرقة البسكويت من المخزن".

t.me/yasmeenbook

تحركت عيون السيد ويفرلي من المرأة ثم إليّ وإليها مرة أخرى، وهي ترتدي ثوبًا أزرق باهتًا وهيئتها ضعيفة. لم تكن تشكل تهديدًا. ترك يدها وظل يقف بالقرب منها.

"لقد أخبرتُكِ عن لاريسا يا سيدتي، أليس كذلك؟ ليست لدي صورة لها، لكنها كانت تشبهك كثيرًا. فتاة جادة في التعلم، كانت تمتلك الشجاعة. لم تكن تخاف كثيرًا، لا يا سيدي، فقط مما يزحف؛ لذلك بعد ما ألقتها سيلينا وإخوتها في تلك البئر الجافة، رموا بثعبان معها. فقط للتسلية".

مسحت الطاهية عينيها وتجمدت، كانت حدقة عينها تقريبًا بحجم رأس الدبوس. ارتعشتْ. قمتُ بسحب اللحاف وساعدتُها في وضعه على كتفيها. "كانت ذراع لاريسا قد كسرت أثناء السقوط. ظلت هناك لمدة يومين، كانت تصرخ في البداية. كانت مرعوبة من ذلك الثعبان ولا مخرج من هناك. تخيل ما حدث عندما حل الظلام. كانت تبكي وتنوح طوال الوقت. هكذا وجدها البستاني. كانت تصدر فقط أنينًا ولا تستطيع التحدث أبدًا".

مدت الطاهية يدها إلى جيب ردائها، وأظهرت لنا خصلة طويلة مجعدة بنية اللون. "هل ترى؟ كانت تمتلك أجمل شعر، لكنها نزعت معظمه. أحد البستانيين احتفظ بهذه الخصلة وأرسلها لي".

أومأتُ: "هذا كل ما لديكِ منها، أليس كذلك؟ بالإضافة إلى إبريق الشاي؟".

t.me/yasmeenbook

"كان أفراد عائلة بيلتمور يعتزمون رمي إبريق الشاي في سلة المهملات بسبب تشقق فيه، فطلبت فتاتي شراءه. قالت: (هذا سيذكرك بي يا أمي). عندما رأته سيلينا على رفي، خطفته وركضت. كسرت الشيطانة مقبض الغطاء. قالت لي إنها تعتزم تحطيمه تمامًا، قطعة تلو أخرى! قدمت لها الحلوى وكل أموالي لاستعادته، لكنها لم تهتم. كانت تستمتع بأن تكون قاسية... وكانت تعلم أنها تنتزع قلبي من صدري. كان كل ما لدي من فتاتي! إلى جانب تلك الخصلة. حينها أعتقد أنني قررت أن أفعل شيئًا. افهمي، لم أستطع التحمل أكثر من ذلك يا سيدتي".

أردتُ أن أكون واضحة بشأن ذلك: "لقد أخبرتكِ بما فعلوه بلاريسا، هل هذا صحيح؟".

"كلا يا سيدتي. بل أسوأ من ذلك. تفاخرت بذلك أمامي. قالت إنهم وقفوا هناك يبصقون على لاريسا وهي تصرخ وتبكي وتتوسل لهم أن يخرجوها من البئر. بالطبع، بمجرد أن تم إخراجها من تلك البئر، لم يصدق أحد ما حدث. لم يأخذوا كلام ابنتي مقابل كلامهم. هذا ليس منطقيًّا أليس كذلك؟ سمعت أنها كانت تتهاوى وتتحدث دون توقف، لكنها لم تكن تتحدث بشكل منطقي. سيلينا أخبرتني بأن لاريسا كانت تمتلك بقعًا صلعاء على فروة رأسها بسبب نتف شعرها. وذراعها؟ حسنًا، كان العظم يخترق الجلد بشكل واضح".

سأل السيد ويفرلي: "ثم ماذا؟ كيف توفيت؟".

ترددت عينا الطاهية اللتان كانتا مغلقتين عندما سُئلت: "قالوا إنها انتحرت، هل تظن أن فتاة تستخدم يدها اليمنى في كل شيء يمكنها ربط عقدة المشنقة بينما ذراعها اليمنى مكسورة؟ لا أعتقد ذلك. كلا يا سيدي. أعتقد أنها تلقت مساعدة".

هذه الفكرة أثرت بي بشكل كبير: "يا إلهي!".

كان وجه السيد ويفرلي متوترًا: "لكنني وجدت ذلك الشريط بجوار السرير حيث توفيت الفتاة. لماذا تركتِه هناك؟".

"أسقطتُ الشريط عن طريق المصادفة. كنتُ أعتزم إعادته إلى تلك الفتاة الفرنسية الصغيرة، لأنها رائعة. الفتاة المسكينة. كانت تعتز بهذه القطعة الجميلة. أما بالنسبة للآنسة ميلر، فلن أدعها تتحمل اللوم فترة طويلة. كتبت هذا، حتى تعرف ما حدث". أخرجت الطاهية قطعة من ورق التغليف من بين صفحات الكتاب المقدس الخاص بها. كانت قد كتبت على الورقة بخط مرتجف: "لقد قتلتُ سيلينا بيلتمور" وتوقيعها.

انتابت المرأة رعشة كما لو كانت قد اجتاحتها رياح باردة. "قالت سيلينا إنها راقبت لاريسا وهي تموت. أخبرتني بأنها وإخوتها كانوا هناك في الحظيرة. قالت إن ابنتي كانت تتأوه وتتلوى. هذا ما يجعلني أشعر بالحزن بشدة. توفيت طفلتي بعد عناء، أترون؟ لم تأتِ إلى المنزل لأنها لم ترغب في أن تكون عبئًا، لكنني كنت سآخذها! يا إلهي! لماذا لم تهرب إليّ؟".

t.me/yasmeenbook

ثم أغلقتْ عينيها وتنهدت. نظر ميفيستو إليها وأصدر مواءً. مع تنهيدة واحدة أخيرة، مالت الطاهية جانبًا. قفز ميفيستو ببراعة من فوق قدمها. كادت الطاهية تسقط على الأرض لولا أن السيد ويفرلي أمسكها. وضع أصابعه على حنجرتها. بعد لحظة، حرك رأسه وقال: "لقد ماتت".

الفصل ٤٧

على الرغم من اعتقادي أن بارثينا جونز لم تكن تنوي قتلي، وجه السيد ويفرلي للشرطي أمرًا بسجنها في الوقت الحالي وأخبرني: "يمكنك أن تتحدثي نيابةً عنها أمام القاضي".

استعان كاج بعربة لنقل جثمان بليندا كونيلي إلى مثواها الأخير. واسيتُ إيما، بينما أنا وكاج نراقب بصمت بينما يحملون الطاهية من غرفتها الصغيرة قلت: "هي مع ابنتها الآن. أومن بذلك من كل قلبي، حتى لو انتحرت".

ذهب ويليامز وأحضر الآنسة ميلر، التي كانت تقيم في منزل لوسي بينما نفذنا خطتي. سألتني: "كيف يمكنني شكرك بما يكفي يا آنسة إير... أعني، يا سيدة روتشيستر؟ لقد أنقذتني أنا والفتيات. كيف توصلتِ إلى أنها الطاهية؟".

قلت: "كانت هناك الكثير من الدلائل، على الرغم من أن معظمها كان غير واضح. كذبت الطاهية حول الخدوش على ذراعيها. كانت لديها إمكانية الوصول إلى اللودانوم، ويمكنها بسهولة تخدير الفتيات. عندما وجدت قطعة من إبريق الشاي

t.me/yasmeenbook

في درج سيلينا، أدركت أن الفتاة قد أخذت أثمن ممتلكات الطاهية. أخبرتني السيدة ديلغاتو بأن سيلينا دفعت معلمة إلى البئر... فبدأت أتساءل كيف ماتت المعلمة ابنة الطاهية. وأخيرًا، كانت هناك بودرة مبعثرة حول سرير سيلينا. في البداية، افترضت أنها بودرة الاستحمام التي كانت تفضلها، لكنها لم تكن تبدي رائحة الزهور. الطاهية كانت دائمًا تخبز؛ لذلك سيكون من المنطقي أن يسقط الطحين من جسدها على الأرض في غرفة الطالبات الكبيرات أثناء تصارعها مع سيلينا".

قررت لوسي والسيد دوغلاس البقاء في المدرسة حتى تستيقظ السيدة ثورستون. قالت لوسي: "يجب على شخص ما إبلاغ المشرفة عما فاتها وأن الآنسة ميلر قد تم تبرئتها من التهمة. يمكن لبروس أن يفعل ذلك بينما أساعد الآنسة ميلر مع الفتيات. اذهبي إلى منزلي مع زوجك. أتوقع أنك بحاجة إلى نوم جيد. ستكون أديل سعيدة جدًّا عندما تعلم أنها ستعود إلى البيت معك!".

وفيما كنا نستلقي في ذراعيْ بعضنا بعضًا، تحدثت أنا وإدوارد حتى ظهرت أشعة الشمس الذهبية من خلف الستائر المخملية في غرفة ضيوف لوسي بريتون. كانت أضلعي ما زالت تؤلمني، لكن بفضل التضميد، كان الألم محتملًا.

سألني إدوارد: "إذًا أنت أحرقت الرسائل التي وجدتها، تلك التي كانت من الملك؟".

أجبت: "نعم. باستثناء رسالة واحدة" وشرحت كيف تمت مقاطعتي أثناء حرقها. "لم يكن هناك سبب وجيه للحفاظ على الرسائل. سيلينا ماتت. عائلتها لا يمكنها الحصول على أي شيء. بالتأكيد يمكن لنا أن نشفق على الرجل الذي اضطر إلى الزواج من امرأة تحت التهديد".

قال إدوارد: "بالفعل. كنت أكره والدي بسبب اهتمامه بثورنفيلد فوق كل شيء آخر، سخرت من كيفية توليه مسؤولياته بوصفها نبيلًا ريفيًّا بشكل جدي، ولكن على طول الطريق إلى هنا، اضطررت لرؤية المستأجرين في منازلهم، يكافحون لمواصلة حياتهم. إنهم يستحقون الأفضل مني".

"أيضًا السيد كارتر حثني على زيارة العائلات المحلية. لم أكن أدرك الطرق التي يمكن أن تساعد بها زوجة السيد النبيل. لقد كنا سعيدين جدًّا، فقط نحن الاثنان، وأدعو أن نظل دائمًا كذلك... ولكن من الخطأ أن نستمتع بفوائد مكانتكَ من دون أن نستحقها. يمكنني أن أتعلم ركوب الخيل. يمكنني أن أحمل السلال وأنقلها. يمكن للسيد كارتر أن يعلمني بعض الوصفات اليسيرة. يمكنني أن أخبركَ عندما تحتاج إحدى الأسر للمساعدة".

"يمكننا أن نقوم بالجولات معًا". وبعد أن فرغ من جملته، انتبهت إلى إثارة جديدة تملأ كلماته: كم هو غريب أن نصل إلى هذه النقطة الجديدة في حياتنا، أن تغير رسالة تهديد الكثير للأفضل.

قال زوجي: "إعادة بناء ثورنفيلد أصبح لها معنًى جديد بالنسبة لي، كان بيت العمدة للريف، ومركزًا لجميع الأنشطة. لقد نسيت كم عدد الناس الذين يعملون في إعداد الجعة لحفلاتنا، وصنع مساحيق لغسيل الملابس، ونسج الأقمشة لمفروشاتنا، وتربية الحمام لحظيرتنا، والمساعدة في حصاد وحفظ الثمار من الحقول والبساتين. عندما كنت صغيرًا، كان والدي يفتح المكان في عيد الميلاد، ويقيم حفلات بعد مطاردة الثعالب، ويقيم احتفالًا في عيد ميخائيل، وفي الأوقات العصيبة يفتح المنزل للمرح الذي يزود السكان المحليين بالطعام والنقود لعدة أسابيع. كنت أنظر إلى تلك الأحداث كترفيه لوالدي وشقيقي الأكبر، رولاند. الآن أفهم الغاية الأعمق. كانت توفر فرصًا لمستأجرينا. على حدة، كان كل احتفال يمثل أمرًا صغيرًا، ولكن باجتماعهم معًا، خلقوا آلية لإبقاء والدي على اطلاع بأحوال مستأجريه وتزويد السكان المحليين بإمدادات إضافية من المواد الغذائية والنقود. أعتقد أنه من واجبي أن أتواصل معهم. آمل ألا تجدي ذلك مملًا جدًّا".

خطرت لي أفكار قليلة، وأنا أنظر في مدى استمتاعي بعزلتنا، ولكن كيف يمكنني أن أعود إلى الأساليب القديمة وأنا أعرف أن مستأجرينا يعانون من حولنا؟ هذا هو الطريق الذي لم أكن أعتزم أن أسلكه، لكن قدميَّ متوجهتان بالفعل نحو هذا المسار. لا يمكنني العودة. بدلًا من ذلك، سأقبل بعض العيوب كأجر مدفوع مقدمًا على كل النعم التي وصلتني.

"سأكون فخورًا بتحمل دور سيدة القصر. ستستمتع أديل بالترحيب بالزوار وبوجود جمهور لها. في نهاية المطاف، سنجد مدرسة جديدة لها. ربما في ميلكوت، على الأقل لتكون قريبة بحيث يمكنها العودة إلى المنزل كلما رغبت في ذلك. أنا أرغب في وجودها حولي خصوصًا خلال العطلات".

ضحك إدوارد: "تتحدث أديل عن نيد كما لو كان كبيرًا بما يكفي للتحدث معها أو تقديم رأيه في اختيار أشرطة شعرها. انتظري حتى تري مدى اعتماده علينا!".

ابتسمتُ وأنا أفكر في مدى حنانها الكبير. لقد اندفعتْ نحوي واحتضنتني بقوة، وأخبرتني بأنني "شجاعة جدًّا" لمواجهتي قاتل سيلينا، لكن عندما علمتْ أنني صعدتُ شجرة، نظرتْ إليّ بدهشة صريحة.

"كان ذلك مضحكًا يا إدوارد، هل سمعت ما قالته أديل؟ 'مادموازيل، هل تعرفين كيف تتسلقين الأشجار؟ هذا لا يصدق حقًّا!'".

"هي على حق تمامًا. أنا أيضًا أجدك مدهشة. دعيني أرِكِ...".

استمتعنا أنا وإدوارد وأديل بكرم ضيافة لوسي لعدة أيام أخرى. والأهم من ذلك، أخذتنا معها إلى هاتشارد حيث أمضينا يومًا كاملًا في اختيار أنواع مختلفة من الكتب الرائعة. بناءً على طلب إدوارد، أخذتني لوسي أنا وأديل إلى خياطة الثياب. قالت

t.me/yasmeenbook

لي صديقتي: "أعلم أنك تحبين أن تكون ملابسك متواضعة، ولكن التواضع والأناقة في كثير من الأحيان هما شيء واحد. دعيني أرِكِ".

زرنا أيضًا محل القبعات، وطلبنا العديد من القبعات الجديدة.

في اليوم الأخير، جهّزت بولي أمتعتي وذهب إدوارد مع جون في مهام تتعلق بمحامينا. طلبتُ البحث عن "أختي" لوسي. بعد العشاء أمس، أهدت لوسي أديل مجموعة جميلة من الدمى الملونة بالكامل. جلست صديقتي الفرنسية الصغيرة في وسط الصالون، وترأست عائلة كاملة من الأشخاص الرسميين الجذابين بملابسهم الراقية.

كل يوم منذ وفاة الطاهية، كانت أديل تسألني: "متى يمكننا الحصول على القط؟". أخبرتِ السيدة ثورستون لوسي أنها لا ترغب في الحيوان، وبمجرد أن علمت أديل أن القط سيصبح بلا مأوًى، أصرت على أن نأخذ ميفيستو معنا إلى المنزل. ونظرًا للفئران التي تشاركنا في فيرندين، اعتقدت أن هذه فكرة جيدة.

قلتُ: "قريبًا، هل تعرفين أين توجد السيدة بريتون؟".

قالت أديل: "أعتقد أنها في غرفتها، وصلت لها رسالة، من الهند".

وجدت لوسي وهي تمسك بإحدى يديها رسالة مفتوحة. وكان في يدها منديل رطب. عيناها الحمراوان والمتورمتان أخبرتاني بأنها كانت تبكي.

"هل زوجك بخير؟ هل وصلتك أخبار منه؟".

قبل أسبوع، كنت سأحتفظ بمسافة بيني وبينها، ولكن بعد كل ما مررنا به معًا، انهار ذلك الحاجز المعنوي. وبمشاهدة ضيقها، جذبت كرسيِّي إلى جانب كرسيها حتى أتمكن من أن أكون بجانبها. حرفيًّا ومجازيًّا. بينما كانت تكافح لتجمع أفكارها، أمسكت إحدى يديها. كانت ساخنة ورطبة.

"لوسي؟ هل أنت بصحة جيدة؟ هل أحتاج إلى استدعاء طبيب؟".

قالت: "كلا".

ولكنني كنت أعرف علاجًا. طلبت من بولي أن تحضر النبيذ. "كأسين من النبيذ من فضلك".

بعد أن سكبت لكلتينا كأسًا من النبيذ، توسلتُ إلى لوسي أن تتحدث معي.

"قبل ثلاث سنوات، تجادلتُ مع زوجي بشدة. كان ذلك عندما تركتُ الهند وعدتُ إلى لندن. بقي هو في مومباي. بعد رحيلي، لفتت انتباهه امرأة أرملة شابة، و...". توقفت ثم أكملت: "شعر بالراحة معها".

t.me/yasmeenbook

ألقيت ذراعي حول عنقها، فضممتها وقلت: "أوه، لوسي. أوه، صديقتي العزيزة. أنا آسفة جدًّا، جدًّا!". وبينما كنت أفعل ذلك، استنشقت الرائحة الغنية التي كانت تفضلها، رائحة زهور الجارديني الحلوة.

"لقد سامحته منذ فترة طويلة يا جين. لقد قال كلانا أشياء بشعة بعضنا لبعض في خلافنا. لم آخذ في الحسبان الضغوط التي عليه، وهو لم يقدر موقفي أيضًا. ولكننا تصالحنا قبل أن أعود للعناية به أثناء إصابته بالملاريا؛ لقد جعل ذلك زواجنا أقوى".

بعد تناول جرعة من النبيذ، استمرت لوسي في الحديث: "وفي الوقت نفسه، عادت الأرملة إلى بروكسل، ولكن يبدو أنها كانت حاملًا وقد وضعت طفلًا ذكرًا. توفيت بسبب مضاعفات الولادة قبل شهرين".

"وما زالت خيانة أوغي تؤلمك؟ لا بد أنه كان لا يزال على اتصال بها إذا سمع بوفاتها".

"نعم ولا. اتصل به أحد المحامين بعد وفاتها. الصبي هو بالتأكيد ابنه".

"لا بد أنك كنتِ حزينة جدًّا! سيكون من الصعب بالنسبة لك أن تتلقي تذكيرًا بخيانته!".

"أتظنين أن هذه دموع الحزن؟ ما زال لدينا الكثير لنعرفه

بعضنا عن بعض، أليس كذلك؟ إنها دموع الفرح. الفرح! لقد كتب أوغي للتو ليسألني عما إذا كنت على استعداد لتربية الطفل. بالطبع سأوافق! سأكتب له الآن. أليس ذلك رائعًا؟ الطفل موجود حاليًّا مع مرضعة، لذا سأرسل لها أموالًا حتى يتمكنا من الحضور إلى لندن. أوه، جين، سيكون لدينا ابن! الحمد لله، أنا سأصبح أمًّا!".

t.me/yasmeenbook

الفصل ٤٨

منزل فيرندين، يوركشاير

١١ نوفمبر ١٨٢٠

"سيدة جين، سيد إدوارد، لدينا زائر!". وصل صوت السيدة فيرفاكس إلينا حيث كنا نجلس أنا وإدوارد في الصالون، نتحادث، ونستمتع ببضع لحظات نادرة من الهدوء. كان المنزل يعج بالنشاط والحركة منذ عودتنا إلى فيرندين. لقد سلمت للتو نيد لهيستر بعد أن هززته لكي ينام في حضني. كم استمتعت بالشعور بلمسه وبوجهه الطفولي اللطيف. لقد نما كثيرًا خلال الأسبوعين اللذين غبتُ فيهما أنا وإدوارد. والآن، بعد مرور شهر آخر تقريبًا، بدأ ابننا باستيعاب مهارة الزحف، وبدأ يمسك بأي شيء يثير اهتمامه.

منذ أن جاءت معنا إلى المنزل، ازدهرت أديل. لقد أثبتت الفتاة الفرنسية أنها مفيدة جدًّا مع الطفل، خصوصًا في تلك الفترة التي بقيت فيها مرضعته هيستر في منزلها مع ابنتها. قال لنا السيد كارتر: "الآن طفلتها بحالة أفضل، ولكن كانت الأمور صعبة للغاية. مرض جميع الأطفال في عائلة هيستر بسبب

t.me/yasmeenbook

الزكام. لقد ساعدتها بشكل كبير بإرسال البيض والدجاج الطازج لتعويض أطفالهم".

كلما رأيت أديل وهي تقبل نيد، شعرت بأن قلبي يقفز من فرط السعادة. بعد أن لعبت مع صديقها الجديد، الذي تسميه "ملاكي"، كانت أديل تعود لمضايقة ميفيستو بواسطة ريشة مربوطة بخيط.

كما شرحت لي الطاهية، يحب ميفيستو الأطفال. بدا أنه يحبني أيضًا؛ حيث نقل مودته من صاحبته السابقة، وألصق نفسه بي بشكل كامل حتى إن إدوارد أقسم إن ميفيستو أصبح رفيقي المقرب. في كل مرة يقترب مني، أفكر في بليندا وابنتها لاريسا. كنت أدعو أن تكونا قد اجتمعتا. كما أنني كنت أشعر بأنني ممتنة للغاية، بدءًا من فرح الأمومة.

لم أكن دهِشة عندما تبين أن الزائر هو بروس دوغلاس. رحبنا أنا وإدوارد به بحرارة.

قال بعد أن أولى اهتمامه لـ أديل وأعجب بـ نيد: "لقد جئت لأتحدث معكما عن المجوهرات المفقودة، وبعد ذلك سأحتاج إلى البقاء لليلة".

طلبت من أديل أن تذهب وتساعد السيدة فيرفاكس في تحضير المشروبات.

سأل إدوارد وهو يميل قليلًا للأمام ويحدق في السيد دوغلاس: "ماذا عرفت؟".

t.me/yasmeenbook

كان زوجي يلبس نظارة طبية بعدسات ملونة. رأيتها جذابة جدًّا. ولا يزال بصره يتحسن بفضل الكمادات الساخنة التي نضعها على عينه.

سحب السيد دوغلاس كرسيًّا من الحديقة وقال: "هل يمكنني مراجعة حقائق قضيتك؟ أعتقد أنكما ستصلان إلى الاستنتاج نفسه الذي وصلت إليه".

لم أرَ فائدة من ذلك، لكنني كنت أثق في بروس دوغلاس، لذا قلت: "بالطبع. هل يمكننا الانتظار حتى تحضر لنا السيدة فيرفاكس الشاي؟".

"من فضلك. كانت رحلة طويلة للوصول إلى هنا".

كانت خدمة الشاي ستمنحني فرصة لتجهيز نفسي. لقد توقعت بالفعل أن المجوهرات قد اختفت إلى الأبد، ولكن سماع تأكيد شكوكي سيعيد فتح جرح حساس.

حملت السيدة فيرفاكس الصينية بعد ما سكبتُ الشاي، ثم طلب السيد دوغلاس مني أن أغمض عينيّ وأشرح للجميع سير أحداث اليوم الذي غادرت فيه إلى لندن. لم أترك شيئًا من المواقف التي استطعتُ تذكرها، وساعدتني السيدة فيرفاكس عندما نسيت.

عندما فتحت عينيّ، شاركني السيد دوغلاس ما عرفه. "كان ذلك الحارس جليب رجلًا أحمق تمامًا، لكن ملاحظاته كانت

ذات قيمة. أنت كنت السيدة الوحيدة في حافلة البريد ذات ملابس عادية. هذا يثير السؤال، في منطقة مزدحمة بالمسافرين الأثرياء، لماذا استهدفوك؟".

تأملت هذا الأمر، وكذلك إدوارد والسيدة فيرفاكس، لكن ليس لدينا أي تفسير.

"لم تتلق أي من جهات الاتصال لديَّ أي سلعة مسروقة تتطابق مع وصف مجوهراتك. قد يكون اللص المحترف قد أخذ القطع إلى أمستردام، حيث يمكن لخبراء الألماس تقسيم الأحجار وإعادة تجميعها وبيعها دون خوف من اكتشافها، لكن لم تسمع مصادري عن حدوث مثل هذا. وليس لديهم سبب للكذب. وهذا يجعلني أعتقد أن السارق لم يكن لصًّا محترفًا بل هاوٍ سرقها منك يا سيدة روتشيستر".

أدركت إلى أين يؤدي هذا، تفاعلت معدتي وشعرت بألم فيها. جلست السيدة فيرفاكس في صمت، ووجهها يحمل تعبيرًا منزعجًا.

تحدث إدوارد بصوت هادئ جدًّا: "أنت تعتقد أنه كان شخصًا يعرف زوجتي جيدًا، وطريقة ارتدائها، وخطط سفرها، ومكان حملها للمجوهرات، أليس كذلك يا سيد دوغلاس؟".

"بلى، أنا آسف للقول بأنني أعتقد أنه شخص مطلع على ظروف السيدة روتشيستر الخاصة".

t.me/yasmeenbook

سألت: "ولكن ألم يكن ينبغي لهاوٍ أن يأخذ المجوهرات على الفور إلى أول تاجر دون ضمير يجده؟".

"ليس بالضرورة. لقد تعرضتِ لإصابة في العين، وقلت إنك أعطيت اللص لكمة أيضًا. ذكر تقرير جليب ذلك. ومن الطبيعي أن السيد ويفرلي قد قام بمتابعتك بعد لقائه بك. وكانت الشرطة في لندن تعرف أن تبحث عن رجل لديه إصابة في عينه يحاول بيع خاتم الألماس مع عقد وأقراط متناسقة".

وضع إدوارد بلطف فنجان الشاي الفارغ على صحنه وقال: "ولكنه كان يمكنه بيع المجوهرات في بلدة أخرى. بلدة لا يعرف فيها أحد أن رجلنا المطلوب يعاني من إصابة في العين". برزت عضلة فكه، إشارة على أن التوتر يتزايد بداخله. عرضت السيدة فيرفاكس تحضير المزيد من الشاي. اعتقدت أنها فكرة جيدة، وأبديت الرغبة في ذلك.

"كلا، لندن هي المكان المناسب لبيعها. لماذا تتعب بسرقتها ثم تقوم بتبديلها إلى مبلغ زهيد مقارنة بقيمتها؟ لندن ستكون المكان المناسب للعثور على صائغ يتمتع بزبائن جيدين، ويتعامل مع الطبقة الاجتماعية الراقية، ومن ثم يستطيع تقديم أعلى سعر ممكن. في لندن، يمكن للشخص البقاء مجهولًا. لندن ستكون أفضل مكان -والوحيد- لتقديم هذه الفرصة، ولكن مصادري تخبرني بأنه لم يتم عرض أي شيء من هذا النوع".

t.me/yasmeenbook

لم يبد السيد دوغلاس مبتهجًا؛ في الواقع أدرك خطورة مناقشتنا للدلائل، وظهر الندم على وجهه. كان يقودنا في طريق لا نرغب في الذهاب إليه.

قلت مستنتجة: "مما قد يعني أن مصادرك خاطئة. أو أن اللص لم يحظ بالفرصة لتبديل الأحجار الكريمة".

تساءل إدوارد: "ولماذا لم يجد اللص وقتًا للعثور على صائغ؟".

ظننت أنه يعرف السبب، ولكنه يرغب في سماع رأيي.

"لأن اللص كان يحتاج وقتًا للشفاء قبل أن يسافر إلى لندن. وربما كان هناك سبب أبقاه بعيدًا. بعض الأمور الملحة، مثل عمله أو عائلته. تذكر، تعرضت للهجوم على الطريق الرئيس الشمالي، وهو على مسافة بعيدة نوعًا ما من المدينة".

ابتسم السيد دوغلاس لي وقال: "سيد روتشيستر، زوجتك ماهرة للغاية في فن التفكير المنطقي".

"ولكن كيف يمكن لأي شخص أن يعرف ما كنت أحمله -وكيف كنت أحمله- ويترك حقيبة سفري، ما لم..."، قطعت كلامي. "هل لديك الرسم الذي رسمته؟ هيئة اللص؟".

سحب السيد دوغلاس الرسم من جيبه وقال: "أريتها لجون وهو يأخذ جوادي. قال إنه ذهب لاحتجاز الرجل الذي نبحث عنه".

t.me/yasmeenbook

نظرت إلى الرسم بمزيج غريب من الغضب والحزن نتيجة خيانة الثقة. "ماذا نفعل الآن؟".

"لدي السلطة لاصطحاب الجاني معي. إذا كان هذا ما ترغبان فيه. بالتأكيد يمكنكما طلب حضور اللص أمام المحاكم".

نهضت وسرت نحو الباب. "هيستر؟ هل يمكنكِ أن تأتي هنا، من فضلك؟".

ربما كان يجب عليّ أن أنتظر حتى يتسنى لنا أنا وإدوارد مناقشة المسألة بشكل أكثر تفصيلًا، ولكنني لم أستطع أن أمنع نفسي. كنت بحاجة لمعرفة ما إذا كانت شكوكي صحيحة. أردت أن أسرع في هذا الأمر، لأن انتظار الضربة فقط يزيد الألم.

"نعم يا آنسة؟".

وضعت السيدة فيرفاكس صينية الشاي. بعد رؤية التعبير على وجوهنا، سألت ما إذا كان يمكنها أن تتركنا وحدنا.

وجهت التعليمات إلى الخادمة: "من فضلك، أبقي أديل ونيد مشغولين. لا تسمحي لهما بالدخول هنا".

قبل أن أتوجه إلى هيستر: "لديك أشقاء، أليس كذلك؟ ثلاثة أو أربعة؟".

تجمدت ونظرت إليّ بعينين متسعتين.

t.me/yasmeenbook

"أحدهم يشبه هذا؟". ورفعت الرسم الذي رسمته.

تحولت عيناها من النظر إليّ ثم إلى إدوارد وعادت إليّ. سقطت على ركبتيها وهي تبكي، وجهها مضغوط على السجادة. "من فضلك، من فضلك يا سيدي، كان يجب ألا يفعل ذلك. كان مخطئًا. وهذا خطئي أيضًا. لم أقصد! فقط أخبرته عن الجواهر وكم هي جميلة. أطفاله لم يكن لديهم شيء ليأكلوه. لا شيء! لذا اعتقد أنه إذا أخذها... لكنه لم يتمكن من بيعها... كلانا سنشنق! أنا أعلم أننا سنشنق!".

قلت: "اهدئي". رفعت المرأة لتقف على قدميها وأجلستها على كرسي ذي ظهر مستقيم بينما خرج إدوارد والسيد دوغلاس إلى الحظيرة. عادا سريعًا برفقة جون الذي كان يحمل بندقية على أحد إخوة موتون.

صرخت هيستر: "يوشيا! أنا آسفة! آسفة جدًّا!".

بعد نظرة واحدة، عرفته. إنه هو مَن هاجمني.

كان واقفًا هناك في وسط الصالون، رأسه منحنٍ ولسانه ثقيل، يتعثر في الاعتذار. يعتذر مرارًا وتكرارًا. بشكلٍ مؤثر، توسل أن نسامح هيستر. "لم تكن فكرتها. هي أخبرتني، وأخذت أنا هذا القرار".

سأل إدوارد بصوت متجهم: "أين هي؟".

"تحت م... مكان تعليق م... متعلقات ا... الجواد الخاص بك في الإصطبل". لم يستطع الشاب التحدث بوضوح بسبب التلعثم.

أرسل إدوارد جون للعثور على الجواهر وأخذ ليا لإحضار زوجها، جيمس. بعد اجتماع قصير، قرر السيد دوغلاس وإدوارد احتجاز هيستر ويوشيا في الغرفة الصغيرة التي نستخدمها بمثابة مخزن حتى نتمكن من مناقشة المسألة. تم تسليم بندقية لجيمس وطلب منه أن يقف على الحراسة. بينما كنت أستمع، ناقش السيد دوغلاس وإدوارد العديد من الحلول القانونية. استدعينا السيدة فيرفاكس، التي كانت بطبيعتها تتساءل عما حدث... وصدمت تمامًا عندما سمعت. في النهاية، وضع إدوارد القرار بين يديّ. "برأيك ماذا أفعل؟ لقد خرق القانون. ولقد جرحك. هذا هو ما يثير غضبي بشدة".

كنت غاضبة أيضًا. ومع ذلك، كنت أيضًا محرجة. "كم عدد الأطفال الذين توفوا في أسرتهم؟ كم كانت فترة جوعهم؟ ماذا فعلنا لمساعدتهم؟".

كان هذا كل ما تساءلت عنه. كان كافيًا. ألقى إدوارد نصيحة صارمة على الشقيقين ثم قال لهما أن يغادرا المكان.

قال السيد دوغلاس: "يبدو لي أنهما نجوا بأقل مما يستحقانه".

t.me/yasmeenbook

قلت: "ليس كذلك، قد فقدا مصدر دخلهما. سيضطران للاعتراف بارتكاب هذا الخطأ أمام عائلاتهما".

قال إدوارد: "أطفالهما لن يعانوا، سأهتم بذلك".

جلس ثلاثتنا حتى وقت متأخر من تلك الليلة، نتحدث حتى تعبنا. قال السيد دوغلاس: "أعتقد أن ردكما كان صحيحًا، أظهرتما الرأفة والرحمة".

قال إدوارد بينما كان يدور الخمر في كأس خمرية أثناء جلوسنا أمام النار: "في الواقع، زوجتي أظهرت الرأفة والرحمة. لقد لبيت رغباتها".

قمت بتحريك الفحم، ومراقبة تلاشيه حتى أصبح مجرد رماد من اللونين الرمادي والأبيض. "كانت جريمتهما ردة فعل لإهمالنا. كنا يجب أن نفعل المزيد لمساعدتهم".

"وسنفعل، يا عزيزتي. أعدك".

تلك الليلة حلمت أنني واقفة في الحديقة وأنظر إلى النجوم. في صغري، أقنعت نفسي أن والدي ينظران إليَّ. كان ذلك تخيلًا يطمئنني، لكنه لم يمنحني الراحة في هذه اللحظة. أردت أن أرى ابني ينمو ليصبح رجلًا. أردت أن أكون بجانب أديل عندما ترتدي فستان الزفاف. أردت أن أقف بجانب ابن لوسي وأوغي بريتون عندما يبدأ دراسته في مدرسة إيتون.

t.me/yasmeenbook

استنشقت رائحة البنفسج الحلوة، واستدرت لأرى صديقتي هيلين بجانبي. "هل صرختِ للحصول على المساعدة؟ هل كان صوتك الذي سمعته؟".

بالطبع... ثم ابتسمتْ لي. نحن لسنا بعيدين حقًّا عن أولئك الذين نحبهم. تختفي النجوم في ضوء النهار القاسي، ولكنها لا تزال تضيء. قد تكون غير مرئية، ولكنها موجودة.

أيقظني زوجي في الصباح بقُبلة. وأخذنا وقتنا في ارتداء الملابس.

قلت وأنا أمسك يد زوجي: "حلمت حلمًا غريبًا".

قبّل كفّي، ومشينا جنبًا إلى جنب في الممر وقال: "عن ماذا يا عزيزتي؟". ثم توقف إدوارد وأدخل رأسه إلى المطبخ وقال: "سيدة فيرفاكس؟ هل يمكنك أن تحضري الشاي لنا إلى الصالون؟".

"أحاول التذكر. كان عن صديقة الطفولة، هيلين. هيلين بيرنز. جاءت إليّ. لا أستطيع أن أتذكر ما قالته. امنحني لحظة".

كنت أنزل لأجلس على كرسيّي عندما أوقفني شيء ما. لقطَة بنفسجية جذابة جذبت نظري. التفتُّ ونظرت إليها، هناك على مقعدي.

وردة بنفسجية مثالية.

t.me/yasmeenbook

t.me/yasmeenbook

رسالة المؤلفة

من السهل التحقق من أن رواية جين إير قد صدرت لأول مرة في عام ١٨٤٧؛ ومع ذلك، فإن تحديد العام الدقيق الذي تدور فيه أحداث هذه الرواية الكلاسيكية لـ تشارلوت برونتي قد يكون أمرًا أكثر تحديًا. فمنشورات كيتس وبايرون تشير إلى الفترة بين عامي ١٨١٤ و ١٨٢٠. وهناك دلائل أخرى أيضًا.

فإن الكتاب الذي يثير اهتمام جين البالغة من العمر ثمانية أعوام، "A History of British birds" لـ توماس بيويك، نُشر في جزأين بين عامي ١٧٩٧ و ١٨٠٤. ونظرًا لأن بقية القصة (حتى الفصل الختامي) تحدث خلال السنوات العشر التالية في حياة جين، فإننا نتحدث الآن عن "سيرة ذاتية" تدور في حوالي عام ١٨١٥.

وعلى أي حال، فقد اخترت العام ١٨٢٠ لاستكمال حكاية جين؛ لأن وفاة جورج الثالث وصعود ابنه إلى سدة الحكم تعد فترة مثيرة للاهتمام في التاريخ. وهناك قلة من الرجال كانوا محظوظين وخسيسين مثل الملك جورج الرابع، جورج أوغستوس فريدريك من أسرة هانوفر. وباستخدام خلفية فساده وأنانيته وانعدام مسؤوليته، تبرز شخصية جين حقًّا. وعلى الرغم من أن الملك جورج الرابع كان ينعم بكل مزايا الحياة، وجين إير كانت يتيمة خيالية لا تحظى بشيء، فلا يوجد

t.me/yasmeenbook

شك لدي في معرفة مدى صمود أي من هاتين الشخصيتين عبر اختبار الزمن.

لمعرفة المزيد عن هذه الحقبة، يُرجى زيارة موقعي الإلكتروني www.JoannaSlan.com للاطلاع على قائمة المصادر.

t.me/yasmeenbook

نبذة عن المؤلفة...

جوانا كامبل سلان

جوانا مؤلفة حققت كتبها أفضل المبيعات حسب تصنيف صحيفة نيويورك تايمز وصحيفة يو إس إيه توداي، وقد كتبت أكثر من ٤٠ كتابًا، بما في ذلك أعمال خيالية وغير خيالية. كانت واحدة من أوائل المؤلفين في سلسلة "Chicken Soup for the Soul"، وتظهر قصصها في خمسة من أفضل الكتب مبيعًا حسب تصنيف صحيفة نيويورك تايمز. حصل كتابها غير الخيالي الأول، Using Stories and Humor: Grab Your Audience (الصادر عن دار نشر سيمون وشوستر (Simon & Schuster) التابعة لدار نشر بيرسون (Pearson))، على موافقة منظمة توستماسترز إنترناشونال (Toastmasters International) وأشادت به الرابطة الوطنية للمتحدثين (National Speakers Association). وهي مؤلفة لأربع سلاسل غموض. ولقد رُشحت روايتها الأولى، Paper Scissors Death: Book #1 in the Kiki Lowenstein Mystery Series، لنيل جائزة أجاثا. وفازت روايتها الأولى في الغموض التاريخي، Death of a Schoolgirl: Book #1 in the Jane Eyre Chronicles، بجائزة دافني دو موريه للتميز. وتستمر سلسلتها الحالية التي انطلقت في فلوريدا هذا العام مع رواية Sand Trapped Book #6 in the Cara Mia Delgatto Mystery Series. وتبدأ سلسلتها الخيالية

t.me/yasmeenbook

المثيرة برواية Sherlock Holmes and the Giant Sumatran Rat.

بالإضافة إلى كتابة القصص الخيالية، تقوم جوانا بتحرير سلسلة Happy Homicides Anthologies، وبدأت سلسلة Dollhouse Décor & More لكتب "how to" بشأن المنمنمات الخاصة ببيوت الدمى.

وفي عام ٢٠٠٤، نشرت جوانا، عندما كانت تعمل متحدثة تحفيزية، بشكل مستقل رواية I'm Too Blessed to be Depressed. وباعت أكثر من ٣٤٠٠٠ نسخة من ذلك الكتاب. ومنذ ذلك الحين، اتجهت جوانا إلى نشر كتاب ملون بشكل كامل بعنوان The Best of British Scrapbooking، بالإضافة إلى العديد من الكتب الرقمية والكتب الملونة. وباعت ١٢٠٠٠٠ نسخة من كتابها Scrapbook Storytelling.

أصبحت جوانا مؤلفة تحقق كتبها أفضل المبيعات على موقع أمازون مرات عديدة لا تحصى، ووضعها موقع أمازون ضمن قائمة أفضل ١٠٠ كاتب في فئة الغموض.

كانت جوانا في السابق مضيفة برنامج حواري ومتحدثة تحفيزية مطلوبة، وألقت خطابات أمام جماعات صغيرة وكبيرة (تزيد على ١٠٠٠ فرد) في أربع قارات. واختارتها مجلة شيرنج آيدياز (Sharing Ideas) كواحدة من أفضل ٢٥ متحدثًا في العالم.

t.me/yasmeenbook

عندما لا تكتب جوانا على لوحة المفاتيح، فإنها تنشغل بالمشي مع جروها جاكس من نوع هافانيز. وتقوم جوانا، الحاصلة على جوائز كصانعة للمنمنمات، بصناعة الدمى وبيوتها وأثاثها بنفسها. كما أنها معلمة معتمدة في فن الزنتانجل (Zentangle®). ويمتلك زوجها، ديفيد، معرض ستاينواي بيانو جاليري (Steinway Piano Gallery) في واشنطن العاصمة وخمس صالات عرض أخرى تابعة له.

يمكنكم التواصل مع جوانا على البريد الإلكتروني JCSlan@JoannaSlan.com.

تابعوها على وسائل التواصل الاجتماعي من خلال الرابط التالي https: / /www.linktr.ee /JCSlan

t.me/yasmeenbook

t.me/yasmeenbook

شكر وتقدير

كفتاة صغيرة نشأت في منزل يسوده العنف، اكتشفت رواية جين إير: سيرة ذاتية لتشارلوت برونتي وهي السيرة الذاتية التي أنقذت حياتي. منذ ذلك الحين، التقيت بالعديد من النساء اللواتي اتبعن مثال جين بالحصول على أفضل تعليم ممكن. ومن غير المناسب ألا أبدأ بالشكر الجزيل لتشارلوت برونتي - المصدر الأول لإلهامي.

حاز هذا المشروع التشجيع المبكر من لويس بيارد، ومن القراء الأوائل صديقتي منذ فترة طويلة تيريزا كامينسكي، أستاذ التاريخ في جامعة ويسكونسن -ستيفنز بوينت. نانسي لوباتين - لوميس، أستاذ التاريخ ورئيس قسم التاريخ في جامعة ويسكونسن - ستيفنز بوينت. بيكي هاتشيسون، وأليسون فيث ماكجيل. واقترح كل من الروائيين شيرل هينك وويليام بيرغان مصادر تاريخية رائعة. وأجاب ديفيد آر. بيتش -من الجمعية الملكية لهواة جمع الطوابع في لندن، ورئيس مجموعات المكتبة البريطانية لهواة جمع الطوابع- عن أسئلتي بكل لطف، وكذلك فرانسين ماثيوز. وأي أخطاء هي مسؤوليتي الشخصية.

قالت هانك فيليبي ريان: "يمكنك القيام بأي أمر إذا أردت القيام به"، وكان هذا شعاري.

t.me/yasmeenbook

وقد وفر لي زوجي، ديفيد سلان، المكان المثالي للكتابة: منزلنا الحبيب على جزيرة جوبيتر. وهو دائمًا ما كان الداعم والمساعد الأكبر لي. وحثني ابني، مايكل سلان، على "التفكير بشكل كبير". وكانت عمتي شيرلي هيلملي مساعدة رائعة وصديقة محبة. وعلى وجه التحديد، كانت "جين" الفريدة من نوعها في حياتي، شقيقتي الرائعة، جين رانسوم كامبل، هي التي أغدقت عليَّ الحب والتشجيع والإيمان بي، وسأكون مدينةً لها بشدة ما حييت.

t.me/yasmeenbook

الإشادة بهذه الرواية

الفائزة بجائزة دافني دو موريه للتميز الأدبي، اختيار بديل في فئة الغموض.

"لقد وقعت في حب هذه الرواية. إنها مكتوبة بشكل جميل، وممتعة وتنقل بدقة فترة عهد الوصاية على العرش المضطربة. جوانا، عجِّلي وابدئي بمزيد من الكتابة".

– إليان فيتس، مؤلفة سلسلة Angela Richman Death Investigator.

"فرصة رائعة لعشاق برونتي لتوسيع معرفتهم بجين إير، التي تواصل طريق برونتي المتواضع، ولكن القوي الإرادة، في عودتها ببراعة إلى التعليم والتحري".

– تشارلين هاريس، مؤلفة الكتب الأكثر مبيعًا طبقًا لقوائم صحيفة نيويورك تايمز.

"تعود جين إير، الشخصية المفضلة لدى الجميع، في مغامرة جديدة رائعة. إن هذه الرواية للمؤلفة جوانا كامبل سلان رواية

t.me/yasmeenbook

شائقة يجب على جميع المعجبين بها قراءتها؛ حيث تبحث جين إير عن قاتل مراوغ يضع القاصرة التي يرعاها روتشيستر نصب عينيه أو عينيها".

– تشارلز تود، مؤلف الرواية الأفضل مبيعًا حسب صحيفة نيويورك تايمز The Black Ascot.

"رواية ساحرة ومبتكرة تبدو مثل رواية الكاتبة تشارلوت برونتي التي افتقدناها منذ زمن طويل... تظهر جين إير التي نعرفها ونحبها بوصفها متحرية بارعة تتسم بالقدر نفسه من التصميم والمهارة والاستقلالية التي طالما عرفها عنها المعجبون بها".

– هانك فيليبي رايان، مؤلف حائز على جائزة أغاثا وجائزة أنتوني وجائزة ماكافيتي.

"لطالما كانت جين إير إحدى الروايات المفضلة لديَّ، ويسعدني أن ألقي نظرة على حياتها بصفتها السيدة روتشيستر. لطالما عرفت أنها ستصبح متحرية رائعة".

– ريس بوين، مؤلف حائز على جائزة أغاثا وجائزة أنتوني عن سلسلة روايات Molly Murphy وسلسلة روايات Royal Spyness الغامضة.

t.me/yasmeenbook

"جين إير هي المحققة المثالية، ذكية وشجاعة وماهرة!".

– فيكتوريا تومسون، مؤلفة كتاب Murder on Trinity Place.

"بداية رائعة لسلسلة جديدة. في هذه الرواية، قدمت لنا المؤلفة جوانا كامبل سلان تتمة مكتملة الأركان لجين إير، تتمة تحافظ على الأجواء القاتمة للرواية الأصلية؛ لكن هذه المرة تستخدم جين فضولها النهم في حل جريمة قتل. إنها رواية بوليسية مشوقة".

– جيري ويسترسون، مؤلف سلسلة روايات Crispin Guest Medieval Noir.

"هذا المزيج الجيد من الشخصيات المرسومة بعناية والتحولات المفاجئة، الذي يحمل معه عبق إنجلترا في أوائل العقد الثاني من القرن التاسع عشر. قضمة واحدة ولن تستطيع التوقف حتى تصبح اللقمة الأخيرة مجرد ذكرى. الحمد لله أن هناك المزيد من مذكرات جين إير".

– كاثي لين إيمرسون، مؤلفة كتاب:
How to Write Killer Historical Mysteries: The Art and Adventure of Sleuthing through the Past.

"رواية رائعة. إنها الأفضل في فئة الروايات التاريخية الغامضة؛ فهي زاخرة بالتفاصيل وجيدة الحبكة ومليئة بالشخصيات التي لن ترغب في تركها وراءك".

– ستيفاني بينتوف، مؤلفة حائزة على جائزة إدغار® عن رواية In the Shadow of Gotham.

ياسمين
قصص
روايات
t.me/yasmeenbook